الجمهورية اليمنية
جامعة صنعاء
الدراسات العليا والبحث العلمي
كلية الآداب
قسم التاريخ
شعبة التاريخ الحديث والمعاصر

تجارة البن اليمني

(ق ١١هـ - ١٣هـ / ق ١٧م - ١٩م)

" دراسة تاريخية "

أطروحة ماجستير

مقدمة من الباحثة : أروى أحمد أحمد عبد الله الخطابي

تحت إشراف : أ.د. سيد مصطفى سالم

يوليو ٢٠٠٤.

كما توقفت أسعار البن على نوعيته ، ودرجة نظافته ، ونقائه من الشوائب ، وطراوته ، والمناطق التي كان يتم شراء البن منها ، سواء من الأسواق ، أو الموانئ ، والمزارع . فقد ذكر جان دي لاروك أنه عندما كان في المخا ، أشار عليه راهبان إيطاليان كانا يعملان كمترجمين له على الاستعانة بشخص ، كان يدعى حسبما ذكر بسيدي محمد ، وكان رجلاً ثرياً وخبيراً في التجارة . وقد قدم هذا التاجر اليمني عرضا للاروك بأن يحصل له على " أفضل أنواع البن والتي سيتولى شراءها في الموقع " دون أن يدفع عنها سوى التكاليف الرئيسية[1] . أي أنه لن يدفع تكاليف الدلالة أو ما يعرف بالسمسرة ، وهذا يعني أن أسعار البن تكون أقل في مواقع الإنتاج ، منها في الأسواق . ص١٠٣

استخدام الدلال أو السمسار من الأمور التي أُعتمدت في تجارة البن في اليمن ، والسمسار هو الواسطة بين المزارعين والتجار ، أو بين التجار المحليين والتجار الأجانب . وقد برز البانيان في مهنة الدلالة أو السمسرة في اليمن لأسباب كثيرة ، منها لمعرفتهم باللغات المختلفة ، واحتكاكهم الطويل باليمنيين ، ومعرفتهم القوية بتفاصيل تجارة البن في اليمن .ص١١٢

ونظرا لأهمية مهنة الدِلالة فقد وجدت بعض القوانين التي نظمت هذه المهنة ، خاصة ضمن القانون المعروف بقانون صنعاء ، والذي ورد فيه " أن للدلالين دلالة ما باعوا من أي سلعة، والذي تكون إلى العشرة ، وما دون على البائع بقشة ونصف وعلى المشتري بقشة واحدة على القرش "[2] . ويتوجب على الدلال أن يقرب بين البائع والمشتري ، وان يضمن البضاعة المباعة ، بعد أن يفحصها بنفسه ، ويتأكد من سلامتها ، ويبين أوصافها ، وإذا اكتشف أنه دلس على أياً من البائع أو المشتري فإنه يعاقب . وتقتصر مهمة الدلالة أو السمسرة على التوسط ، ولا يحق للدلال أن يشتري لنفسه ، " فإذا اشترى الدلال منع الدلالة في البيع والشراء "[3] .

لقد تمكن العديد من البانيان الذين عملوا في مهمة الدلالة تحقيق سمعة طيبة ، إلى جانب تكوين ثروات كبيرة ، ومن أولئك الدلالين البانيان ، شخص كان يدعى بيرا البانياني ،

---

[1] – جان دي لاروك : رحالة إلى العربية السعيدة ترجمة : صالح محمد علي ، ص٧٩ .

[2] حسين السياغي : قانون صنعاء ، ص٢١ .

[3] نفس المرجع : ص٢١ .

العنصر المهم في تجارة البن في اليمن بين الأوربيين ، كما وصـــفه جـــان دي لاروك عـــام (١٧٠٩م-١٧١٠م) .

ولا يوجد دليل بين يدي يثبت أن اليمنيين عملوا في مهنة الدلالة ، ولكن لا يستبعد أن يكون هناك من اليمنيين ممن عملوا في هذه المهنة .ص١١٣

فقد ذكر الهولنديون أنه كان يجب دفع نسبة مئوية عن كـــل البضـــائع المســـتوردة والمصدرة مكونة من ٥ ٪ ، وثم عدا عن ذلك تحسب قيمـــة البضـــائع المـــذكورة دائمـــا ١١٠ ٪ مما يؤدي إلى نسبة مئوية صافية مكونة من ٢\١ ٥ ٪، وللكتبة الستة و لمشـــرفي الملك في الفندنغة _ أي الجمرك _ ٢\١ ١ ٪، وبالإضافة إلى هذا يدفع رسم جمركـــي يسمونه أجرة السمسرة ١٪ ، كما يدفع بالإضافة إلى ذلـــك رســـوم للمدينـــة تقـــدر بـــ ١ بالألف[٤] .ص١٢٠

الأسواق المحلية :

بعد أن صارت القهوة شراباً شائعاً بين أوساط المجتمع اليمني ، تحول البن إلى ســـلعة تجارية ، وما من شك بأن هذه السلعة كانت في البداية سلعة محلية، طرحـــت في الأســـواق للتبادل التجاري، ولكن للأسف الشديد ، فان المصادر اليمنية التي تمكنت مـــن العثـــور عليها، والتي تعود إلى فترة قريبة من اكتشاف البن تكاد تخلوا من أي ذكر للـــبن كســـلعة تجارية متداولة محليا.

وقد لاحظ نيبور (عام١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م) أن البن لم يكن ضمن السلع المعروضة في سوق صنعاء . وقد علق على ذلك بقوله : " ولعله – أي البن – لم يكن من السلع الهامة في هذا السوق فقد كان استخدامه المحلي نادراً "[٥] . لقد كان نيبور محقاً في ذلك فاليمنيون كانوا وما زالوا يفضلون القهوة المستخلصة من قشور حبوب الـــبن ، أكثـــر مـــن تلـــك المستخلصة من لبه . و قد أشار محمد خليل أفندي الذي تولى رأســـة محكمـــة الاســـتئناف الجزائية في عام (١٢٩٧هـــ / ١٨٧٩ م) ثم في عام (١٣٠٥هـــ / ١٨٨٧ م) إلى ذات المعنى في اللائحتين اللتين أصدرهما حول النظم الإدارية العثمانية في اليمن ، فقـــد ذكـــر:

---

[٤] – براور : اليمن في وائل القرن السابع عشر ، ص ٨٨ _ ٨٩.

[٥] – د . احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٦٦.

" أن المزارع يصدر كامل إنتاجه من البن ، لأنه لا يشرب القهوة ، و إنما يستخدم قشورها، ويشربها كالشاي و يقدمها إلى ضيوفه بكل فخر و اعتزاز "[٦] ، ولعل هذا ما يفسر بــروز القشر كسلعة محلية .

لقد كان القشر واحدة من أهم السلع المحلية ، على العكس من حبوب البن الــذي كان يُستخدم على نطاق ضيق . و لقد أوردت بعض المصادر اليمنية معلومات متناثرة حول تجارة القشر، كما أوردت العديد من المصطلحات و النظم التجارية المتصلة بها .

فقد ورد في قانون صنعاء ، وهو القانون الذي أصدره الإمام المتوكل على الله القاسم ابن الحسين (ت ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م) ، وأعيد تجديد العمل به في عهد الإمام المهدي عبد الله بن المتوكل احمد ابن الإمام المنصور علي (ت ١٢٥١هـ / ١٨٥٣م) ، العديد مــن القوانين التي تنظم تجارة القشر في سوق صنعاء ، في الوقت الذي لم يرد أي ذكر للــبن في هذا القانون .

ومن ضمن القوانين التي صدرت بشأن تجارة القشر في ذلــك القــانون أنــه علــى المسافرين الذين يقابلون القافلة التي تحمل القشر عدم الاعتراض عليها أو نقلها إلى جهة من الجهات ، و السماح لها بالوصول إلى سوق القشر في صنعاء " ويصل الجلاب[٧] بنفسه إلى صنعاء و من اخذ من سوق من الأسواق الذي فيه تلقى الجلوبــة[٨] الســالكة إلى المدينــة استحق التأديب[٩] والمنع [١٠] ، وقد أشار هذا القانون إلى التعاملات المالية الخاصة بتجــارة القشر" وللكسار[١١] في القشر بقشة واحدة ، وصلحة[١٢] القشر على العدلة[١٣] من البايع

---

[٦] – د. محمود عامر : اليمن من خلال لائحتي محمد خليل أفندي ، مجلة الإكليل ، صــنعاء وزارة الإعــلام والثقافة ، العدد الأول ، السنة السابعة ، ١٤٠٩هـ \ ١٩٨٩م، ص ٧٨ .

[٧]– الجلاب : من الفعل جَلَبَ ، والجلب سوق الشيء من موضع إلى اخر ، والجلب والأجــلاب ، الــذين يجلبون الابل و الغنم للبيع ، (لسان العرب ،جــ١ ، ص ٦٤٧) .

[٨] – الجلوبة : أي الحمولة التي تجلب إلى السوق .

[٩] – التأديب : اي العقاب ، والجزاء المالي ، أو النقدي ، ويؤخذ من المذنب . وأدبه تأديبــا عاقبــه وقاصــه (العرشي : بلوغ المرام ، ص٤٢٠)

[١٠]– حسين ابن احمد السياغي : قانون صنعاء ، ص٢٣ .

[١١]– الكسار : وجمعها الكسارون ، وهم الذين يبيعون بالتجزئة (السياغي : المرجع السابق ، ص٢٢)

[١٢]– الصلحة : هي الوساطة بين البائع و المشتري . (المرجع السابق : ص١٦)

بقشتين و نصف ومن المشتري بقشة و ربع"[١٤] . كما نظم هذا القانون أيضا عملية بيـــع القشر، والمشاركة في دفع أجرة حراسة السوق " وفي سوق القشر لهم من الربح ما تقـــدم وألبخ[١٥] بالماء ممنوع ، والوزن بالوازنات المطبوعات[١٦] ، وعليهم من الحراسة ما يعتادوه من الجرم[١٧] المفروق للحرس وتفريدها[١٨]على القاعدة في ذلك عند الشيخ[١٩]". و ليس ذلك فحسب ، بل لقد كان يوجد ضمن سوق صنعاء سوقاً و سمسرةً خاصـــة بالقشـــر . ويبدوا أن سمسرة القشر كانت تستخدم كمركز لتحصيل الجمارك المترتبـــة علـــى تجـــارة القشر، وتوجد سمسرة القشر بالقرب من سوق القشر حسبما توضحه الخريطة الملحقة بهذه الدراسة [٢٠] و هذا بالنسبة للتعامل الداخلي للقشر .

أما بالنسبة للتعامل الخارجي للقشر، فقد كان محدوداً للغايـــة ، و لم أجـــد ســـوى أشارت بسيطة عن ذلك ففي عام (١١٣٠هـ/ ١٧١٨ م) تعرض الإمام المهدي محمد بن احمد بن الحسن للحصار من قبل المتوكل القاسم بن الحسين ، وقد وصل هذا الحصار بالإمام وأولاده إلى درجة العوز، وبيع ممتلكاتهم ، وكان القشر من ضمن ما باعه أولاد الإمام ، فقد ذكر محسن أبوطالب بأنه " كان عند بعض أولادة أحمالا من القشر، فكان بيع الرطل منـــه من شخوص الصفر[٢١] بأرطال[٢٢] " .كما ورد أيضا في قائمـــه الأســـعار الـــتي وضـــعها الهولنديون للبضائع التي في المخا عام ١٦٢٣ م بأن سعر البن مع قشره مـــن ١٥ إلى ٢٠

---

[١٣] – العدلة : بكسر العين ، وحدة وزن محلية ، تساوي نصف حمل بعير .(المرجع السابق : ص٢١)

[١٤] – السياغي : نفس المرجع ، ص ٢٣ .

[١٥] – البخ : الرش بنفخ الماء حتى يكون كالرذاذ . (المرجع السابق : ص٢٤)

[١٦] – الوزانات المطبوعات : يبدوا انها الموازين المعتمدة من قبل الدولة بوضع ختم الدولة عليها .

[١٧] – الجرم : اي السهم الذي ينبغي على كل تاجر دفعة لحراس السوق.

[١٨] - أي القسط الذي يدفع لشيخ السوق.

[١٩] – حسين السياغي : قانون صنعاء ، ص٢٤ .

[١] – انظر الخريطة رقم (٧) ، والخاصة بسوق الملح في صنعاء القديمة (قدمت هذه الخريطة ضمن فعاليات مؤتمر الحضارة الذي عقد في صنعاء من ٣٠ أغسطس حتى ١ سبتمبر ٢٠٠٤م)

[٢١] – الشخوص الصفر ، ربما يكونوا الصينيون

[٢٢] – محسن بن الحسن بن ابوطالب : السحر المبين وفتور الحاظ العين ، تحقيق : ايمان علي مانع ، ص٥٢٩.

ريالاً للبهار، وهذا السعر أقل من سعر البن المقشور ، و المعروف عند اليمنيين بالبن الصافي .

وبالرغم من سكوت المصادر التي بين يدي عن ذكر العمليات التجارية الداخلية ، أو المحلية المتعلقة بتجارة حبوب البن ، والذي هو لب موضوع الدراسة ، إلا أنه لا يستبعد أن يكون هناك تبادلا تجاريا محدودا في هذا المجال . وهذا ما يجعل البحث في التجارة الداخلية للبن شاقاً و مضنياً نظرا لندرة المعلومات ، و لكن سوف أحاول بقدر ما أستطيع رسم صورة ولو تقريبية لما كان يجري من عمليات تجارية داخلية ، وذلك لإعداد البن من اجل تصديره للخارج ، مستعينة بالمعلومات القليلة التي تمكنت من العثور عليها .

شكلت عمليات إعداد البن وتجهيزه من أجل تصديره إلى الخارج جزءاً لا يتجزأ من النشاط التجاري الداخلي لليمن ، وقد مرت عمليات الإعداد تلك بالعديد من المراحل المتنوعة ، شكلت كل مرحلة منها نشاطا تجاريا له خصوصيته .

إن عملية إعداد البن و تجهيزه للتصدير كانت تبدأ من مناطق إنتاجه ، فبعد أن يقوم المزارع بجني المحصول بالطريقة التي سبق دراستها في الفصل الأول، كان يقوم بتجميع البن في أماكن مناسبة ، على شكل أكوام ، استعدادا لنقلها إلى الأسواق المحلية ، حيث كان يتم بيعها .

لقد كانت تلك الأسواق هي مراكز لتجميع البن وبيعه للتجار من غير اليمنيين ، مثل العرب والأتراك والفرس والهنود ، ثم فيما بعد التجار الأوربيين والأمريكيين . ولكن لا يستبعد وجود تبادل محلي محدود ضمنها.

وقد وجد في اليمن العديد من الأسواق المحلية ، و تنقسم هذه الأسواق إلى عدة أنواع مختلفة ، حيث وجدت أسواق دائمة، تستمر على مدى أيام الأسبوع ، وأسواق أسبوعية، تعقد في أيام معينه من الأسبوع ، و غالبا ما كانت تسمى تلك الأسواق بأسماء الأيام التي كانت تعقد فيها ، مثل سوق الجمعة أو سوق السبت وغيرها ،كما وجد في اليمن أسواق عامة، تحتوي على سلع متنوعة، و أسواق خاصة بسلع معينة ، كالبن مثلا.

لقد تخصصت بعض الأسواق بعمليات التبادل التجاري المتصل بالبن ، ومن تلك الأسواق سوق بيت الفقيه ، وسوق الصّلبة ، وسوق الحدية ، وسوق علوجة ، كما وجد البن في الأسواق العامة ، خاصة الأسواق التي كانت تعقد في الموانئ ، مثل موانئ المخا ، وعدن ، والحديدة ، واللحية ، وغيرها ، والى جانب ذلك وجد البن في بعض الأسواق الثانوية ، حيث كان يتم تبادل البن فيها على نطاق ضيق ، وذلك لأن الاستهلاك المحلي كان محدود . ومن أشهر تلك الأسواق : ص٥٢-٥٤

رابعاً : السماسر:

مفردها سمسرة ، والسمسرة في اللغة : هي حرفة السمسار : جمعه سماسرة وسماسر، وهو المتوسط بين البائع و المشتري ، و مالك الشيء ، وقيمه . وقد تطور معنى السمسرة في اليمن إلى المكان الذي تجري فيه الأعمال التجارية[٢٣]. وكانت السمسرة تستخدم لخزن البضائع ، ويسمى المخزن في صنعاء سمسرة[٢٤] .كما كانت السماسر تقوم مقام الفنادق في الوقت الحاضر ، فقد كانت عبارة عن أماكن يأوي إليها التجار والمسافرون أثناء السفر والانتقال من مكان إلى آخر ، ولذلك تعد السماسر جزءاً لا تجزأ من البنية التحتية للتجارة في اليمن في بداية العصر الحديث .

نظرا لأهمية السماسر في الحياة الاقتصادية اليمنية ، فقد أولتها الحكومات المتعاقبة اهتماما كبيرا . فقد قام الأمير علي بك ، أمير مدينة تعز، في عهد الوالي التركي مراد باشا الذي وصل الي اليمن عام (٩٨٣ هـ/ ١٥٧٥م)، ببناء سمسرة كبيرة في شرقي ميدان مدينة تعز ، " وجعل فيها أربعة وستين مسكنا ، على طبقتين ، فالطبقة السفلى مخازن ، و الطبقة العليا مناظر برواشن[٢٥] ، وعين من كراها[٢٦] أربعين حرفا في كل سنة ، يشترى بها ثياب لتكفين الموتى من الفقراء و المساكين من المسلمين "[٢٧] ، و بقية الأموال الناتجة من ريع السمسرة كانت تصرف في بعض المصاريف اللازمة ، وقد جعل الأمير علي في ذلك

---

[٢٣] – د. حسين العمري : مادة السمسرة في الموسوعة اليمنية، جـ٢ ، ص٢٥٨

[٢٤] – حسين السياغي: قانون صنعاء، ٢١.

[٢٥] – الرواشن : أي بناء خارج عن البناء الأساسي للمبنى ، وربما تشبه البلكونات في الوقت الحاضر.

[٢٦] – كراها : أي اجرتها

[٢٧] – عبد الصمد الموزعي : الأحسان ، تحقيق : عبد الله الحبشي، ص ٥٥.

" بصيرة شرعية" [٢٨] . وفي عام (١٠١٣ هـ/ ١٦٠٥م) وصل واليا على اليمن سـنان باشا، وقد قام بترميم هذه السمسرة ، و " جعلها سبيلا للمسافرين ومأوى ومقيلا للنازلين وجعل فيها حافظا وكناسا وسراجا دائما ، وجعل من خارجها دكاكين أوقفها على مصالحها، وعين أجرة أهل خدمتها من كراء الدكاكين المذكورة "[٢٩] .

ولم يكن اليمنيون أقل اهتماما ببناء السماسر من الأتراك ، فقد سعوا إلى الاهتمام بالتجارة ، و تحسين إجراءاتها ، وكانت السماسر جزءاً من تلك المنظومة التجارية . فقد قاموا بإنشاء السماسر على طول الطرق ، و في المدن و الأسواق الكبيرة . فقد قام محمد بن الحسن ابن الإمام القاسم ببناء العديد من السماسر الكبيرة والمشهورة ، منها سمسرة في صنعاء بناها في عام (١٠٦٩ هـ / ١٦٥٩م) ، وقد عرفت بسمسرة محمد بن الحسن " وانتفع بها التجار ولاسيما الأعراب "[٣٠] ، و كان محمد بن الحسن قد انشاء سمسرة كبيرة في ذمار بجانب مسجد الديلمي. كما قام أحمد بن الامام القاسم ببناء سمسرة في عظيمة "بسوق العنب بصنعاء "[٣١]، و قد أوقف ريع هذه السمسرة لصالح المسجد الذي بناه في ألروضه .

لقد ظل اهتمام الأئمة ببناء السماسر طوال المدة التي حكموا فيها ، ففي عام (١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧م) قام الإمام المنصور علي ببناء سمسرة في سوق صنعاء "على يمين الخارج من السوق إلى الجامع "[٣٢] .

ولم يقتصر بناء السماسر على الرجال من بيت الأئمة ، ولكن النساء أيضا شاركن في هذا العمل باعتباره عمل خيري ، فقد قام أحمد بن القاسم ببناء سمسرة الأزرقين " بوصية من بعض زوجاته بنات المعافى ، و منها سمسرة ريده و غيرها. ساهم التجار وأهل البر في بناء السماسر أيضا فقد قام أحد التجار وكان يدعى مقريش بعمارة سمسرة كبيرة في بلدة غشم من بلاد الاشمور " فبنيت بالعقود ، و القضاض ، و الباب الكبير تدخلها الجمال

---

[٢٨] – نفس المرجع : ص ٥٥.

[٢٩] نفس المرجع : ص٩٦ ، ٩٧ .

[٣٠] - محسن ابو طالب : طيب اهل الكسا ، تحقيق : عبدالله الحبشي : ، ص ٧١ .

[٣١] - يحيى بن الحسين ، بهجة الزمن، تحقيق : امة الغفور الامير ،جـ١ ، ص٣٣٦.

[٣٢] - نفس المرجع ،جـ١: ص ٣٨١ .

والأحمال"[٣٣] . كما بنى التاجر محمد الحطروم (ت١٠٧٩هـ /١٦٦٨ م) أيضا" سمسرة وماجل للماء في نقيل عجيب"[٣٤] .

لم تكن السماسر تستخدم للأغراض التجارية فحسب ، ولكنها كانت أحيانا تستخدم لأغراض أخرى ، كالأغراض العسكرية ، فقد ذكر المؤيد محمد بن المتوكل انه مدين بمبلغ من المال لأولاد محمد بن الحسن ، لقاء أجرة سمسرة محمد بن الحسن ، " فأنها اكتريت[٣٥] للعسكر"[٣٦] .

وكانت السمسرة عادة ، عبارة عن مبنى له أبواب ، وكانت هذه الأبواب تغلق عند حلول الظلام . وكان الشخص المكلف بإغلاق الأبواب يدعى السمسري ، أي صاحب السمسرة ، أو المسئول عن إدارتها ، و قد يطلق على صاحب السمسرة أيضا " مقهوي وزوجته مقهوية ،لأن غالب ما يطلب هو القهوة"[٣٧] . ومن الشروط الواجب توافرها في أصحاب السماسر الأمانة ، " و السماسرة يشترط فيهم الأمانة و عدم الخيانة وحفظ أموال التجار "[٣٨] ، وكان أصحاب السماسر الموجودة في المدن الكبير، يدفعون مبلغ من المال ، تتقاضاها الدوله مقابل حراسة السمسرة " وعليهم من جرم[٣٩] الحرس ما يعتادونه تسعة قروش و نصف قرش سياقها "[٤٠] .

لم يقتصر النزول في السماسر على التجار والمسافرين من اليمنيين والعرب فحسب ، ولكن كان ينزل فها أيضا اليهود ، و التجار البانيان ، كما كان ينزل فيها أيضا التجار والرحالة الأجانب .

---

[٣٣] -يحيى بن الحسين ، بهجة الزمن، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ١ ص٣٨١.

[٣٤] - نفس المرجع : ص٤٩٨.

[٣٥] – أُكتُريت : أي استُجرت

[٣٦] – المؤيد محمد بن اسماعيل بن القاسم : مذكرات المؤيد الصغير ، تحقيق :عبدالله الحبشي ، ص١٤٨ .

[٣٧] – أ.د. حسين العمري : مادة السماسر في الموسوعة اليمنية ، جـ١ ،ص٥٢٨.

[٣٨] السياغي : قانون صنعاء ، ص٣٣.

[٣٩] – الجرم في اليمن هي الغرامة أو القسط الذي ينبغي دفعه شهريا .

[٤٠] – السياغي ، قاون صنعاء ، ص٣٣.

لقد لفت العدد الكبير من السماسر المنتشرة على طول الطريق من المخا إلى صنعاء انتباه التاجر الهولندي بيتر فان دن بروكة (Pieter van den Broecke) ، أثناء زيارته للوالي العثماني في صنعاء عام١٦١٦م حيث قال: " و من أجود الأشياء التي يصادفها المسافر في طريقه كل ٣ أو ٤ أميال هي وجود بيوت جميلة مغلقة الجوانب ومشابهه قلاع يمكن لمائتي فرس أو جمل الإقامة فيها ، و تغلق هذه السرايات في الليل ضد قطاع الطرق المتواجدين على الطرق بكثرة . وسيستحيل على القوافل السفر بأمان دون وجود محطات الاستراحة هذه . و كذلك يستحيل مطلقا على الكارونة[٤١] بالبضائع التنقل في الليل بلا خفر ، ويدفع للبواب كبير[٤٢] واحد لكل فرس أو جمل ، وذلك لحفظ السراي"[٤٣] وعندما قدم نيبور إلى اليمن وجد السماسر منتشرة بكثرة على طرق المسافرين، وقد نزل هو وأفراد بعثته في إحداها ، وكان يطلق عليها اسم الخانات ، " وكان لهذه الخانات حوائط عالية من كل جانب و كان المسافرون يهرعون إليها بجمالهم ، ويشترون منها خبز الذرة والقهوة والأرز والزبده ويقضون الليل كله امنين ، لأن بابها كان يقفل كل مساء ولا يفتح إلا صباح اليوم التالي بعد أن يكون كل نزيل قد تأكد انه لم يفقد منه شيء "[٤٤] .

وكانت السماسر أحيانا تنشأ وسط الأسواق الكبيرة ، وتستخدم كمخازن للبضائع، وكان بعضها يتخصص في استقبال نوع واحد من السلع ، ففي سوق صنعاء كانت توجد العديد من السماسر المتخصصة في استقبال بضاعة معينة ، حيث كان يوجد سمسرة العنب ، لاستقبال العنب ، وسمسرة الحب ، لاستقبال الحبوب المختلفة ، وسمسرة الزبيب ، وغيرها . وبالرغم من وجود الكثير من تلك السماسر ، إلا انه لا توجد سمسرة خاصة بالبن ، ولكن كانت توجد سمسرة القشر ، ومن المحتمل أن تجارة البن كانت تمارس ضمنيا ، وبدرجة محدودة في إطار سمسرة القشر ، و ربما يعود السبب في ذلك إلى أن اليمنيين كانوا يعتبرون البن سلعة تصديرية قيمة ، وليست سلعة للاستهلاك المحلي . و لكن هذا لا يعني أن

---

[٤١] – الكارونة : هي القافلة باللغة الفارسية .

[٤٢] – عملة محلية في ذلك العصر .

[٤٣] – براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ،ص٨٠ – ٨١ .

[٤٤] – توركيل هانسن : من كوبنهاجن الى صنعاء ، ترجمة : محمد احمد الرعدي ،ص٢٧٢.

تجارة البن لم تستفد من السماسر ، بل على العكس ، فقد كان للسماسر دور كبير في تجارة البن ، مثلها مثل بقية أنواع التجارة . فقد كانت القوافل التي تحمل البن تحط الرحال عند السماسر الموجودة في الطرق المؤدية إلى الأسواق و الموانئ ، و ذلك حتى يأخذ التجار ، والحيوانات قسطا من الراحة ، و يتناولون الطعام و الشراب . وأحيانا لحمايتهم من قطاع الطرق ، أو من الأحوال الجوية المضطربة ، كالأمطار الغزيرة .ص٨٩- ٩٣

الإهداء

إلى والدي الذي علمني معنى الحياة

إلى والدتي رمز الحب و الخير

والجمال ونبع العطاء المتدفق الذي

لا ينضب معينه

إلى أخوتي جميعا الذين لن أنسى

فضلهم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾

صدق الله العظيم

يعد التاريخ الاقتصادي أحد العناصر المكونة للتاريخ العام ، إن لم يكن أهم تلك العناصر على الإطلاق ، إذ أنه يمثل المرآة الحقيقية التي تعكس الأوضاع السياسية والاجتماعية لأي امة من الأمم . وبالرغم من تلك الأهمية ، إلا أن دراسة التاريخ الاقتصادي لليمن لم يحظ بالاهتمام المطلوب ، خاصة في فترة التاريخ الحديث والمعاصر.وربما يرجع السبب في ذلك إلى عزوف الباحثين عن هذه المواضيع نتيجة لقلة المعلومات عنها في المصادر الأصلية . وذلك لكون المؤرخين الأوائل قد أهملوا رصد الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في الفترات التي عاشوا فيها ، مركزين جهودهم على تدوين الأحداث السياسية ، وتتبع الوقائع العسكرية . وما ورد من معلومات اقتصادية أو اجتماعية ضمن

تلك المصادر كان يأتي عرضا ، وبدون قصد من المؤرخ. ومع ذلك فان الإشارات الصغيرة، والنصوص القليلة المتعلقة بهذه الجوانب هي زاد الباحث في مجـــال التـــاريخ الاقتصـــادي والاجتماعي لليمن ، وهذا الأمر يتطلب من الباحث أن يكون حصيفا عند تناوله لموضوعة بحيث يستقي من تلك النصوص ما يفيد دون أن يخل بالمعني العام للنص ، أو المعني الـــذي كان يرمي إليه المؤرخ عند كتابته لذلك النص .

إن المسألة الأكثر صعوبة في مجال البحث في التاريخ الاقتصادي لليمن تكمن في كون معظم المصادر الأصلية ما تزال عبارة عن مخطوطات ، ومجاميع مكتوبة بخط اليد مرصوفة في أرفف دور المخطوطات والمكتبات العامة والخاصة ، وتحتاج إلى من يتحمل عبء إخراجهـــا للنور ، وهو المشروع الذي بدأ به الأساتذة الأجلاء في قسم التاريخ بكلية الآداب، وذلك حتى يتمكن الباحثون من الاستفادة منها ، ليس في جوانب التاريخ السياســـي فحســـب، ولكن أيضا في جوانب التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

إن مشروع إخراج هذه المخطوطات إلى النور عن طريق تحقيقها تحقيقا أكاديميا يعـــد بمثابة البنية التحتية لكافة الدراسات التاريخية في اليمن ، وإذا ما توفرت هذه البنية فســـوف يقبل الطلاب والباحثون على تناول موضوعات جديدة ومتعددة تكشف جوانب مهمة من تاريخ اليمن كانت في طي النسيان .

إن اختياري لأحد مواضيع التاريخ الاقتصادي ليكون موضوع بحثي لرسالة الماجستير قد جاء محاولة مني للكشف عن جانب مهم من جوانب تاريخ وطننا الحبيب ، وهو تـــاريخ تجارة البن اليمني الذي ارتبط به اسم البن الجيد في العـــالم ، ألا وهـــو (موكـــا كافيـــه) (Mucha coffee)، طيلة ثلاثة قرون من الزمن ، ابتداء من القرن الحـــادي عشـــر الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري الموفق من القرن السابع عشر الميلادي إلى القـــرن التاسع عشر الميلادي .

وعند اختياري لهذا الموضوع ليكون مجالا لبحثي لم أكن اعرف عن البن ســـوى انـــه سلعة نقدية مهمة ، وذات عائد مادي جيد ، ولكني كنت اجهل تاريخه ، والدور الذي لعبه في تاريخ اليمن الحديث ،كما هو الحال بالنسبة لمعظم أبناء اليمن الذين يجهلـــون أهميتـــه ، لذلك انصرفوا عن زراعته والاهتمام به ، واتجهوا نحو زراعة القات ، وإنما كـــان دافعـــي الأول والأخير لتناول هذا البحث هو ما شاهدته من اجتياح أشـــجار القـــات للأراضـــي

الزراعية التي كانت تجود بزراعة البن ، وانحسار المساحات المزروعة بالبن يوما بعد يوم ، وما ترتب على ذلك من حرمان اليمن من مصدر دخل مهم ، كان من الممكـــن أن يعـــادل في أهميته بعض السلع التجارية العالمية كالقمح والقطن مثلا لو أن المزارعين والدولـــة أولـــوه اهتمامهم وعنايتهم .

ويعد البن اليمني من المحاصيل الزراعية النقدية المهمة التي حظيت بشهرة عالميـــة في مجال التجارة والاستهلاك ، وهذا ما جعل اليمن تتحول إلى قبلة لكثير من السفن العربيـــة والإسلامية والأجنبية . بل لقد أصبحت تجارة البن بديلا لتجارة التوابل الـــتي تحولـــت إلى طريق رأس الرجاء الصالح عقب الكشوفات الجغرافية التي أدت إلى اكتشاف الطريق الجديد والمباشر إلى أوروبا ، وهي الطريق التي أدى اكتشافها إلى حرمان البلدان التي كانت تعتمد في عائداتها المالية على تجارة العبور للتوابل عبر مياهها وأراضيها إلى أوروبـــا مـــن تلـــك العائدات.

وقد استطاع البن فرض نفسه على ساحة التجارة العالمية بسرعة بالغة، ممـــا انعكـــس إيجابيا على توفر مبالغ مالية كبيرة في أيدي الأئمة حققت استقراراً نسبياً في بعض الفتـــرات من تاريخ حكمهم ، خاصة فترة حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل ، الذي تمكـــن مـــن بسط سلطة الدولة على كافة أرجاء اليمن . بل إن الإمام السالف الذكر تمكن لأول مـــرة من توحيد اليمن من ظفار شرقا حتى حدود ينبع شمالا ، وذلك نتيجة لقوة البلاد الاقتصادية الناجمة عن العائدات المادية الكبيرة من تجارة البن .

وعند شروعي بالبحث واجهتني العديد من الصعوبات ، منها ندرة المصادر المتعلقـــة بالموضوع ، خاصة منها المصادر الأصلية المحلية ، كما سبق أن ذكرت . ولكـــني حاولـــت الاستعانة بما تيسر منها ، ولعل أهم ما توفر لي من تلك المصادر هو بعـــض المخطوطـــات القيمة، والتي كان البعض منها قد تم تحقيقه مثل مخطوطة بهجة الزمن ليحيى بن الحسين بـــن القاسم ، ومخطوطة درر نحور الحور العين للطف الله جحاف ، اللتين مثلاتا المعين الذي نهلت منه المعلومات فيما يتعلق بالتجارة الداخلية للبن . والى جانبيهما العديد مـــن المخطوطـــات الأخرى سواءً المحققة منها أو المطبوعة فقط أي التي نشرت بدون تحقيق ، أو حتى تلك التي ما تزال بخط اليد .

أما الصعوبة الأخرى فهي وجود العديد من الأبحاث والدراسات والمعلومات المتصلة بموضوع البحث مكتوبة باللغات الأجنبية ، خاصة اللغة الإنجليزية مما اضطرني لبذل المزيد من الجهد و الوقت لاكتساب هذه اللغة ، وقد كلفني ذلك عامين ونصف لاكتسابها . وقد عكفت بعدها على الإطلاع وترجمة المراجع التي تيسر لي الحصول عليها ومعرفة ما كتبه المؤرخون الأجانب حول البن اليمني . والاستفادة من ذلك في إثراء الموضوع .

ومن أهم الصعوبات التي واجهتني عدم توفر المراجع والمصادر في اليمن ، خاصة المراجع الأجنبية مما اضطرني للبحث عنها خارج اليمن والاتصال بمؤسسات بحثية دولية وبعض المكتبات الأجنبية في هولندا وفرنسا وألمانيا.

ومن الصعوبات التي واجهتني أيضا تداخل المعلومات و تشابك العلاقات التجارية ولاقتصادية بين المناطق المختلفة التي عملت في تجارة البن ، وهذا بدوره أوجد مشكلة كبيرة في تكرار تلك المعلومات، وقد بذلت جهدي في التغلب على هذه التكرارات بالإشارة إلى انه سوف يتم تناول الموضوع بالتفصيل لا حقا ، أو الإشارة إلى انه قد سبق شرح ذلك الموضوع سابقا .

إن المدة التي شملتها الدراسة طويلة نسبيا ، إذ أنها تغطي مدة ثلاثة قرون من الزمن ، وقد تم اختيار هذه الفترة لكي تغطي المراحل المختلفة لتطور تجارة البن ، منذ ظهور البن ، وانتشاره، وازدهار تجارته عالميا ، ثم مرحلة كسر احتكار اليمن لزراعته وتجارته ، بسبب نجاح الهولنديون في زراعته في جاوه ، ومن ثم تدهور تجارته في اليمن مطلع القرن التاسع عشر ، وانهيارها بشكل شبه نهائي في القرن العشرين .

ومن أجل تسهيل دراسة الموضوع تم تقسيم الرسالة إلى أربعة فصول ، حاولت من خلالها الإلمام بالجوانب المختلفة للموضوع .

فقد جاء الفصل الأول بعنوان ظهور البن اليمني ، وقد حاولت من خلاله تغطية العديد من الجوانب مثل التطور اللغوي لكلمات البن والقهوة ومشتقاقهما ، وبداية ظهور البن في اليمن ، وأصل شجرة البن ، والجدل الذي حدث حول شراب القهوة سواء بين علما الدين أو رجال السياسة ، إلى جانب دراسة العوامل الطبيعية والبشرية التي أثرت في زراعة البن ، كما تم البحث في أصناف البن ومناطق زراعته . وأخيرا تم التطرق إلى علاقة البن بالحياة الفكرية والأدبية إلى جانب تفسير العلاقة بينه وبين القات .

أما الفصل الثاني فهو بعنوان التجارة الداخلية للبن اليمني، ومن خلاله حاولت الإلمام بالجانب المحلي في تجارة البن . وقد شمل هذا الفصل دراسة للأسواق الداخلية ، وموانئ التصدير والطرق ووسائل النقل والسماسر والتجار والأسعار والعملات والموازين والمكاييل . كما تم في هذا الفصل أيضا بحث أهمية البن بالنسبة لدخل الدولة ، حيث تمت دراسة طرق جمع الأموال المفروضة على مزارعي وتجار البن ، وتقدير حجم الأموال التي تدخل إلى خزينة الدولة من زراعته وتجارته ، وطريقة صرف تلك الأموال ، وإلى أي مدى استفادت البلاد من ذلك المصدر المادي ، والانعكاسات الحضارية والعمرانية على اليمن .

وفي الفصل الثالث والمعنون بـ الدور العربي الإسلامي في تجارة البن اليمني حاولت توضيح الدور الذي لعبه البن في اقتصاديات المناطق المجاورة لليمن ، وكيف أن البن تحول في بعض المناطق إلى سلعة هامة ترفد خزائنها بالمال الوفير كما حدث في مصر وغيرها من المناطق. وكيف أن العمل في نقل البن أصبح النشاط الرئيس لسكان بعض المناطق مثل العمانيون . لذلك تم توضيح دور كل منطقة على حدة وذلك من أجل رسم صورة تقريبية لما كانت عليه تجارة البن في المناطق القريبة من اليمن .

أما الفصل الرابع والأخير فقد تناولت فيه دور أوروبا وأمريكا في تجارة البن اليمني ، ودخول البن ميدان التنافس التجاري العالمي كأحد أهم السلع التي حاولت الشركات الأوربية الكبرى والمتمثلة في شركات الهند الشرقية المختلفة الحصول عليه ، واحتكار تجارته، وحرمان منافسيها من الاستفادة منه . كما تم التعرض لمحاولات الأوروبيين المتكررة لاستزراع البن خارج اليمن ، ونجاح الهولنديين في ذلك ، وأثر ذلك على الوضع الاقتصادي والسياسي في اليمن .وإلى جانب ذلك قمت بدراسة دور أمريكا في تجارة البن اليمني وتنافسها مع بريطانيا في هذا الميدان ، ثم في الأخير أوضحت أهمية البن كأحد أسباب احتلال بريطانيا لعدن عام ١٨٣٩م . ولما كانت الطرق التجارية التي نقل البن عبرها إلى مختلف أنحاء العالم هي الشريان الرئيس لهذه التجارة فقد حاولت تتبع تلك الطرق وحركة السفن والقوافل التجارية والعوامل المؤثرة فيها، مدعمة دراستي لها بالخرائط التوضيحية لخطوط الملاحة التي سارت فيها السفن التي تحمل البن ، وموضحة أهم المراكز التجارية له سواء في البلاد العربية أو الهند أو فارس أو الدولة العثمانية .

عموما أتمنى أن أكون قد أوفيت الموضوع حقه من البحث والدراسة ، مع إقراري بعدم الكمال ، ولكن حسبي أني حاولت الاجتهاد ما استطعت إلى ذلك سبيلا، ولم اعلم بابا للاجتهاد إلا طرقته . فإذا كان لكل عالم هفوة ، فما بالكم بالطالب ، وأنا لا أعدو أن أكون طالبة مازالت تتلمس بداية طريق العلم ، لذلك فانه لابد أن يكون هناك العديد من الهفوات ولكنها قابلة للمراجعة والتصحيح والتعديل والحذف والإضافة في سبيل إخراج الموضوع بالصورة التي تليق به .

كما أتمنى أن يكون هذا الموضوع فاتحة خير على هذا الجانب المهم من جوانب تاريخ اليمن الحديث والمعاصر آلا وهو الجانب الاقتصادي، والذي ما يزال بحاجة إلى الكثير من الأبحاث والدراسات الأكاديمية.

وفي الأخير يجب أن اعترف اعترافا تاما بفضل الأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم في إنجاز هذا الموضوع ، فقد كان وما يزال نعم الأستاذ ونعم المربي والأب الحنون ، الذي لم يبخل علي وعلى كافة طلاب الدارسات العليا بجهد أو نصح أو توجيه ، كما انه زودني بالكثير من المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع ، وليس ذلك فحسب ولكنه كان دائم التشجيع والدعم لي ولموضوعي ، لذلك فانا مدينة له بإخراج هذا الموضوع إلى حيز الوجود، فله مني ومن كافة أبنائه طلاب وطالبات الدراسات العليا جزيل الشكر وعظيم الامتنان ، وجعل الله جهده المبذول في سبيل العلم في ميزان حسناته انه سميع مجيب الدعاء.
كما اشكر الأستاذ الدكتور حسين عبد الله العمري على تشجيعه ودعمه لي لتناول هذا الموضوع، وعلى تفضله بإسداء النصح والتوجيه لي أثناء كتابة الموضوع فله جزيل الشكر والتقدير . كما اشكره أيضا على تفضله بقبول تحكيم هذه الرسالة والتي سيساهم تحكيمه لها في إثرائها بشكل كبير .

كما أوجه شكري وتقديري للدكتور محمد سعيد داوود ، الذي عني بدراسة الرسالة ووضع الملاحظات التي سيكون لها أطيب الأثر في إخراج الرسالة بالصورة التي تليق بها ، كما اشكره على تحمله أعباء السفر والوصول إلى صنعاء من اجل المشاركة في مناقشة الرسالة وتحكيمها فله جزيل الشكر و التقدير .

وكذلك أحب التوجه بالشكر والتقدير لكل من قدم لي يد المساعدة لإنجاز هذا الموضوع حيث أحب أن أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور عبده محمد غانم المطلس

نائب عميد كلية التربية لشؤون الطلاب الذي اهتم بي وشجعني منذ أن كنت طالبة في الكلية واستمر في دعمه لي حتى الوقت الحاضر ، وكذلك أتقدم بالشكر والتقدير للدكتور داوود المندعي الذي أوحى لي باختيار الموضوع وزودني بالكثير من المراجع ، خاصة المراجع الأجنبية . كما يسرني أن أتوجه بشكري وامتناني للوالد القاضي علي ابوالرجال رئيس المركز الوطني للوثائق الذي زودني بالكثير من الوثائق والمراجع الهامة ، والذي لم يبخل علي بجهده ووقته الثمين ، كما لم يبخل علي بعلمه الواسع ، فقد مثل لي ولكافة طلاب الدراسات العليا بقسم التاريخ نبعا معرفيا صافيا ينهل من علمه الواسع الكثير من الطلاب، فله مني ومنهم جزيل الشكر وعظيم والتقدير والامتنان .

كما أوجه شكري وتقديري إلى إدارة زراعة البن بوزارة الزراعة ، ممثلة في رئيسها المهندس سعيد الشرجبي على تفضله بمنحي الخرائط المرفقة بهذه الرسالة . كما أتوجه بالشكر والتقدير لكل من الأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح مستشار رئيس الجمهورية ، والأستاذ القدير الوالد محمد عبدالسلام منصور اللذين قدما لي يد العون والمساعدة فلهما جزيل الشكر والتقدير . كما أوجه شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور صالح باصرة رئيس جامعة صنعاء ، وكذلك اشكر عميدي كليتي الآداب و التربية ورئيسي قسمي التاريخ بالكليتين على مساهمتهم في تذليل الصعوبات الإدارية التي واجهتني .

كما اشكر الأستاذ الدكتور ميشيل توشرر المحاضر بجامعة اكس ام بروفنس الفرنسية الذي أرسل لي كثيراً من الوثائق التي حصل عليها من دار الوثائق المصرية . كما اشكر المركز الفرنسي بصنعاء . وكذلك اشكر الأستاذ الدكتور خالد مصطفى عزب مدير العلاقات العامة بمكتبة الإسكندرية . كما اشكر الدكتور بن سلوت في هولندا ، والسيدة معالي وزيرة حقوق الإنسان في اليمن السيدة امة العليم السوسوة كما أتوجه بالشكر والتقدير لكافة أساتذتي زملائي في كليتي الآداب و التربية، كما أوجه شكري لأمناء المكتبات وعلى وجه الخصوص الأستاذ عبدا لرحمن القدسي وكافة العاملين بمكتبة الآداب ، والمكتبة المركزية . وأخيرا أتوجه بجزيل الشكر العرفان لوالدي الذي علمني معنى الحياة ووالدتي التي لن تكفي كلمات العالم وقواميسها لوصف دورها العظيم في حياتي لذلك اهدي هذا العمل المتواضع لوالدي اللذين كان لهما الفضل بعد الله سبحانه وتعالى فيما وصلت إليه ألآن وما سأصل إليه في المستقبل بأذن الله ، راجية منه سبحانه أن يرعهما ويمد

في عمريهما ، كما اهدي هذا العمل أيضا إلى إخوتي جميعا وعلى رأسهم شقيقي الفاضـــلين أمين احمد الخطابي و إبراهيم احمد الخطابي اللذين وقفا بجــانبي وقــدما لي الكــثير مــن المساعدات التي لا ولن أنساها لهما أبداً ما حييت .

الفصل الأول

ظهور البن اليمني

أولاً :التطور اللغوي لكلمات البن والقهوة ومشتقاهما :

يعد البن من المحاصيل النقدية المهمة ، التي اشتهرت بها اليمن منذ بداية العصر الحديث ، وقد حل البن من حيث الأهمية الاقتصادية محل اللبان و البخور في العصر القديم. والفوه[٤٥] في العصر الإسلامي ، والتي ما إن حل عام (٦١٥هـ/١٢١٨م) إلا وقد انتشرت زراعتها في الكثير من المناطق اليمنية والجبلية منها على وجه الخصوص[٤٦]. وقد رفع حكام الدولة الرسولية أسعار الفوة حتى وصلت إلى أسعار البهارات ، فقد جعل نور الدين عمر بن على بن رسول[٤٧] سعر الفوة في عام (٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م) " على سعر البهار مائتي دينار وثمانين ملكي "[٤٨]. وهذا يعني أنها أي الفوة واحدة من أهم مصادر دخل الدولة الرسولية. وبحلول بداية القرن السابع عشر بدأت تجارة هذه السلعة في الانكماش مقابل ازدهار تجارة البن .

وقد اختلف المؤرخون حول البن من نواحي عديدة ، فإلى جانب اختلافهم حول تحديد تاريخ معين لبداية ظهوره في اليمن فقد اختلفوا حول الموطن الأصلي له ، وحول مدى شرعية مشروبه ، الذي اصطلح على تسميته بالقهوة، أي هل القهوة حلال أم حرام.

ولعله من المفيد في البداية ، محاولة تتبع التطور اللغوي لكلمات البن والقهوة ومشتقاهما وذلك من اجل معرفة بداية ظهور البن في اليمن ، وذلك من خلال تتبع تطور معاني هذه الكلمات في المعاجم العربية .

إن كلمتي البن والقهوة بمدلولها اللغوي الحالي لم يكن موجوداً في المعاجم العربية القديمة مثل لسان العرب لأبن منظور والقاموس المحيط للفيروز آبادي وغيرهما ، وإنما وجد نفس الرسم لهذه الكلمات ، ولكن بمعاني أخرى . فكلمة البن مصدرها في معجم لسان العرب بَنَنَ و" تعني الريح الطيبة كرائحة التفاح ونحوها ، وجمعها بنان ، وتقول أجد لهذا الثوب بنة طيبة من عرف تفاح أو

---

[٤٥] – الفوه : جذور نبات يحضر منها صباغ احمر يستعمل لصبغ المنسوجات (براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص٢٣٢)

[٤٦] – د. داوود المندعي : تاريخ اليمن الاقتصادي من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجري ، رسالة دكتوراه غير منشورة من كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية ، ١٩٩٧ ، ص١٢٢ .

[٣] - ابو الفتح السلطان الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ٠٠٠ الملقب نور الدين أول من ملك اليمن من بني رسول ت ٦٤٧هـ(با مخرمة : – تاريخ ثغر عدن ، ص ١٧٤- ١٧٨) .

[٤٨] – ابي محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن احمد ابي مخرمة ، تاريخ ثغر، عدن ، تحقيق : اوسكر لوففرين ، شركة دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، ط١ ، جـ ١ ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، ص٦٨.

سفرجل "[٤٩] . وقد اعتمد سيبويه هذا التعريف ، مع إضافة إن كلمة بن قد تطلق على الرائحة الكريهة أيضا .

أما كلمة قهوة فإنها وجدت في لسان العرب بمعنى الخمر " وسميت بذلك لأنها تُقهي شاربها عن الطعام ، أي تذهب بشهوته "[٥٠] ، ولعل ذلك هو ما دفع علماء الدين إلى تحريم شراب القهوة المتخذ من البن كما سأوضح فيما بعد . وقد اعتمد النحاة العرب الذين أتوا بعد ابن منظور تلك التعاريف للبن والقهوة . ولا يستبعد أن اسم القهوة قد اشتقت من القِهَة " وهي طيب الرائحة ، نقلها الصالحون إلى شراب البن والقشر "[٥١] .

إن أول تعريف لكلمات البن والقهوة بمدلولاتهما الحالية لم ترد عند النحاة ، بل عند الطبيب العربي داوود الانطاكي (ت ٩٥٠هـ/١٠٠٨م) في كتابة الطبي " تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب " ، الذي عرف البن بأنه " ثمر شجرة باليمن يغرس حبة في آذار ، وينمو ويقطف في آب ، ويزهر أبيض ، ويخلف حبا كالبندق ، وربما يفرطح كالبقلاء ، وإذا قشر انقسم نصفين "[٥٢] . كما أورد داوود الانطاكي أول ذكر للقهوة بمدلولها الحالي أيضا ، حيث ذكر أثناء سرده لفوائد البن بأن شراب البن " قد شاع اسمه بالقهوة إذا حمص ، وطبخ بالغا "[٥٣]. وقد تبعه في تعريفه هذا للبن والقهوة المرتضى الزبيدي ، الذي اقتبس التعاريف ذاتها في معجمه تاج العروس" دون أن يعزوهما إلى المعاجم الأصلية لأنها خلت منهما "[٥٤] ، فلم يرد ذكر هذا الشجر في المعاجم الأصلية ولا في المفردات . ولقد أشار المرتضى الزبيدي في التاج انه قد ألف مصنف عن القهوة سماه (تحفة بني الزمن في حكم قهوة اليمن) ، بحث فيه أحوال

---

[٤٩] – لسان العرب : ابن منظور ، دار المعارف ، بيروت ، د.ط ، د . ت ، جـ ١ ، ص ٣٦١ .

[٥٠] – نفس المرجع : جـ ٥ ، ص ٣٧٦٧ .

[٥١] – احمد بن الحسن بن علوي الحداد : سفينة الارباح و نزهة الارواح ، مخطوط ، مكتبة الاحقاف للمخطوطات ، رقم ٢٠٦٩ ، [ق٢ /ب] .

[٥٢]– داوود بن عمر الانطاكي : تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١، جـ ١، ١٩٩٦، ص١٨٧ .

[٥٣] – نفس المرجع : ص ١٨٧ .

[٥٤]– الصحاح في اللغة و العلوم ، تجديد صحاح العلامة الجواهري :تقديم الشيخ عبدالله العلايلي ، اعداد وتصنيف : نديم المرعشلي ، و اسامة مرعشلي ، بيروت ، دار الحضارة العربية ،١٩٧٤م، ص١١٧ .

أهل اليمن مع القهوة في حلها وحرمتها وطبائعها وخواصها[٥٥] ، وقد حاولت العثور على هـذا المصنف ، ولكن لم أجده في المكتبات العامة وبعض المكتبات الخاصة ودور المخطوطات ، والذي ربما يكون في زوايا إحدى المكتبات الخاصة التي يرفض أصحابها فتحها أمام الباحثين . ولعل هذا الكتاب يكون في مصر فقد قضى الزبيدي كهولته وشيخوخته في القاهرة حتى مـات بهـا عـام ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠م .

لقد اعتُمد التعريف الأخير لكل من البن والقهوة من قبل اللغـويين والمـؤرخين بحيـث أصبحت كلمة البن تطلق على الشجرة وثمارها قبل عملية تحويلها إلى شراب القهوة ، والـذي يتم عن طريق تجفيف تلك الثمار، وتحميصها ، وطحنها ، وغليها ، لتصبح الشـراب المعـروف بالقهوة البنية والتي يتم صنعها من البن ، أي من لب حبوب ثمرة البن ، وكذلك القهوة القشرية ، والتي يتم صنعها من القشر الذي يغلف لب حبوب ثمرة البن ، وقد سميتا بالقهوة البنية والقهـوة القشرية تمييزا لهما عن القهوة الخمرية القديمة _ أي الخمر_. " وقد كره بعض العلماء تسـمية شراب البن بالقهوة " وعلله بأنه من أسماء الخمر "[٥٦]. إلا أن التشابه في الاسم لا يعني التشابه في المعنى . وقد سمى بعض الأولياء القهوة" شراب الصالحين وبعضهم الشفاء وبعضـهم الصـهباء وبعضهم السمراء وبعضهم السوداء "[٥٧].

أما الباحثين الأجانب فإن معظمهم قد اعتمد كلمة قهوة لكلٍ مـن الشـجرة وثمارهـا والشراب المستخلص منها ، وذلك لعدم وجود كلمة تعادل كلمة شجرة البن في لغاهم الأصلية ، لذلك نجدهم يذكرون شجرة القهوة بدلا عن شجرة البن ، وربما يعود ذلك أيضا أن معرفتـهم بالقهوة جاءت سابقةً على معرفتهم بشجرة البن ذاها .

إن كلمة قهوة هي كلمة عربية في الأصل ، نقلها عنهم الأتراك مع بعض التصحيف لتصبح كهفيه باللغة التركية ، وهي اللغة التي اشتق منها الأجانب الكلمة (**Coffee**) بالإنجليزيـة ، والـتي كانـت قـد تحرفـت باللغـة التركيـة (كافيـة) (**kabveb**) ، ومنها اشتق الاسم الفرنسي (**café**) ، و(**coffe**) باللغـة الإيطاليـة ،

[٥٥] – تاج العروس من جواهر القاموس : المرتضى الزبيدي ، المجلد التاسع ، بيروت، منشورات دار مكتبـة الحياة ، (د.ت) ص ١٤٥ .

[٥٦] – احمد بن الحسن بن عبدالله علوي الحداد : سفينة الارباح ونزهة الارواح ، مخطوط ، مكتبة الاحقـاف للمخطوطات ، تريم ، رقم ٢٠٦٩ ، [ق٢ /ب]

[٥٧] – نفس المرجع : [ق٢ /ب]

و(koffie) باللغة الهولندية ، و(kaffee) باللغة الألمانية[٥٨] . إن هـذه الاشـتقاقات اللغوية إن دلت على شيء فإنها تدل على أن العرب ، واليمنيين منهم بشكلٍ خاص قد أعطـوا العالم واحداً من أكثر المشروبات شعبية .

وقد نتج عن الاستخدام اليومي للقهوة بشكلٍ كبير وجود الكثير من الكلمات الجديـدة التي ارتبطـت بـالقهوة لغـة ومعـنى ، مثـل القهـوة البنيـة المستخلصـة مـن حبـوب البن ، والقهوة القشرية المستخلصة من قشر البن فيقال قهوة بن ، وقهـوة قشـر ، ويقولـون " تقشر فلان ، إذا شرب ماء قشر البن مغليا "[٥٩] ، ومن كلمة قهوة اشتقت كلمـة مقهـى ، ومقهاية ، وجمعها مقاهي " والمراد بها في اليمن المحـلات الـتي ينـزل فيهـا المسـافرون مـع مواشيهم "[٦٠] ، كما اشتقت منها أيضا المقهوي والمقهوية ، وهمـا المسـؤولان عـن المقهـى أو القهوة .

ثانياً : الموطن الأصلي لشجرة البن :

اختلف المؤرخون اختلافاً بيناً حول تحديد الموطن الأصلي لشجرة البن ، كمـا اختلفـوا حول تحديد بداية ظهور البن في اليمن . فقد ذهب معظم المؤرخين إلى أن الحبشة هـي المـوطن الأصلي للبن ، وأن البن قد نقل منها إلى اليمن في بداية العصر الحديث ، ولكن دون أن يتمكنوا من إثبات ذلك فعلياً .

وتوجد العديد من الأسئلة والاستفسارات التي لم يتمكن الباحثون من تفسـيرها حـول الموطن الأصلي لشجرة البن ، على سبيل المثال : لماذا لم يتعرف الأوربيون على البن عن طريـق الحبشة إن كان استخدام الأحباش للبن أقدم من اليمنيين ؟

إن كلمة قهوة هي كلمة عربية صحفها الأتراك إلى كلمة (كفي) أو (كهفية) التركيـة ، وعنها نقل الأوربيون كلمة coffee التي اشتقت منها بقية اللغات الأوربية ، كمـا سـبق أن أوضحت. وفي هذا الصدد يقول القبطان والتاجر الفرنسي جان دي لاروك في كتابه رحلـة إلى

---

[٥٨] – حسان شمسي باشا : القهوة والشاي فوائدها وأضرارها ، دار القلم ، دمشق والدار العربية ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٩، ص ١٥.

[٥٩] – حسين العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك أو إمام ، تحقيـق : الأب انستاس ماري الكرملي ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، د. ت ، ص١٥١ .

[٦٠] – حسين بن احمد السياغي : قانون صنعاء ، مطبعة دار العلم ، د. ت ، هامش ص٣٢ .

العربية السعيدة " وهكذا من خلال تغيير حرف ولفظه بصورة مختلفة عن الشرقيين صغنا العبارة **café** من اللفظ التركي **cahveh** والتي تأتي من قهوة العربي الأصل " [٦١] .

كما لم يتمكن الباحثون من إثبات أن كلمة كافا ، وهي كلمة تمثل اسم إحـــدى المنـــاطق الحبشية ، هي مصدر كلمة " **coffee** " بالإنجليزية، لأن " الكلمة العادية المستعملة هناك هـــي كلمة البن سواء للشجرة أو للثمرة أو مشروب القهوة "[٦٢] .

كما ذكر جان دي لاروك الذي وصل إلى اليمن عام ١٧٠٩م إن بعض الرحالة الأوربيين الذين زاروا الحبشة وكتبوا بعض الملاحظات والتقارير عنها لم يتطرقوا إلى ذكر القهوة ، أمثـــال الرحالة الأب تيلر اليسوعي البرتغالي ، الذي كتب تقارير عن الحبشة ، والرحالـــة لودولفـــوس الذي ألف كتاب عن تاريخ الحبشة ، فأن تقارير وملاحظات أياً منهما لا " تتطرق إلى أي ذكـــر للقهوة "[٦٣] ، أما الرحالة الأوربي شارل جيمس نوســـنية ، الـــذي زار الحبشـــة في الأعـــوام (١٦٩٨، ١٦٩٩ ،١٧٠٠م) وأخبر هذا الرحالة بأنه " لا تزال أشجار البن تشاهد في ذلـــك البلد ، ويزرعونها لإرضاء الفضول فقط "[٦٤] ، وقد أورد وصفا للشجرة التي قال انها شـــجرة البن، ولكن تلك الأوصاف لا تنطبق على شجرة البن مما جعل دي لاورك يشك بان تكون تلـــك الشجرة هي شجرة البن .

ومن الأمور المهمة التي لاحظها الرحالة الألماني نيبور الذي زار اليمن عام (١١٧٧هـــــ/ ١٧٦٣م) بناءً على رغبة الملك الدنمركي فردريك الخامس " إن اليمنيين كانوا يوقعون عقوبـــات صارمة على كل من يحاول أن ينقل شجرة البن خارج اليمن "[٦٥] ، ولكنة لم يذكر سبب فـــرض تلك العقوبات ، والذي ربما يكون حرص اليمنيين على احتكار تلك السلعة الـــتي أصـــبحت في تلك الفترة سلعة نقدية ذات مردودات مالية كبيرة .

---

[٦١] – جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، منشورات المجمـــع الثقـــافي ، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص١٨٢ .

[٦٢] – عبد الرحمن السويداء : القهوة العربية وما قيل فيها من الشعر ، دار الســـويداء للنشـــر والتوزيـــع ، الرياض، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص٩

[٦٣] – جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة: صالح محمد على ، ص ١٦٩ .

[٦٤] – نفس المرجع : ص ١٦٨ .

[٦٥]– د احمد قائد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، دار الفكر المعاصر ، بـــيروت ودار الفكر دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٠، ص ١٥٣ .

إن الأمر الذي يحتاج إلى تفسير في هذه القضية هو لماذا فرض اليمنيون تلك العقوبات على كل من يحاول نقل شجرة البن إلى الخارج ، إذا كان هناك مصدر آخر كان من الممكن أن تنقل منه شجرة البن إلى الخارج وهو الحبشة ، خاصة وأن الحبشة هي المصدر الذي انتقل منه شجرة البن إلى اليمن، كما تدعي بعض الروايات التاريخية غير المؤكدة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم تذكر أياً من المصادر التاريخية التي بين يدي الأسباب التي دفعت الأوربيين إلى محاولة نقل شجرة البن إلى مستعمراتهم في شرق آسيا من اليمن وليس من الحبشة ، والتي كان يمكن للأوروبيين نقلها من هناك بسهولة .

وقد وقع المؤرخون العرب في لبس كبير حول تحديد البلد التي بدأ فيها استعمال القهوة ، إلا أن بعضهم يرجع ذلك إلى اليمن ، فالمؤرخ عبد القادر الجزيري (ت ٩١١_٩٧٧هـ/ ١٥٠٥_ ١٥٦٩م) ذكر في كتابه (عمدة الصفوة في حل القهوة) أن معرفته بالبن كانت تقتصر على اليمن " فعلى هذا إن القهوة بالنسبة في الظهور في اليمن لا في غيره "[٦٦] ومع أن عدم معرفة عبد القادر الجزيري بوجود البن في الحبشة لا تنفي وجوده فيها ، إلا أن الطبيب العربي داوود الانطاكي (٩٥٠_ ١٠٠٨هـ/١٥٤٣_ ١٥٩٩م) ذكر في كتابه (تذكرة أولي الألباب) أن البن " ثمر شجر باليمن "[٦٧] ، ولم يذكر من قريب أو من بعيد إن البن قد جلب من أي مكان أخر هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان جميع المراجع التاريخية، تتفق بان بداية استعمال شراب البن الذي اصطلح على تسميته بالقهوة ترجع إلى احد علماء الدين من شيوخ الصوفية ، الذين استعملوه في أغراضهم الدينية ، وهؤلاء كما هو معروف عنهم لم يكونوا يمثلوا قوى اقتصادية يمكن أن يُعزى إليهم زراعة البن ، أو استيراده من الحبشة من اجل استعمالهم الشخصي ، كما أن غرضهم الأساسي من شرب القهوة هو التعبد ، فمن المرجح أن يكون البن في متناول أيديهم ، أو على الأقل قريب منهم ولا يكلفهم مشقة الحصول عليه .

وربما يكون دور الصوفيين الرئيس في هذا الشأن هو اكتشاف المزايا الخاصة بالبن والتي تتمثل في قدرته على إحداث حالة السهر . وربما يكون استعمال البن قد نقل عن الأحباش ، أما نقل شجرة البن ذاتها فلم تثبت أيا من المصادر التاريخية ذلك، وبالتالي ترجح الباحثة أن يكون البن نبتة أصيلة في اليمن ، خاصة وإن النطاق الزراعي والمناخي الموجود فيه البن في اليمن هو نفس

[٦٦] – عبد القادر بن محمد الجزيري ، عمدة الصفوة في حل القهوة ، تحقيق : عبد الله الحبشي ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص ٤٧ .

[٦٧] – داوود الانطاكي : تذكرة أولي الألباب ، جـ ١ ، ١٨٧ .

النطاق الزراعي والمناخي الموجود في الحبشة ، وهذا طبقا لما توصلت إليه بعثة استطلاعية تابعة لمنظمة الأغذية والزراعة العالمية أثناء دراستها لأشجار البن في الحبشة عام ١٩٦٤م " حيث لم تتمكن من الحصول على أدلة كافية تثبت أصالة البن في الحبشة ، بسبب التلف الذي أصاب معظم الغابات الحبشية ، وكون زراعة البن متكيفة تماما للظروف البيئية السائدة في اليمن "[٦٨] .

ويعود الفضل لليمنيين في تغيير طريقة استعمال البن ، وتحويله إلى شراب القهوة ، إذ أن الأحباش كانوا يمتصون المادة السكرية من حبوب البن ويستخدموها كمكيف ، وبذلك أصبح شراب القهوة هو المفضل في مناطق عديدة من العالم [٦٩].

ثالثاً : بداية ظهور البن في اليمن :

إن من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ دقيق لبداية ظهور البن في اليمن ، ومع ذلك فقد حاول المؤرخون وكُتاب التراجم تحديد تاريخ تقريبي لبداية ظهوره في اليمن ، كما حاولوا أيضا تحديد بعض الأشخاص الذين نُسب إليهم البدء في استعمال شراب البن أي القهوة . وبالرغم من اختلاف المؤرخين في تحديد الشخص الذي عُزي إليه الاستخدام الأول للقهوة، إلا أنهم اتفقوا على انه من شيوخ الصوفية .

ونُسب اكتشاف البن ، واستعمال القهوة إلى ثلاثة من شيوخ الصوفية هم الشيخ علي بن عمر الشاذلي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ، والشيخ محمد بن سعيد الذبحاني (ت٨٧٥هـ/١٤٧٠م) ، والشيخ أبو بكر عبد الله العيدروس (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م).

وقد رجح بعض المؤرخين ، مثل عبد الرحمن بن محمد العيدروس و عبدالقادر الجزيري، ويحيى بن الحسين بن القاسم وغيرهم أن يكون الشيخ الصوفي علي بن عمر الشاذلي (٨٢١ هـ/ ١٤١٨م) المكتشف الأول للبن ، وأنه أول من استعمل شراب القهوة المستخلص منه في اليمن . فيذكر المؤرخ عبد الرحمن بن محمد العيدروس في كتابة إيناس الصفوة بأنفاس القهوة " أن أول حدوثه – أي شراب القهوة – أواخر القرن الثامن ، باليمن المبارك ومنشئه الشيخ

---

(٦٨) – إسماعيل عبد الله محرم وآخرين : واقع محصول البن في اليمن بين الماضي والمستقبل ، وقائع الندوة الوطنية الأولى لمحصول البن ٢٦– ٢٩ يوليو ١٩٩٣ ، ص ٢ .

(٦٩) – د.عباس فاضل السعدي : البن اليمني – دراسة جغرافية ، ط١ ،بيروت دار الفكر المعاصر ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، ص١٣ .

الإمام قطب الوجود أبو الحسن علي الشهير بالشاذلي بن عمربن ابراهيم بن أبي بكر هديمة الاموي" [٧٠] . الشهير بدعسين صاحب المخا .

وبالرغم من أن المؤرخ عبد القادر الجزيري أورد رواية تاريخية أخرى تقول إن مكتشف القهوة هو الشيخ أبو عبد الله بن سعيد الذبحاني ، إلا انه أورد رواية تاريخية نسبها إلى العلامة أبو بكر بن أبي يزيد المكي ، ذكر فيها ما لفظه " قيل وأول من أنشأها الشيخ الصالح المسلك أبو عبدالله محمد بن سعيد الذبحاني ، والذي بلغنا عن جمع يصل حد التواتر أن أول من أنشأها وأظهرها ، وبأرض اليمن أشاعها واشهرها ، سيدنا العارف بالله تعالى على بن عمرالشاذلي "[٧١] .

ولا يعد علي بن عمر الشاذلي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) المكتشف الأول للبن والقهوة في اليمن فحسب ، ولكن أيضا حامي جميع المقاهي في المخا . وقد ذكر نيبور أن أهل مدينة المخا كانوا يكنون له احتراماً كبيراً ، كما كانوا يذكرونه في مقهى المدينة كل يوم " عندما يقرؤون الفاتحة ويحمدون الله انه عرفهم بواسطة الشاذلي على استعمال البن ، ويطلبون له ولذريته الرحمة"[٧٢] . ولم يحظ الشخصين الآخرين اللذين نسبت إليهما بعض الروايات التاريخية اكتشاف القهوة وهما الشيخ محمد بن سعيد الذبحاني ، والشيخ أبو بكر عبد الله العيدروس ، بنفس الشهرة التي حظي بها الأول ، وليس هذا فحسب ، بل أن بعض الروايات التي نسبت اكتشاف البن إلى أحدهما تعود وتشكك في ذلك ، مثلا : أورد عبد القادر الجزيري رواية تاريخية ، نسبها إلى شهاب الدين بن عبد الغفار في مصر ، ذكر فيها " إن الأخبار قد وردت علينا بمصر أوائل هذا القرن : بأنه قد شاع في اليمن شراب يقال له القهوة ، تستعمله مشائخ الصوفية وغيرهم للاستعانة به للسهر في الأذكار التي يعملونها على طريقتهم المشهورة ، ثم بلغنا بعد ذلك بمدة أن ظهورها وانتشارها كان على يد المشهور بالعلم والولاية الشيخ الإمام العالم العلامة المفتي المسلك جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد المعروف بالذبحاني "[٧٣] ، وبعد أن أورد الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار قصة اكتشاف الذبحاني للقهوة ، يخلص إلى القول "فيحتمل أن يكون الذبحاني

---

[٧٠] – احمد بن الحسن بن عبدالله العلوي الحداد : سفينة الارباح ونزهة الارواح ، مخطوط بمكتبة الاحقاف للمخطوطات ، تريم ، جـ٣ ،[ق٢ / أ]

[٧١] – عبد القادر الجزيري : عمدة الصفوة في حل القهوة ، تحقيق : عبدالله الحبشي، ص ٤٧ ، ٤٨ .

[٧٢] – احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ٢١٣ .

[٧٣]– عبد القادر الجزيري : عمدة الصفوة في حل القهوة ، ص ٤٧ .

أول من ادخلها عدن ، كما هو مشهور ، ويحتمل أن يكون الذي ادخلها غيره ، ولكنها نسبت إليه لكونه هو السبب في ظهورها وانتشارها "[٧٤].

أما الشخصية الثالثة التي عُزي إليها اكتشاف البن ، وهو أبو بكر بن عبد الله العيدروس (٩١٤هـ/١٥٠٨م) ، و الذي اعُتمد كأول مكتشف للبن والقهوة من قبل بعض مؤرخي بلاد الشام أمثال المؤرخ نجم الدين الغزي ، في كتابه(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة) ، حيث ذكر في ترجمته لهذا الشيخ بأنه " مبتكر القهوة المتخذة من البن من اليمن "[٧٥] .

إن الروايتين الأخيرتين على أهميتهما ، إلا أنهما قد وردتا متأخرتين عن الرواية الأولى ، كما لم يردا إلا وقد أصبح البن والقهوة معروفين قبل ذلك بمدة من الزمن .

وقد وقع المؤرخون اليمنيون المتأخرون في ارتباك كبير حول تحديد بداية ظهور البن في اليمن ، وربما يكون السبب في ذلك هو عدم تحققهم من ذلك الموضوع ، فيحيى بن الحسين مثلاً، وهو من أبرز مؤرخي العصر الحديث ، قد أورد روايتان حول بداية ظهور البن في اليمن . الرواية الأولى أوردها في كتابه (أنباء أبناء الزمن) ، حيث ذكر أثناء سرده لإحداث عام(٩٥٠هـ / ١٥٤٣م)، وفي سياق حديثه عن القات ، ومحاولة الإمام شرف الدين القضاء عليه ، أي على القات ، ذكر عطفا على ذلك (وفيها – أي سنة ٩٥٠هـ – ظهرت شجرة البن واستعمل الناس منه القهوة المعروفة وانتفع الناس بذلك " [٧٦] . وفي مصنف أخر ليحيى بن الحسين ، وهو عبارة عن فتوى ، أصدرها تحت اسم (المستخرجات البينات على تحليل الأشياء المستعملات من القهوة والطباق والقات) ذكر بأن القهوة ظهرت على زمان الشاذلي (٨٢١هـ/١٤١٨م)"والقهوة إنما ظهرت لأيام علي بن عمر الشاذلي "[٧٧] ، وهذا يعني أن يحيى بن الحسين لم يكن دقيقا في تحديد عام(٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) كبداية لظهور البن في اليمن . هذا ولم يكن يحيى بن الحسين الوحيد الذي وقع في هذا الالتباس ، فقد وقع في ذات اللبس العديد من المؤرخين المتأخرين من جاء بعده، مثل المؤرخ المتأخر عبد الواسع الواسعي في كتابه " فرجة

---

[٧٤]–عبد القادر الجزيري : عمدة الصفوة في حل القهوة ، ص ٤٧ .

[٧٥]– نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق : جبرائيل سليمان جبور ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، جـ ١ ، ص ١١٤ .

[٧٦]– يحيى بن الحسين : أنباء أبناء الزمن ، مخطوطه بالجامع الكبير ، المكتبة الغربية ، رقم ٢٤٢٧ ، [ق١٢٣ /ب]

[٧٧]– يحيى بن الحسين : المستخرجات البينات على تحليل الأشياء المستعملات من القهوة والطباق والقات ، تحقيق : عبد الله الحبشي ضمن كتاب ثلاث رسائل في القات ، منشورات المدينة ، ط ١ ، ١٩٨٦ ، ص ٩٩ .

الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن " ، حيث ذكر أن بداية ظهور البن كان في عام (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) " وفي سنة٩١٤هـ ظهرت شجرة البن في اليمن ، وهي شجرة مباركة ، استعملها الناس للشرب في اليمن ثم اشتهرت في جميع الأقطار "[٧٨] . بل لقد ذهب إلى ابعد من ذلك ، عندما ذكر أن شجرة البن قد زرعت بعد ذلك في " الحبش ، وألمانيا" [٧٩] ، وهذا أمر مشكوك فيه بالطبع.

وخلاصة القول بأنه رغم الارتباك الذي وقع فيه المؤرخون حول تحديد بداية ظهور البن في اليمن ، إلا أن أكثر الروايات ترجيحا من وجهة نظر الباحثة هي الرواية التي ترجع بداية ظهور البن في اليمن إلى الفترة الواقعة بين نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجري ، الموافق نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الميلادي، وذلك لأن تلك الفترة شهدت بداية الجدل الحاد بين علماء الدين حول تحديد مدى شرعية شراب البن أي القهوة ، كما سأوضح ذلك فيما بعد .

رابعاً : الإشكالات التي حدثت حول القهوة :

ما إن ظهرت القهوة في اليمن ، وبدأ الصوفيون في شربها ، حتى تبعهم عامة الناس ، وبالتالي انتشرت في كل مكان داخل اليمن وخارجة، ولم يكن انتشار شراب القهوة سهلا وميسرا، فقد واجه انتشارها العديد من الصعوبات ، مثل الصعوبات الدينية والسياسية ، وحتى الصحية .

أ- : الإشكال الفقهي الذي حدث حول شرب القهوة:

أدي شرب القهوة إلى حدوث جدل كبير بين علماء الدين حول مدى شرعية ذلك الشراب ، أي هل شراب القهوة حلال أم حرام ، وقد نتج عن هذا الجدل انقسامهم إلى فريقين، فريق مؤيد للقهوة ، وآخر معارض لها

وقد بدأت حركة معارضة شرب القهوة في مكة المكرمة ، عام (٩١٧هـ / ١٥١١م)، عندما أصدر الأمير خاير بك المعمار ، ناظر الحسبة في مكة، أمرا بمنع شُرب القهوة هناك. وقد أورد المؤرخ عبد القادر الجزيري قصة منع شُرب القهوة، والتي بدأت

---

[٧٨]- عبد الواسع الواسعي : فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ ا اليمن ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ط٢ ، ص ٢١٦ .

[٧٩]-نفس المرجع : ص ٢١٦ .

معها حركة المعارضة لها . حيث ذكر أن الأمير خاير بك مر ذات ليلة بمجموعة من الناس كانوا مجتمعين في الحرم الشريف لأداء بعض الشعائر الدينية ، وكانوا يتعاطون شراباً غير معلوم لديه ، وعندما سأل عن ذلك الشراب قيل له " أن هذا شراب قد اتخذ في هذا الزمان، وسميت القهـــوة ويطبخ من قشر حب يأتي من بلاد اليمن ، ويقال له البن ، وأن هذا الشراب المذكور قـــد فشـــا أمره بمكة ، وكثر ، وصار يباع في مكة في أماكن على هيئة الخمارات ويجتمع عليه بعض النـــاس من رجال ونساء بدف ورباب وغير ذلك ويجتمع في الأماكن التي يباع فيها من يلعب بالشطرنج والمنقلة وغير ذلك مما هو ممنوع في الشريعة المطهرة"[٨٠] . وما إن سمع خاير بك بذلك حتى أرسل اليوم التالي في طلب علماء الدين ، وجمع الناس في مكة المكرمة في يوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع عشر وتسعمائة ، " وكان منهم من يقتدي بقولهم وفعلـــهم مـــن الســـادة الشافعية ، والمالكية ، والحنفية "[٨١] ، فشرح لهم ما شاهده في الليلة السابقة ، وما قيل له عـــن القهوة ، وطلب منهم الفتوى ، " فأجابوه أجمعين بأن اجتماع الناس عليها على هذه الهيئة حـــرام اتفاقاً ، يجب إنكاره على كل قادر عليه ، وإما الحب المسمى بـــالبن المـــذكور فحكمـــة حكـــم النباتات، والأصل فيه الإباحة لقوله تعالى : ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ [٨٢]، فـــإن كـــان يحصل من مطبوخ قشره ضرر في البدن أو في العقل أو تحصل به نشأة ولذة طرب فانه حـــرام ، ولو استعمله الإنسان بمفرده داخل بيته ، والمرجع في ذلك إلى الأطباء "[٨٣] . وعندها ترك علماء الدين المرجع في تقدير أضرار البن على العقل والبدن إلى الأطباء ، أرسل خاير بـــك المعمـــار إلى الطبيب نور الدين أحمد العجمي الكازروني ، وأخيه الطبيب علاء الدين الكازروني ، وكانا مـــن أعيان الأطباء بمكة المكرمة ، وسألهما عن القهوة " فذكروا أنه بارد مفسد للبدن المعتـــدل "[٨٤] فلما سمع خاير بك والعلماء ذلك أفتوا بحرمة القهوة ، وكتبوا بذلك محضرا ، وأرسلوه إلى مصر، و" طلبوا مرسوما سلطانيا بمنعها بمكة المشرفة "[٨٥] . وما أن انتهى ذلك الاجتماع حتى منع خاير بك شرب القهوة و وبيعها ، وعاقب باعتها واحرق ما وجد من قشر البن .

---

[٨٠] – عبد القادر الجزيري : عمدة الصفوة في حل القهوة ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص ٦٠ .

[٨١] – نفس المرجع : ص٦٠ .

[٨٢] – سورة البقرة ، الآية ٢٩ .

[٨٣] – عبد القادر الجزيري : عمدة الصفوة في حل القهوة ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص ٦١ .

[٨٤] – نفس المرجع : ص ٦٢ .

[٨٥] – نفس المرجع : ص ٥٠ – ٥١ .

لم يستمر المنع طويلا ، وذلك أن السلطان المملوكي قانصوه ألغوري[86] ، والي مصر، أرسل مرسوما نهى فيه عن الاجتماع في المقاهي ولكنه لا يحرم القهوة ذاتها، " فتجاسر الناس على شربها لاسيما وقد بلغهم أنها لم تمنع من مصر التي هي بلدة السلطان ولم ينكرها أحد من علمائها إذ ذاك والأعيان ، وفتر خاير بك عن التسلط عن الناس بسببها ، واستمر الحال على ذلك "[(87)] . وبعد فترة قصيرة من تلك ألحادثه السالفة الذكر جاء مرسوم بعزل خاير بك عن الحسبة في مكة المكرمة وتعيين الأمير قطلباي عام (٩١٨هـ/١٥١٢م) الذي الغي المرسوم السابق حول القهوة، فعادت القهوة إلى عهدها السابق قبل خاير بك .

ومهما يكن من أمر فأن عبد القادر الجزيري جعل تلك الحادثة بداية لانقسام علماء الدين حول القهوة إلى فريقين ، فريق يقول بأنها حلال، وفريق آخر يقول بأنها حرام .

ولم يقتصر الجدل الذي حدث بين علماء الدين حول شراب القهوة على مكة المكرمة وحدها. ولكنه شمل معظم المناطق العربية والإسلامية ، في مصر وبلاد الشام والقسطنطينية، بل وحتى في اليمن ذاتها . كما لم يقتصر ذلك الجدل على مذهب من المذاهب الإسلامية ، فقد شمل المذهب المالكي و الشافعي و الحنبلي وغيرها .

وقد تعددت الأسباب التي جعلت بعض علماء الدين يحرموا شراب القهوة . ومن تلك الأسباب طريقة صياغة الأسئلة التي كان يبعثها بعض الناس إلى علماء الدين ،من أجل إفتائهم حول شراب القهوة . فقد كانت تلك الأسئلة ترد في صيغ توحي بأن القهوة شراب مسكر ، أو مخدر، مما كان يستوجب على علماء الدين الإفتاء بتحريمه . وهذا ما فسر به القاضي العلامة ابن حجر الهيثمي[(88)] ، قاضي مكة السبب الذي دفع علماء مصر ، وعلى رأسهم القاضي أحمد بن عبدالحق السنباطي ، إلى تحريم القهوة . إذ كان يرد على أولئك العلماء اسئلة من أناس ذكروا فيها أن القهوة مسكرة " فما وسع العلماء إلا أن يجيبوا على ما في الأسئلة فكتبوا بالحرمة

[(1)] - قانصوة الغوري : هو قانصوة بن عبد الله الظاهري ٠٠٠ سلطان مصر المملوكي، بويع بالسلطنة ٩٠٥هـ ، حاربه السلطان العثماني سليم الاول وانتصر عليه في معركة مرج دابق ، وهي المعركة التي قتل فيها قانصوة الغوري وتحولت بعدها مصر والشام إلى السيادة العثمانية ، وذلك عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) (الزركلي ، الاعلام ، قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٦٩م ، جـ٦ ، ص٢٣) .

[(87)] – عبد القادر الجزيري : عمدة الصفوة في حل القهوة: ص ٥١ .

[(88)] – هو احمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الانصاري ، (٩٠٩هـ– ٩٧٤ هـ/ ١٥٠٤– ١٥٦٧) فقيه باحث مصري ، تلقى العلم في الازهر ، وله الكثير من المؤلفات الدينية ، منها الفتاوى الهيثمية ، وغيرها ، توفي في مكة (الزركلي : الاعلام ، جـ١ ، ص٢٢٣ .)

والنجاسة والحد وبالغوا في الزجر عنها ، وكل ذلك لكونهم معذورين لعدم معرفتهم بها لأنها إذ ذاك لم تكن ظهرت بمصر فكانوا جاهلين بحقيقتها فقلدوا مرسل لأسئلة وكتبوا على ما فيها كما هو القاعدة أن المفتي أسير السؤال "[٨٩] . أي أن سر التحريم كان عدم معرفة العلماء في مصر بحقيقة القهوة ، إنما جاءت الفتوى انسياقا وراء الأسئلة .

السبب الآخر الذي دفع علماء الدين إلى تحريم القهوة هو أماكن شرب القهوة ، أي المقاهي ، إذ كان يحدث في تلك الأماكن اختلاط الرجال والنساء ، وما صاحب ذلك من تدخين التبغ والاستماع إلى الموسيقى والطرب ، إلى جانب ممارسة بعض الألعاب المحرمة ، كالقمار ، أو اللعب بالرهن ، كل تلك الأسباب دفعت العلماء إلى إصدار فتاويهم ضد القهوة.

ولكون الناس لم يمتنعوا عن شرب القهوة وارتياد المقاهي، فقد لجأ العلماء إلى تحريم الأشياء التي تصاحب شرب القهوة في المقاهي ، مع تحليلها بحد ذاتها ، " وأما ما ينظم إليها من المحرمات فلا شبهة في تحريمه ، ولا يتعدى تحريمه إلى تحريمها حيث هي مباحة في نفسها "[٩٠] كما أفتوا بتحريم الذهاب إلى المقاهي إذا وجد فيها ما يؤدي إلى حرام ، واستحسنوا شربها لمن لا يستطيع تركها في بيته .

من الأسباب التي دعت العلماء إلى تحريم القهوة أيضا طريقة شربها بالدور[٩١] ، وطريقة الشرب بالدور، هي طريقة شرب الخمر .

وإلى جانب تلك الأسباب حرمت القهوة على كل من في بدنه علة ، أو أدى شربه لها إلى حدوث علة في عقله أو بدنه .

ومن أشهر العلماء الذين أفتوا بتحريم القهوة في مصر الشيخ شهاب الدين احمد بن عبد الحق السنباطي (ت٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ، الذي أفتى بتحريم القهوة وأنها مسكرة ، عندما تعرض الناس لذكر القهوة في مجلس وعظه، فحدثت بسبب ذلك فتنه كبيرة ، وذلك انه عندما سمع العامة تلك الفتوى ، خرجوا إلى المقاهي من تلقاء أنفسهم، وقاموا بتكسير الأواني ، وضربوا جماعة ممن كانوا هناك ، وكادت تقع بسبب ذلك معركة بين المؤيدين للقهوة ، والمعارضين لها ،

---

[٨٩] – ابن حجر الهيثمي : فتوى حول القهوة ، مخطوط، المكتبة الغربية بالجامع الكبير ،صنعاء ، ضمن مجموع رقم ٤٠ ، ص٧٦ .

[٩٠] – نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، جـ ١ ، ص ١١٤ .

[٩١]– الشرب بالدور : أي يدار إناء القهوة على شاربيها ، بحيث يشرب الواحد تلو الأخر .

لولا تدخل قاضي مصر ، الشيخ محمد بن إلياس الحنفي ، الذي حسم الأمر ، في شان القهوة عن طريق قيامه بإجراء تجربة عملية للتحقق مما قيل عنها .

وكان ممن أفتى بتحريم القهوة في بلاد الشام الشيخ يونس بن عبد الوهاب العيثاوي ، كما حرمها من الشافعية، برهان الدين ابن أبي شريف المقدسي (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م) ، والشيخ كمال الدين الطويل القادري الشافعي ، الشيخ ومحمد ابن عراق (ت٩٣٣هـ/١٥٢٦م) وقد تراجع بعد ذلك عن تحريم القهوة ذاتها ، ولكنه أكد تحريم الأشياء المصاحبة لها والتي تحدث في أماكن شرب القهوة كالطرب والرقص وغيرها، ومن الحنفية ، قاضي القضاة سري الدين عبد البر ابن الشحنة ، (ت ٩٢١هـ/١٥١٥م) ، والشيخين برهان الدين الطرابلسي (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م) وأخوه نور الدين الطرابلسي. ومن المالكية قاضي القضاة شرف الدين يحي الدميري وشهاب الدين القيسي وشيخ الإسلام اللقاني . ومن الحنابلة قاضي القضاة شهاب الدين أحمد الشيشيني وشهاب الدين احمد بن النجار الفتوحي (ت ٩٤٩هـ/١٥٤٢م) وغيرهم.

لم يقتصر الجدل الذي حدث حول القهوة على البلاد العربية ، بل امتدت لتشمل المناطق الإسلامية المختلفة ، ففي القسطنطينية عرض الشيخ محمد بن عبد الأول الحسيني ، قاضي دمشق، على السلطان العثماني سليمان القانوني (٩٢٧-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ -١٥٦٦م) لأمر بأبطال القهوة " فورد أمره بأبطالها في شوال سنة (٩٥٣هـ/١٥٤٦م) "[٩٢] إلى مكة ، ولكن الناس لم ينصاعوا لهذا الأمر ، واستمروا في شربها .

أما العلماء الذين أفتوا بتحليل القهوة فقد أخضعوها إلى التجربة العملية لإثبات عكس ما قيل عنها . ويعد قاضي مصر محمد بن إلياس الحنفي من اشهر الذين اخضعوا القهوة للتجربة العملية، وهو الشخص الذي حل المشكلة التي تسبب فيها الشيخ احمد بن عبد الحق السنباطي ، عندما أفتى بتحريم القهوة، كما سبق أن أشرت ، فبعد حدوث ما حدث ، وصل الأمر إلى القاضي محمد بن إلياس " فسال عن حكمها جماعة من علماء القاهرة المفتيين ، واعتمد على إفتاء من قال بحلها من العلماء المعتبرين ، "فأمر بطبخها في منزله ، وسقى منها جماعات بحضرته ،

---

[٩٢] محمد الأرناؤوط : من التاريخ الثقافي للقهوة في الحجاز ومصر وسوريا في القرن العاشر الهجري / القرن السادس عشر الميلادي ، مجلة التاريخ والمستقبل ، جامعة آل البيت ، الأردن ، العدد الثاني ، يوليو ، ٢٠٠٠ ، ص ١٨ .

وجلس يتحدث معهم معظم النهار ليختبر حالهم فلم ير منهم تغيرا ولا شيئا منكرا ، فأقرها على حالها"[٩٣] . أي انه اتفق مع العلماء الذين أفتوا بأن القهوة حلال .

ولم يكن الشيخ محمد بن إلياس هو الوحيد الذي قام بإجرا هذه التجربة ، بل قام بها أيضا الشيخ زكريا الأنصاري ، والذي توصل إلى نفس النتيجة ، وهي أن القهوة غير مسكرة ، لـــذا أفتى بحلها وألف في ذلك " مصنفا قاطعا بالحل "[٩٤] .

وقد فند العلماء الذين أفتوا بتحليل القهوة كافة الأسباب التي دفعت غيرهم من العلمـــاء إلى الإفتاء بتحريمها تفنيدا دقيقـــا ، ومـــن أولئـــك العلمـــاء الشـــيخ ابـــن حجـــر الهيثمـــي (ت ٩٧٤هـــ/١٥٦٦م) ، الذي ألف في هذا الشأن مصنفا انتهى فيه إلى القول: " بأن القهـــوة مباحة وأنها من شراب الصالحين ومعينة على العبادة " [٩٥] .

وممن فتى بتحليل القهوة أيضا الشيخ عبد القادر الجزيري ، الذي ألف حول القهوة كتاب سماه عمدة الصفوة في حل القهوة ، وقد أورد في هذا الكتاب تفاصيل كثيرة حول بداية ظهـــور البن في اليمن ، وكذلك حول الجدل الديني والسياسي الذي دار حول القهـــوة ، ويعـــد هـــذا الكتاب من أهم المؤلفات التي وصلت إلى الوقت الحالي حول تاريخ البن والقهوة ومـــا صـــاحب ظهورها من الأحداث . وقد انتهى عبد القادر الجزيري في هذا الكتاب إلى القول : " أن الحـــق الذي لا مرية فيه ولا شبهه تعارضه وتنافيه أنها في حد ذاتها حلال _ أي القهـــوة_، وبهـــا مـــن النشاط على العبادة ما لا يشوبه نقص ولا اختلال ، أما الأمور المستجدة من هيئة بيوت باعتها ، واجتماع أهل المحظور مع ذويها وجماعتها ، وإضافة ما لا يباح إلى ذاتها ،أو معها بالأوصاف التي اشتهرت بين البرية فلا يبيحها من له أدنى إلمام بمعرفة الأحكام الشرعية "[٩٦] .

وقد وصل هذا الجدل حول القهوة إلى مناطق أخرى في أوروبا ، حيث وصل إلى البوسنة. واستمر الجدل بين علمائها لمدة قرنين من الزمان، وذلك حسب ما ذكره الشيخ البوسني حســـن

---

[٩٣]– عبد القادر الجزيري ، عمدة الصفوة ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص ٥٤ .

[٩٤]– محمد الأرنؤوط : من التاريخ الثقافي للقهوة في الحجاز ومصر وسوريا في القرن العاشر الهجري / القـــرن السادس عشر الميلادي ،ص٥ .

[٩٥]– الحسين بن محمد الورتيلاني : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٤هـــ/١٩٧٤م ، ص٢٦٩ .

[٩٦]– عبد القادر الجزيري : عمدة الصفوة ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص٥٥

كافي الاقحصاري، (ت ١١٦٩هـ/١٧٥٥م)[٩٧] في رسالة له حول القهوة التي اتخذ فيها "الموقف المؤيد للقهوة "[٩٨] ، وقد حملت هذه الرسالة عنوان (رسالة في القهوة والدخان والأشربة) ، وفي هذه الرسالة لا يخفي الشيخ تعاطفه مع القهوة ، والنابعة من تجربته الشخصية ، فقد تذوقها ، ووجد فيها " معونة على مطالعة الكتب وقيام الليل لكونها رافعة للكسل والنوم "[٩٩] وقد أنتقد بعض العلماء الذين قرنوا القهوة بالدخان.

إن هذه الرسالة حول القهوة ، والتي صدرت من شيخ في البوسنة ، وهي إحدى المدن الأوربية ، إن دلت على شيء فإنها تدل على الطريقة التي تعامل بها العلماء المسلمين من غير العرب مع القهوة " حيث بقوا حوالي ثلاثة قرون يختلفون ، ويكتبون حول هذا لأمر ، مما أدى إلى نتاج فقهي مثير للاهتمام في عدة مناطق وفي عدة لغات "[١٠٠] ، أضيف بطبيعة الحال إلى التراث الإسلامي .

لقد كانت نتيجة الجدل الكبير بين العلماء حول القهوة هو سرعة انتشارها في كل مكان ، وقد أشار ابن حجر الهيثمي في مصنفه عن القهوة ، إلى أن ذلك الجدل " كان سببا لتزاحم كثيرين على شربها ، ولم تزداد إلا ظهوراً "[١٠١] .

ب –: الإشكالات السياسية :

لم تكن الإشكالات الدينية السالفة الذكر هي الوحيدة التي وقفت في وجه انتشار القهوة ، ولكن وجدت العديد من الإشكالات السياسية أيضا أدت دوراً مهماً في الحد من انتشار القهوة عربياً وعالمياً.

---

(٩٧) – محمد الأرناؤوط : من اليمن إلى البوسنة – التاريخ الثقافي للقهوة ، مجلة الاجتهاد ، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر ، بيروت ، العدد السابع والأربعون والثامن والأربعون ، السنة الثانية عشر ، ص١٨١ .

(٩٨) – نفس المرجع : ص ١٧٤.

(٩٩) – نفس المرجع : ص١٨٢.

(١٠٠) – نفس المرجع : ص ١٨٣ .

(١٠١) – ابن حجر الهيثمي : فتوى حول القهوة ، مخطوط ، المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ضمن مجموع رقم ٤٠، ص ٧٦ .

وإذا كان لعلماء الدين أسباهم ودوافعهم في إصدار فتاواهم ضد القهوة ، فقد كان لرجال السياسة أيضا أسباهم التي دفعتهم لإصدار أوامرهم بالموافقة أو المنع للقهوة ، والتي قد تكون أحيانا بتأثير من علماء الدين على رجال السياسة ، كما حدث عندما أصدر السلطان العثماني سليمان القانوني أمرا بمنع القهوة في مكة ، استجابة لطلب من الشيخ محمد بن عبد الأول الحسيني، كما سبق أن أشرت إلى ذلك .

ولم يكن يهم رجال السياسة تحريم القهوة ذاها بقدر ما كان يهمهم إقفال الأماكن التي كان الناس يشربون فيها القهوة وذلك " مظنة أن تكون المقاهي مجالاً للحديث في السياسة وفي نقد الدولة وموئلاً صالحاً لترتيب المؤامرات "[١٠٢] . ولهذه الأسباب وغيرها أُغلقت المقاهي في عهد كل من السلطان العثماني مراد الرابع (١٠٣٢هـ-١٠٤٩هـ / ١٦٢٢م – ١٦٣٩م) ، والسلطان محمد الرابع (١٠٥٨هـ -١٠٩٩هـ/ ١٦٥٨- ١٦٨٧م) .

ولم يقتصر منع المقاهي من أن تفتح أبواها أمام مرتاديها على الحكام المسلمين ، بل إن الحكام الأوربيين قد فعلوا ذلك أيضاً ، ففي بريطانيا حاول الملك شارل الثاني الذي حكم بعد الثورة الانجليزية (١٠٧٠- ١٠٩٧هـ/ ١٦٦٠- ١٦٨٥م) الحد من انتشار المقاهي ، ومن نشاطها " باعتبارها مراكز لإهاجة المشاعر السياسية والمؤامرات ، ولكن شهوة الحديث والشراب والاستمتاع برائحة التبغ أحبطت مساعيه "[١٠٣] . وفي ألمانيا أيضا واجهت القهوة بعض المشاكل، حيث كان لابد لتناول البن وبيعة من رخصة يعطيها الحاكم)[١٠٤] .

خامساً : انتشار شراب القهوة :

بالرغم من المعارضة التي شهدها القهوة في بداية ظهورها ، إلا أها تجاوزت كل تلك المعوقات ، وانتشرت بسرعة كبيرة ، ومما زاد في سرعة انتشارها هي حركة المعارضة ذاها .

وبعد أن اكتشفت القهوة في اليمن ، واستعملت من قبل الصوفيين ، وتبعهم عامة الناس من اليمنيين ، ما لبثت القهوة أن انتقلت مع الحجاج اليمنيين إلى مكة المكرمة ، وذلك أثناء

---

[١٠٢]- إحسان عباس : القهوة والمقاهي في دمشق في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، بيروت العدد ٧٠ ، ذو القعدة ١٤٠٤هـ / آب اغسطس ١٩٨٤م، ص٧٥ .

[١٠٣]- وول ديورنت : قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، بيروت ،دار الدين، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ، جـ٣٢ ، ص ٣٨ .

[١٠٤]- فاضل السعدي : زراعة البن في اليمن ، ص ١٧ .

مواسم الحج ، ولا يستبعد أن يكون علماء الدين من المتصوفين هم من نقل القهوة إلى مكة ، وذلك من أجل استعمالهم الشخصي ، وبعد ذلك شاع أمرها بين الناس . ولم يأت عام (٩١٧هـ/١٥١١م) وهو العام الذي حدثت فيه المواجهة بين خاير بك ناظر الحسبة في مكة المكرمة وأنصار القهوة ، وهي الحادثة التي سبق ذكرها ، إلا وقد انتشر استعمال القهوة بمكة ، وصار من الصعب منع الناس عن شربها ." ثم لم يزل أمرها يتزايد في الحرمين الشريفين وغيرهما ، ولم يعترض لها احد بالمنع "(١٠٥) ، ولكن كان يتم الاعتراض على ما كان يحدث في أماكن شرب القهوة من المنكرات ، وعندما قدم الشيخ محمد بن عراق إلى مكة عام (٩٣٢هـ/١٥٢٥م)، وعلم بما يحدث ، في المقاهي " فأشار على الحكام بإبطال بيوت القهوة مع تصريحه بحلها في حد ذاتها "(١٠٦) وبذلك بدأ البن ينتشر بسرعة في جميع المناطق و " لم يزل أمرها _ أي شراب القهوة _ يفشو شيئا فشيئا ومن بلد إلى بلد إلى أن آل إلى ما آل بحيث عمت _ أي القهوة _ البلاد المشرقية وكثيرا من المغربية فيحمل منها في كل سنة من بلاد اليمن لكل أفق من الأفاق شرقا وغربا الآلف من الأحمال فتدفع فيها أموال قلما تدفع في غيرها من التجارة "(١٠٧) .

وقد وصلت القهوة إلى كل من الحجاز ومصر وبلاد الشام و استنبول خلال نفس الفترة تقريباً. فخلال العقد الأول من القرن السادس عشر انتشر البن من اليمن إلى الحجاز والقاهرة ، ثم بعد مضي عقدا آخر من الزمن تقريبا وصلت القهوة إلى سوريا ، وربما كان ذلك بواسطة محمل الحج ، ومن هناك نقلت إلى استنبول في حوالي منتصف القرن السادس عشر (١٠٨)

وكانت بداية ظهور القهوة في مصر ، بحسب ما أورده عبد القادر الجزيري في عمدة الصفوة ، نقلا عن القاضي ابن عبد الغفار " في العشر الأول من هذا القرن _ أي القرن العاشر الهجري _ فكانت تشرب في نفس الجامع الأزهر برواق اليمن ، يشربها فيه اليمانيون "(١٠٩) .

أن هذا النص يدل على أن اليمنيين أنفسهم الذين نقلوا شراب القهوة إلى مصر ، وهم أول من شربها هناك، وذلك في القرن العاشر الهجري .

---

(١٠٥)– عبد القادر الجزيري : عمدة الصفوة ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص٥٢ .

(١٠٦)–نفس المرجع : ص ٥٢.

(١٠٧)– الحسين بن محمد الورثيلاني : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٤ ، ص٢٦٩ .

(١٠٨)– Ralph S Hattox : Coffee And Coffeehouses , University of Washinton Press , P . 28

(١٠٩)– عبد القادر الجزيري : عمدة الصفوة ، تحقيق : عبدالله الحبشي، ص ٤٩ .

انتشرت القهوة سريعا بين أوساط الشعب المصري ، بالرغم من شدة المعارضة لها من قبل بعض العلماء . ومما زاد في انتشارها بين الناس ، تشجيع بعض الحكام على شربها . على سبيل المثال ، فقد شجع والي مصر خسرو باشا عام (٩٤١-٩٤٣هـ/١٥٣٤-١٥٣٦م) شرب القهوة "وفي زمنه فشت القهوة والقهاوي"[١١٠] .

ولم تتأخر بلاد الشام في التعرف على القهوة، فقد ذكر ابن عماد الحنبلي رواية نقلها عن مؤرخ دمشق ابن طولون ، الذي ارجع بداية ظهور القهوة في دمشق إلى الشيخ بديع ابن الضياء، قاضي مكة المشرفة ، وهو في طريق رحلته إلى الدولة العثمانية سنة (٩٤١هـ/ ١٥٣٤م) . حيث سكن في دمشق عند الشيخ علي الكيزواني ، وقد ذكر ابن طولون أن الشيخ بديع ابن الضياء " سمع المولد وشرب هو والشيخ علي وجماعته القهوة المتخذة من البن ، ولا اعلم إنها شربت في بلدنا هذه_ يعني دمشق _ قبل ذلك "[١١١] .

لم تتوقف القهوة عند حدود مصر وبلاد الشام ، بل تجاوزتها إلى بلاد المغرب و الدولة العثمانية، والفارسية ، و الهند ، والبندقية ، بل وسائر البلدان الأوروبية ، كما سيتم توضيحية لاحقا .

وافتتح أول مقهى في تركيا في عام (٩٦٢هـ/١٥٥٤م) ، وكان ذلك على يد رجلين من بلاد الشام أحدهما من دمشق وكان اسمه حكيم ، والآخر من حلب وكان اسمه شمس . " وقد أطلق الأتراك على هذه المقاهي فيما بعد اسم قهوة خانة "[١١٢] . وقد نجحت المقاهي في اجتذاب المفكرين والقضاة والشعراء ، ورجال الدين ، حيث كانوا يجتمعون لمناقشة الأوضاع السياسية ، وانتقاد سياسة الحكومة مما دفع الحكومة إلى إصدار الأوامر بإغلاقها، كما ذكرت سابقا. وكما حدث في عهد السلطان مراد الرابع (ت ١٠٤٩هـ/١٦٤٠م) ، عندما قام بتحريم القهوة "حتى أنه أمر بإعدام بعض الأشخاص الذين تجاهلوا هذا المنع "[١١٣] ، وقد استمر هذا المنع حتى عهد

---

[١١٠]- أحمد شلبي عبد الغني : أوضح الإشارات في من تولى مصر من الوزراء و الباشات ، الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق : عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص١٠٨ .

[١١١]- ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٨ ، ص ٢٤٧، ٢٤٨ .

[١١٢]- جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص١٩٤ .

[١١٣]- محمد الأرناؤوط : بداية انتشار القهوة ، ص٣٣ .

السلطان محمد الرابع (ت ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م) عندما سمحت الحكومة بإعادة فتح المقاهي "مع زيادة الضرائب عليها "[١١٤] .

وربما يكون الأوربيون قد تعرفوا على القهوة في البداية عن طريق الرحالة الأوربيين الذين زاروا بعض البلاد العربية ، فقد ورد أول ذكر للقهوة عند الطبيب وعالم النبات الأوربي بروسبير البينيوس ، الذي زار مصر عام (٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م) ، وسكن فيها لمدة ثلاث أو أربع سنوات ، أصدر بعدها كتاباً عن نباتات مصر ، ذكر في ذلك الكتاب انه شاهد شجرة البن ، في حديقة رجل كان يدعى علي بيه ، وقد رسم تلك الشجرة ، وقال إن الناس " يطلقون عليه اسم البن ، ويصنع العرب والمصريون منها نوعا من المستخلص بالغلي يشربونه بدلا عن الخمر ، ويباع في جميع محالهم العامة ، كما تباع الخمر عندنا ، ويطلقون على هذا الشراب قهوة والثمرة التي يصنعونه منها تأتي من بلاد العرب السعيد ، والشجرة التي رايتها تشبه المغزلية ، ولكن الأوراق اسمك وأقوى واشد ، ولا تتجرد الشجرة من الورق أبدا [١١٥] .وفي اعتقادي أن مشاهدة شجرة البن في مصر أمرٌ غير واقعي ، وذلك لأن شجرة البن لم تزرع في مصر خلال أي وقتٍ من الأوقات، بسبب عدم ملاءمة المناخ و التربة.

أما أول من تعرف على البن والقهوة من الأوروبيين عن طريق اليمن مباشرة فهما رجلا الدين المسيحيين مونصرات وبائز الذين قدما في إرسالية دينية إلى الحبشة ، ولكن تحطمت السفينة التي كانا على متنها قبالة السواحل العربية فوقعا في اسر اليمنيين ، الذين اقتادوهم عبر الأراضي اليمنية ، وفي أثناء ذلك تعرف الأسيران على البن والقهوة عام (٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م) ، وقد ذكر ذلك الأب بائز في كتابه تاريخ الحبشة ، حيث قال عن القهوة أنها : " ماء يغلي مع قشر ثمرة يدعونها البن ، لأن سكان جنوبي شبة الجزيرة العربية يستعملون القشر لا الحب نفسه "[١١٦] .

وربما وصل البن إلى أوروبا في بادئ الأمر عن طريق تركيا حيث ذكرت إحدى الروايات التاريخية أن السلطان العثماني سليمان القانوني حاصر فينا في عام (٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م) بجيشٍ كبيرٍ ، ولكنه اجبر على فك الحصار و التراجع إلى الوراء ، وأثناء الانسحاب ، ترك جيشه الكثير من الذخائر والمؤن ، " ومن بينها أكياس كثيرة من حب البن كان الجيش قد حملها معه لاستعماله.

---

(١١٤)- نفس المرجع : ص ٣٣ .

(١١٥)- جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص١٧٤ .

(١١٦)- جاكلين بيرين : خمسة قرون من المغامرة والعلم ، ترجمة : قدري قلعجي ، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٣٧٣هـ/ ١٩٦٣م، ص٦٢ .

وغنم الجيش النمساوي هذه الحبوب مع ما غنم، وسأل الأسرى الأتراك عن هذا الحب الأخضر الصغير ، فارشدوا آسريهم إلى طريقة صنعه، فأعجب به النمساويون واقبلوا عليه ، ومن ثم انتشر إلى بقية أنحاء أوروبا "[١١٧] .

وتوجد رواية ثانية تقول أن تجار البندقية هم أول من عرف الأوربيون بالقهوة ، وذلك " بحكم تجارتهم و قربهم من تركيا "[١١٨] . وهذا منطقي خاصة إذا ما عرفنا العلاقة الوطيدة بين تجار البندقية ، ومصر ، أهم مركز لتجارة البن بعد اليمن منذ القرن السادس عشر.

وما إن عرف الأوروبيون القهوة حتى أعجبوا بها ، واقبلوا على شربها بكثرة ، مما دفعهم إلى افتتاح أماكن خاصة لتناول هذا الشراب الجديد القادم من شبه الجزيرة العربية . " وافتتحت لندن أول مقهى في ١٦٥٢م ، وما وافى عام ١٧٠٠ حتى كان بها ٣٠٠٠ مقهى "[١١٩] . لم تتأخر بقية المدن الأوروبية عن لندن في افتتاح المقاهي . ففي مرسيليا كان "أول مقهى أنشئ فيها عام (١١٨٥هـ/١٧٧١م) وعقبه مقاهي عديدة في كل من باريس واليونان وغيرها "[١٢٠] .

ولم يبدأ عمل الشركات الأوروبية الموجودة في الشرق في تجارة البن إلا منذ النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي ، حيث كانوا ينقلونه من اليمن إلى م–ستعمراتهم في جنوب شرق آسيا ، ويبيعونه هناك ، ومن ثم يحصلون على المال اللازم من أجل شراء البضائع الآسيوية ، خاصة التوابل ، والتي كانت هي الهدف الأساسي من وصولهم إلى تلك المناطق .

وورد أول ذكر للبن عند التجار الأوروبيين ، الذين كانوا في الشرق ،عند التاجر الهولندي فان دن بروكه ، الذي زار اليمن عدة مرات في بداية القرن السابع عشر ، حسبما سأوضح لاحقاً ، وقد أورد هذا التاجر أسماء البضائع التي كانت تنقلها إحدى السفن إلى الأراضي المقدسة ، وذلك أثناء موسم الحج ، وورد من ضمن تلك البضائع القهوة . كما تعرف على القهوة عندما كان في طريقة لزيارة الوالي العثماني في صنعاء عام (١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م) من أجل الحصول على إذن منه بالمتاجرة مع اليمن ، و على أي حال ربما يكون فان دن بروكه قد تعرف على القهوة في

---

[١١٧]– نقولا زياده : الطرق التجارية في العصور الوسطى ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، بيروت، العدد الثاني والثالث والستون ، لسنة ١٩٨٣– ١٩٨٤م ، ص ٢٤ .

[١١٨]– جان دي لأروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص ٢٠١ .

[١١٩]– وول ديورنت : قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ص١٥٣ .

[١٢٠]– عبد الرحمن السويداء : القهوة العربية ، وما قيل فيها ، ص ٨٤ .

المخا ، "ومن المفروض أن يكون ذلك إما في أحد المقاهي ، أو في أحد منازل أصدقائه الأتراك أو العرب "[١٢١] .

وقد جاء أدراج الأوروبيون للبن ضمن السلع التجارية التي كانت تتاجر بها شركاتهم التي كانت موجودة في أسيا متأخراً نسبياً على معرفتهم بأهميته الاقتصادية . " ففي عام ١٦٦٠م أدرج البن لأول مرة في قائمة مبيعات شركة الهند الشرقية البريطانية "[١٢٢] .بالرغم من أن التجار الإنجليــز كانوا يعرفون أهميته قبل هذا التاريخ .

سادساً : العوامل التي أثرت على زراعة البن :

لا بد أن انتشار شرب القهوة في جميع أنحاء العالم ، قــد أدى إلى زيــادة الطلــب علــى البن ، الذي لم يكن ينتج بكميات تجارية ، سوى في اليمن ، مما يعني انه كان على الــيمن تلبيــة الاحتياجات المتزايدة منه ، لذلك كان لابد من التوسع في زراعته ، والاهتمام به أقصى إلى حــدٍ ممكن .

ومما لاشك فيه إن الظروف الطبيعية والبشرية قد أدت دورا مهما في زيادة الإنتاج ، وتلبية الطلب المتنامي علية ، لذلك أرى من المناسب دراسة هذه الظروف من اجل معرفة تــأثير هــذه الظروف على قدرة اليمنيين في الوفاء بتلك الاحتياجات .

أولاً : العوامل الطبيعية :

أثرت العوامل الطبيعية تأثيراً كبيراً على زراعة البن ، فقد كان لها الدور الأكبر في زيــادة إنتاج البن ، وارتفاع جودته ، لدرجة جعلت بعض الباحثين الزراعيين يرجحون أن تكون الــيمن هي الموطن الأصلي له ، وذلك " كون أشجار البن متكيفة تماما للظــروف البيئيــة الســائدة في اليمن "[١٢٣] .

---

[١٢١]- C.G Brouwer : A L –Mukha Profile of Yemeni Seaport as Sketched by Servants of the Dutch East India company (VOC) 1614\1640, D,Fluyte Rarob , Amsterdam, , pp 141.

[١٢٢]- Peter Boxhall : the diary of a Mocha coffee agent , Arabin studies , C.Hurst and company London, pp 102

[١٢٣]- عبد الله محرم : واقع محصول البن في اليمن ، ص٢ .

ومن أهم العوامل الطبيعية التي أدت دوراً فعالاً في نمو البن ، وزيادة إنتاجه ، هي العوامل البيئية المتمثلة في السطح ، والتربة ، والمناخ . أما العوامل الطبيعية التي أثرت سلبا على زراعة البن فلعل الحشرات والآفات الزراعية والأمراض النباتية كانت أخطرها .

أ – السطح :

كان لتنوع سطح اليمن و تضاريسها أثرا كبيراً في توفير المجال البيئي المناسب لزراعة البن . حيث تتميز اليمن بوجود المرتفعات الجبلية ذات المستويات المتباينة ، والتي ساعدت على وجود نطاق كبير صالح لزراعته . حيث تمكن المزارع اليمني من زراعه البن على المستويات من (٨٠٠ إلى ٢٠٠٠) متر فوق مستوى سطح البحر ، وكانت " الشجرة تجود بصورة مكثفة في المناطق التي يتراوح ارتفاعها بين ١٨٠٠ و٢٥٠٠ م "[١٢٤] ، ويعد هذا الارتفاع هو الارتفاع المثالي لازدهار شجرة البن ، إلا انه يمكن زراعتها في مناطق اقل ارتفاعا حيث " تكثر بصفة خاصة على ضفاف الأودية الضيقة في المناطق الجبلية وفوق المدرجات ذات الانحدار البسيط "[١٢٥] . وفي تقرير لمنظمة الأغذية والزراعة العالمية ، التابعة للأمم المتحدة ، ذكر أن اليمنيين : " ابتداء من القرن الخامس عشر قاموا بزراعة البن في ألاماكن التي توافرت لها أفضل حماية من المخاطر الجوية والتي كان يمكن ريها بسهولة "[١٢٦] .

ب – التربة :

تعد التربة اليمنية أخصب أنواع الترب الصالحة لزراعة البن ، وذلك لكونها تربة بركانية غنية بالمعادن وبالمواد العضوية والمواد الطفيلية والصلصالية . وقد اثر غنى التربة بهذه المواد على جودة البن ،لذلك فهي من أفضل أنواع الترب "وأكثرها ملائمة لنمو البن "[١٢٧] .

ج – المناخ :

يعد المناخ بعناصره المختلفة ، مثل الحرارة ، والرياح ، والأمطار ، والرطوبة وغيرها، من أهم العوامل الطبيعية التي أثرت على زراعة البن .

---

[١٢٤] – عباس فاضل السعدي : البن في اليمن ، ص ٦ .

[١٢٥] – نفس المرجع : ص٦٥ .

[١٢٦] – تقرير في مقدم إلى منظمة الأغذية والزراعة ، ص٢٥ .

[١٢٧]– عباس فاضل السعدي : نفس المرجع ، ص٧١ .

١- الحرارة :

أن وقوع اليمن بالقرب من خط الاستواء ، قد جعلها ضمن النطاق الحار ، لا أن عامـل الارتفـاع كـان لـه الـدور الأكـبر في تخفيـف حـدة الارتفـاع في درجـة الحرارة ، مما كان له ابلغ الأثر في توفير المناخ الملائم لنمو البن ، والذي يحتاج إلى درجة حـرارة معتدلة ، وذلك نظرا لشدة حساسية شجرة البن للحرارة المرتفعة ، وكذلك للحرارة المنخفضة . إن درجات الحرارة الملائمة لشجرة البن تتراوح بين ١٦ و ٢٥ درجة مئوية ، أما الدرجة المثالية له "فتقرب من ٢٠ درجة مئوية "[١٢٨] . وهى درجة حرارة معتدلة في مجملها.

وتحتاج شجرة البن لمعدل سطوع شمسي مناسب ، يوفر لها كمية ملائمة من الضوء ، بحيث لا تؤذي الشجرة ، ولهذا " كانت المرتفعات في المناطق المدارية المطيرة مثالية لنمو الشجرة بسبب تجمع السحب بين آونة وأخرى أثناء النهار ، مما يخفف من أشعة الشمس الواصلة علـى سـطح الأرض "[١٢٩] .

٢- الأمطار:

تعد اليمن من المناطق قليلة الأمطار ، وهي أمطار صيفية ، متذبذبة ، وقد اثر ذلك علـى البن ، الذي يحتاج إلى كمية متوسطة من الأمطار تتراوح بين ٧٠ و١٠٠ بوصة ، " واقل قدر من الأمطار بالنسبة لهذه الزراعة ٤٠ بوصة "[١٣٠] .

ونظرا لعدم سقوط الأمطار في بعض لمواسم فقد لجأ اليمنيون إلى الاستفادة من الأمطـار التي قد تسقط في بعض المواسم بغزارة ، وذلك بإنشاء السدود ، والخزانات المائية لحفظ المـاء ، وقد استخدمت تلك المياه المخزنة لري البن في مواسم القحط وفق نظام ري جيد كمـا سـوف أوضحه لاحقا .

لقد كان للأمطار أبلغ الأثر على البن ، فقد ذكر المؤرخ يحيى بن الحسين ، في كتابه بهجـة الزمن ، وذلك أثناء سرده لأحداث سنة (٩٨١هـ/ ١٥٧٣م) اثر انعدام الأمطار علـى الـبن وعلى الوضع الاقتصادي برمته ، حيث ذكر إن قلة الأمطار أدت إلى انتقال الناس من منـاطقهم

---

(١٢٨) – : عباس فاضل السعدي : البن في اليمن ، ص٧٢ .

(١٢٩) – نفس المرجع : ص٧٣ .

(١٣٠) – عبد الرحمن السويداء : القهوة العربية ، ص١٢، ١٣ .

إلى مناطق أخرى ، وذلك من شدة القحط الذي اثر بدوره على البن "ونجع[١٣١] أهل المشرق مثل خولان وصنعاء وسنحان وبلاد لهم وجميع المشارق إلى بلاد المغارب وإلى اليمن الأسفل والتهايم ، ونضبت الأنهار في بلاد سنحان ، والآبار ، وكذلك في أودية المشارق وبعض أودية المغارب بحيث يبس بعض الابنان ، لانقطاع الغيول عن الجريان، وظهرت الركة لكثير من الناس لتلاحق القحط والجوع الذي جرى في سنة تسع وسبعين فلم يعد معهم بعد أساس ،حتى انه بلغ شبكة التبن سبع حروف ، ووزن رطل التتن فإذا هو خمسة كبار ، وهذا شيء لم يعهد "[١٣٢] .

ولا يقتصر تأثير الأمطار على البن في حالة قلته ، بل قد يؤثر زيادة كميات الأمطار على البن تأثيرا سلبيا بسبب السيول الضخمة التي تتسبب في اقتلاع الأشجار ، وانجراف التربة من المدرجات ، والأودية التي يزرع فيها البن ، كما حدث في سنة ١٠٨٤هـ حيث " نزل سيل هائل غير معهود من جبل مسور إلى بني مهدي وبني مهند فحمل من أموال البن وغيرها كثيرا جزيلا ، حتى فقر بعضهم لحمله جميع ماله_ أي أرضه_ "[١٣٣] .

٣- الرياح :

تتأثر أشجار البن كغيرها من الشجر بالرياح فهي " بحاجة إلى رياح هادئة في ظروف الزراعة الاعتيادية "[١٣٤] . أما في حالة الرياح الشديدة فان أشجار البن تتعرض للكسر كلياً أو جزئياً . فقد ذكر يحيى بن الحسين في أحداث سنة (١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م) انه "في رجب منها ثارت رياح عظيمة من جهة الغرب ، ولها حركة شديدة ، وحالة غريبة ، وأثار عجاجاً[١٣٥] كثيراً وتراباً واسعاً وكسرت بعض الشجر)[١٣٦] .

مما سبق نجد إن الظروف البيئية والطبيعية قد ساهمت مساهمة فعالة في ازدهار البن في اليمن من خلال توفر الظروف المثالية ، والمتمثلة في "المناخ الدافئ المطير ، ذو السماء الملبدة بالغيوم، والرياح الهادئة ، والتربة الخصبة والمدرجات الجبلية والأودية "[١٣٧] .

---

(١٣١) – نجّع : مصدرها نَجَعَ ينجع نجوعا وهو المكان الذي ينتجع القوم اليه طلبا للماء والعشب

(١٣٢) – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ ٢ ، ص٢٧٢، ٢٧٣.

(١٣٣) – نفس المرجع : جـ ٢، ص ٢٩٩ .

(١٣٤)– عباس فاضل السعدي : البن في اليمن ، ص٧٤ .

(١٣٥)– العجاج : الريح اشتدت فأثارت الغبار (القاموس المحيط : الفيروزبادي ، جـ١ ، ص٣٢٤).

(١٣٦)– يحيى بن الحسين : نفس المرجع، جـ١ ،ص٣٥٠ .

(١٣٧)– عباس فاضل السعدي : نفس البن في اليمن ، ص ٧٥ .

أما العوامل التي أثرت سلبا على زراعة البن ، وبالتالي على كميات المعروض منه في السوق ومن ثم اسعاره

٤- الحشرات و الآفات الزراعية :

تعد الحشرات والآفات الزراعية من اخطر العوامل التي أثرت سلبا على زراعة البن . وقد وجدت العديد من الحشرات التي كان ضررها على البن كبيراً جداً ، ولكن الجراد كانت أخطر تلك الحشرات على الإطلاق .

كانت الأضرار الناجمة عن ظهور الجراد كبيرة جدا ، لذا فقد كان المؤرخون اليمنيون يذكروها دائما، بل ويتتبعوا اتجاه تحركاتها ، وما تخلفه من خسائر في المناطق التي تمر عبرها ، كما كانوا يذكرون العواقب الاقتصادية الناتجة عن ذلك ، ومن ذلك ما يحدث لشجرة البن من جرأ هذه الآفة الزراعية. فقد ذكر عبد الله الوزير في كتابه طبق الحلوى ، وذلك أثناء سرده لأحداث سنة (١٠٧٠هـ/١٦٥٩م) انه في تلك السنة "صالت الجراد على البلاد حتى أفسدت مغارس البن في أخراف "[١٣٨] .

وبالرغم من خطر الجراد على المزورعات بما في ذلك البن ، إلا أنه لم يكن لدى اليمنيين وسائل ناجعة لمكافحتها ، باستثناء بعض الوسائل البسيطة، مثل إحراقها بالنار كما فعل أهل شرعب حسبما ذكر يحيى بن الحسين ، وكان من ضمن تلك الوسائل ما لاحظه نيبور أثناء اجتيازه لجبل سماره ، عندما كان في طريقه إلى صنعاء " فبمجرد أن رأى المزارعون أسراب الجراد قادمة في السماء اخذوا يصرخون ويهرعون إلى حقولهم ويربطون أقمشة على أعواد طويلة يمشون بها فوق مزروعاتهم ليمنعوا الجراد من الحط عليها "[١٣٩] . والى جانب الجراد وجد أنواع أخرى من الآفات الزراعية منها الجرمي والدبا والقاشر ، وبالرغم أن هذه من الحشرات الزراعية قد ذكرتها المصادر التاريخية ، إلا أن تلك المصادر لم تذكر تأثير تلك الحشرات على البن .

ثانياً : العوامل البشرية :

من المؤسف إن المصادر اليمنية التي عثرت عليها لا تكاد تذكر شيئا عن الكيفية التي بدأ بها اليمنيون زراعة البن ، ولا الكيفية التي تم التعامل بها مع هذه الشجرة . وما وصل إلينا من المعلومات ، إنما كانت عن طريق المصادر الأجنبية ، والتي دونها الرحالة الذين زاروا

---

[١٣٨]- عبد الله الوزير : طبق الحلوى ، تحقيق : محمد عبد الرحيم جازم ، ص١٦٠.

[١٣٩]- احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٦٣ .

اليمن ، وكتبوا ملاحظاهم ، ومشاهداهم عن اليمن والتي التقطوها بعين الغريب الذي تدهشه وتستهويه الأشياء التي لم يسبق له إن شاهدها ، وغير مألوفة لديه مما يدفعه إلى رصدها ، ونقلها إلى الآخرين في بلادة ، وعن طريقهم وصلت إلينا معلومات ، لو لم يحفظوها لنا ، لكانت في طي النسيان ، مثلها مثل الكثير من المعلومات التي لا تزال مجهولة حتى اليوم .

أ- الخبرة :

بعد انتشار شراب القهوة على نطاق واسع بين الناس ، أصبحت الحاجة ماسة للمزيد من البن ، لذلك كان لابد من زراعته بستانياً ، لذلك قام اليمنيون بزراعته في حقولهم ، وقد أولوه اهتماماً زائداً ، وعناية خاصة . خاصة بعد أن أصبح شراباً عالمياً ، وعائداته المادية عالية .

وقد لاحظ الفرنسيون الذين زاروا اليمن عام(١١٢١هـ/١٧٠٩م) الطريقة التي كان اليمنيون يزرعون بها البن ، فذكروا " أن شجرة البن لا تستنبت من الفسائل أو من اللحاء كما أكد البعض ، بل تنتج بزراعة الثمرة كاملة بقشرها حين تكون ناضجة تماما . ومنها يستنبتون الشتلات في مشاتل ثم ينقلونها عندما تسنح الفرصة "[١٤٠] . وقد شاهد الرحالة الفرنسي السيد نوييه طريقة زراعة البن في منطقة الزيدية حيث كانت " تزرع أشجار البن في هذا المكان في صفوف وخطوط ، وعلى مسافة صغيرة بعضها من البعض الآخر "[١٤١] كما لاحظ الفرنسيون أيضا أن اليمنيين كانوا يقومون عند نقل شجيرات البن "بحفر خندق بعرض أربعة أقدام وعمق خمسة أقدام يفرشون فيه الحصى كي يغوص فيه الماء الذي يملئون الخندق به عميقا في التربة ، وبذلك يقدم البرودة والانتعاش الضروريين ، وعندما يرون قدر اكبر من الثمرة يوقفون عنها الماء كي تجف الثمرة قليلا على الأغصان "[١٤٢] .

كما قام اليمنيون بزراعة البن تحت أشجار ضخمة تمتد أغصانها إلى مسافات هائلة ، " بحيث تغطي كل شيء تحتها "[١٤٣] . وتدعى الأشجار الضخمة الطنب ، والهدف من ذلك الأجراء هو حماية البن من أشعة الشمس المحرقة ، خاصة وأن شجرة البن حساسة لدرجة الحرارة المرتفعة والمنخفضة ، وكذلك للتقليل من كمية الماء المفقود أثناء عملية النتح.

---

[١٤٠]- جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص١٦٤ .

[١٤١] – نفس المرجع : ص ١٦٦ .

[١٤٢]-نفس المرجع ص١٦٤ .

[١٤٣]- نفس المرجع : ص ١٦٦ .

ونظراً لوقوع المناطق الصالحة لزراعة البن على سفوح المنحدرات العالية والعارية من التربة، فقد لجأ اليمنيون إلى بناء المدرجات الجبلية ، وقد ذكر نيبور إن أشجار البن كانت تزرع في مدرجات " تمتد حتى قمم الجبال "[١٤٤] ، وفي تقرير فني حول البن قدم إلى منظمة الزراعة والأغذية العالمية ذكر أن اليمنيين " ابتدأ من القرن الخامس عشر قاموا بزراعة أشجار البن في الاماكن التي توفرت لها أفضل حماية من المخاطر الجوية ، والتي يمكن ريها بسهولة "[١٤٥] ، وقد ذكر السيد بيير سيلفاين ، خبير منظمة الغذاء والزراعة "إن اليمن هي البلد الوحيد الذي يزرع البن على المدرجات "[١٤٦] .

لقد تمكن اليمنيون من الاستفادة من مياه الأمطار القليلة والمتذبذبة في زراعة البن ، وذلك من خلال إيجاد نظام ري معين ، مكنهم من تامين المياه في المواسم التي لا يسقط فيها المطر ، وهذا النظام اعتمد على انشأ السدود لحجز المياه ، والاحتفاظ بها إلى وقت لاحتياج لها ، كما قاموا ببناء البرك ، وهي عبارة عن أحواض مائية اصغر من السدود ، ولكنها في غاية الأهمية ، وقد ذكر نيبور أن بعض البن كان يسقى بمياه الأمطار و " بعضها يروى من بركة في أعلى المدرج ، ويمتد منها قنوات تصل إلى جميع أشجار الحقل "[١٤٧] . وقد ذكر نيبور أن البن المروي بتلك الطريقة كان " يعطي محصولين ، إلا أن المحصول الثاني ليس بجودة المحصول الأول "[١٤٨] ، وقد لاحظ الفرنسيون الذين سبقوا نيبور إلى زيارة اليمن العناية البالغة التي أولاها اليمنيون لري أشجار البن " وأقصى عناية يتبعونها في زراعتها هي تحويل الجداول من منابعها في الجبال والأراضي المرتفعة بواسطة قنوات صغيرة إلى ساق الشجرة "[١٤٩] . كما لاحظوا أن أشجار البن كانت تعطي ثلاثة محاصيل في السنة ، " ولكن الوقت لهذه المحاصيل غير منتظم "[١٥٠] .

إن الخبرات المتراكمة لدى المزارعين اليمنيين في زراعة البن قد ساعدهم على تطوير هذا المحصول النقدي ، ولم يقتصر الاهتمام بزراعة البن والاعتناء به على المزارعين العاديين ، بل إن الأئمة أنفسهم قد أولوا البن عنايتهم الخاصة نظرا لما كان يدره البن من أموال كبيرة إلى خزينة

---

[١٤٤]- د. أحمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٥٢ .

[١٤٥] – إسماعيل عبد الله محرم : واقع محصول البن في اليمن ، ص٦٦ .

[١٤٦] – نفس المرجع ، ص٦٦ .

[١٤٧] – احمد الصايدي : المادة التاريخية ، ص١٥٢ ،١٥٣ .

[١٤٨]- نفس المرجع : ص١٥٣ .

[١٤٩] – جان دي لاروك : رحله إلى بلاد العربية السعيدة ترجمة : صالح محمد علي ، ص١٦٤ .

[١٥٠] – نفس المرجع : ص١٦٦ .

الدولة . وقد ذكر المؤرخ المطهر الجرموزي في أحداث سنة (١٠٤١هـ/١٦٣١م) إن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد عندما قام ببناء حصنه المعروف على جبل ضوران واستخرج له الماء ثم غرس الغروس على أنواعها من الأعناب وغيرها في الحصن وسواه من بكيل ، وفي الأودية غرس البن ، قال الجرموزي وقد " اخبرني الفقيه الأفضل محمد بن عز الدين انه نزل تهامة وعدة البن الذي غرسه أربعون ألفا "[١٥١] . وقد زادت اعداد شجرة البن بشكل كبير في عهد الحسن بن القاسم حتى كان" يقال أن المثمر من البن عند موته نحو مائة الف غرسة"[١٥٢]. ذكر يحيى ابن الحسين في أحداث سنة (١٠٧٣هـ/١٦٦٢م)، أن الإمام المتوكل على الله إسماعيل نزل وادي النائجة ، فسكن فيه عدة أيام لكي " يقيم – أي يزرع – فيها شيئا من المال بين تلك الآكام "[١٥٣] . ووادي النائجة هو من وديان منطقة آنس ، وكما هو معروف بان هذه المنطقة من المناطق التي تجود فيها زراعة البن بشكل كبير .

إن اهتمام الأئمة بالبن قد بلغ مداه ، بحيث أنهم قاموا بزراعته في جميع الأراضي الصالحة لذلك ، وليس ذلك فحسب ، بل إنهم حاولوا زراعته في المناطق الصحراوية الحارة، املآ في نجاح زراعته هناك ، كما فعل احمد ابن الحسن عندما سار إلى الجوف ، وقام بزراعة بعض المحاصيل والفواكه ، والبن ، ولكن " البن بعد تكرير الغرس إنما كانت يثبت الشجر ولا يثبت له الثمر "[١٥٤]

مما سبق يتبين أن البن قد أصبح مركز اهتمام اليمنيين ، سواء كانوا مزارعين عاديين ، أو حكام ، الأمر الذي أدى إلى ازدهاره ، وبالتالي ازدهار الاقتصاد اليمني ، حسبما تذكره بعض المصادر التاريخية .

ب- الأضرار التي لحقت بأشجار البن من جراء الاعتداء عليها :

إن الحروب والإضطربات السياسية التي عصفت باليمن على مدى تاريخها الحديث ، لم تؤثر على الأوضاع السياسية فحسب ، بل أثرت على الأوضاع الاقتصادية أيضا ، وذلك من خلال الأضرار التي لحقت بموارد اليمن الاقتصادية ، ومن ضمن تلك الأضرار التي لحقت بالبن ، والتي أدت الحروب الطويلة إلى إهمالها ، وقطعها ، وإحراقها.

[١٥١] – المطهر الجرموزي : الجوهرة المضيئة ، تحقيق : امة الملك الثور ، ص١١٢

[١٥٢] – احمد بن صالح بن ابوالرجال : مطلع البدور ومجمع البحور ، مخطوط ، جـ٢ ، ص٥٠

[١٥٣] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ ١ ، ص٤٠٩ .

[١٥٤]– عبد الله الوزير : طبق الحلوى ، تحقيق : محمد عبدالرحيم جازم ، ص١٩٥ .

وقد لحقت بأشجار البن أضرار بالغة من جراء الاعتداءات المتكررة التي تعرضت لها من قبل بعض الناس ، ولأسباب مختلفة ، ففي سنة(١٠٠٦هـ ، /١٥٩٧م) اظهر أهل الحجرية الفساد ، والعصيان ، بزعامة شخص كان يدعي علي الشرجبي ، وقاموا بقطع الطرقات على الناس كما قاموا بأعمال السلب والنهب ، وفي أثناء سيرهم لزيارة قبر الشيخ أحمد ابن علوان في يفرس، تحولوا إلى جبل صبر ، وقهروا أهله وصالوا على زراعاتهم " وقلعوا جميع أشجار البن واحرقوها وتركوها كأنها لم تكن " [١٥٥] . وفي عام (١٠٨٧هـ/١٦٧٦م)، قام شخص اسمه ناصر الدين ، في آنس ، ادعى أنه المهدي المنتظر ، وقام بتحريم تناول قهوة البن " وقد قلعت بسببه مغارس البن المتصلة ببلده ، وأدبه شرف الإسلام الحسين ابن المتوكل بالاعتقال فلم ينجح فيه"[١٥٦].

وقد تصبح أشجار البن أحيانا ضحية للنزاع بين القبائل ، ففي عام (١١٩٢هـ/١٧٧٨م) حدثت مشاحنات بين جماعة من قبائل أرحب وبين حاكم كوكبان عبد القادر بن محمد ، وناصبوه العداء ، " فأقدموا على شجرة البن ببلاد المغرب فقطعوها على رعيته، ففكر وأرسل عليهم من يقطع أعناهم ببلادهم "[١٥٧] .

ومثال ذلك ما حدث عام (١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م) فقد ذكر الرحالة الأوروبي بوتا الذي زار اليمن أنه تعرف على الشيخ حسن بن يحيى ، الذي كان حاكما على مدينة تعز ، ولكنه كان على خلاف دائم مع إمام صنعاء ، لذلك انحاز إلى قوات محمد علي باشا . كما ذكر بوتا أن هذا الشيخ كان معه عدد كبير من الرجال يتراوح عددهم بين إلفين إلى خمسة آلاف رجل ، وأن هؤلاء الرجال " كانوا قد أحدثوا خرابا في مزارع البن التابعة لسكان تعز "[١٥٨] إن تلك الأحداث وغيرها كان لها أثر كبير في الإضرار بالبن ، كما أضرت أيضا بقدرة اليمن الاقتصادية .

[١٥٥]- عبد الصمد الموزعي : الإحسان ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص ٨٥ .

[١٥٦]- عبد الله الوزير :طبق الحلوى ، ص٢٢٩ .

[١٥٧]- لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي ، ص٢١١ .

[١٥٨]- أحمد الصايدي : رحلة بوتا إلى جبل صبر ، مجلة الكليل ، صنعاء ، العدد الاول ، السنة الثالثة عشر ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ص١١٠ .

سابعاً : مناطق زراعة البن :

انه لمن المؤسف حقا أن المصادر اليمنية الأصلية لا تذكر شيئا ذا قيمة عن المناطق التي كان يزرع فيها البن ولا عن أصناف البن ، وباستثناء بعض الإشارات العابرة لا يوجد شيئا مهما .

وما سوف اذكره عن مناطق زراعة البن ، ما هي إلا صورة تقريبية ، مستقاة من المعلومات المتناثرة ، الموجودة في المصادر التي بين يدي ، هذا مع وجوب إدراك أن المناطق التي كان يزرع فيها البن في فترة ازدهاره قد تقلصت إلى أدنى حد لها في الوقت الحاضر .

ولا يعرف بالتحديد متى ، ولا أين بدأت زراعة أول شجرة بن في اليمن ، ولكن من البديهي أن زراعة هذه الشجرة قد بدأت في المناطق الملائمة بيئيا ، ومناخياً لزراعته . وبعد أن شاع شراب البن وانتشر استعماله ، ازداد الطلب عليه لذلك توجب على اليمنيين التوسع في زراعته ، وقد وصل البن إلى ذروة ازدهاره في بداية القرن الثامن عشر الميلادي ، فكان اليمنيون " يحرصون على مضاعفة مزارعهم بما يتناسب مع الطلب عليها وزيادة أرباحهم من ذلك حتى أنه في هذا الوقت توجد أعداد هائلة من أشجار البن في العديد من الجبال وأماكن أخرى في اليمن ، والتي لم يكن قد وجد فيها أي منها من قبل "[١٥٩] .

إن حرص اليمنيون على زراعة البن والاهتمام به قد دفعهم إلى زراعته في جميع النطاقات الزراعية الملائمة ، ومع إن لمصادر لم تعط معلومات كافية حول هذه النطاقات ، إلا أن نيبور الذي زار اليمن ١٧٦٣م قد ذكر " أن البن كان يزرع بصورة خاصة في الجهات الغربية من المرتفعات الجبلية الممتدة في وسط اليمن ، من الشمال إلى الجنوب ، وأن زراعته تكثر أيضا في بلاد حاشد وبكيل وقعطبة ويافع ، ولكن أفضله كان في مناطق العدين وكسمة والجبي ، ومن هذه المناطق كان يأتي معظم البن وأجوده وأن بن العدين أجود أنواع البن "[١٦٠] .

بالتأكيد أن تلك المناطق التي ذكرها نيبور لم تكن كل المناطق التي زرعت بالبن ، بالنظر إلى شهرة اليمن بزراعته ، وكذلك الطلب العالمي المتنامي له ، وبالتالي فمن المرجح أن تكون جميع الأراضي اليمنية الصالحة لزراعته قد اكتمل زراعتها به وليس هذا فحسب ، بل إنهم قد جربوا زراعته في الجوف على يد أحمد بن الحسن ، كما ذكرت سابقا .

---

[١٥٩] – جان دي لاروك : رحله إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص ١٦٩ .

[١٦٠] – د. أحمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور في اليمن، ص١٥٢ .

إن حب اليمنيون للبن جعلهم يزرعونه حتى في حدائق المنازل ، وقــد لاحــظ الطبيــب الفرنسي الذي زار الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن في المواهب ١٧١٢م حب ذلك الإمام للبن، لذلك قام بزراعة البن في بساتينه بالقرب من حصنه في المواهب ، كما ذكر ذلك الطبيب أن الإمام كان " يبتهج ابتهاجا عظيما برؤية تلك الأنواع من الشجر تنمو ، وقد غرسها بيده لمــنح ثمارهــا حســبما يــراه مناســبا ، وباختصــار فانــه لا يعــرف مــا هــو أفضــل مــن البن "[١٦١] .

ثامناً : أصناف البن :

إن المصادر اليمنية المبكرة التي أوردت بعض المعلومات عن البن ، والتي تسنى لي الحصول عليها ، لا تذكر أي نوع من التصانيف للبن ، ولكن على ما يبدو أن اليمنيين قــد اســتطاعوا التمييز بين البن الجيد والبن الرديء .

أما التصنيفات الحديثة للبن ، فلم تتم إلا بعد أبحاث ودراسات أجريت على البن من نواحي عديدة ، من حيث نوعيته ، وجودته ، ومناطق زراعته ، وحتى شكله ، ونكهته ، ولونه ، وهــي دراسات متأخرة على الفترة الخاصة بالبحث .

إن الرحالة ، والتجار الذين تعاملوا مع البن ، ابتداء من القرن السابع عشر قد أعطوا البن بعض التصنيفات الخاصة بهم ، فنجد نيبور يذكر تصنيفاً للبن من حيث منطقة زراعته فمثلا بــن العدين ، نسبة إلى مناطق زراعته في العدين ، وقد اعتبره نيبور " أجود أنواع البن في اليمن "[١٦٢] . إن هذا النــوع مــن التصــنيف مــا يــزال قائمــا حــتى اليــوم ، حيــث نجــد الــبن المطري ، والبن الحيمي ، والبن الحرازي ، والبن اليافعي ، وغيرها ، نسبة إلى المناطق التي زرعــت فيها . أما الفرنسيون الذين جاءوا في العقد الأول من القرن الثامن عشر فقد أعطوا تصنيفا آخرا للبن ، وهو تصنيف قائم على أساس الأسواق التي يشترى منها البن ، وحيث كان يتم فيها وضع الجمارك عليه ، فقد ذكروا انه كان يمكنهم " في عدن الحصول على بن جحانة ، وصنعاء ولكن لا يحظى أياً منهما بالتقدير الذي يحظى به بن بيت الفقيه "[١٦٣]. وهذا التصنيف القــائم علــى أساس الأسواق التي يباع ويشترى منها البن ، قد وجد في الوثائق المصرية المسجلة في أرشــيف

---

[١٦١] – جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، تحقيق : صالح محمد علي ، ص١٣٩ .

[١٦٢]– د أحمد قائد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٥٢ .

[١٦٣] – جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص٧٦ .

محكمة القسمة العسكرية ، حيث وجدت وثائق نسبت البن إلى السوق الذي اشُتري منه ، مثـل البن ألفقيهي نسبة إلى سوق بيت ألفقيه، والبن الصلبي نسبة إلى سوق الصـلبة ، الواقـع علـى الساحل الشمالي لمحافظة حجة .

ووجد نوع ثالث من التصنيف ، وهو على أساس اللون ، فقد ذكر المؤرخ ألنعمـي ، في حولياته التهاميه بأنه قدمت مجموعة من التجار الفرنسيين في عام (١٢٥٧هـ/١٨٤١م) وطلبوا من الشريف حمود بن علي أن يزودهم " بالبن الأحمر والبن الأخضر "[١٦٤] .

إلى جانب تلك التصنيفات وجدت أنواع أخرى ، وهي قائمة على أساس درجـة نظافـة المحصول ، ودرجة نقاؤه .

تاسعاً : أثر استخدام البن والقهوة على الحياة الفكرية العالمية :

رافق ظهور البن والقهوة ، ظهور حركة فكرية وأدبية كبيرة ، ازدهرت علـى المسـتويين العربي والعالمي ، في كافة فروع الأدب والفكر ، فقد ازدهر الشعر والقصة والموسيقى وغيرها .

ولما كان الشعر هو ديوان العرب ، كانت القهوة حاضرة في أشعارهم ، ولم يقتصر تمجيد الشعراء للقهوة على منطقة دون غيرها ، فحب الشعراء للقهوة قد أثار قرائحهم ، فانبروا يتغنون ويتغزلون بها ، سواء من اليمنيين ، أو من غيرهم .

مع بداية اكتشاف البن وشراب القهوة من قِبل الصوفيين ، ظهرت العديد مـن القصـائد الصوفية التي مجدت القهوة ، واعتبرتها خمرهم الذي لا غنى لهم عنها ، فهي الشراب السـحري الذي يساعدهم على السهر من أجل أداء شعائرهم الدينية . وقد أبدع الصوفيون الكـثير مـن القصائد التي تغزلوا فيها بالقهوة ، ومن تلك القصائد ، قصيدة نسبت إلى الشيخ الصوفي علي بن عمر الشاذلي ، وهو الذي تُسب إليه بداية استعمال القهوة في اليمن ، تغنى فيها بحروف كلمـة القهوة، وشرح أسباب استعماله لها[١٦٥] :

---

(١٦٤) – احمد النعمي : حوليات النعمي التهامية ،تحقيق : د. حسين العمري ، ص ١٦٤ .

(١٦٥) – عمر بن سقاف بن محمد بن عمر السقاف : تفريح القلوب و تفريج الكروب ، تحقيق : حسين محمـد مخلوف، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م ، ص٨٧

قهـــوة الــــبن يــــا أهـــــل الغــــرام	ســـــاعدتني علـــــى طــــرد المنـــــام
وأعـــــانتني بعـــــون الله علــــــى	طاعــــــة الله والنــــــاس نيـــــام
قافهـــــا القـــــوة والهـــــاء الهـــدى	واوهـــــا الــــود والهـــــاء الهيـــام
لا تلومــــوني علــــى شــــربي لهـــــا	أنهـــا شــــراب ســـادات الكـــرام

لم يفتأ الصوفيون يتغنون بالقهوة ، في كثير من أشعارهم ، واصفين كل شيئا فيها ، ومتغنيين بكل ما فيها ، ومنتقدين كل من يعاديها . كانت نتيجة ذلك ظهور عدد كبير من القصائد .

إن الانقسام الذي أحدثه ظهور البن وشراب القهوة في اليمن بين العلماء ، وغيرهم مـــن عامة الناس ، قد أدى إلى بروز حركة شعرية حماسية مع أو ضد القهوة . فكل فريق حاول الدفاع عن وجهة نظره في القهوة شعراً ، كما قام كل فريق بانتقاد وجهة نظر الفريق الأخر ، فكانـــت النتيجة وجود عدد كبير من القصائد ، والمقطوعات الشعرية التي ساهمت في انتشار القهـــوة في كل مكان .

فعندما أفتى الشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطي بتحـــريم القهـــوة ، رد عليـــه أحـــد الشـــعراء معارضا[١٦٦].

إن قومــــــــــا تعــــــــــــدوا	والـــــــبلاء منـــــــــهم تـــــــأتى
حرمــــــوا القهــــــوة عمـــــــدا	ورووا إفكـــــــــــاً وبهتـــــــــــاً
إن ســــــألت الـــــــنص قـــــالوا	أن ابـــــن عبـــــد الحــــق أفـــتى
يـــــا أولي الفضـــــل اشـــــربوها	واتركــــوا مــــا قــــال بهتـــــا
ودع العـــــــــذال فيهـــــــــا	يضـــــــربون المـــــاء حـــــتى

إن حركة المعارضة لشرب القهوة قد شكلت مادة غنية للشعراء ، لذلك ظهرت العديـــد من المناظرات الشعرية ، والتي لم تقتصر على الشعراء ، بل شملت رجال الدين ، الذين كانت ترد إليهم بعض الأسئلة يريد أصحابها الفتوى حول مشروعية القهوة شعراً ، ومثال ذلك ، إن الشيخ علي بن محمد بن علي بن عراق سئل عن القهوة بهذه الأبيات :

---

[١٦٦]– عبد القادر الجزيري : عمدة الصفوة في حل القهوة تحقيق : عبد الله الحبشي ، ص ٥٤ .

أيها السامي لكلتا الذروتين ... بجوار المصطفى والمروتين
والعالي القدر علما وكذا ... ذا علا فوق زين النيرين
من له في الزهد باع ويدا ... وهو في بذل الندى رحب اليدين
افتني في قهوة قد ظلمت ... حيثما شئت تعاطيها بشين
من تله هالنا مهيعة ... وافتراق للأقاويل ومين
ومراعاة أمور شاهدها ... في ألحان كلتا المقلتين
وحكى شرابها أهل الطلا ... فالتدني بين الفرد ني
وادعوا ذا الطرس ما يرجو الغني ... أو دعوا فاليأس إحدى الراحتين

فأجابه رحمه الله[167] :

أيها السامي سموا الفرقدين ... وإمام العلم مفتي الفرقتين
يا رضي الدين يا بحر الندى ... من رجاكم راح مملوء اليدين
جاءني منكم نظام قد حكى ... في نصوع اللفظ مسبوك اللجين
قلت فيه إن ذا القهوة قد ... خلطوه بتلة ويمين
وبمطعوم حرام وغنى ... وبرقص وبصفق الراحتين
وطلبت الحكم فيها بعدما ... قد رايتهم ما ذكرتم رأي عين
فعلى ذي الأمر إنكار الذي ... شابها حتى يصفى دون رين
فإذا لم يستطعه دون أن ... يمنع الأصل ففعل منه زين
والتداني من حماها وهي في ... وصفها المذكور شين أي شين
والصفاء في شربها مع فئة ... اخلطوها التقوى وشدوا المئزرين
ثم ناجوا ربهم جنح الدجى ... بخشوع ودموع المقلتين
فابتداء الأمر فيها هكذا ... قد حكوه عن ولي دون مين
ذا جوابي واعتقادي انه ... في اعتدال كاعتدال الكفتين

لم يقتصر استخدام العلماء للشعر من أجل الرد على الفتاوى ، بل استخدموا الشعر أيضاً من أجل مشاركة بعضهم البعض في التأكيد على وجهة نظرهم حول القهوة ، فلما وقف الشيخ أبو الفتح المالكي على قول الشيخ علي بن عراق ، السابق ذكره ، في القهوة[168] :

---

(١٦٧) – محي الدين بن عبد القادر بن شيخ العيدروس : النور السافر ، ص ١٧٥، ١٧٦ .

هـــــذه القهـــــوة هـــــذه ليســـــت النــــهي عنـــــها
كيــــف تــــدعى بحــــرام وأنـــا اشـــرب منـــــها

فرد عليه قائلاً[169] :

أقول لقوم حرموا قهوة الــبن حرمــوا مقالـــة معلـــوم المقـــام فقيـــه
فلوا وصــفت شــرعا بــأدنى كراهــة لمـــا شـــربت في مجلســـانا فيـــه

لقد أجاد اليمنيون في التغزل بالقهوة شعرا ، إلى درجة وصفهم أدق التفاصيل عنها ، فقد نظم عمر بن عبد الله بامخرمة (ت٩٥٣هـ/١٥٤٥م) قصيدة طويلة جدا ذكر فيها شروط إعداد القهوة ، وآداب شربها ، وسأكتفي هنا بإيراد جزءاً منها[170]:

لقهـــوة الـــبن يـــا نـــدمانها ابتكـــرا وكن بها يـــا فـــتى حبـــا بغـــير مـــراء
وحـــين يـــدعوك داعيهـــا فكـــن عجلا ملبيـــا تابعـــا في ذلـــك الاثـــرا
وخـــذ شـــروطا وآدابـــا لهـــا واضـــع سمعـــا إلى قـــول منطيـــق لهـــا اختـــبرا
فأول الأمـــر بســـمل ثم صـــل علـــى محمد خير ســـادات الـــورى الكـــبرى
وبعـــد ذاك خـــذا العزيـــز وكـــل منـــه الـــذي شـــئته للطـــبخ واعتـــبرا
وقـــدر المـــاء لكـــل تجزئـــة ولا تـــدعهم يقولـــوا زاد أو قصـــرا
القشـــر ســـدس ومـــاء خمـــس وإذا شئت الزيادة زد سهما وكـــن حـــذرا
وشـــب نـــارك أوقـــدها بـــلا لهـــب ليـــنقص المـــاء وانـــت الآن مقتـــدرا
وحين يرسب ذلك القشـــر وانتشـــرت مـــن بنـــة الـــبن عرفهـــا العطـــرا

وتمكنت القهوة من فرض نفسها على الشعراء ، لذلك فإنهم يعبرون عن ذلك شعراً. ومن أولئك الشعراء ، شاعر القاهرة إبراهيم بن المبلط ، الذي تغنى بالقهوة[171] :

يقـــول عـــذولي قهـــوة الـــبن مـــرة وشـــرب المـــاء لـــيس لهـــا مثـــل
فقلـــت علـــى مـــا عبتـــها بمـــرارة قد اخترتها فاختر لنفســـك مـــا يحلـــو

---

[168] – نفس المرجع : ص ١٧٨ .
[169] – نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة ، جـــ ٣ ، ص٢٥ .
[170] – عمر بن سقاف السقاف : تفريح القلوب و تفريج الكروب ، تحقيق : حسين محمد مخلوف ، ص٨٩
[171] – عبد الحى ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـــ٨ ، ص٤٢٤.

وقال في قصيدة أخرى رد فيها على منتقدي شاربي القهوة بقوله[١٧٢] :

يـــا عائبـــا لشـــراب قهوتنـــا الـــتي	تشفي شـــفاء النـــاس مـــن أمراضـــها
أو مـــا ترهـــا هـــي في فنجانهـــا	تحكي ســـواد العـــين وســـط بياضـــها

لم يكن الشعراء العرب وحدهم من عبر عن مشاعرهم تجاه القهوة ، ولكن عبر الشـــعراء الأوروبيين أيضا عن مدى إعجابهم بالقهوة شعرا ، فقد أثار هذا الشراب حماسة الشعراء ، فكانت النتيجة العديد من القصائد الشعرية الأوروبية ، التي مجدت القهوة ، ورفعت منزلتها في أوروبا ، ومن ذلك قصيدة غنائية من نظم فوزليه[١٧٣] :

أية لذة تعدل لذتك

حين تعدك يدا ماهرة

تكفي رائحتك لامتلاك

من لم يختبر سحرك

أيها المشروب الذي أحب

سُد وسل في كل مكان

و اطرد الكوثر نفسه

من موائد الآلهة

أعلن الحرب أبدا على عصير بنت الكرمة

وأذق الأرض

هدوء السماء لذيذ.

ولقد منح العرب واليمنيون منهم على وجه الخصوص المجتمع الأوربي القهوة وما نتج عنها من عادات وسلوكيات وطقوس اجتماعية ، بل وحتى أدوات وأسماء وغيرها، وهو نـــوع مـــن التبادل الحضاري والثقافي الناتج عن تبادل السلع ، فقد تحول البن إلى مكون أساسي في حيـــاة الأوروبيين الثقافية كما تحول إلى مكون أساسي في حياقم الاجتماعية ، كما ذكرت المستشـــرقة

---

[١٧٢] – نفس المرجع : جـ٨ ، ص٤٢٤ .

[١٧٣] – جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ترجمة : قدري قلعجي ، ص١٠٤ ، ١٠٥ .

الألمانية زيغريد هونكه : " فالقهوة التي تنعشون بها حياتكم اليومية وحب البن ، وكذلك الطاسة التي تتناولون بها القهوة المغلية ، والسكر الذي تكاد لا تخلو منه أية لائحة طعام في المطعم وعصير الليمون ... كل هذه الأشياء إنما أخذناها عن العرب ، وأخذنا معها حاجات أخرى لا تـزال تحتفظ بأسمائها العربية الأصلية في كل أنحاء العالم المتحضر "(١٧٤)

لم يكن الشعر هو الفرع الوحيد من فروع الأدب الذي ازدهر نتيجة لظهـور القهـوة ، ولكن ازدهرت أيضا القصة ، والموسيقى ، غيرها .

لقد ازدهرت القصة من خلال المقاهي ، وذلك عندما حاول أصحاب المقـاهي اجتـذاب الرواد ، بل ومن اجل الحفاظ على زبائن المقاهي ، فقد عملوا على استحداث وظيفة جديـدة ، هي وظيفة الحكواتي ، أي الذي يحكي القصص لرواد المقاهي ، ويجتذب اهتمامهم ، مما يؤدي إلى إزالة السأم ، ويحتمل أن تكون وظيفة الحكواتي مقابل شيء من المال يـدفع لـه مـن جمهـور المستمعين، وقد ذكر نيبور أنه سمع قصة كانت تتحدث عن اصل قبيلتي حاشد وبكيل اليمنيتين ، " فحاشد وبكيل هما أبناء بار بروشام ، الفارس الذي كان يعمل في بلاط الملك والـد الأمـيرة نجيمة. وقد أحب باربروشام الأميرة نجيمة ، وعاشا قصة حب مضنية ، توجت بفرار هما من قبضة الملك ، من الأناضول إلى دمشق، منها انضما إلى قافلة متجهة إلى مكة ، ومن مكة إلى الـيمن ، حيث استقرا وأنجبا ، وتنتمي كل عشائر حاشد وبكيل إلى هذين المحبين الآسيويين الخياليين، وقد علق نيبور على هذه الحكاية بأنها لا تعدو أن تكون مجرد أحدوثة ألفها احدهم ، ليحصل من وراء روايتها ، على مبلغ زهيد من المال ، من رواد المقاهي (١٧٥) . وباربروشام والأميرة نجيمة ما همـا إلا شخصيتين أسطوريتين نسب اليهما قبيلتي حاشد وبكيل اليمنيتين .

وأياً كان السبب الذي دفع الراوي لسرد هذه القصة ، فان الأمر المهم هنا هو أن نيبور قد أشار إلى وجود قصص وحكايات كانت تلقى على مسامع الرواد ، وإن لم يذكر أين سمع تلـك الحكاية، ولا متى سمعها .

لقد لعبت المقاهي دوراً كبيراً أيضاً في انتشار الموسيقى ، فقد كانت تدق فيهـا الـدفوف والرباب وغيراهما من أدوات الموسيقى التي كانت معروفة في تلك الفترة ، وتنشد فيها الأناشـيد وتغنى الأغاني ، باعتبارها أماكن تجمعات سكانية ، ولعل وجود الموسيقى في هذه الأماكن ، كان

---

(١٧٤) – زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، نقله عن الالمانية : فاروق بيضون ، وكمال دسوقي ، بيروت ، دار الافاق الجديدة ، ص١٨

(١٧٥) – أحمد قائد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص٢٠٦ – ٢٠٧ .

مـــن أســـباب تحـــريم القهـــوة ، فعنـــدما ســـأل خـــاير بـــك المعمـــار، نـــاظر الحســـبة في مكة، عن القهوة ، قيل له "أن أمرها قد فشا بمكة وكثر وصار يباع في مكة في أماكن على هيئـــة الخمارات ، ويجتمع عليه الناس من رجال ونســـاء بـــدف وربـــاب وغـــير ذلـــك مـــن آلات الملاهي "[١٧٦] . لذلك أمر بتحريم القهوة ، وإغلاق المقاهي ، كما سبق أن ذكرت .

عاشراً : العلاقة بين البن والقات :

لقد بدأت العلاقة بين هذين النباتين منذ بداية ظهورهما في اليمن ، وإن لم تكن تلك العلاقة واضحة تماما ، فقد ظهرا في اليمن في نفس المدة الزمنية تقريباً أي في القرن التاســـع الهجـــري ، القرن الثالث عشر الميلادي ، بل إن المؤرخ اليمني يحيى بن الحسين قد ارجع بداية ظهـــور الـــبن والقات إلى نفس العام ،فقد ذكر في كتابة أنباء أبناء اليمن ، في رواية نسبها إلى الإمـــام شـــرف الدين ، وذلك بعـــد ســـرده لقصـــة تحـــريم الأخـــير للقـــات ، أنـــه قـــال عـــن القـــات " كان أول ظهوره في المائة الثامنة ، وفيها ظهرت شجرة البن واستعمل الناس منه القهوة المعروفة وانتفع الناس بذلك " [١٧٧] .

كما أن بعض المصادر التاريخية أشارت إلى أن مكتشف البن هو نفسه الـــذي اكتشـــف القات ، وهو الشيخ الصوفي علي بن عمر الشاذلي ، فقد ارجع المؤرخ عبد الرحمن بـــن محمـــد العيدروس في كتابة إيناس الصفوة بأنفاس القهوة ، اكتشاف القات إلى الشيخ علي بـــن عمـــر لشاذلي، أثناء سرده لقصة بداية ظهوره في اليمن ، وفي هذه القصة ، ذكر العيدروس أن القـــات كان موجود في الحبشة ، وأن هذا الشيخ قد نقله إلى اليمن ، وهذه القصة تشبه إلى حدا ما قصة اكتشاف البن .

إن العلاقة بين البن والقات كبيرة جداً إلى درجة أنه نسجت حولهما العديد من الأســـاطير المتشابه ، وهي بطبيعة الحال حكايات صوفية خيالية جاءت لتعزز موقف الصوفيين مـــن القهـــوة والقات ، فقد ذكر الشيخ أبو الطيب الغزي قصة طويلة في مؤلف له حول القهوة ، أن ابتـــداء ظهورهـــا كـــان في زمـــن ســـليمان عليـــه الســـلام ، وأن ســـبب ظهورهـــا أن " سليمان عليه السلام إذا أراد السير إلى مكان ركب البساط هو ومن أحب من جماعته وظلتهم

---

[١٧٦] – عبد القادر الجزيري : عمدة الصفوة ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص٦٠ .

[١٧٧] – يحيى بن الحسين : انباء ابناء الزمن ، مخطوطة بالجامع الكبير ،[ق ١٢٣ / أ].

الطير وحملتهم الريح فإذا نزل مدينة خرج إليه أهلها طاعة له وتبركاً به فنزل يوماً إلى مدينة فلـــم يخرج إليه أحد من أهلها فأرسل وزيره على الجن الدمرياط فرأى أهل المدينة يبكـــون قـــال مـــا يبكيكم قالوا نزل بنا نبي الله وملك الأرض ولم نخرج إلى لقائه قال ما منعكم من ذلك قـــالوا لأن بنا جميعاً الداء الكبير وهو داء من شأنه أن يتطير منه وتنفر منه الطباع خوف العـــدوى فرجـــع وأخبر سليمان بذلك فدعا ابن خالته اصف بن برخيا الله تعالى باسمه الأعظم أن يعلم سليمان مـــا يكون سبباً لبرئهم من ذلك فنزل جبريل على سليمان وأمره أن يأمر الجن أن تأتيه بثمر البن مـــن بلاد اليمن وأن يحرقه ويطبخه بالماء ويسقيهم ففعل ذلك فشفاهم الله تعالى جميعاً ثم تناسى أمرهـــا إلى أن ظهرت في أوائل القرن العاشر "[١٧٨] .

وقد نُسجت حول بداية ظهور القات أسطورة قريبة من هذه الأســـطورة مفادهـــا أنـــه " نشأ القات بأرض الصين وكانت شجرته تسمى شاة الصيني حتى أراد الله دخول ذي القـــرنيين أرض الحبشة فوجد فيها الوباء والجان فقال ما يزيل الوباء والجان من هذه البلدة الطيبـــة فقـــال العلماء والحكماء شجرة في أرض الصين وأتي بها فأقام بأرض الحبشة حتى اطلـــع الله الشـــجرة للنجاشي ... الخ "[١٧٩] ، إن هذه القصص على غرابتها ، فإنها تتشابه في مضـــمونها، وهـــي أن ظهورها متعلق بوجود أمراض وأوبئة ، وأن هذه الأشجار كانت سبباً في شفاء الناس من تلـــك الأوبئة ، كما أن الجن قد ذكروا في كلتا القصتين على أنهم أول من قدم القهـــوة والقـــات إلى الناس، أما الأمر الأخير في هذا الشأن، هو أن البن والقات قد نقلا من الحبشة، حسب ما جاء في تلك القصتين .

ولد ظهور البن والقات في اليمن جدل كبير بين علماء الـــدين حـــول حـــل أو حرمـــة استعمالهما، مما أدى إلى ظهور نتاج فقهي كبير متعلق بهما ، متمثلا في الفتوى ، والرسائل ، الآراء الفقهية ، وقد سبق ذكر الجدل الذي حدث بين علماء الدين حول شرب القهوة . وقد حـــدث جدل مشابه له حول القات مما أدى إلى ظهور فتاوى متعارضة.

أما من الناحية الفكرية والأدبية فقد كان هناك نتاج فكري كبير ظهر كنتيجة لظهور البن والقات . فقد ألهمت تلك النباتات الشعراء لنظم العديد من القصائد، والمقطوعات الشـــعرية ، التي تغنوا فيها بالبن والقات ، مبرزين محاسنهما ، وفوائدهما ، ومـــزينين للنـــاس اســـتعمالهما ،

---

[١٧٨] – ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ص٤٠ .

[١٧٩] – عبد الله الحبشي : ظهور القهوة في اليمن ، مجلة اليمن الجديد ، صنعاء ، العـــدد ١٢، الســـنة ١١، ص٥٤ .

والتغاضي عن مضارها . كما ظهرت العديد من النصوص النثرية التي كان البن والقات مادتها الرئيسية ، ومن ضمن تلك النصوص حوارية نثرية للقاضي أحمد بن محمد المعلمي (ت ١٢٧٨هـ/١٨٦٢م) ، تخيل فيها الأديب البن والقات شخصين ، كلاً منهما يحاول أن يمجد نفسه ، وتبرز مثالب غيره ، في حوارية بلاغية امتزج فيها الشعر بالنثر ، اسماها ترويح الأوقات في المفاضلة بين القهوة والقات . إن هذه الحوارية مثلت نتاج أدبي كان له دورة في الحياة الفكرية والأدبية في الفترة التي عاش فيها المؤلف ، الذي حاول بدورة ترك المجال لكل من البن والقات ليتحدث عن نفسه ، فقالت القهوة : السعيد من يعي ، فاصغي أيها المدعي ، ما أضنك إلا حسدت مرتعي ومربعي ، والحسد مذموم ، وصاحبة مغموم . ألم تستعذ يا هذا من شرورك ؟ وتعمل بقول الحكيم " أنه يغتم في وقت سرورك .وصدق من إليه انتهت الحكمة صلى الله علية وسلم : "المؤمن يغبط و المنافق يحسد" وربما كان الحسد منبها على فضل المحسود ، ونقص الحاسد :

وإذا أراد الله نشر فضيلة	طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت	ما كان يعرف طيب نشر العود

فما أرى لك أن تغالب قضاء الله فترجع مغلوبا ، وتعارض أمره فترد مسلوبا ، فاسلك خير المسالك ، ودعني في حالي وأنت في حالك .

فقال القات : " قول كالعسل ، وفعل كالأسل[١٨٠]" ، ونصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب ". قد النت القول لترحمي ، ولكي لا تلطمي ، ولكن لا بأس عليك ﴿وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يُصلحا بينهما صلحا والصلح خير ﴾[١٨١] ، لا ضرر فيه ولا ضير فلا تطمعي أن تتركي أو تخلصي من شركي ، أو تأمني عذابي ، حتى تغادري مجلسي وأصحابي[١٨٢] .

---

[١٨٠] – الأسل : نبات له اغصان كثيرة ودقيقة بلا ورق ، والأسل: الرماح على التشبيه بالنبات السابق ذكره في اعتداله وطوله واستوائه ودقة طرفه (لسان العرب ، جـ١ ، ص٨٠).

[١٨١] – الأية ١٢٨ من سورة النساء .

[١٨٢] – احمد بن محمد المعلمي : ترويح الاوقات في المفاضلة بين القهوة و القات ، تحقيق : أ. د سيد مصطفى سالم و احمد عبد الرحمن المعلمي ، القاهره ، مطبعة الجبلاوي ، ١٩٧٥م ، ص١٨– ١٩

اولاً : الأسواق المحلية :

بعد أن صارت القهوة شراباً شائعاً بين أوساط المجتمع اليمني ، تحول البن إلى سلعة تجارية ، وما من شك بأن هذه السلعة كانت في البداية سلعة محلية، طرحت في الأسواق للتبادل التجاري، ولكن للأسف الشديد ، فان المصادر اليمنية التي تمكنت من العثور عليها، والتي تعود إلى فترة قريبة من اكتشاف البن تكاد تخلوا من أي ذكر للبن كسلعة تجارية متداولة محليا.

وقد لاحظ نيبور (عام١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م) أن البن لم يكن ضمن السلع المعروضة في سوق صنعاء . وقد علق على ذلك بقوله : " ولعله – أي البن – لم يكن من السلع الهامة في هذا السوق فقد كان استخدامه المحلي نادراً "(١٨٣) . لقد كان نيبور محقاً في ذلك فاليمنيون كانوا وما زالوا يفضلون القهوة المستخلصة من قشور حبوب البن ، أكثر من تلك المستخلصة من لبه . و قد أشار محمد خليل أفندي الذي تولى رأسة محكمة الاستئناف الجزائية في عام (١٢٩٧هـ / ١٨٧٩ م) ثم في عام (١٣٠٥هـ / ١٨٨٧ م) إلى ذات المعنى في اللائحتين اللتين أصدرهما حول النظم الإدارية العثمانية في اليمن ، فقد ذكر: " أن المزارع يصدر كامل إنتاجه من البن ، لأنه لا يشرب القهوة ، و إنما يستخدم قشورها، ويشربها كالشاي و يقدمها إلى ضيوفه بكل فخر و اعتزاز "(١٨٤) ، ولعل هذا ما يفسر بروز القشر كسلعة محلية .

لقد كان القشر واحدة من أهم السلع المحلية ، على العكس من حبوب البن الذي كان يُستخدم على نطاق ضيق . و لقد أوردت بعض المصادر اليمنية معلومات متناثرة حول تجارة القشر، كما أوردت العديد من المصطلحات و النظم التجارية المتصلة بها .

فقد ورد في قانون صنعاء ، وهو القانون الذي أصدره الإمام المتوكل على الله القاسم ابن الحسين (ت ١١٣٩ه / ١٧٢٦م) ، وأعيد تجديد العمل به في عهد الإمام المهدي عبد الله بن المتوكل احمد ابن الإمام المنصور علي (ت ١٢٥١هـ / ١٨٥٣م) ، العديد من

---

(١٨٣) – د . احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٦٦.

(١٨٤) – د. محمود عامر : اليمن من خلال لائحتي محمد خليل أفندي ، مجلة الإكليل ، صنعاء وزارة الإعلام والثقافة ، العدد الأول ، السنة السابعة ، ١٤٠٩هـ \ ١٩٨٩م، ص ٧٨ .

القوانين التي تنظم تجارة القشر في سوق صنعاء ، في الوقت الذي لم يرد أي ذكر للـــبن في هذا القانون .

ومن ضمن القوانين التي صدرت بشأن تجارة القشر في ذلـــك القـــانون أنـــه علـــى المسافرين الذين يقابلون القافلة التي تحمل القشر عدم الاعتراض عليها أو نقلها إلى جهة من الجهات ، و السماح لها بالوصول إلى سوق القشر في صنعاء " ويصل الجلاب[١٨٥] بنفســـه إلى صنعاء و من اخذ من سوق من الأسواق الذي فيه تلقى الجلوبة[١٨٦] السالكة إلى المدينة استحق التأديب[١٨٧] والمنع [١٨٨] ، وقد أشار هذا القانون إلى التعاملات الماليـــة الخاصـــة بتجارة القشر" وللكسار[١٨٩] في القشر بقشة واحـــدة ، وصـــلحة[١٩٠] القشـــر علـــى العدلة[١٩١] من البايع بقشتين و نصف ومن المشتري بقشة و ربع"[١٩٢] . كما نظـــم هـــذا القانون أيضا عملية بيع القشر، والمشاركة في دفع أجرة حراسة السوق " وفي سوق القشر لهم من الربح ما تقدم وألبخ[١٩٣] بالماء ممنوع ، والوزن بالوازنات المطبوعات[١٩٤] ، وعليهم من الحراسة ما يعتادوه من الجرم[١٩٥] المفروق للحرس وتفريدها[١٩٦]على القاعدة في ذلك عند الشيخ [١٩٧]". و ليس ذلك فحسب ، بل لقد كان يوجد ضمن سوق صنعاء ســـوقاً و

---

[١٨٥]- الجلاب : من الفعل جَلَبَ ، والجلب سوق الشيء من موضع إلى اخر ، والجلب والأجلاب ، الـــذين يجلبون الابل و الغنم للبيع ، (لسان العرب ،جـــ١ ، ص ٦٤٧) .

[١٨٦] – الجلوبة : أي الحمولة التي تجلب إلى السوق .

[١٨٧] – التأديب : اي العقاب ، والجزاء المالي ، أو النقدي ، ويؤخذ من المذنب . وأدبه تأديبا عاقبـــه وقاصـــه (العرشي : بلوغ المرام ، ص٤٢٠)

[١٨٨]- حسين ابن احمد السياغي : قانون صنعاء ، ص٢٣ .

[١٨٩]- الكسار : وجمعها الكسارون ، وهم الذين يبيعون بالتجزئة (السياغي : المرجع السابق ، ص٢٢)

[١٩٠]- الصلحة : هي الوساطة بين البائع و المشتري . (المرجع السابق : ص١٦)

[١٩١] – العدلة : بكسر العين ، وحدة وزن محلية ، تساوي نصف حمل بعير .(المرجع السابق : ص٢١)

[١٩٢] – السياغي : نفس المرجع ، ص ٢٣ .

[١٩٣] – البخ : الرش بنفخ الماء حتى يكون كالرذاذ . (المرجع السابق : ص٢٤)

[١٩٤] – الوزانات المطبوعات : يبدوا انها الموازين المعتمدة من قبل الدولة بوضع ختم الدولة عليها .

[١٩٥] – الجرم : اي السهم الذي ينبغي على كل تاجر دفعة لحراس السوق.

[١٩٦] - أي القسط الذي يدفع لشيخ السوق.

[١٩٧] – حسين السياغي : قانون صنعاء ، ص٢٤ .

سمسرةً خاصة بالقشر . ويبدوا أن سمسرة القشر كانت تستخدم كمركز لتحصيل الجمارك المترتبة على تجارة القشر، وتوجد سمسرة القشر بالقرب من سوق القشر حسبما توضـــحه الخريطة الملحقة بهذه الدراسة [١٩٨] و هذا بالنسبة للتعامل الداخلي للقشر .

أما بالنسبة للتعامل الخارجي للقشر، فقد كان محدوداً للغايـــة ، و لم أجـــد ســـوى أشارت بسيطة عن ذلك ففي عام (١١٣٠هـ/ ١٧١٨ م) تعرض الإمام المهدي محمد بن احمد بن الحسن للحصار من قبل المتوكل القاسم بن الحسين ، وقد وصل هذا الحصار بالإمام وأولاده إلى درجة العوز، وبيع ممتلكاتهم ، وكان القشر من ضمن ما باعه أولاد الإمام ، فقد ذكر محسن أبوطالب بأنه " كان عند بعض أولادة أحمالا من القشر، فكان بيع الرطل منـــه من شخوص الصفر[١٩٩] بأرطال[٢٠٠] " .كما ورد أيضا في قائمه الأسعار الـــتي وضـــعها الهولنديون للبضائع التي في المخا عام ١٦٢٣ م بأن سعر البن مع قشره مـــن ١٥ إلى ٢٠ ريالاً للبهار، وهذا السعر أقل من سعر البن المقشور ، و المعروف عند اليمنيين بالبن الصافي .

وبالرغم من سكوت المصادر التي بين يدي عن ذكر العمليات التجارية الداخلية ، أو المحلية المتعلقة بتجارة حبوب البن ، والذي هو لب موضوع الدراسة ، إلا أنه لا يستبعد أن يكون هناك تبادلا تجاريا محدودا في هذا المجال . وهذا ما يجعل البحث في التجارة الداخليـــة للبن شاقاً و مضنياً نظرا لندرة المعلومات ، و لكن سوف أحاول بقدر ما أســـتطيع رســـم صورة ولو تقريبية لما كان يجري من عمليات تجارية داخلية ، وذلك لإعداد البن من اجـــل تصديره للخارج ، مستعينة بالمعلومات القليلة التي تمكنت من العثور عليها .

شكلت عمليات إعداد البن وتجهيزه من أجل تصديره إلى الخارج جزءاً لا يتجزأ مـــن النشاط التجاري الداخلي لليمن ، وقد مرت عمليات الإعداد تلك بالعديد مـــن المراحـــل المتنوعة ، شكلت كل مرحلة منها نشاطا تجاريا له خصوصيته .

---

[١] – انظر الخريطة رقم (٧) ، والخاصة بسوق الملح في صنعاء القديمة (قدمت هذه الخريطة ضمن فعاليات مؤتمر الحضارة الذي عقد في صنعاء من ٣٠ أغسطس حتى ١ سبتمبر ٢٠٠٤م)

[١٩٩] – الشخوص الصفر ، ربما يكونوا الصينيون

[٢٠٠] – محسن بن الحسن بن ابوطالب : السحر المبين وفتور الحاظ العين ، تحقيق : ايمان علي مانع ، ص٥٢٩.

إن عملية إعداد البن و تجهيزه للتصدير كانت تبدأ من مناطق إنتاجه ، فبعد أن يقـوم المزارع بجني المحصول بالطريقة التي سبق دراستها في الفصل الأول، كان يقوم بتجميع البـن في أماكن مناسبة ، على شكل أكوام ، استعدادا لنقلها إلى الأسواق المحلية ، حيث كان يتم بيعها .

لقد كانت تلك الأسواق هي مراكز لتجميع البن وبيعه للتجار من غير اليمنيين ، مثل العرب والأتراك والفرس والهنود ، ثم فيما بعد التجار الأوربيين والأمريكيين . ولكـن لا يستبعد وجود تبادل محلي محدود ضمنها.

وقد وجد في اليمن العديد من الأسواق المحلية ، و تنقسم هذه الأسـواق إلى عـدة أنواع مختلفة ، حيث وجدت أسواق دائمـة، تسـتمر علـى مـدى أيـام الأسـبوع ، وأسواق أسبوعية، تعقد في أيام معينه من الأسبوع ، و غالبا ما كانت تسمى تلك الأسواق بأسماء الأيام التي كانت تعقد فيها ، مثل سوق الجمعة أو سوق السبت وغيرها ،كما وجـد في اليمن أسواق عامة، تحتوي على سلع متنوعة، و أسواق خاصة بسلع معينة ، كالبن مثلا.

لقد تخصصت بعض الأسواق بعمليات التبادل التجاري المتصل بالبن ، ومـن تلـك الأسواق سوق بيت الفقيه ، وسوق الصّلبة ، وسوق الحدية ، وسوق علوجة ، كما وجد البن في الأسواق العامة ، خاصة الأسواق التي كانت تعقد في الموانئ ، مثل موانئ المخـا ، وعدن ، والحديدة ، واللحية ، وغيرها ، والى جانب ذلك وجد البن في بعـض الأسـواق الثانوية ، حيث كان يتم تبادل البن فيها على نطاق ضيق ، وذلك لأن الاسـتهلاك المحلـي كان محدود . ومن أشهر تلك الأسواق :

أ – سوق مدينة بيت الفقيه :

كان هذا السوق يعقد في مدينة بيت الفقيه ، الواقعة جنوب شرق الحديدة ، و قـد نسب تأسيسها إلى الفقيه الشهير احمد بن موسى بن علي بن عمر بـن عجيـل المتـوفى (٦٩٠هـ/١٢٩١م) [٢٠١]. وهي مدينة غير مسورة تقع على سهل رملي فسـيح " تنتشـر مبانيها على رقعة واسعة من الأرض . و معظم بيوتها عبارة عن أكواخ ، مبنيـة بالطريقـة

[٢٠١] – ابراهيم المقحفي : معجم البلدان والقبائل اليمنية ، جـ ٢ ، ص ١٢٢١ .

التهامية المعتادة "[٢٠٢] ، وكان يوجد فيها العديد من البيوت الكبيرة التي بنيت أجزأ منها بالقصب والأجزأ الأخرى بالطين وسقفت باخشاب النخيل . ولكن معظم سكانها كانوا يعيشون " في أكواخ من القش بنيت دون نظام في شوارع ضيقه مليئة بالتراب"[٢٠٣] .

وتعد مدينة بيت الفقيه أهم مركز تجاري للبن ، ليس في اليمن فحسب ، " بل في العالم كله "[٢٠٤] ، واليها ينسب البن الفقيهي ، أي البن المشتري من سوق بيت الفقيه . وقد اكتسبت هذه المدينة أهميتها التجارية من موقعها الاستراتيجي الممتاز ، والواقع في منتصف الطريق تقريبا ، بين المناطق المنتجة للبن و المناطق المصدرة له ، " فهي لا تبعد عن مناطق البن الجبلية بأكثر من مسافة يوم و نصف ، و عن ميناء الحديدة بمسافة أربعة أيام ، وعن ميناء المخا بمسافة أربعة أيام ونصف اليوم ، وعن مدينة صنعاء بمسافة ستة أيام "[٢٠٥] .

وقد أصبحت هذه المدينة محط أنظار التجار الذين جاءوا إلى اليمن طلبا للبن حيث كان " يصل هذه المدينة لشراء البن تجاراً من الحجاز ومصر وسوريا وتركيا ومراكش ، وحتى من إيران والهند "[٢٠٦] . وكان بعض أولئك التجار يقيمون في بيت الفقيه بصورة دائمة، طوال موسم بيع البن ، وذلك حتى يتمكنوا من الحصول على الكميات التي كانوا يرغبون في شرائها من هناك ، كما قامت بعض الشركات بإرسال مندوبين عنها إلى بيت الفقيه ، مثل السيد دي شامبلوريه الذي جاء مع التجار الفرنسيين عام (١١٢٥هـ/١٧١٣م)" فقد أقام هناك بصورة رئيسية " [٢٠٧] .

وقد لعب الهنود البانيان دورا بارزا في تجارة البن في مدينة بيت الفقيه ، حيث مثلوا الوسطاء بين مزارعي البن ، والتجار المحليين من ناحية، و بين التجار الأجانب من ناحية ثانية. وفي أثناء الرحلة التي قام بها مجموعة من الضباط البريطانيين بقيادة الضابط

---

[٢٠٢] – د. احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ص ٢٢١.

[٢٠٣] – توركيل هانسن : من كوبنهاجن إلى صنعاء ، ترجمة : محمد احمد الرعدي ،ص٢٣٣ .

[٢٠٤] – د. احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص٢٢١.

[٢٠٥] – نفس المرجع ، ص ٢٢١.

[٢٠٦] – توركيل هانسن : من كوبنهاجن إلى صنعاء ، ترجمة : محمد احمد الرعدي ، ص٢٣٣ .

[٢٠٧] – جان دي لا روك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص٩٥.

G.J.Cruttenden ، والـــذين قـــدموا مـــن عـــدن إلى الإمـــام في صـــنعاء عـــام (١١٤٩هـ/١٨٣٦م) في محاولة لإقناعه بتحويل التجارة من المخا إلى عدن ، مروا علـــى مدينة بيت الفقيه ، ووجدوا أن " الهنود البانيان كانوا هم التجار الرئيسيين في المكان ، وأن عددهم كان كبيرا ، ولكن كان يجب عليهم دفع ضرائب باهظة للحاكم "[٢٠٨] . وقد ذكر الضابط البريطاني السالف الذكر ، أن احد البانيان اشتكى له ، وهو يبكي ،لأنه لا يمكنـــهم تكوين ثروات بسبب ارتفاع الضرائب المفروضة على قوافل البن " فقد فرضت ضـــرائب كبيرة على كل قافلة من قوافل البن القادمة من صنعاء في طريقها إلى الحديدة والمخا "[٢٠٩] ، وأعرب ذلك البانياني عن اعتقاده بأن قوافل البن ربما تغير طريقها إلى ميناء عدن خاصـــة أن عدن الآن " تحت العلم البريطاني " [٢١٠] . و ذلك حتى يتحاشى الإمام وقوع قوافـــل البن في أيدي حاكم أبي عريش الشريف حسين بن على بن حيدر الذي أصبح يسيطر علـــى منطقة تهامة ، بما في ذلك بيت الفقيه و ميناء المخا .

ولقد كان سوق البن في بيت الفقيه يُعقد في مواسم محددة ، و بإجراءات معينه ، وقد أعطى لنا التجار الفرنسيون الذين وصلوا إلى اليمن عام (١١٢١هـ /١٧٠٩م) وصـــفا دقيقا لذلك السوق، فقد ذكروا انه كان يوجد في هذه المدينة سوق واسعة للـــبن ، تحتـــل قاعتين عظيمتين ولها أروقة مقنطرة مسقوفة . ويأتي تجار البن اليمنيون بـــالبن مـــن منـــاطق زراعته إلى السوق في جوالات من الحصير على الجمال ، ويحمل الجمل اثنين منـــها [٢١١] . وكان على التجار الأجانب الراغبين في شراء البن اصطحاب بعض البانيان[٢١٢] ، الـــذين كانوا يعملون سماسرة في أسواق البن ، وذلك لمساعدتهم في شرائه . وكان السوق يعقـــد كل يوم عدا يوم الجمعة [٢١٣]. وفي وسط سوق بيت الفقيه كان " يرتفع ديوان أو أريكـــة

---

(٢٠٨) Doreen Ingrams and Leila Ingrams : Records of Yemen ,VOL.1, P.800

(٢٠٩) - Ibid : P. 800

(٢١٠) - Ibid : P. 800.

(٢١١) – جان دي لاروك : رحلة الى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص٧٧.

(٢١٢) البانيان : هم التجار الهنود الذين عملوا في الأنشطة الاقتصادية المختلفة في اليمن و غيرها من البلدان

(٢١٣) – جان دي لاروك : رحلة الى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص٧٨.

عن الأرض مغطاة بالسجاد حيث يجلس مسئولوا الجمارك ، وفي بعض الأحيــان الحــاكم شخصيا. و ينتبه هؤلاء المسئولون لوزن البن و سعره الذي يباع بحضورهم ، وذلــك مــن اجل دفع مكوس الملك _ أي الإمام –، و يستخدم الوزانون موازين كــبيرة ، وأوزانهــم حجارة كبيرة ملفوفة عليها القماش "[٢١٤] . بعد إتمام عملية البيع كان على البائع دفع مبلغ معين من المال على سبيل الضرائب أو المكوس .

مثلت مدينة بيت الفقيه واحدة من أهم المدن التي كانت تدر أموالا طائلة على خزينة الأئمة في اليمن ، لذلك كانوا يحرصون على تعيين من يثقون في ولائهم ليكونوا حكاماً على تلك المدينة ، وغالباً ما كان أولئك الحكام من الموالي ، وأحيانا من الناس المقربين إلى الإمام المتولي للسلطة في صنعاء ، وكانوا أيضا من الناس الذين لا يشك الأئمة في ولائهم ، حتى لو لم يكن من اليمنيين فعلى سبيل المثال ، ورد إلى اليمن في عهد الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، صاحب المواهب رجل مصري كان يُدعى زين العابدين المنوفي ،وقد ولاه بيت الفقيه عدة مرات، كما ولاه على ريمه " فجمع من ريمه و بيت الفقيه مالا كثيراً "[٢١٥] .

لقد كان الأئمة يفضلون تعيين بعض مواليهم لتولي الحكم أو العمالة في المناطق الهامة من البلاد ، وقد عزى الدكتور حسين ألعمري أن السبب في تعيين أولئك الموالي في المناصب العسكرية وبعض المناصب الإدارية الهامة هو " الولاء و الطاعة المؤكــدة لســادتهم مــن ناحية، وسهولة عزلهم و مصادرة أملاكهم في أي وقت ، وبخاصة انه ليس لهم جذور قبليــة يستندون إليها ، أو دعاوى سياسية يمكنهم بها الإتكاء عليها "[٢١٦] . ولعل من اشهر من تولى الحكم من الأمراء العبيد في بيت الفقية الأمير فتح سعيد المجزبي، فقــد عينــه الإمــام المنصور علي بن المهدي عباس حاكما عليها منذ عام (١٢١١هــــ/١٧٩٦ م) . وقــد استمر في منصبه هذا مدة طويلة. ولكنها كانت متقطعة، فقد كان الإمام المنصور يعين بدلا عنه أحد أفراد آل العلفي الأموي في بعض الفترات ، ولكنه لا يلبث أن يعيد الأمير فــتح حاكما على المدينة .

---

[٢١٤] – جان دي لاروك ، رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد على ، ص٧٧.

[٢١٥] – زبارة : نشر العرف ، جــ ١ ، ص ٧٢١.

[٢١٦] – د . حسين العمري : الأمراء العبيد ، بيروت ، تاريخ الفكر المعاصر ، (١٤٠٩هــــ/ ١٩٨٩م)، ص ٥٨.

لقد كانت المدينة سوقا تجاريةً كبيرة للبن ، و يوجد فيها أموال كـثيرة ناتجـة عـن الضرائب المفروضة عليه ، لذا حرصت العديد من القوى المحلية المتنافسة علـى الحكـم على الاستيلاء عليها ، خاصة بعد الاضطربات التي حدثت أثر ظهور الحركة الوهابيـة في تهامة ، و وصول قوات محمد علي باشا إلى المنطقة بأمر من الباب العالي للقضاء على هـذه الحركة ، فكانت النتيجة ظهور العديد من المنافسين الأقويا للأئمة في تهامة أمثال ، الشريف حمود بن محمد آل خيرات ، والشريف علي بن حيدر و ابنه الشريف حسين بن علي بـن حيدر . ليس ذلك فحسب ، فقد كانت المدينة تتعرض للهجوم و النـهب مـن بعـض القبائل ، وخاصة قبيلة يام القوية التي هاجمت المدينة (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) ، وقد نهب رجال هذه القبيلة الطريق حتى وصلوا إلى بيت الفقية " ودخلوها ، و احرقوا أعشاشها ، و انتهبوا من أطرافها "[٢١٧] . وقد ادى الهجوم المتكرر على بيت الفقية إلى دمارها وسرعة انهيارها الاقتصادي في القرن التاسع عشر .

ب – سوق الصلبة :

يقع هذا السوق في منطقة الصلبة التي تطل على وادي لاعة الغني بالبن ، و " الواقع في جنوب مدينة حجة " [٢١٨] ، و هو قريب من البحر ، لذلك يسمى بندر الصلبة ، و قد ذكر جحاف في تاريخه أن الناس كانوا " يسمونها فرضة الروم و كان فيها مـن الأمانـات للتجار الأتراك و غيرهم ما لا يحصيه إلا الله "[٢١٩] .

وتكمن أهمية سوق الصلبة في تجارة البن كونه قريب من المناطق التي تجود فيها زراعة البن في منطقة حجة ، و المناطق المجاورة لها ، لذلك فهو السوق الذي يتجمع فيه البن الوارد من المناطق الشمالية . ويرتبط هذا السوق المهم مع ميناء اللحية "[٢٢٠]، و جيـزان، وهمـا ميناءين كان يصل إليهما العديد من التجار القادمين من الموانئ الشمالية للبحر الأحمر، مثل ميناء جدة و ميناء السويس ، و ميناء القصير، و غيرها .

---

[٢١٧] لطف الله جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير ،[ق١٠/ أ].

[٢١٨] ابراهيم المقحفي : معجم البلدان و القبائل اليمنية، جـ ١، ص٩١٥

[٢١٩] لطف الله جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير ،[ق١٠ / أ].

[٢٢٠] – Kristof Glamann: Dutch – Asistic Trade, P. 191.

وكان البن المصدر من ميناء الصلبة يسمى البن الصلبي ، نسبة إليه . وقد وجد هـذا النوع من البن في الوثائق المصرية الموجودة في سجلات القسمة العسكرية المصرية ، حيث ورد في تلك الوثائق ذكر البن الصلبي بكثرة ، خاصة عند حصر تركات تجار البن الذين ماتوا ، مخلفين ورائهم كميات كبيرة منه ، والتي كانت تأوول كجزء من ممتلكاتهم إلى الورثة من بعدهم ، فعلى سبيل المثال ورثت فاطمة خاتون بنت الشيخ نور الدين الشوبكي من زوجها التاجر المصري الحاج منصور بن محمد الشهير بالسابح ، و المتوفى في الحجاز حوالي أربعة عشرة فردة من البن الصلبي ، أي الوارد الصلبة، و قد باع لها تلك الكمية من البن الصلبي احد التجار المصريين ، وهو الحاج إبراهيم الشهير بابربير[٢٢١]، كما ظهر البن الصلبي أيضا ضمن مخلف التاجر حسن بن عبد الله معتوق لزوجته صفية بنت مصطفى الدقع[٢٢٢].

وكان يعمل في سوق الصلبة عدد كبير من التجار البانيان الذين عملوا كسماسرة وخاصة لتجارة البن . وقد ذكر لطف الله جحاف بان البانيان تعرضوا في عام (١١١١هـ/١٦٩٩م) لمحنة كبيرة بسبب فتنة الساحر المحطوري ، فقد هجم أتباعه على الصلبة ، مما أدى إلى وقوع معركة انتهت بمقتل عاملها الفقيه عبدالله بن حسن حنش . أعقب ذلك قيام أتباع المحطوري بنهب الصلبة، وكان فيها أمولاً كثيرة " وقتلوا بها من البانيان خمسة وسبعين "[٢٢٣]. وهذا العدد كبير ومبالغ فيه ، حتى ان لطف الله جحاف نفسه قد ذكر في كتابه درر نحور الحور العين أن عدد البانيان الذين قتلوا في الصلبة كان عددهم ثلاثة فقط ، وربما يكون السبب في هذا التناقض هو أن لطف الله جحاف قد نقل هذه الروايات عن طريق سماعها من رواة مختلفين ، أي انه سمع هذه الحادثة من أكثر من شخص ونقلها دون أن يمحصها ويتأكد من صحتها .

---

[٢٢١] – ارشيف محكمة القسمة العسكرية ، القاهرة ، سجل ١٢٦ ، مادة ٩٧٨ ، ص ٥٥٦ – ٥٥٧ ، .

[٢٢٢] – ارشيف محكمة القسمة العسكرية ، القاهرة ، سجل ١٢٦ ، مادة ٩٣٠ ، ص ٦١٥ – ٦١٩ .

[٢٢٣] – لطف الله جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير ،[ق ١٠ / أ].

جـ – سوق الحدية :

يقع هذا السوق في قرية الحدية التي توجد في جنوب غرب كسمة، وهي " بلـدة في جبل ريمة "[224] ، وقد كانت " تعتبر سوقا هاما للبن ، إذ يُجلب إليهـا ويعبـأ وتـدفع الضرائب عليه، في القرية نفسها ، ثم ينقل إلى بيت الفقيه ، أو إلى الحديدة مباشرة "[225] ، وقد ذكر نيبور " إن هذه القرية تكاد تكون معروفة لجميع التجار الأجانب ، الذين يـأتون إلى بيت الفقيه "[226] .

د– سوق عُلُوَجة :

يوجد هذا السوق في منطقة وادي عُلُوَجة بضم العين و اللام ، ثم فتح الواو " واد ينزل من بني سعد في الجعفرية من بلاد ريمة "[227] ، وهو من الوديان الخصـبة ، والغنيـة بزراعة البن . و لا توجد معلومات كافية حول هذا السوق ، باستثناء ما ذكره نيبور، فقـد ذكر أن هذا السوق يقع في منطقة كسمة " وهي سوق هامة للبن ، ومنها ينقل مباشـرة إلى الحديدة "[228] . وكغيره من الأسواق السالفة الذكر يتمتع هذا السوق بموقع متوسط بـين مناطق الإنتاج وموانئ التصدير . مثل غيره من الأسواق .

وتعد الموانئ المختلفة أسواقا كبيرة للبن ، و البن الموجود في تلك الموانئ كان يُجهـز من اجل التصدير إلى الخارج ، وليس بغرض الاستهلاك المحلي وسوف يتم دراسة المـوانئ بشكل مفصل لاحقا .

ولا شك انه يوجد أسواق داخلية أخرى لتجميع البن ، و بيعة للتجار الأجانب ، إلا أن المصادر التي تمكنت من العثور عليها لا تذكر شيئا عنها ، و لكن لا يستبعد أن يباع البن

---

[224]– ابراهيم المقحفي : معجم البلدان و القبائل اليمنية ، جـ ١ ، ص٤٣٨.

[225] – احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٦٦

[226] – نفس المرجع : ص ١٦٦.

[227] – ابراهيم المقحفي : معجم البلدان و القبائل اليمنية ، جـ ٢ ، ص ١١٠٩ .

[228] – د. احمد الصايدى : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٦٦ .

في معظم الأسواق المحلية ، خاصة الأسواق التي يباع فيها القشر ، مثل سوق صنعاء ، و ربما يكون تجاهل ذكر البن ناجم عن أن البن كان سلعة محلية ثانوية في تلك الأسواق .

ثانياً : موانئ تصدير البن :

أ- : ميناء المخا :

يعد ميناء المخا أهم موانئ تصدير البن في اليمن ، واليه نُسب أجود أنــواع الــبن في العالم ، فقد كان يطلق عليه اسم موكا كافيه (**Mucha coffee**) ، أي بن المخا .

وقد وجد هذا الميناء منذ زمن بعيد ، فقــد عُــرف بــــ" مخــن او مخــان بلغــة المسند "[٢٢٩] . وقد ذكر صاحب كتاب الطواف حول البحر الإرتيري أنه وجد " مينــاء المخا مزدحما بالمراكب وأصحاب السفن والملاحين والعرب والناس في شغل شاغل بشــؤون التجارة . وهي مدينة من الأسواق أقيمت على أساس من القانون "[٢٣٠] .

ويبدو أن أهمية ميناء المخا قد ضعفت في العصور الوسطى ، مقابل ازدهار ميناء عدن، الذي كان يفضله تجار التوابل القادمين من الهند ، وبذلك تحول ميناء عدن إلى محطة تجاريــة هامة لتبادل السلع الشرقية والغربية . وبسبب اكتشاف طريق رأس الرجــاء الصــالح ، وتحول تجارة التوابل إليه ، إلى جانب الهجمات المتكررة للبرتغاليين على السواحل اليمنية ، والسفن العربية والإسلامية والهندية المتوجهة إلى عدن ، تراجعت أهمية هذا المينــاء. و في نفس الفترة ظهر البن اليمني ، وازداد الإقبال عليه في مناطق كثيرة ، وتحــول إلى ســلعة تجارية مهمة. ومع تحول البن إلى سلعة نقدية بديلة لتجارة التوابل في الموانئ الشرقية ، أصبح ميناء المخا أهم ميناء على ساحل البحر الأحمر للتعامل مع هذه السلعة . وقد زاد من ازدهار هذا الميناء وقوعه بالقرب من مناطق إنتاج البن ، والتي تقع على مدرجات المرتفعات الغربية القريبة من سواحل البحر الأحمر .

---

[٢٢٩] – حسن صالح شهاب : اضواء على تاريخ اليمن البحري ، ط ٢ ، بيروت ، دار العــودة ،١٩٨١م ، ص٢٥٣

[٢٣٠] – نفس المرجع : ص ٢٥٥.

ويعد الهولنديون أول من قدّم وصفاً مفصلاً لميناء المخا في بداية العصر الحديث ، وقد بدأت رحلاتهم إليه منذ عام ١٦١٦م . فقد ذكروا موقعها ومبانيها وشوارعها ومساجدها ومداخلها، و تحصيناتها العسكرية ، وحكامها ، وتجارتها. و قد ذكر التاجر الهولندي بيترفان دان بروكه بأن هذه المدينة أخذت تزدهر نتيجة لكثرة مجيء السفن التجارية الهندية، التي كانت تزور عدن في السابق وذلك لأن موقع المخا أفضل بالنسبة للتجار الذين كانوا ينتظرون القافلة القادمة من السويس[٢٣١] . كما وصف الهولنديون المخا في عام ١٦٢٢ ، بأنها " تشكل أهم مركز تجاري ، وتقع داخل البحر الأحمر"[٢٣٢] .

وقد جاء البن على راس السلع التجارية التي كان يتم التعامل التجاري بها في ميناء المخا ، فقد كانت " تتشكل التجارة الرئيسية أي التصدير من القهوة _ أي البن _٠٠ الخ "[٢٣٣]

.

لم تكن مدينة المخا ميناءً تجارياً فحسب ، ولكن كانت أيضا سوقاً كبيراً ، حيث كان يتم فيها تبادل السلع التجارية المختلفة إلى جانب البن ، كما كانت مقراً لفروع الشركات الأوربية المختلفة، أو ما كان يعرف بالوكالات التجارية أو المقيميات . وقد ازدهرت التجارة في المخا بشكلٍ كبيرحتى بلغ حجم التجارة فيها أربعة أضعاف تلك التي في جدة ، ويرجع سبب ذلك إلى انه يجوز للتجار ذوي الأديان المختلفة التجارة هناك إلى جانب المسلمين ، هذا بالإضافة إلى أن المكوس التي يتقاضاها أمير مكة كانت مرتفعة جدا [٢٣٤]

ونظرا لأهمية المخا الاقتصادية ، فقد حرصت الحكومات المتعاقبة في اليمن ، سواء المحلية أو الأجنبية ، مثل العثمانيين ، و المصريين ، في عهد محمد علي ،على إيلائها اهتماماً

---

[٢٣١] – براور: اليمن في اوائل القرن السابع عشر، ص٨٥ .

[٢٣٢] – نفس المرجع : ص ١٩٩.

[٢٣٣] – نفس المرجع : ص ٢٠١ .

[٢٣٤]– نفس المرجع : ص ١٠٨.

خاصاً . لذلك كان يتم تعيين حكامها من الأشخاص الموثوق بهم لدى السلطة المركزيـــة في العاصمة ، سواء كانت صنعاء ، أو ضوران ، أو المواهب ، وغيرها .

وقد حرص العثمانيون على هذا الميناء أشد الحرص ، لذلك كان حاكم هذا المينـــاء يرتبط مباشرةً بالبكلربكي ، أي الوالي العثماني ، في صنعاء ، ولم يكن حاكم المخـــا مخـــولا باتخاذ القرارات الهامة قبل الرجوع إلى الوالي، وليس أدل على ذلك من عدم سماح حـــاكم المخا العثماني حسن أغا للهولنديين في عام ١٦١٦م " بافتتاح محطة تجارية ثابتة بدون إذن رسمي من البكلربك "[٢٣٥] في صنعاء ، مما اضطر التاجر فان دن بروكـــة إلى الســـفر إلى صنعاء لأخذ الإذن بذلك .

وقد سعت الدولة العثمانية إلى تحقيق أرباح كبير من هذا الميناء ، لذلك عمـــدت إلى تنشيط التجارة فيه ، و أخذت بنظام الالتزام في تحصيل الأموال منه ، ففي الفتـــرة الـــتي سبقت عام (٩٨٢هـــ/١٥٧٤م) منح السلطان العثماني شخصاً كان يُدعى ولي خـــان ، فرمانا منحه بموجبه حق التزام الميناء "وأخذ بطريق الالتزام السفن الباقية في بنـــدر المخـــا و سائرألاماكن بـــ٣٠٠٠٠ اقجة[٢٣٦] ذهبية في السنة "[٢٣٧] . كما عملـــت الحكومـــة العثمانية على تشجيع التجار للعمل في ميناء المخاء ، عن طريق منحهم بعض الامتيـــازات التجارية والمالية، فعلى سبيل المثال ، أصدر السلطان العثماني عام (٩٩٦هـــــ/ ١٥٠٨م) فرمانا قضى بتخصيص ٢٪ من أموال المخا للتاجر التركي وارندة علـــي بـــن قاسم ، لقاء تشجيعة للتجار للعمل في تجارة المخا ، مما أدى إلى ازدهار الميناء . وقد صـــدر هذا المرسوم بموجب توصية من حسن باشا قائد الحامية العثمانية في اليمن . و قد جـــاء في المرسوم " أمرت بناء على تقرير رسولك المشار إليه أن يأخذ التاجر المذكور عند خـــروج ودخول البضائع القادمة إلى البندر المذكور٢ اقجة و نصف المجبى و الدلالـــة و الميزانيـــة ،

---

[٢٣٥] – براور : اليمن اوائل القرن السابع عشر : ص٢٣.

[٢٣٦] – الاقجة : تعني الابيض الصغير ، وهي اصغر وحدة نقد عثمانية ، وعرفت في أوروبا باسم الاســـبير . وعرفت باسم العثماني منذ عهد السلطان اورخان (٧٢٧هـــ/ ١٣٢٧م) وقد تغيرت اوزان الاقجة وقيمتها من وقت إلى اخر . (ابي الوفاء بن عمر العرضي : معادن الذهب في الاعيان المشرفة بهـــم حلـــب ، دراســـة وتحقيق : عيسى سليمان ابو سليم ، ص ٦١) .

[٢٣٧] – د. محمود عامر: النظم الادارية العثمانية في اليمن، الاكليل ، ص ١١٦ .

وذلك لأجل ترغيب بقية التجار في تلك البلاد ، إذا كان ذلك مفيداً المال الميري[٢٣٨] على الوجه المشروع حتى يكون باعثا على ترغيب طائفة التجار القادمين إلى البندر المـــذكور و سببا في توفير وتكثير مال الميري"[٢٣٩].

ولم يقتصر تشجيع العثمانيين على التجار المحليين ، و التجار العرب ، والمسلمين الذين يفدون إلى ميناء المخا ، ولكنهم سعوا إلى تشجيع التجار الأوروبيين على التجارة في هـــذا الميناء ، وذلك من خلال إصدار الفرمانات اللازمة من أجل ممارسة التجارة ، فقد أصـــدر السلطان العثماني عثمان الثاني (١٠٢٧ – ١٠٣١ هـ / ١٦١٨ – ١٦٢٢) ، فرمانـــا لشركة الهند الشرقية الهولندية ، منحها بموجبه حق المتاجرة في ميناء المخا ، و مما جاء فيـــه بان يسمح للهولنديين" بالتجارة بدون مضايقتهم في دينهم وبالبيع لكل التجار و الشـــعوب الأخرى الذين يقع الخيار عليهم بدون إعاقة من أي شخص وأن يسمحوا للهولنديين ببيع بضائعهم أو سلعهم لكل من يريد شرائها ..."[٢٤٠] .

وقد حاول العثمانيون الاحتفاظ بالمخا حتى أخر لحظة في تاريخ بقاؤهم في الـــيمن ، ففـــي رســـالة بعـــث بهـــا مـــدير الوكالـــة الهولنديـــة في المخـــا ولـــيم ده ملـــدة (Willem de Milde) من تعز إلى جـــان فـــان هاســـل(Jan van Hasell) في سورات في ٨ أغسطس ١٦٢٩م ذكر فيها أن الحروب بين اليمنيين ، والأتراك شـــائعة في كافة أرجاء البلاد، ولم يبق للأتراك سوى المخا و زبيد " أما بقية البلاد فقد فتحها الإمـــام بأجملها وهو ينوي الاستيلاء على المدينتين المذكورتين أعلاه بالقوة أيضا "[٢٤١] .

وبعـــد أن تمكـــن اليمنيـــون مـــن إجـــلاء العثمـــانيين عـــن الـــيمن في عـــام (١٠٤٥هـ /١٦٣٥م) سعوا إلى الاهتمام بتوفير الأموال اللازمة من اجل بنـــاء دولتـــهم الفتية . فكان ميناء المخا أحد أهم المصادر التي يمكن للدولة أن تحصل على المال من خلاله ، لذلك سعت إلى تنشيط العمل التجاري فيه .

---

[٢٣٨] – المال الميري: أي مال الحكومة العثمانية .

[٢٣٩] – د . محمود عامر: النظم الادارية العثمانية في اليمن، الاكليل، ص١٢٠ .

[٢٤٠] - براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص ١٣٠.

[٢٤١] - نفس المرجع : ص ١٨٩.

كما حرص الأئمة على أن يتولى شؤون المخا من يثقون فيهم من الـــولاة والقضـــاة وغيرهم لأنها كانت "اكبر ولاية في القطر اليمني"[٢٤٢]، ولأنها كانت أيضا "اكبر مصـــدر لدخل الدولة "[٢٤٣] ، لذلك كان يتم تعيين المقربين منهم ، سواءً كانوا من السادة الأحرار أو من الأمراء العبيد.

وتولى المخا عدد كبير من الولاة منذ خروج العثمانيين من اليمن. ولعل من أبـــرزهم زيد بن علي جحاف ، وقد تولاها في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل " وهي أعظـــم ولاية في ذلك العصر بالبلاد اليمنية على الإطـــلاق "[٢٤٤] . وقـــد عـــزل عنـــها عـــام (١٠٨٠هـــ / ١٦٦٩ م) ، وعُين بدلاً عنه حسن بن مطهر الجرموزي . وفي عهد الإمـــام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المواهب تولى المخا صالح الحريبي ، وقـــد لاحـــظ الفرنسيون في عام ١٧٠٩م بأنه كان "حاكم مطلق و ثري للغاية "[٢٤٥]. كمـــا تولاهـــا اسماعيل بن عبد الرزاق في عهد الإمام المهدي عباس في عـــام (١١٨٧هـــــ /١٧٧٣م). وصالح العماري في عام (١١٨٩هـــ/١٧٧٤م) خلال عهد الإمـــام المنصـــور، وكـــذلك ابراهيم بن عبدالله الجرموزي، في عام (١١٩٦هـــ/ ١٧٨١م)في عهد الإمـــام المنصـــور علي أيضا .

كما ولى الأئمة العديد من الأمراء العبيد على المخا ، و من اشهر أولئك الأمـــراء ، الأمير سعيد ريحـــان ، عـــام (١٠٨٠هـــــ/١٦٦٩م) . والأمـــير ســـرور بنـــادق في عام (١١٩٩هـــ / ١٧٨٤م)، وذلك في عهد الإمام المنصور ، وكذلك الأمير ســـندروس المتوفى(١٢١٥هـــ / ١٨٠٠م). والى جانب الولاة السابقين تولى المخا عدد كـــبير مـــن الولاة الآخرين .

ونظرا لكون الفترة التي يجب أن يبقى فيها الولاة في ولاياتهم للمناطق غير محـــددة، كان بعض أولئك الولاة يستمروا فترة طويلة في حكم المخا ، على سبيل مثال فقد استمرت ولاية الأمير سعيد ريحان على المخا منذ عهد الحسن بن القاسم ، ثم عهد المؤيد ، ثم بدايـــة

---

[٢٤٢] – الشوكاني : البدر الطالع ، جـــ ١ ، ص ٤٤٧.

[٢٤٣] – د. حسين عبدالله العمري : مئة عام من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٨٦ .

[٢٤٤] – زبارة : نشر العرف ، جـــ١ ، ص٦٥٤.

[٢٤٥] – جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة صالح محمد علي ، ص ٦٧ .

عهد المتوكل على الله إسماعيل . كما إن بعض الحكام كانوا يعزلون بعد مدة وجيـــزة مـــن تعيينهم ، وليس أدل على ذلك من العدد الكبير من الحكام الذين تولوا المخا في عهد الإمام المنصور علي ، ويبدوا إن السبب في ذلك يعود إلى عدم حصول الإمام على الأموال الـــتي كان يتوقعها من الحكام لذلك كان يلجأ إلى عزلهم .

مثل ميناء المخا أهم مصدر من مصادر الدولة المالية ، ولكن للأسف الشديد ، فــأن المصادر المحلية التي بين يدي الباحثة ، تكاد تكون ساكتة تماما عن ذكر معلومات حول مـــا كان يتم تحصيله من الأموال من هذا الميناء ، باستثناء ما ورد عرضا في ســـياق الأحـــداث السياسية ، فقد أورد لطف الله جحاف ذكراً لمحصول المخا من واقع محاسبة الإمام المنصـــور علي لحاكمها إبراهيم بن عبدالله الجرموزي عام (١١٩٨هــ /١٧٨٣ م)، عند عزله عنها اثر دسيسة الوزير الحسن بن عثمان الأموي حيث قال : " لما وصل إبراهيم بن عبدالله قدم بين يدي الإمام نفائس التحف والهدايا ، وقدم إليه اثني عشر فحلا من الخيل عليـــه نســـج الذهب ، و أرسل بمظلة تحير الركب وتحدث الناس عن ذلك العامل ، وكـــان جملـــة مـــا حاسب به عمالته ثلاثمائة ألف وسبعة و ثمانين ألفا قروشا معدودة ، داخلا في ذلك جميـــع مخرجات البندر، ولوازمه "[٢٤٦] . وكان إبراهيم الجرموزي قد تولى المخا لمدة عامين أي منذ عام (١١٩٦هــ/ ١٧٨١)، أي أنه حاسب المنصور علي"بواقع قريب ١٢٦٠٠٠ ريـــال في العام "[٢٤٧] ولاشك أن هذا الرقم قد انخفض كثيرا عما كان عليـــه في عهـــد اللائمـــة الأقوياء أمثال الإمام المتوكل على الله إسماعيل ، واحمد ابـــن الحســـن ، بســـبب انعـــدام الاستقرار السياسي ، و كسر احتكار اليمنيين لتجارة البن نتيجة لزراعته في مناطق أخـــرى من العالم .

إن ثراء ميناء المخا ، جعل الكثير من رجال الدولة يطمعون في أن يكونوا ولاة عليه، على سبيل المثال فقد سعى صالح الحريبي كثيراً من أجل أن يُعين حاكماً على المخا، و قـــد تمكن من ذلك في عهد الإمام المهدي صاحب المواهب ، الذي عينه عليها ، وقد حكم صالح الحريبي في تهامة بشكل مطلق ، وكون ثروة ضخمة للغاية ، وقد وجد الفرنسيون انه كـــان يعمل في تجارة البن بنفسه وقد نمى إلى علم الإمـــام أن " اسمـــه لا يـــذكر في التـــهائم و

[٢٤٦] - لطف الله جحاف: درر نحور حور العين ، تحقيق : عارف الرعوي، ص ٣٠٠.

[٢٤٧] – د .حسين العمري : مئة عام من تاريخ اليمن ، ص ٨٧.

البنادر"[٢٤٨] لذلك أرسل المهدي أحد رجاله ،وهو الفتى سليمان لكي يتحايل في رجـوع صالح الحريبي إليه ، وقد تمكن الفتى سليمان من إقناعه بالعودة ،و تدارك المشكلة مع الإمام صاحب المواهب ،وقد رجع إلى الإمام " وكان صحبته من النفايس و الأموال مـا بهـر العقول "[٢٤٩] .

وقد تمكن معظم ولاة المخا من تكوين ثروات ضخمة نتيجة لنشاط الميناء، و العوائد الكثيرة التي كانوا يحصلونها. وكان صالح الحريبي واحداً من أهم الولاة الـذين اسـتطاعوا تكوين ثروات، من جراء العمل كحاكم للمخا ، وقد ذكر الفرنسيون انه كـان " ثـري للغاية ، ويتاجر كثيراً بنفسه ، ويدفع لإمام اليمن ثلاثين ألف قرش يجبيهـا علـى طريقـة باشوات تركيا "[٢٥٠] . وكثيرا ما كان المؤرخون وكتاب التراجم اليمنيين يذكرون درجـة ثراء ولاة المخا ، فقد ذكر الشوكاني أن علي بن صالح العماري عامل الإمام المنصور علي المخا " عاد من المخا إلى صنعاء و قد جمع دنيا عريضة"[٢٥١] وذلك بعد أن بقي فيها لمـدة خمس سنين. كما برز عدد أخر من العمال الذين استطاعوا تكوين ثروات ، أمثال زيد بـن علي جحاف ، و إبراهيم بن عبد الله الجرموزي ، وسعيد ريحان،وغيرهم .

إن الثروات التي كان يحققها حكام المخا ،كانت تغري ألائمة بمصادرها ، لذلك كثير ما كانت المصادر التاريخية تذكر أن حكام المخا تعرضوا لمصادرة أموالهم. و قد تكـررت حوادث المصادرات تلك ، حتى جعلت هذه الظاهرة المؤرخ يحيى بن الحسين يعلق عليها في أحداث عام (١٠٨٠هـ /١٦٦٩م)، بقوله : " انه قيل أن كل من تولى بندر المخا تغلب عليه الفقر أخر موته ، ويصدق هذا انه تولاه بعد سعيد ريحان السيد محمد بن أحمـد بـن الإمام الحسن المؤيدي فبقي فيه حتى مات ، ففقر أكثر أولاده بعده ، وبقوا في غاية الحاجة ، ثم تولاه السيد زيد بن علي جحاف ، كذلك ظهر عليه الحاجة و باع أكثر أمواله، وأيضـا من تعوض من المخا من التجار ، لحق فيه الخسران بخلاف غيره من البنادر "[٢٥٢] .

---

[٢٤٨] – زبارة : نشر العرف ، جـ ٢ ، ص ٧٧٥.

[٢٤٩] – نفس المرجع: جـ ٢ ، ص ٧٧٥.

[٢٥٠] – جان دي لاروك: رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد على ، ص ٦٨ .

[٢٥١] – الشوكاني : البدر الطالع ، جـ ١ ، ص٤٤٧.

[٢٥٢] – يحيى بن الحسين: بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ ١ ، ص ٥٢٨ .

ولقد بنى يحيى بن الحسين نظريته تلك من واقع مشاهداته ، فقد ذكر الكـــثير مـــن حالات المصادرات التي كانت تحدث لحكام المخا . وربما يكون ذلك راجعا إلى أن الثروات التي حققها هؤلاء الولاة لم تكن بالطرق المشروعة ، لذلك كان يرى الأئمة إنها حقا لبيـــت المال ، خاصة وإنهم كانوا في كثير من الأحوال يحتاجون للأموال من أجل تثبيـــت أركـــان دولتهم ، أو لتمويل الحروب من أجل سحق مناوئيهم . ولم يقتصر الأمر علـــى مصـــادرة أموال الولاة و هم أحياء ، ولكن كان يتم أحيانا مصادرة مخلف الولاة بعد وفاتهم ، ففـــي عام(١٠٨٠هـ/١٦٦٩م) قبض محمد بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل " مخلف سعيد ريحان ، لما استكثر ما خلفه من النقود و الذهب مدة ولايته لبندر المخا ، وتـــرك لورثتـــه اليسير "[٢٥٣] .

وقد حرص ولاة المخا على تشجيع التجارة فيهـــا ، إلا أن بعـــض التجـــار كـــانوا يتعرضون للابتزاز من قبل بعض الولاة .فعندما عُزل زيد بـــن علـــي جحـــاف في عـــام (١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م)عن ولاية المخا، وعُين مكانه الحسن بن مطهر الجرموزي " فـــرح أهل البندر بالسيد الحسن لما كان قد جرى من الزوايد[٢٥٤]عليهم و المحن "[٢٥٥] . و قـــد أورد يحيى بن الحسين عن أحد الدلالين ويدعى حنجف ، وكان يسافر إلى المخا كل عـــام ، قوله : "اننا نزلنا إلى المخا و حصلنا قدر ستين قرشا ، فاخذ زيد بن علي النصف منـــها "[٢٥٦] و قد تظلم الدلال المذكور ، ولكن دون جدوى . وفي عام (١٢١٥هـ / ١٨٠٠م) قتل حاكم المخا الأمير سندروس ، وتاجر ميناء المخا حسن بن علي الشحاري، و الذي وصفه لطف الله جحاف بأنه تاجر البندر ، والصراف الذي كان يعمل في المخا ، بالســـم ، و قد نسب بعض الناس حادثة قتلهم إلى صالح بن يحيى حاكم الحديدة ، و قد علل لطف الله جحاف سبب اتهام صالح بن يحيى في قتل هؤلاء الثلاثة هو حرصه على أن يصبح واليا على المخا ، وأثناء عملة في الكتابة في المخا ، قام بابتزاز السفن القادمة من وإلى المخـــا ، فقـــد وضع على كل سفينة نازلة إلى البحر بقشة زيادة على العشور " وجعلها بينه وبين حســـن

---

[٢٥٣] – نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ٤٦.

[٢٥٤] – الزوايد : أي الزيادة في نسبة المكوس و الضرائب المقررة على التجار .

[٢٥٥] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير جـ ١ ،ص ٥٣٠ .

[٢٥٦] نفس المرجع : ص ٣٣٠.

علي الشحاري و بين الصيرفي والأمير لا يشعر بهذه المكيدة التي لحقته لائمتها ، فتكلم بهـا حسن بن علي الشحاري ، فنقلت إلى الإمام ، فسالوا عنها فحُسب ، فكانت في نحو أربـع سنين اثنين و أربعين ألفا قروشا فرانصة ، فقال الأمير رحمه الله تعالى : والله لا اعلم هذا إلا أن يكون هؤلاء الثلاثة المتسلطون قد خدعوني من حيث لا أشعر فالله حسيبهم ، و طالبت الدولة بذلك ففاجأه الحمام ،و توجهت الأمور بيد صالح بن يحيى "[٢٥٧] .و بدون شك فان هذه القصة تدل دلالة واضحة على مدى الثراء الذي كان يحققه من يتولى شؤون المخـا ، كما توضح أيضا شدة تكالب بعض رجال الدولة ليكونوا ولاة عليها.

وفي المخا لم تكن الرسوم الجمركية المقررة على البضائع المستوردة و المصدرة موحدة على جميع التجار .فقد وجد نيبور في عام ١٧٦٣م انه بينما كان علـى التجـار الأتـراك والهنود دفع ما نسبته بين ٨٪ و ١٠ ٪ ، مقابل البضائع المستوردة و المصدرة فانه لم يكن على التجار الأوربيين سوى دفع ٣ ٪ فقط ، بينما كان يتوجب على التجار اليمنيين دفع ما نسبته ٥٪ على البضائع التي يشترونها من الإنجليز[٢٥٨] . ولا نعرف ما إذا كانـت هـذه النسبة مقررة أيضا على المواد المصدرة من قبل التجار اليمنيين .

ومنذ أن أصبح ميناء المخا أهم موانئ تصدير البن فقد تحول إلى منطقة هامة بالنسـبة لكل القوى التي حكمت اليمن ، و التي تصارعت على حكمها . فقد حاولت كافة القوى إما الاستيلاء عليها ، أو الاحتفاظ بها ، أو انتزاعها من القوى الأخرى .و عنـدما اضـطر العثمانيون لمغادرة اليمن عام(١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م) كانت المخاء و زبيد هما أخر المعاقل التي تركوها .

وبعد أن تحولت السلطة إلى أيدي اليمنيين ، اثر إقصـاء الأتـراك عنـها حرصـت السلطات اليمنية على الاهتمام بالمخا ، من اجل الاستفادة من العوائد المادية الناتجـة عـن التجارة بشكل عام ، وتجارة البن، بشكل خاص ، خاصة خلال فترات الاستقرار النسـبي التي عاشتها اليمن تحت حكم الأئمة الاقوياء مثل الإمام المتوكل على الله إسماعيل . ولكـن عندما تعددت القوى المطالبة بالسلطة في اليمن ، في ظل حكم الأئمة الضعاف، بدأت تلك

---

[٢٥٧] – لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي ، ص٥٧٧.

[٢٥٨] – د . احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٨٦.

القوى المتصارعة على السلطة تحاول ضم المخا إلى ممتلكاتها . فقد حاول محمد بن احمد بـــن الحسن صاحب المنصورة الاستيلاء على هذا الميناء الهام منذ عام (١٠٩٣هـــ/١٦٨٢م). وفي عام(١٠٩٧هـــ/١٦٨٥م) " استولى على المخا و تعز ، ولم يكن له من قبل"[٢٥٩] .

المخا والقوى الخارجية :

لم تكن القوى المحلية فحسب من يرغب باستيلاء على المخا، ولكن أيضا بعض القوى الخارجية ، فعندما بدأت الحركة الوهابية باجتياح الأراضي اليمنية في تهامة، كانت تستهدف الموانئ ، وكان ميناء المخا على رأسها. وعندما وصلت قوات محمد علي باشا لمطاردة فلول الوهابيين في اليمن. استولت عليها وجعلت منها مركزا تاليا لميناء الحديدة في تجارة الـــبن. وعند خروج هذه القوات من اليمن سلمت الأراضي التي تحت يديها للشريف حسين بـــن على بن حيدر، شريف أبي عريش، الذي تمكن من إحكام سيطرته عليها . وشجع التجـــار الأمريكيين على شراء البن من المخا وتخفيض الرسوم الجمركية لهم ، مقابل رفعهـــا علـــى التجار الإنجليز ، مما دفع الإنجليز إلى عقد معاهدة مع إمام صنعاء ، تغريه بنقل البن إلى ميناء عدن، و تجاوز ميناء المخا الذي يتحكم فيه الشريف الحسين بن حيدر، كما سيأتي في الفصل التالي .

وقد تعرض ميناء المخا للدمار بسبب الضرب المتكرر عليه بالمدافع الموجودة على متن السفن الأوربية من ناحية، وهجمات العمانيين المستمرة عليه، أثنـــاء مطـــاردتهم للســـفن الأوروبية والهندية من ناحية ثانية . وسوف أبين ذلك في موضع لاحق من هذا البحث .

كانت معظم العوائد المادية الناتجة عن التجارة بشكل عام ، وتجارة البن بشكل خاص في المخا تذهب إلى خزينة الدولة ، والتي هي في الأصل خزينة الإمـــام و أفـــراد عائلتـــه ، ورجاله المقربين . وكان جزأ من تلك الأموال يذهب لبناء الدولة، وإنشاء الجيش ، وتقوية الدفاعات ، و اجتذاب الأنصار، ففي عام (١١١٣هـــ/ ١٧٠١م) أرسل الإمام المهـــدي

---

(٢٥٩)- يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، ٣جـــ ، ص ٧٠٨ .

صاحب المواهب وفدا مكونا من عدد من الرجال المقربين إلية ، إلى علي بـــن أحمـــد بـــن القاسم ، صاحب صعدة، وطلب منهم أن يتفاوضوا معه على إعـــلان الـــولاء و الطاعـــة للإمام القائم " على أن يجعل له قسطا وافرا من (محصول) المخا يساق إليه ، ويقطعه جبـــل صبر "[(٢٦٠)] ولما وصل الوفد إليه ، وعرض علية ذلك، أعلن موافقته على إعلان الطاعـــة ، ولكن بشروط كان يعلم إن الإمام لن يوافق عليها. ولقد تكرر منح محصول المخا، أو جزأ منه لبعض الشخصيات الهامة في الدولة القاسمية، وذلك من أجل استرضـــائها ، وضـــمان ولائها مثل القاسم بن المؤيد صاحب شهارة ، الذي منحه الإمام المؤيد محمد بن اسماعيـــل بن المتوكل ربع محصول المخا ، وكذلك منح الإمام السالف الذكر ربع محصول المخا لمحمد بن احمد بن الحسن صاحب المنصورة .

ب_ ميناء عدن :

تقع عدن عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وتحتل موقعا اســـتراتيجيا هامـــا علـــى شواطئ المحيط الهندي مما أهلها لأن تلعب دورا هاما في التجارة العالمية.

وقد ازدهر ميناء عدن خلال العصور الوسطى ، حيث مثل أحـــدى أهـــم المحطـــات التجارية بين الشرق و الغرب ، ففي عدن " تتجمع متاجر الشرق و الغرب للتبادل فتنقـــل الأولى إلى مصر فأوروبا ، وتنقل الثانية إلى الهند فالصين "[(٢٦١)] . وقد وصف الرحالة العرب والمسلمون و الأجانب ازدهار ميناء و مدينة عدن وصفا مفصلاً، فقد ذكر الرحالـــة ابـــن بطوطة إن" عدن مرسى بلاد اليمن ، وعدن مرسى أهل الهند ، تأتي إليها المراكب العظيمة ، وتجار الهند ومصر ساكنون بها "[(٢٦٢)] . وقد أورد الرحالة الفارسي ابن المجاور تفاصل كثيرة عن عدن ، و نشاطها التجاري ، في كتابه الذي يعرف بتاريخ المستبصر، فقد ذكر الطريقة التي كان يتم بها استقبال المراكب الواصلة إلى الميناء ، وطرق جمع العشـــور ، وأنواعهـــا ،

[(٢٦٠)] – لطف الله جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوط في المكتبة الغربية بالجامع الكبير، تحت رقـــم ٢٤٩٥ ، ق ٢١٣-٢١٤ .

[(٢٦١)] – د .نعيم زكي فهمي :طرق التجارة و محطاتها بين الشرق و الغرب اواخر العصور الوسطى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ، ص ١٣٧ .

[(٢٦٢)] – ابراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، جـ٢ ، ص ١٠٢.

والبضائع التي كانت تعفى من العشور ، ولكن كان يؤخذ عليها زكاة[٢٦٣] . وقد نقل المؤرخ اليمني بامخرمة ما ورد من تفاصيل عند ابن المجاور في كتابه تاريخ ثغر عدن .

أولى حكام اليمن المتعاقبين عدن اهتماما كبيرا، خاصة بعد أن أصبحت اليمن تحت السيادة الفاطمية في مصر ، فقد قام الصليحيون و الزريعيون ، و من بعدهم الأيوبيين بتحصين الميناء و تنشيط التجارة فيه، و ذلك من اجل تحسين مصادر دخلهم من الميناء ومنذ استقلال الرسوليين بها في بداية القرن الثالث عشر وحتى انتهاء دولتهم في القرن الخامس عشر الميلادي بلغت عدن ذروة ازدهارها و مجدها الاقتصادي [٢٦٤] .

ومع بداية العصر الحديث بدأت عوامل الضعف تدب في عدن ، وقد تضافرت العديد من العوامل الداخلية و الخارجية في ضعف الميناء، و من ثم انهيار التجارة فيه . فقد حولها العثمانيون إلى قاعدة عسكرية عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، في مواجهة القوى الأوروبية الغازية خاصة البرتغاليين مما جعلها عرضة لهجماتهم المستمرة . كما أدى اضطراب الأوضاع الداخلية ،وتعدد الحروب الأهلية إلى إهمال الميناء ، وبالتالي تدهوره . هذا بالإضافة إلى أن بروز ميناء هرمز و ازدهاره قد اجتذب إليه التجارة التي كانت ترد إلى عدن . أما السبب الأكثر أهميةً ووضوحاً فهو حدوث تغير في طرق التجارة الدولية ، اثر اكتشاف طريق رآس الرجاء الصالح ، مما أدى إلى تحول تجارة التوابل إليه ، وهى التجارة التي كانت الأساس الذي قام عليه ازدهار ميناء عدن .

أدى ظهور البرتغاليين في مياه المحيط الهندي ، وعرقلتهم للتجارة بين الشرق و الغرب التي كانت تتم عن طريق ميناء عدن إلى حرمان المماليك في مصر و الدولة العثمانية من مصادر مالية كبيرة كانت تحصل عليها من جراء فرض الرسوم الجمركية على البضائع التي كانت تمر عبر أراضيها ، لذلك تحولت عدن إلى مسرح للعمليات العسكرية بين القوى المتصارعة ، البرتغاليين من جهة وكلٍ من المماليك ، العثمانيين من جهة أخرى، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى سقوط عدن في أيدي العثمانيين ، (عام٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨م) .

---

[٢٦٣] – ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، تحقيق : اوسكر لوففرين ، ص١٤٢– ١٤٣.

[٢٦٤] – سلطان ناجي: عدن عبر التاريخ ، الاكليل ، عدد خاص عن صنعاء ، العدد الثاني و الثالث ، السنة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ ، ص ١٨٦ .

وقد أهمل العثمانيون ميناء عدن ، وشجعوا ميناء المخا لقربه من مركز سلطتهم في صنعاء ، وبعده عن البحار التي تجوبها السفن البرتغالية[٢٦٥]، مما أدى إلى تدهوره الاقتصادي .

وإلى جانب تلك الأسباب فإن ازدهار ميناء المخا قد ساهم في ازدياد تدهور عدن ، خاصة أن بروز ميناء المخا في بداية العصر الحديث جاء متزامنا مع ظهور البن وتحوله إلى سلعة دولية بديلة لتجارة التوابل عبر اليمن. فقد ذكر الرحالة مانيونيل دي الميدا عام (١٠٣٣هـ/ ١٦٣٣م) إن عدن أصبحت متأخرة ، فقد رأى فيها مقابل اثني عشر بيتا أو خمسة عشر بيتا خربا ، بيتا واحدا قائما، " ولم يكن ذلك نتيجة للحصار الذي فرضه البرتغاليون فحسب ، إذا لم يكن هذا الحصار ذا اثر كاف لنشر الخراب في عدن، بل لازدهار ميناء المخا أيضا"[٢٦٦].

وبعد أن تمكن اليمنيون من إقصاء العثمانيين عن اليمن عام(١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م) وبسط الأئمة من آل القاسم نفوذهم على جميع الأراضي اليمنية بما في ذلك عدن . بالتأكيد أنهم حاولوا الاستفادة من ميناء عدن في زيادة مواردهم المالية ، والتي كانت في تلك الفترة تعتمد بالدرجة الأساس على تجارة البن .و مما لاشك فيه أيضا بان جزاء من تجارة البن كانت تتم عبر ميناء عدن ، ولكن للأسف الشديد فان المصادر المحلية التي بين يدي لم تذكر شيئا حول كميات البن التي كان يتم تصديرها عبر هذا الميناء . خاصة في المرحلة الأولى من بناء الدولة.

ويبدو أن البن لم يصدر بكميات كبيرة عبر ميناء عدن إلا في القرن التاسع عشر، وقد ذكر نيبور في عام (١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م)، أن ميناء عدن ميناءً ممتازاً ، ولكن نظرا لعلاقات حاكم عدن احمد بن عبد الكريم العبدلي السيئة مع جيرانه ، فقد أدى ذلك " إلى عدم وجود حركة تجارية نشطة ، ومع ذلك فلا يزال البن الأتي من يافع وقعطبة يصدر من هذا الميناء "[٢٦٧]

---

[٢٦٥] – حسن صالح شهاب : عدن فرضة اليمن ، صنعاء ، مركز الدراسات و البحوث ، ١٤١٠ هـ /١٩٩٠م، ص٢٣١ .

[٢٦٦] – جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ترجمة : قدري قلعجي ، ص٦٤ .

[٢٦٧] – د . احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٧٩ .

بالرغم من ندرة المعلومات عن تجارة عدن بشكل عام ، وتجارة البن بشكل خـــاص ، إلا أنه يمكن الاستنتاج أنها كانت جيدة ، خاصة في تجارة البن الوارد من المناطق القريبـــة في يافع و قعطبة ، وليس أدل على ذلك من محاولة بعض رجال الدولة في أن يكـــون حاكمـــا عليها ، مثل الحسن بن زيد بن علي جحاف ، الذي كان والدة زيد جحاف حاكم المخـــا في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل، كما سبق أن أشرت إلى ذلك في موضع آخـــر . وقد ولاه محمد بن احمد بن الحسن عدن لمدة وجيزة ، ثم استدعاه إليه في المنصورة ، وصادر ممتلكاته " وخرج منها لا يملك شيئا حتى مماليكه "[٢٦٨] ، وقد علق يحيى بن الحسين علـــى ذلك، بأن السيد حسين بن زيد بن جحاف قد جلب ذلك لنفسه ، فقد تاقـــت نفســـه إلى ولاية عدن، فقصد صاحب المنصورة فقرره على عدن ، ثم خرج منها عطل _ أي فقـــير _ وأضاف يحيى بن الحسين " وولايات صاحب المنصورة ليس لها أمل لأنه ســـريع الانقـــلاب والمصادرة فيما جمع منها "[٢٦٩] .

أصبح دور عدن في تجارة البن أكثر بروزا منذ بداية القرن التاســـع عشـــر ، و قـــد ساهمت العديد من العوامل في ذلك . فقد أدت الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م ، إلى تحفيز بريطانيا للبحث عن موطئ قدم لها ، لكي تصد أي تهديد قد تتعرض له مستعمراتها في الهند ، وبعد قيام ضباط الأسطول البريطاني بإجراء مسوحات ودراسات حول المنطقة ، وجدوا أن عدن هي انسب مكان لمواجهة الحملة الفرنسية ، ومنعها من الوصول إلى الهند، وقد انتهت محاولات بريطانيا لإيجاد موطئ قدم في المنطقة إلى احتلال عدن عام ١٨٣٩م .

كما أن ظهور الحركة الوهابية على الأرضي اليمنية ، وخاصة في تهامة حيـــث تقـــع الموانئ الرئيسية لتصدير البن ، أدى إلى قطع الطرق على القوافل التجارية التي تحمل البن ، ونهب محتوياتها ،مما دفع التجار و المزارعين إلى نقل البن إلى ميناء عدن الذي كان بعيدا نسبيا عن الوهابيين. وقد أدى ظهور الحركة الوهابية في اليمن أيضا إلى وصول قوات محمد علـــي باشا ، وفرض سيطرتها على المناطق الخصبة ، والصالحة لزراعة البن ، في إقليم تعز ، كمـــا مكنت محمد علي من ممارسة سياسة احتكارية لتجارة البن، مما أثار حفيظة البريطانيين تجـــاه

---

[٢٦٨] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ ٣ ، ص ٧٤٩ .

[٢٦٩] – نفس المرجع : جـ ٣، ص ٧٤٩ .

سياسته تلك ، والتي حرمتهم من عائدات مادية كبيرة كانت بريطانيا قد حصلت عليها منذ أمد بعيد ، من جراء عملها في تجارة البن.

لقد رأت بريطانيا في تقدم قوات محمد علي باشا، بقيادة إبراهيم باشا يكن، في إقليم الحجرية ، وهو " الجهة الخصبة من اليمن ، والذي يصدر منه سنويا ما قيمته (٦٠.٠٠٠) ستين ألف دولار ،(ريال) من البن عملا عدائيا موجها ضدها، وقد نصح الكابتن هينس حكومته بضرورة التصدي لتقدم قوات إبراهيم باشا " لان المصريين إذا تغلبوا على اليمن سوف يوجهون ضربة شديدة إلى تجارتنا الهندية "[٢٧٠] .

ولم تقتصر أهداف بريطانيا من احتلال عدن على الأهداف الاستراتيجية، و إنشاء محطة لتزويد السفن البريطانية بالوقود و المؤن في طريقها بين الهند و السويس فحسب ، ولكنها كانت تهدف إلى استعادة دورها في تجارة البن أيضا، فقد ذكر كامبل القنصل العام البريطاني في مصر، في رسالة بعث بها إلى وزير خارجية حكومة بالمرستون ، عام ١٨٣٧م ، يغريه فيها باحتلال عدن ، بأن ذلك " يمكن أن يحول دون أن تتحول تجارة البن في المخا لتصب في أيدي الصدر الأعظم ، وبالتالي تسيطر انجلترا كليا على تلك السلعة التجارية ، والتي كان يشتري منها الأمريكيون قدرا كبيرا "[٢٧١] .

وبعد أن احتلت بريطانيا عدن عام ١٨٣٩ م تمكن هينس من فتح الطريق مع المناطق الداخلية ، عن طريق عقد معاهدات مع الحكام المحليين ، في المناطق القريبة من عدن، مما سهل تدفق قوافل البن إلى ميناء عدن .

لقد تضرر الأئمة أيما ضرر من استيلاء محمد علي على المخاء، و احتكاره لتجارة البن ، لذلك لم يكن لدي الإمام في صنعاء أي مانع من التعاون مع البريطانيين، من أجل طرد قوات محمد علي من اليمن، ولكن الكابتن هينس كان متردداً في ذلك ، لأنه لم يكن يرغب في إقحام نفسه في الصراع بين قوات محمد علي و بين إمام صنعاء ،و لأنه كان يعتقد أن انتصار احد الطرفين سيعرض مصالح البريطانيين في عدن للخطر ، ولكن الإمام في صنعاء

---

[٢٧٠] – هارلدوف يعقوب : ملوك شبة الجزيزة العربية، ترجمة : احمد المضواحي، ص ٤٨ .

[٢٧١] - د. محمد ال زلفة : تطور الاوضاع السياسية في جنوب غرب الجزيرة العربية ، ص ٣١ .

أغرى الكابتن هينس بالقيام بتوجيه قوافل البن إلى عدن بدلا من المخا ، وذلك لحرمان محمد على من الاستفادة منها.

عندما اضطرت قوات محمد على لمغادرة اليمن ، اثر معاهدة لندن عـــام ١٨٤٠ م ، سلمت الأراضي التي كانت تحت سيطرها إلى الشريف حسين بن علي بن حيدر حاكم أبي عريش، مقابل ٩٠.٠٠٠ فرنك ألماني يقدمها للسلطان العثماني. وقد وضع الشريف حسين المخا تحت سيطرته المباشرة . وانتهج سياسة عدائية ضد الوجود البريطاني فيهـــا ، فقـــد ، " رفع الرسوم الجمركية في المخا إلى ٧ ٪ "[٢٧٢] .

وقد اعتبر الكابتن هينس تلك الإجراءات أعمالا عدائية موجهة ضد بريطانيا و تجارها في المخا والبحر الأحمر لذلك حاول التعاون مع إمام صنعاء من أجل القضاء على الحسين بن علي بن حيدر في تهامة ، وقد اقترح على حكومة الهند البريطانية في الهند بذل جهودها بمـــا يؤدي إلى وضع ميناء المخا تحت السلطة الشرعية للإمام في صنعاء. وقـــد اتصـــل الإمـــام بالكابتن هينس ،وطلب منه العون ضد الشريف حسين، ولكن كان هينس متـــرددا نظـــرا لعدم حصوله على التعليمات اللازمة من حكومة الهند ، لكن الإمام أغرى البريطـــانيين في عدن ثانية بتصدير البن المنتج في أراضيه عبر ميناء عدن بدلا من ميناءي الحديـــدة و المخـــا التابعين للشريف حسين[٢٧٣] .

ومما زاد في حنق بريطانيا ضد الشريف حسين بن علـــى بـــن حيـــدر ، تقربـــه إلى الأمريكيين ، و تخفيض رسوم شراء البن لهم إلى ٣٪ .

أدى الصراع بين الشريف حسين وبين الإمام في صنعاء من ناحية ، وبـــين الشـــريف حسين وبين البريطانيين من ناحية أخرى إلى نشر الذعر بين التجـــار و المـــزارعين بســـبب اضطراب الأوضاع الأمنية في تهامة مما أدى إلى قطع الطريق إلى ميناء المخا " فاعرض عـــن

---

(٢٧٢) – letter From Hanins to Hodgerd :P. . 256

نقلا عن محمد ال زافة : نطور الاوضاع السياسية جنوب غرب شبة الجزيرة العربية، ص ٢٥٦ .

(٢٧٣) – د.خالد باوزير : ميناء عدن ، ص ١٩٦ .

ميناء المخا كل من كان يأتي بالبن إليه من مصادر الإنتاج "[274] . لذلك كانت قوافل الــبن تتجه إلى عدن لبيع البن هناك.

ومن أجل تحقيق اكبر قدر من الفائدة من تجارة البن ، عملت بريطانيا منــذ الوهلــة الأولى لاحتلالها عدن على تحسين أداء ميناء عدن و تأهيله ، من أجل تشجيع التجارة فيه ، واجتذاب التجار إليه ، فقد أرسل البريطانيون عددا من الهنود إلى المخا من أجل تشــجيع التجار والعمال و الحرفيين ، على الانتقال إلى عدن، وممارسة نشاطهم الاقتصادي هناك ، في مقابل حصولهم على مرتبات مجزية . حاول الشريف حسين بن علي بن حيدر منع ذلك بمعاقبة كل من يرغب بالانتقال إلى عدن، ولكن دون جدوى ، فكانت النتيجة إفراغ المخا من عنصرها البشري الفاعل في نشاطها الاقتصادي، مما أدى إلى تدهورها مقابل نمو مينــاء عدن.

وقد ازداد ميناء عدن ازدهارا نتيجة للإجراءات القانونية الــتي اتخــذها الســلطات البريطانية "وكان من بين أهم الجهود لتطوير النشاط التجاري في الميناء هو إصدار القــانون رقم (١٠) لعام ١٨٥٠م، من حكومة الهند البريطانية ، والقاضي بتحويل ميناء عــدن إلى ميناء حر "[275] . ولقد ساهم هذا القانون في جذب التجار من مختلف المناطق اليمنية للعمل فيه بسبب المميزات التي نتجت عن إصدار هذا القانون ، ومن تلك المميــزات " الإعفــاء الجمركي على الصادرات والواردات ، والذي يعني إمكانية دخول وخروج الســلع مــن وإلى الميناء بدون الخضوع لأي أداء ضريبي "[276] .

أدت الإجراءات القانونية التي قضت بتحويل ميناء عدن إلى ميناء حر إلى تدفق قوافل البن من مناطق الإنتاج الداخلية إليه ، كما أدت إلى تشجيع التجار الأجانب على شراء البن منه . " فقد سارع التجار الفرنسيون و الأمريكيون إلى عدن ، وانتقل إليها كثير من تجــار المخا، فزاد بعد ذلك النشاط التجاري بعدن ، وارتفع إجمالي قيمة الصادرات و الــواردات

---

[274] – نفس المرجع : ص١٩٧ .

[275] – د. حسين الملعسي – تطور النشاط التجاري الحر لميناء عدن للفترة ١٨٥٠ – ١٩٦٧ -مجلة جامعــة عدن للعلوم الاجتماعية و الانسانية – المجلد الثالث – العدد الخامس – يناير – يونيو – ٢٠٠٠ – ص ١٤٣.

[276] – – د. حسين الملعسي – تطور النشاط التجاري الحر لميناء عدن للفتــرة ١٨٥٠ – ١٩٦٧ -مجلــة جامعة عدن للعلوم الاجتماعية و الانسانية ، ص ١٤٣ .

من(١٥٨.٥٦٠) روبية في ١٨٤٠ إلى (٥.٠٣٢.٢٢٥) في سنة ١٨٥١م"[٢٧٧].وبدون شك فان هذا النشاط الكبير في ميناء عدن قد ساهم في زيادة كميات البن المصدر عـــبره ، مما أدى في نهاية الأمر " إلى تخفيض العوائد المادية لكل من المخا و الحديدة إلى درجة خطيرة من الانخفاض "[٢٧٨] . أما بالنسبة للسفن، فلم يكن وصولها إلى عدن مـــن أجـــل تفـــادي الرسوم الجمركية العالية التي وضعها الحاكم التركي ، و التي حددت بنســـبة ٥٪ للســـفن الإنجليزية ، و١٢ ٪ بالنسبة للسفن من الجنسيات الأخرى فحسب ، ولكن أيضا لتفادي الرحلة الطويلة إلى البحر الاحمر ، والتي ربما تكون محفوفة بالمخاطر .

جـــ : ميناء الحديدة :

بدأ ميناء الحديدة بالظهور منذ عام (٧٩٧هـــ / ١٣٩٥م) ، وقد كان يمثـــل مينـــاءً صـــــغيرا ، في العصـــــور الوســـــطى ، ولكـــــن ابتـــــدأ مـــــن عـــــام (١٠٩١-١١٠٢هـــ / ١٦٨٠- ١٦٩٠م) بدأ هذا الميناء يلعـــب دورا محـــدودا في تجارة البن . ففي هذه الفترة كان القراصنة الأوربيون المتمركـــزون في جزيـــرة مدغشـــقر يهاجمون السفن القادمة إلى المخا من اجل تجارة البن " لذلك أخذت هذه السفن تتجـــه إلى ميناء الحديدة ،و اللحية لتحميل البن خوفا من مهاجمة القراصنة ، وبـــذلك ازدادت أهميـــة الحديدة كميناء لتصدير البن إلى جدة، ومصر و أوروبا "[٢٧٩] . وقد ساعد موقع الحديـــدة القريب من مناطق إنتاج البن على المرتفعات الغربية، وأسواقه في تهامة على ازدهار مينـــاء الحديدة .

لقد زار ميناء الحديدة الكثير من الرحالة الأوربيين، الذين ذكروا الكثير عن ازدهـــار تجارة البن عبر هذا الميناء ، فقد لاحظ الرحالة الإنجليزي جون اوفينجتون، و الذي وصـــل إلى اليمن عام (١١٠١هـــ /١٦٨٩م) م ازدهار صناعة السفن في ميناء الحديدة ، كمـــا

---

[٢٧٧] – حسن صالح شهاب : عدن فرضة اليمن ، ص٢٤١- ٢٤٢.

[٢٧٨] – Marston :Britain’s Imperial Role In The Rad Sea Area , P. 159.

[٢٧٩] - عباس فاضل السعدي: البن في اليمن ، ص ١٠٦ .

لاحظ أيضا " أن تصدير البن من أهم نشاطات ميناء الحديدة في ذلك الحين ، حيث كـــان يصدر إلى جدة و مصر و أوروبا "[٢٨٠] . وعندما وصل نيبور إلى اليمن وجد أن هذا الميناء كان مزدهرا بتجارة البن ، الذي كان ينقل إليها من المناطق الداخليـــة المجـــاورة ، ومـــن الأسواق الداخلية مثل سوق الحدية ، وسوق علوجة في منطقة كسمة .وقد عـــزى نيبـــور ازدهار مدينه بيت الفقيه ، والتي كانت أهم أسواق البن في اليمن والعالم ، إلى ازدهار ميناء الحديدة، إذ أن ميناء الحديدة كان ميناءً لبيت الفقية ، وقد ربط بين انهيار مدينه زبيد مـــن الناحية التجارية ، وبين انهيار ميـنـــاء غليفقـــة ، والـــذي كـــان يعـــد مينـــاء لهـــا . وفي عام(١١٨٢هـــ/ ١٧٦٨م) زار الرحالة الإنجليزي جيمس بروس الحديـــدة ، وذكـــر أن ميناءي الحديدة و اللحية أكثر موانئ اليمن أهمية في تصدير البن[٢٨١] . وفي عـــام ١٧٧٧م قدم مبعوث رسمي إنجليزي من حكومة الهند البريطانية في الهند إلى الحديدة ، وذكـــر انـــه " تم تصدير ٧٠.٠٠٠ بالة من البن إلى جدة ، عن طريق ميناء الحديدة ، وهـــذه الكميـــة تساوي ١١٨.٥٩٥ طن إنجليزي "[٢٨٢] . وقد علق جون بولدري على ذلك ، بان هنـــاك مبالغة في هذه الأرقام لان هذا القدر من الضخامة بحيث يصعب تصديق تصديره إلى جدة و حدها .

لقد كان التجار الاتراك هم العنصر الابرز في تجارة البن عبر ميناء الحديدة ، ففي عام (١٢١٩هـــ / ١٨٠٤م) وصل إلى الحديد مجموعة من التجار الاتراك لطلـــب الـــبن ، " فاخذوا شيئا واسعا ، وتتابع التجار في ذلك العام إلى هناك "[٢٨٣] .

تأثرت تجارة البن عبر هذا الميناء بالأحداث السياسية التي شهدتها اليمن بشكل عام ، والأحداث التي جرت في تهامة بشكل خاص ، فقد ساهمت الإضطربات الداخلية و ظهـــور الحركة الوهابية ،و ما تبعها من وصول قوات محمد علي إلى اليمن ، ومن ثم استيلائه علـــى تهامة ، وممارسته الاحتكار تجارة البن في اليمن ، ثم احتلال بريطانيا لعـــدن ، كـــل تلـــك

---

[٢٨٠] – جون بولدري : اهم الاحداث في تاريخ الحديدة ، ترجمة : محمد عزي صالح ،مجلة الاكليل ،ص ٦٤

[٢٨١] – نفس المرجع : ص ٦٥ .

[٢٨٢]– جون بولدري : اهم الاحداث في تاريخ الحديدة ، ترجمة : محمد عزي صالح ،مجلة الاكليل ص ٦٥.

[٢٨٣] – لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي ،ص ٦٤٩ .

الأحداث أثرت على تجارة البن عبر الحديدة . فقد حاولت كافة القوى المحلية و الأجنبية المتواجدة في المنطقة في القرن التاسع عشر تحويل تجارة البن إلى الميناء الذي تسيطر عليه .

فإذا كانت بريطانيا قد حاولت سحب تجارة البن إلى عدن ، فإن قوات محمد علي عملت على تحويلها إلى الحديدة ، وذلك حتى يسهل على محمد على ممارسة احتكاره لهذه السلعة . وبذلك بدأ ميناء المخا ينهار مقابل ازدهار كلٍ من ميناءي الحديدة ، و عدن . وبعد أن احتلت بريطانيا عدن عام ١٨٣٩م سعت للقضاء نهائيا على ازدهار تجارة البن عبر ميناءي المخا والحديدة ، وخاصة بعد إصدار القانون رقم (١٠) ، والذي بمقتضاه أصبحت عدن ميناءً حراً ،و إلغاء الرسوم الجمركية على الصادرات ، والواردات إلى عدن مما شجع التجار على نقل بضائعهم إلى عدن ، خاصة البن .

وقد استمر ازدهار ميناء الحديدة خلال خمسينيات القرن التاسع عشر فقد ذكر احد موفدي حكومة الهند البريطانية، والذي زار الحديدة عام (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م " الحديدة من أعظم المدن اليمنية ازدهارا ، وأنها تصدر البن إلى مصر وعدن وبومباي وفرنسا وأمريكا "[٢٨٤] .

وازدادت أهمية الحديدة بعد افتتاح قناة السويس ، عام ١٨٦٩ م ، فقد ازدادت أعداد السفن التي وصلت إلى الحديدة ، حتى وصلت إلى ٨٠ سفينة أسبوعيا فاندفعت الشركات الأوربية ، وأقامت لها فروعا فيها ، " ولم يقتصر نشاط الشركات على رعاية سفنهم القادمة من الهند ، بل مارسوا التجارة داخل اليمن ، فاخذوا يشترون من اليمن البن و الجلود والعسل ، ويصدرون إليهم المصنوعات "[٢٨٥] .

وقد أدت العمليات العسكرية المتكررة التي تعرضت لها المخا إلى تحول تجارة البن إلى ميناءي عدن و الحديدة بالتدريج حتى انتهت عمليات تصدير البن عبر ذلك الميناء نهائيا في نهاية القرن التاسع عشر، و بداية القرن العشرين، ففي عام(١٢٩٨هـ / ١٨٨١ م) " صدرت اليمن كمية من البن تقدر باثنين مليون جنيه إسترليني "[٢٨٦] .

---

[٢٨٤] - جون بولدري : اهم الاحداث في تاريخ الحديدة ، ترجمة : محمد عزي صالح ، مجلة الاكليل، ص٦٧ .

[٢٨٥] – د. محمود عامر : اليمن من خلال لائحتي محمد خليل افندي ، ص ٨٨.

[٢٨٦] – جون بولدري : اهم الاحداث في تاريخ الحديدة ، ترجمة : محمد عزي صالح ، الاكليل، ص٦٧ .

لم تذكر المصادر ، اليمنية حجم الأموال التي كان يحصل عليها الحكام من ميناء الحديدة ، ولا كيفية التعامل مع تلك الإيرادات . ويكاد الباحثون لا يجدون شيئا حول هذه المسألة الهامة . وباستثناء ما ورد من إشارة عابرة عند لطف الله جحاف حول إيرادات الحديدة، فقد أورد في سياق ذكره لحادثة رفع الإمام المنصور علي لوزيرة احمد بن إسماعيل فايع عن مسئوليته عن الحديدة ، أن السبب في ذلك ، هو كثرة المطالب المالية التي كان يطلبها الوزير من حاكم الحديدة الأمير وفق الله ، فقد ذكر أن " المقرر وصوله من البندر كل شهر ثلاثة آلاف قرش فرانصة ، ليس إلا، وما فاض من الحقوق و الزيادات منها يدخره العامل هناك للنوائب بالغا ما بلغ ذلك الفائض "[٢٨٧] . و قد وقعت هذه الحادثة في عام (١١٩٦هـ / ١٧٨١ م). عموما فقد ذكر جحاف أن هذه العادة ، أي إبقاء جزءاً من محصول الميناء عند العامل لمواجهة حالات الطوارئ كانت موجودة منذ أمد بعيد . وقد استدل على ذلك بما وقع من حادثة في عهد الإمام المهدي عباس ، ولا يسع المجال هنا لذكرها . وقد أدت كثرة المطالب التي كان طلبها الوزير أحمد بن إسماعيل فايع إلى إن يشتكى به عامل الحديدة الأمير وفق الله لدى الإمام مما أدى إلى نزع الحديدة من يده .

ولا يعني أن الأموال التي كان يجبيها الولاة لصالح الأئمةكانت ناتجة كلها عن تجارة البن ، ولكن نظرا لأهمية تجارة البن عبر هذا الميناء، يمكن الاستنتاج إن معظم تلك الأموال كانت ناتجة عن تجارة البن . و قد ذكر نيبور أن ميناء الحديدة كان يحقق دخلا جمركيا عاليا، وأضاف أن عامل الحديدة كان في شغل شاغل في جمع تلك الضرائب على البن ، " وكأنه لا عمل له سوى قبض الضريبة الجمركية "[٢٨٨] . ومما يلفت الانتباه أن الرقم الذي أورده نيبور لحجم العائدات المادية التي كان يحصل عليها الإمام من الحديدة هي ١.٤٠٠ قرش شهريا فقط . وقد علق الدكتور أحمد الصائدي على ذلك بأنه " من المستغرب أن تكون إيرادات الحديدة ١.٤٠٠ شهريا فقط أي مساوي لإيرادات زبيد ، وأقل من إيرادات اللحية ، فهذا الرقم لا يتناسب مع تأكيد نيبور بأن الحديدة تحقق إيرادا عاليا ، وأن عاملها

---

[٢٨٧] – لطف الله جحاف : الدرر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي ، ص ٢٧٤ .

[٢٨٨] - د . احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ،ص ١٨٦

لا شغل له إلا تحصيل الإيرادات، ولا مع تأكيده أن أهمية زبيد قد تلاشت و حلت محلـها بيت الفقيه كما حلت الحديدة محل غليفقة "[٢٨٩] .

كان البن الوارد إلى ميناء الحديدة يصدر إلى موانئ جدة و السويس و القصير. كما كان البحارة العمانيين ينقلون البن إلى مسقط و البصرة ، وبقية الموانئ المطلة على الخليج العربي . و قد اشتكى العمانيون من بعض الإجراءات التي اتخذها السلطات اليمنية لجمع الضرائب في ميناء الحديدة، ونتيجة لذلك أرسل السلطان العماني أحمد بن سعيد في عام (١١٩٤هـ/ ١٧٧٦م) رسالة إلى حاكم المخا علي بن صالح العماري يشتكي من تلك الإجراءات، وقد ذكر في تلك الرسالة " أنه اتصل بمسامعنا العلية و بلغ إلى سدتنا السنية من رعايانا المترددين إلى بنادر اليمن ممن يتكسب التجارة ، وهي الكسب الحسن ، انه أبدع عليهم بدعا عديدة بعضها في بندر الحديدة ، وبعضها في بندر المخا "[٢٩٠] . وقد هدد السلطان احمد بن سعيد بتجهيز جيشه، والهجوم على اليمن إذا لم يتم إزالة الرسوم الجديدة، ولكنه رأى في البداية الكتابه إلى حاكم المخا لإزالة تلك المستحدثات بالحسنى . وما كان من الحاكم إلا أن أرسل رسالة جوابية إلى السلطان قال فيها " أما ما ذكرتم من عشور الحديدة فهو سلف و متبوع على أثر الخلف ، وما أبنتم في مرقومكم ممن أي جهة كان التظلم ، بل تركتم التفصيل و أجملتم ، وإما عشور المخا فما ثمة بدعة ، ولا نرضى بها قط"[٢٩١] .

د_ ميناء اللحية :

يقع ميناء اللحية إلى الشمال من ميناء الحديدة ، على بعد ١٢٠ كيلو متر ، " وهي عبارة عن جزيرة متصلة باليابس "[٢٩٢] . ولقد لعب ميناء اللحية دورا جيدا في تجارة البن ، خاصة في الفترات التي كان يتعرض فيها ميناء المخا لهجمات القراصنة الأوربيين، وقد ذكر

---

[٢٨٩] – د . نفس المرجع ، ص ١٨٩

[٢٩٠] - لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي ، ص ٢٣١ – ١٣٢.

[٢٩١] – لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي ، ص ٢٣٣.

[٢٩٢] – ابراهيم المقحفي: معجم البلدان و القبائل اليمنية ،جـ ٢ ، ص ١٣٧٠.

الرحالة اوفيتون انه بسبب التدمير الذي أصاب المخـا ، فضـل التجـار الانتقـال إلى اللحية[٢٩٣].

ولقد كان يصدر عبر ميناء اللحية البن الذي يأتي من المناطق الجبلية القريبـة منـها ، وكان البن الوارد إليها أقل جودة من البن الوارد إلى كلٍ من المخـا و الحديـدة، " إلا أن رخص أسعاره و قرب اللحية من ميناء جدة ، كان يقلل من تكاليف شرائه و نقلـه ، ممـا جعل الكثير يفضلون شراءه من اللحية و شحنه إلى جدة ، ولهذا كان هناك تجار خاصة من مصر يقيمون في اللحية و يتولون شراء البن ونقله إلى جدة ،ومنها إلى مصر و تركيا"[٢٩٤] . لم يقتصر الأمر على التجار المقيمين في اللحية ، ولكن كان هناك تجار أجانب يأتون سـنويا لشراء البن ،ثم يعودون إلى بلدانهم بعد انتهاء موسم الشراء.

ولقد ذكر نيبور أن هذا الميناء يدر على الإمام دخلاً كبيراً ، ففي موسـم التجـارة خلال الأشهر ابريل و مايو و يونيو و يوليو ، كان يدر دخلا شهريا يساوي ٣.٠٠٠ ريال، وفي الأشهر الأخرى ٢.٠٠٠ ريال شهريا . و هذا إيراد أعلى من إيراد ميناء الحديـدة ، الذي يبلغ ١.٤٠٠ ريال شهريا فقط ، كما سبق ان أشرت .

وقد سمح ازدهار التجارة في ميناء اللحية لبعض الولاة الذين عينوا عليهـا لتكـوين ثروات كبيرة لقاء عملهم في التجارة ، وليس أدل على ذلك من الحاكم سـعيد المجـزبي، والذي توفي في عام(١٠٨٦هـ /١٦٧٥م). وقد ترجمه المؤرخ يحيى بن الحسـين بقولـه " استمر في غرة الدنيا ورياستها ، في هذه المدة الطويلة في ولاية بندر اللحية والضحي ،وما إلى ذلك من تهامة حوالي أربعين سنة فأكثر ،من وقت الحسن بن الإمام ، وفتحـه لـذلك البندر في تلك الأيام "[٢٩٥] .

والى جانب تلك الموانئ اليمنية كان يوجد موانئ أقل أهمية في تجارة البن ، ومنها ميناء جيزان ، والذي كان يصدر منه البن " الأتي من بلاد حاشد و بكيـل "[٢٩٦] إلى جـدة ثم السويس ومنها إلى القاهرة . كما وجدت بعض الموانئ اقل شهرة من الموانئ السابقة، وقد

---

[٢٩٣] – د. نقولا زيادة : الطرق التجارية، مجلة تاريخ العرب و العالم ، ص ٢٥.

[٢٩٤] – د . احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٦٧ .

[٢٩٥] - يحيى بن الحسين : بهجة الزمن : تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ ٢ ، ص ٣٤٥.

[٢٩٦] - د احمد الصايدي: المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٦٧ .

ساهمت تلك الموانئ في نقل البن من منطقة إلى أخرى داخل اليمن نفسه، مثل ميناء شـــقرة، " حيث كان يتم شراء الجزء الأكبر من البن اليافعي من أجل بيعة في حضرموت "[297] .

ثالثاً : الطرق ووسائل النقل :

تعد الطرق ووسائل النقل جزءاً أساسياً من البنية التحتية للتجـــارة بشــكلٍ عـــام ، وتجارة البن بشكلٍ خاص ، فهي تمثل الشرايين الأساسية لنقل البن من المناطق الزراعيـــة إلى الأسواق و الموانئ .

ونظرا لأهمية الطرق بالنسبة لتجارة البن ، فقد أولاها حكام اليمن المتعاقبون ، سواء مـــن العثمانيين أومن اليمنيين اهتماماً خاصاً ، فكانوا يقومون برصفها ، و تعبيدها ،و تأمينها من اللصوص ، و قطاع الطرق ، و ذلك من أجل تسهيل مرور قوافل البن إلى الأسواق . على سبيل المثال ،فقد جهز الإمام المهدي أحمد بن الحسن في عـــام (١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م) أحد رجاله وهو أمير الدين القرشي إلى تهامة " وأمره بإصلاح الطرقات والموارد ، و انتـــهى إلى صبياء "[298] . و قد لاحظ نيبور وجود الكثير من الطرق المرصوفة في اليمن ، سواء في المدن او في الجبال " كما في الجبال بين العدين وجبلة وجبل سمارة وجبل كوكبان "[299] ، وهذه الطرق تقع وسط مناطق زراعة البن .

وكانت بعض الطرق تمر بمجاري السيول ، لذلك انُشأ العديد من الجسور، و ذلك حـــتى تتمكن القوافل التجارية من اجتياز هذه المجاري بسهولة و يسر ، خاصة في مواسم ســـقوط الأمطار ، و قد صادف نيبور و أفراد بعثته بعد مغادرتهم القاعدة متجهين إلى اب " جســـرا قائما فوق عقد ضخم مبني بالحجارة و ذلك قرب سمسرة ، و يستطيع المسافر أن يمر علـــى ذلك الجسر، متجنبا مجرى الماء ، المنحدر بقوه من الجبال"[300] .

---

(297) Gavin : Aden Under British Rule , P. 120.

(298) عبد الله الوزير : طبق الحلوى ، تحقيق : محمد عبدالرحيم جازم ، ص٣٥٠ .

(299) – د. احمد الصايدي : المادة التاريخية ، ص ٢٣٤ .

(300) – نفس المرجع : ص ٢٣٤ .

اهتم حكام اليمن إلي جانب إنشاء الجسور بإنشاء محطات استراحة للتجار والمسافرين والحيوانات التي كانت تحمل البضائع ، و كانت تلك المحطات تعرف بالسماسر . لقد كان عمل تلك السماسر يشبه الى حدٍ ما عمل الفنادق في الوقت الحاضر. ولقد امتدت تلـــك المحطات بامتداد الطرق من المناطق الزراعية إلى المناطق التجارية في الأسواق ، والمـــوانئ ، ولأهمية تلك المحطات سوف اشرح ذلك بالتفصيل لاحقا .

لقد كانت القوافل التي تحمل البن تستغرق عدة أيام للوصول إلى المحطة الأخـــيرة ، حيث يتم بيع البن أو تصديره للخارج ، لذلك كان لابد من وجود مصادر مائية يشـــرب منها التجار والمسافرون ، وكذلك الحيوانات، لذلك أنشأت خزانات لحفظ الماء ، علـــى امتداد الطرق، وذلك لتزويد القوافل بالمياه العذبة . وقد لاحظ التجار الهولنـــديون هـــذه الخزانات على طريق المسافرين ، وبمسافات متقاربة ، حيث " يجد المرء عادة كـــل ٢أو ٣ أو٤ أميال أوعية للماء جميلة البناء أي صهاريج مملوءة بالماء العذب على الدوام لإطفاء ظمأ الماشية "[٣٠١] . وكانت تلك الخزانات تعرف بالمواجل . وكان نيبور قد شاهد ثلاثة مواجل في جبل مسعد في اب ، و قد ذكر تلك المواجل بصورة متكـــررة علـــى امتـــداد طـــرق المسافرين، كما قدم نيبور وصفا دقيقا للمواجل التي شاهدها في المناطق الجبليـــة ، فهـــي عبارة عن خزانات مكونة من بناء مربع مساحته حوالي اثنين و نصف قدم ، و ارتفاعه من ٥ إلى ٧ أقدام و سطحه من الأعلى إما مدور أو مخروطي الشكل ، وله في أحـــد جهاتـــه فتحة صغيرة يصب منها الماء إلى داخله و يجد المسافر عند هذه المواجل وعاء صغير ، إمـــا من القرع أو من الخشب[٣٠٢] ، يستخدمه المسافر أو التاجر من أجل غرف الماء وشُربه .

ولأن البن كان يمثل سلعةً تجاريةً ثمينةً ، فأن القوافل التي تحمله كانت تغري اللصوص وقطاع الطرق ، من اجل قطع الطريق عليها و نهب حمولتها ، لذلك شكلت عملية تـــأمين طرق القوافل التي تحمل البن جزأً من مهام الدولة ، فقد كانت تسير تلك القوافل مصحوبة بمجموعة من العسكر ، ففي عام (١٢١٩ هـــ / ١٨٠٤ م) هاجم جماعـــة مـــن أتبـــاع الحركة الوهابية قافلة مكونة من ثمانين جملا ، كانت تحمل البن ، و هي خارجة مـــن بيـــت الفقيه ، في طريقها إلى الحديدة ، " وكانت الحمائل محروسة بعسكر من جماعة الأمير فـــتح

---

[٣٠١] – براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص ٨١

[٣٠٢] – د. احمد الصايدي : المادة التاريخة في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٦٠ .

سعيد الجزبي "[303] حاكم بيت الفقيه من قبل الإمام ، و لما علم حاكم الحديدة صالح ابـــن يحيى بذلك خرج مع مجموعة من العسكر الموجودين عنـــده في الحديـــدة " ففاجـــأهم بالطريق و استخلص الحمائل ، و قتل سبعة من المواهبة – أي الوهابيين _"[304] .

وكان يجب على القوافل التي تسير على الطرق الداخلية ، ان تدفع رســـوم عبـــور للمناطق الإدارية التي تجتازها ، و قد ذكر نيبور في قرية موشج الواقعة على الساحل بـــين زبيد و المخا ، و في قرية أخرى تقع في طريق بيت الفقية – العدين كان المسافرون يدفعون ضرائب على أحمال جمالهم . و دفع هو و زميله في الرحلة فورسكال ضريبة مرور مقدارها ربع ريال ، وكان ذلك المبلغ زهيد من وجهة نظره مقارنة بما يجب ان يدفعـــه المســـافر في أوروبا[305] .

وقد تأثرت الطرق التجارية بالأوضاع السياسية في اليمن ، ففي الفترات التي كانت البلاد تنعم بالهدوء و الاستقرار ، كانت الطرق آمنة ، و سير القوافل عليها آمناً و ميسراً ، أما في حالة عدم الاستقرار ، وانتشار الفوضى ، فأن الطرق غالبا ما تكون مهددة ، الســـير عليها غير آمن ، على سبيل المثال ، عندما بدأت القوى اليمنية تواجه الوجـــود العثمـــاني الأول في اليمن ، و بدأت الفوضى تسود أرجاء البلاد ، و أصبحت الحكومـــة العثمانيـــة منشغلة بمواجهة القوى المحلية، بدأت سيطرتها على الطرق تنحسر ، و قد ذكـــر التـــاجر الهولندي وليم دي ملدة انه في عام (١٠٣٤ هـــ/ ١٦٢٤ م) ، بعد أن غـــادر الـــوالي التركي على اليمن فضلي باشا ، أصبحت التجارة ضعيفة ، و أصبحت معظم الطرق غـــير حرة[306]، وذلك بسبب قيام مجموعة من اليمنيين بالهجوم على القوافل ، فقد هاجموا قافلة نازلة من تعز، وكانت قيمتها تزيد عن ١٥٠.٠٠٠ ريال ، هذا بغض النظر عن البضائع ، و أعاقت هذه الخسارة نزول الآخرين "[307] .

---

[303] – لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي : ص ٦٤٣ .

[304] – نفس المرجع : ص ٦٤٣ .

[305] د. احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٨٧ ،

[306] – براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص ١٦٧ ،

[307] – نفس المرجع : ص ١٦٧ .

وبعد رحيل الأتراك عن اليمن ، و تحول السلطة إلى الأئمة من بيت القاسم ، أصبحت الدولة قوية في بدايتها ، لذلك أولى الأئمة الطرق جل اهتمامهم ، لعلمهم بمدى أهميتها ليس من أجل التجارة فحسب ، ولكن من اجل الزراعة أيضا ، وقد ذكر صالح بن ابوالرجال في مخطوطته مطلع البدور و مجمع البحور أن الحسن بن الإمام القاسم قد اهتم بالطرق حيث عمل" نحو عشرين نقيلاً مدرجة إلى جهات و مزارع "[٣٠٨] في حصن الدامغ في ضوران آنس ، و هي من المناطق المشهورة بزراعة البن الجيد.

وبعد أن بدأت الدولة تأخذ في الضعف ، وما نتج عن ذلك من فوضى عمت البلاد بأكملها تأثرت طرق التجارة بشكل عام بحالة الفوضى تلك ، فكثرت أعمال التقطع ، والسلب والنهب التي تعرضت لها القوافل التجارية ، الذاهبة و العائدة من والى الأسواق التجارية ، مما زاد في ضعف الدولة ، نتيجة حرمانها من العائدات المالية الضخمة التي كانت تدرها التجارة ، وخاصة تجارة البن الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى انهيارها ، وتقطيع أوصالها ، منذ نهاية القرن الثامن عشر ، وبداية القرن التاسع عشر .

ولدت الفوضى السياسية الكثير من المشاكل ، منها نهب أموال التجار أثناء نقلها إلى الموانئ . ففي عام (١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م) قامت القبائل بقطع الطرق على التجار الموالين للدولة ، وقد ذكر التجار الذين نزلوا إلى المخا في تلك السنة " أن من كان تاجرا ، ولم يكن من أصحاب الدولة فلا يعترض ، و من كان من أصحاب الدولة انتهب "[٣٠٩]،و لما علم تجار صنعاء بذلك لم تطمئن قلوبهم بالنزول إلى المخا، و لكن في شهر شعبان من نفس السنة نزل عدد من التجار إلى المخا " ولما بلغوا _ أي وصلوا _ تحققوا الأخبار من الحجرية و الطريق ، فوافقوها مختلة ، وأنهم يخشون على أموالهم و أنفسهم فتحيروا — أي تأخروا – هنالك "[٣١٠] .

لقد كان لظهور الحركة الوهابية في تهامة ، أسوء الأثر على التجارة بشكل عام ، وعلى تجارة البن بشكل خاص ، فقد كان أتباع هذه الحركة يتوغلون في تهامة ، و يقطعون الطرق على القوافل التي تحمل البن ، و يقومون بنهبها ، ففي عام

---

[٣٠٨] – صالح ابو الرجال : مخطوط مطلع البدور و مجمع البحور، جـ ٢ ، ص ٥٠

[٣٠٩] _ يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير،جـ٣ ، ص ٦٥٠.

[٣١٠] _ يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير، جـ٣ : ص٦٤٤ .

(١٢١٨ هـ / ١٨٠٣م) قام جماعة منهم بغزو الحديدة ، و في طريقهم إليها " رأوا قافلة تحمل البن فدارت خيلهم عليها ، فاستسلم أهلها ، وكانت نحو من خمسة و عشرين جملا فاقتادوها "[٣١١] ، و قد كرر الوهابيون هذا العمل في العام التالي (١٢١٩ هـ /١٨٠٤م) عندما " حملوا على حمائل البن الخارجة من بيت الفقيه ابن العجيل "[٣١٢] ، و كذلك في عام (١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م) ، عندما تقطعوا لقافلة تحمل البن ليحيى بن علي سعد ، و هو أحد رجال الدولة ، الذي " سير ثمانين جملا بنا صافيا إلى البندر ـ أي إلى المخا ـ ، فتقطعه الموهبة "[٣١٣] ، و قد تمكن صاحب القافلة من استرجاعها بالقرب من حيس .

تجارة الجمال وأثرها على تجارة البن في اليمن

مثلت الجمال الوسيلة الأهم في نقل البن إلى الأسواق و الموانئ ، لذلك فقد صاحب ازدهار تجارة البن، ازدهارا كبيرا في تجارة الجمال . و قد ذكرت الجمال كسلعة تجارية في قانون صنعاء ، حيث سرت على الجمال القوانين التي كانت تسري على البقر ، حيث "يشترط في المصلحين ـ أي الوسطاء بين البائع و المشتري ـ الأمانة و عدم الخيانة ، ويعرفوا البايع بالمشتري " [٣١٤] ، وكان يأخذ الوسيط من البايع ربع قرش ، ومن المشتري ثمن قرش .

لقد كان البن ينقل من المناطق الزراعية إلى الأسواق و الموانئ في قوافل مكونة من عدد من الجمال ." وكانت القافلة التي تعمل داخل اليمن تتألف مابين ٤٠ إلى ٥٠ جملاً "[٣١٥]. و قد تصل أحيانا إلى أكثر من مائة جمل .

وتعد مدينتي بيت الفقية و المخا من أهم مراكز تجارة الجمال في اليمن ، وربما الجزيرة العربية ، وطبقا لملاحظة أوردها احد التجار الهولنديين عام ١٦١٦ م .

---

[٣١١] – لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي، ص ١٣٥ .

[٣١٢] – نفس المرجع : ص ٦٤٣ .

[٣١٣] – نفس المرجع : ص ٧٨٨ .

[٣١٤] - حسين السياغي : قانون صنعاء ، ص ٢٩ .

[٣١٥] – Brouwer: AL- Mukha, P.221 .

لقد كانت الجمال تحمل البن في خروج كبيرة من الحصير وكان الجمل الواحد يحمل عادة خرجا واحدا ، مكون من فتحتين ، على جانبي الجمل[٣١٦]. وكان يتم تعبئة كلا من الفتحتين بنسب متعادلة من البن ، لذلك سميت حمولة الجمل من البن أو من غيره بالعدلة ، نظرا لتعادل الكمية في فتحتي الخرج تقريباً .

لقد ساهمت التجارة المزدهرة للبن في اليمن في ازدهار البني التحتية اللازمة لها، و قد ذكر احد التجار الهولنديين في عام ١٦١٤ م أن تنقل التجار كان سهلا " فالتجارة المزدهرة للجمال ، و التطور الكبير في البنى التحتية ، و التي تشمل الطرق ، محطات التوقف ، وخزانات المياه ، جعلت مرور الجمال بحمولات ضخمة أمراً ممكنا "[٣١٧] . و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على الاهتمام الكبير الذي أولاه اليمنيون للتجارة ، و على رأسها تجارة البن .

أثرت درجة توفر الجمال على تجارة البن تأثيراً ملحوظاً على تجارة البن ، حيث أن عدم توفرها كان يعني تأخر وصول شحنات البن إلى الموانئ و الأسواق ، و ما يترتب على ذلك من قلة كمية البن المعروضة هناك ، و بالتالي ارتفاع أسعاره ، ففي عام ١٧١٩ تعاقد التجار الهولنديون على ١٠٠٠ بهار من البن في بيت الفقيه ، و بعد أن تجمعت الكمية المتعاقد عليها من البن ، أرسل التجار الهولنديون إلى ويرا (**Wiera**)، رئيس المقيمية الهولندية في المخا ، رسالة ذكروا فيها أنه يوجد لديهم صعوبة في توفير العدد الكافي من الجمال لنقل البن إلى المخا ، والسبب في ذلك هو قيام أصحاب الجمال بنقل البن إلى الحديدة من اجل تصديره إلى جدة والسويس ، وذكروا أيضا انه عندما يأتي موعد نقل أخر حمولة إلى الحديدة " سيكون من الصعب إيجاد عدد كافي من الجمال ، خاصة أن سائسي الجمال أصبحوا يفضلون الطريق الأقصر ، و الأكثر فائدة إلى الحديدة ، أكثر من الطريق الطويل إلى المخا " [٣١٨] .

---

[٣١٦] - جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ترجمة : قدري قلعجي، ص ١١٣ – ١١٤ .

[٣١٧] – **Brouwer : AL- Mukha, P.221.**

[٣١٨] – **Kristof Glamann : Dutch – Asistic Trade, P.198.**

رابعاً : السماسر:

مفردها سمسرة ، والسمسرة في اللغة : هي حرفـة السمســار : جمعــه سماســرة وسماسر، وهو المتوسط بين البائع و المشتري ، و مالك الشيء ، وقيمه . وقد تطور معـنى السمسرة في اليمن إلى المكان الذي تجري فيه الأعمال التجارية[٣١٩]. وكانت السمســرة تستخدم لخزن البضائع ، ويسمى المخزن في صنعاء سمسرة[٣٢٠] .كما كانت السماسر تقوم مقام الفنادق في الوقت الحاضر ، فقد كانت عبارة عن أمـاكن يـأوي إليهـا التجـار والمسافرون أثناء السفر والانتقال من مكان إلى آخر ، ولذلك تعد السماسر جزءاً لا تجـزأ من البنية التحتية للتجارة في اليمن في بداية العصر الحديث .

نظرا لأهمية السماسر في الحياة الاقتصادية اليمنية ، فقد أولتها الحكومـات المتعاقبـة اهتماما كبيرا . فقد قام الأمير علي بك ، أمير مدينة تعز، في عهد الوالي التركي مراد باشا الذي وصل الي اليمن عام (٩٨٣ هـ/ ١٥٧٥م)، ببناء سمسرة كبيرة في شرقي ميـدان مدينة تعز ، " وجعل فيها أربعة وستين مسكنا ، على طبقتين ، فالطبقة السـفلى مخـازن ، و الطبقة العليا مناظر برواشن[٣٢١] ، وعين من كراها[٣٢٢] أربعين حرفـا في كـل سـنة ، يشترى بها ثياب لتكفين الموتى من الفقراء و المساكين من المسلمين "[٣٢٣] ، و بقية الأموال الناتجة من ريع السمسرة كانت تصرف في بعض المصاريف اللازمة ، وقد جعل الأمير علي في ذلك " بصيرة شرعية" [٣٢٤] . وفي عام (١٠١٣ هـ/ ١٦٠٥م) وصل واليـا على اليمن سنان باشا، وقد قام بترميم هذه السمسرة ، و " جعلـها سـبيلا للمسـافرين ومأوى ومقيلا للنازلين وجعل فيها حافظا وكناسا وسراجا دائما ، وجعل مـن خارجهـا

---

[٣١٩] – د. حسين العمري : مادة السمسرة في الموسوعة اليمنية، جـ٢ ، ص٢٥٨

[٣٢٠] – حسين السياغي: قانون صنعاء، ٢١.

[٣٢١] – الرواشن : أي بناء خارج عن البناء الأساسي للمبنى ، وربما تشبه البلكونات في الوقت الحاضر.

[٣٢٢] – كراها : أي اجرها

[٣٢٣] – عبد الصمد الموزعي : الأحسان ، تحقيق : عبد الله الحبشي، ص ٥٥.

[٣٢٤] – نفس المرجع : ص ٥٥.

دكاكين أوقفها على مصالحها، وعين أجرة أهل خدمتها من كراء الدكاكين المذكورة "[٣٢٥]

.

ولم يكن اليمنيون أقل اهتماما ببناء السماسر من الأتراك ، فقد سعوا إلى الاهتمام بالتجارة ، و تحسين إجراءاها ، وكانت السماسر جزءاً من تلك المنظومة التجارية . فقد قاموا بإنشاء السماسر على طول الطرق ، و في المدن و الأسواق الكبيرة . فقد قام محمد بن الحسن ابن الإمام القاسم ببناء العديد من السماسر الكبيرة والمشهورة ، منها سمسرة في صنعاء بناها في عام (١٠٦٩ هـ / ١٦٥٩م) ، وقد عرفت بسمسرة محمد بن الحسن " وانتفع بها التجار ولاسيما الأعراب "[٣٢٦] ، و كان محمد بن الحسن قد انشاء سمسرة كبيرة في ذمار بجانب مسجد الديلمي. كما قام أحمد بن الامام القاسم ببناء سمسرة في عظيمة "بسوق العنب بصنعاء "[٣٢٧]، و قد أوقف ريع هذه السمسرة لصالح المسجد الذي بناه في ألروضه .

لقد ظل اهتمام الأئمة ببناء السماسر طوال المدة التي حكموا فيها ، ففي عام (١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧م) قام الإمام المنصور علي ببناء سمسرة في سوق صنعاء "على يمين الخارج من السوق إلى الجامع "[٣٢٨] .

ولم يقتصر بناء السماسر على الرجال من بيت الأئمة ، ولكن النساء أيضا شاركن في هذا العمل باعتباره عمل خيري ، فقد قام أحمد بن القاسم ببناء سمسرة الأزرقين " بوصية من بعض زوجاته بنات المعافى ، و منها سمسرة ريده و غيرها. ساهم التجار وأهل البر في بناء السماسر أيضا فقد قام أحد التجار وكان يدعى مقريش بعمارة سمسرة كبيرة في بلدة غشم من بلاد الاشمور " فبنيت بالعقود ، و القضاض ، و الباب الكبير تدخلها الجمال

---

[٣٢٥] نفس المرجع : ص٩٦ ، ٩٧ .

[٣٢٦] - محسن ابو طالب : طيب اهل الكسا ، تحقيق : عبدالله الحبشي : ، ص ٧١ .

[٣٢٧] - يحيى بن الحسين ، بهجة الزمن، تحقيق : امة الغفور الامير ،جـ١ ، ص٣٣٦.

[٣٢٨] - نفس المرجع ،جـ١: ص ٣٨١ .

والأحمال"[٣٢٩] . كما بنى التاجر محمد الحطروم (ت١٠٧٩هـ /١٦٦٨ م) أيضا" سمسرة وماجل للماء في نقيل عجيب"[٣٣٠] .

لم تكن السماسر تستخدم للأغراض التجارية فحسب ، ولكنها كانت أحيانا تستخدم لأغراض أخرى ، كالأغراض العسكرية ، فقد ذكر المؤيد محمد بن المتوكل انه مدين بمبلغ من المال لأولاد محمد بن الحسن ، لقاء أجرة سمسرة محمد بن الحسن ، " فأنها اكتريت[٣٣١] للعسكر"[٣٣٢] .

وكانت السمسرة عادة ، عبارة عن مبنى له أبواب ، وكانت هذه الأبواب تغلق عند حلول الظلام . وكان الشخص المكلف بإغلاق الأبواب يدعى السمسري ، أي صاحب السمسرة ، أو المسئول عن إدارتها ، و قد يطلق على صاحب السمسرة أيضا " مقهوي وزوجته مقهوية ،لأن غالب ما يطلب هو القهوة"[٣٣٣] . ومن الشروط الواجب توافرها في أصحاب السماسر الأمانة ، " و السماسرة يشترط فيهم الأمانة و عدم الخيانة وحفظ أموال التجار "[٣٣٤] ، وكان أصحاب السماسر الموجودة في المدن الكبير، يدفعون مبلغ من المال ، تتقاضاها الدوله مقابل حراسة السمسرة " وعليهم من جرم[٣٣٥] الحرس ما يعتادونه تسعة قروش و نصف قرش سياقها "[٣٣٦] .

لم يقتصر النزول في السماسر على التجار والمسافرين من اليمنيين والعرب فحسب ، ولكن كان ينزل فها أيضا اليهود ، و التجار البانيان ، كما كان ينزل فيها أيضا التجار والرحالة الأجانب .

---

[٣٢٩] -يحيى بن الحسين ، بهجة الزمن، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ١ ص٣٨١.

[٣٣٠] - نفس المرجع : ص٤٩٨.

[٣٣١] – أُكتُريت : أي استُجرت

[٣٣٢] – المؤيد محمد بن اسماعيل بن القاسم : مذكرات المؤيد الصغير ، تحقيق :عبدالله الحبشي ، ص١٤٨ .

[٣٣٣] – أ.د. حسين العمري : مادة السماسر في الموسوعة اليمنية ، جـ١ ،ص٥٢٨.

[٣٣٤] السياغي : قانون صنعاء ، ص٣٣.

[٣٣٥] – الجرم في اليمن هي الغرامة أو القسط الذي ينبغي دفعه شهريا .

[٣٣٦] – السياغي ، قاون صنعاء ، ص٣٣.

لقد لفت العدد الكبير من السماسر المنتشرة على طول الطريق من المخا إلى صنعاء انتباه التاجر الهولندي بيتر فان دن بروكة (Pieter van den Broecke) ، أثناء زيارته للوالي العثماني في صنعاء عام١٦١٦م حيث قال: " و من أجود الأشياء التي يصادفها المسافر في طريقه كل ٣ أو ٤ أميال هي وجود بيوت جميلة مغلقة الجوانب ومشابهة قلاع يمكن لمائتي فرس أو جمل الإقامة فيها ، و تغلق هذه السرايات في الليل ضد قطاع الطرق المتواجدين على الطرق بكثرة . وسيستحيل على القوافل السفر بأمان دون وجود محطات الاستراحة هذه . و كذلك يستحيل مطلقا على الكارونة[٣٣٧] بالبضائع التنقل في الليل بلا خفر ، ويدفع للبواب كبير[٣٣٨] واحد لكل فرس أو جمل ، وذلك لحفظ السراي"[٣٣٩] وعندما قدم نيبور إلى اليمن وجد السماسر منتشرة بكثرة على طرق المسافرين، وقد نزل هو وأفراد بعثته في إحداها ، وكان يطلق عليها اسم الخانات ، " وكان لهذه الخانات حوائط عالية من كل جانب و كان المسافرون يهرعون إليها بجمالهم ، ويشترون منها خبز الذرة والقهوة والأرز والزبده ويقضون الليل كله امنين ، لأن بابها كان يقفل كل مساء ولا يفتح إلا صباح اليوم التالي بعد أن يكون كل نزيل قد تأكد انه لم يفقد منه شيء "[٣٤٠] .

وكانت السماسر أحيانا تنشأ وسط الأسواق الكبيرة ، وتستخدم كمخازن للبضائع، وكان بعضها يتخصص في استقبال نوع واحد من السلع ، ففي سوق صنعاء كانت توجد العديد من السماسر المتخصصة في استقبال بضاعة معينة ، حيث كان يوجد سمسرة العنب ، لاستقبال العنب ، وسمسرة الحب ، لاستقبال الحبوب المختلفة ، وسمسرة الزبيب ، وغيرها . وبالرغم من وجود الكثير من تلك السماسر ، إلا انه لا توجد سمسرة خاصة بالبن ، ولكن كانت توجد سمسرة القشر ، ومن المحتمل أن تجارة البن كانت تمارس ضمنيا ، وبدرجة محدودة في إطار سمسرة القشر ، و ربما يعود السبب في ذلك إلى أن اليمنيين كانوا يعتبرون البن سلعة تصديرية قيمة ، وليست سلعة للاستهلاك المحلي . و لكن هذا لا يعني أن

---

[٣٣٧] – الكارونة : هي القافلة باللغة الفارسية .

[٣٣٨] – عملة محلية في ذلك العصر .

[٣٣٩] – براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ،ص٨٠ – ٨١ .

[٣٤٠] – توركيل هانسن : من كوبنهاجن الى صنعاء ، ترجمة : محمد احمد الرعدي ،ص٢٧٢.

تجارة البن لم تستفد من السماسر ، بل على العكس ، فقد كان للسماسر دور كبير في تجارة البن ، مثلها مثل بقية أنواع التجارة . فقد كانت القوافل التي تحمل البن تحط الرحال عند السماسر الموجودة في الطرق المؤدية إلى الأسواق و الموانئ ، و ذلك حتى يأخذ التجار ، والحيوانات قسطا من الراحة ، و يتناولون الطعام و الشراب . وأحيانا لحمايتهم من قطاع الطرق ، أو من الأحوال الجوية المضطربة ، كالأمطار الغزيرة .

خامساً :التجار :

بالرغم من أن المصادر التي بين يدي لم تذكر الكثير من المعلومات حول التجار المحليين أو التجار الذين عملوا داخل اليمن في تجارة البن اليمني ، إلا أنني سوف أحاول استغلال المعلومات المتناثرة حول هذا الشأن . وبالتأكيد فأن الزيادة المطردة في مساحة الأراضي المزروعة بالبن خلال فترة الدراسة ، تدل دلالة واضحة أن حجم النشاط التجاري المتصل بالبن كان ضخماً أيضاً .

تعددت الفئات التي عملت في تجارة البن ، فقد تاجر بالبن أُناس مثلوا كافة الفئات الاجتماعية التي عاشت في اليمن ، فقد عمل فيها الحكام سواء من العثمانيين أو من اليمنيين ، كما عمل فيها أيضا بعض عمال الموانئ والمناطق ، خاصة تلك التي كانت تجري فيها بعض الأعمال المتعلقة بزراعة أو تجارة البن ، وإلى جانبهم عمل التجار العاديون سواء من اليمنيين أو العرب أو الهنود البانيان .

تاجر بعض الولاة العثمانيين في البن ، وتمكنوا من تكوين ثروات ضخمة ، ولعل من أشهر أولئك الولاة الذين عملوا في تجارة البن في الفترة الأولى من الوجود العثماني في اليمن هو فضل الله باشا (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م). ويبدو أن هذا الوالي لم يكن يمارس تجارة البن بشكلٍ مباشر ، ولكن عن طريق رئيس ميناء المخا ، الذي كان عثمانيا أيضا. ففي منتصف مارس من عام ١٦٢٣م استولت سفينة هولندية على مركبٍ صغيرٍ كان راسي في ميناء المخا، وكان محملة بكمية من البن و التوابل يمتلكها فضل الله باشا ، ولكن تحت إشراف رئيس الميناء ، والذي كان يُعرف بشهبندر التجار ، "الذي كان يتقاضى مقابل ذلك

عمولة سرية"[٣٤١] ، أي أن رئيس الميناء كان يتاجر لحساب فضل الله باشا مقابل مبلغ مـــن المال كعمولة. لقد كانت هذه الشحنة مكونة بشكل رئيسي من البن ، وكانت في طريقها إلى جدة، ولكن للأسف لا يعرف حجم تلك الشحنة ، ولا كم عدد الرزم الـــتي تتشـــكل منها[٣٤٢]

ومن أجل أن يضمن هذا الوالي ربحاً مجزياً من عمله في تجارة البن فقد ارتبط بعلاقات جيدة مــع٠ بعــض التجـــار الكبـــار ، فقـــد وجـــدت علاقـــات وطيـــدة بـــين هـــذا الوالي وبعض التجار المصريين ، وعلى رأسهم التاجر إسماعيل أبو طاقية ، الذي كان يعرف في مصر بشهبندر التجار ، فبرغم أن فضلي باشا لم يلتق ابد بأبو طاقية ، فقد " بلغت تجارته معه حجما كبيراً "[٣٤٣] . وقد فسرت نللي حنا في كتابها تجار القاهرة في العصر العثمـــاني ، سر هذه العلاقة بينهما بتبادل المنفعة التجارية ، وأنه " ربما كان أبو طاقيـــة يمـــد الباشـــا بالبضائع المصرية التي يزيد عليها الطلب في الأسواق الشرقية ، أو ربما كان يعاونـــه علـــى تصريف البن والتوابل في المراكز التجارية التي كان له فيها وكلاء وموظفون يرعون تجارتـــه "[٣٤٤] . لقد تمكن فضلي باشا من تكوين ثروةً كبيرةً ، جعلت التجار الهولنـــديون الـــذين جاءوا إلى اليمن في بداية القرن السابع عشر يذكرون في تقرير رفعـــوه إلى شـــركة الهنـــد الشرقية أنه " جاء الباشا إلى اليمن فقيرا وغادرها ثريا "[٣٤٥] .

وبعد أن آلت السلطة للأئمة من آل القاسم ، شارك بعض أفراد العائلة الحاكمـــة في تجارة البن ، كما شاركوا في زراعته بشكل كبير حتى قيل انه عند موت الحسن بن الإمـــام القاسم كان المثمر من البن نحو مائة ألف غرسة[٣٤٦].

---

[٣٤١] – Brouwer : Al- Mukha , P.283.

[٣٤٢] – ك . ج . براور : المخا – ميناء تصدير البن الممتاز في العقود الاولى من القرن السابع عشر ، ترجمـــة: د. حسين العمري ، الثوابت ، العدد ٣٢، ابريل – يونيو٢٠٠٣ ، ص ٥٢ .

[٣٤٣] - .د نللي حنا : تجار القاهرة في العصر العثماني ، ص١٧٩ .

[٣٤٤] – نفس المرجع : ص١٧٩ .

[٣٤٥] – نفس المرجع: ص ١٧٩ .

[٣٤٦] – احمد بن صالح بن ابو الرجال : مطلع البدور و مجمع البحور ، مخطوط ، ص ٥٠

بالرغم أن المصادر المتوفرة بين يدي لا تذكر أن افرد العائلة الحاكمة عملت في تجارة البن بالتحديد ، إلا أنه بالنظر إلى مجمل التركات والأملاك التي حصل عليها بعض أفـراد الأسرة ، ودرجة الثراء التي وصلوا إليها ، تدل أن البن كان من ضمن تلـك الأمـلاك ، وبالتالي لا يستبعد أبداً أن يكون البن من السلع التي تاجروا بها . على سبيل المثال : لقـد كانت أجود الأراضي الصالحة لزراعة البن في اليمن الأسفل تحت سيطرة الحسن بن الإمـام القاسم ، وكما سبق أن أوضحت درجة اهتمامه بزراعة البن في تلك المناطق .

وعندما توفي عام (١٠٤٨هـ/١٦٤٨م) انتقلت تلك الأراضي والأملاك إلى أبنائه، ومنهم أحمد ، ومحمد بن الحسن ، اللذين كانت لهما اهتمامات تجارية .

لقد كان أحمد بن الحسن واحداً من أهم أفراد الأسرة الحاكمة في اليمن الذين عملوا في التجارة ، قبل أن يتولى الإمامة، وكان يمتلـك عـدة مراكـب بحريـة . ففـي عـام (١٠٨١هـ/١٦٧١ م) تعرضت ثلاثة مراكب لأعمال قرصنة مـن بعـض القراصـنة الأوربيين ، " أحدها خرج من بندر عدن إلى المخا لأحمد بن الحسن بحرا ، وفيـه دراهـم وهدايا "[٣٤٧] . كما شارك محمد بن الحسن بعض التجار ،وكان منهم التاجر حسن بـن يحيى حابس (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) . وكان هذا التاجر مشهوراً ، كما كان" يعامل كثيرا محمد بن الحسن بتجارته"[٣٤٨] .

وقد سهل وجود بعض أبناء الأئمة كحكام في الموانئ ، اشتراكهم في التجارة ، فقد تمكن الحسن بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ، حاكم اللحية والضـحي وغيرهـا مـن المناطق التهامية من إقامة علاقات تجارية مع بعض التجار العرب ، " وعامله التجار من مصر وغيرها "[٣٤٩] .

ولم يكن الولاة من أبناء الأئمة الوحيدين الذين عملوا في هذا النوع من التجـارة ، ولكن عمل فيها بعض الحكام الآخرين ، فقد مارس صالح الحريبي عامل الأمـام المهـدي صاحب المواهب على المخا في التجارة ، والتي من المؤكد أن تجارة البن احتلـت نصـيب

---

[٣٤٧] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ٢ ، ص٢٢٧

[٣٤٨] – نفس المرجع: حـ١ ، ص٥٠٥ .

[٣٤٩] – زبارة : نشر العرف ،جـ١ ، ص٤٠٨ .

الأسد منها ، وقد لاحظ الفرنسيون في عام ١٧٠٩م أن صالح الحريبي كانت له اهتمامات تجارية " وكان يتاجر كثيراًبنفسه "[٣٥٠] ، ومقابل ذلك كان يدفع للإمام ثلاثين ألف قرش .

كما كان ولاة بعض المناطق يشاركون بعض التجار في تجارة البن ، فقد كان صلاح نصار تاجرا في حجة ، " والمال الذي معه له ، والسيد علي بن حسين جحاف والي حجة "[٣٥١] .

وإلى جانب الولاة والعمال الذين عملوا في تجارة البن ، كان يوجد العديد من التجار العاديين ، الذين كانت تتدرج مراتبهم من صغار التجار ممثلين بصغار المزارعين ، الذين كانوا يقومون بنقل محاصيلهم المحدودة من البن إلى الأسواق ، إلى كبار التجار ، الذين كانوا يحصلون على نصيب الأسد من هذه التجارة .

وبالرغم من ندرة المعلومات حول التجار الذين عملوا في تجارة البن ، إلا أنه ورد نص عرضي عند يحيى بن الحسين ، في كتابه بهجة الزمن ، أوضح جانباً من تلك التجارة ، فقد ذكر في أحداث عام (١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م) ، وفاة التاجر صلاح نصار ، وذكر أن سبب وفاته هو تأثره الشديد ، بعد أن خسر تجارته وأمواله بسبب انكسار مركب يحمل تلك التجارة ، " وكان تاجراً كبيراً ، وحصل معه التأثر والمرض والألم من حال انكسرت الجلبة عليه في البحر وراح عليه من المال ما يقابل ثلاثين ألف قرش ، وما لحقه من خسارة في صافي البن العام الماضي بسبب تحارقة[٣٥٢] في الغرائر[٣٥٣] ، وعفنه لشحنه قبل جفافه ، ويبسه ، فلم يصل إلى جدة إلا وقد بطل بسببه"[٣٥٤] . وقد علل يحيى بن الحسين نكبته تلك ، بسبب إضراره بالمزارعين وصغار تجار البن ، " وكان قد تضرر منه كثير من الزراعة

---

[٣٥٠] – جان دي لاروك : رحلة إلى بلاد العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص٦٧ .

[٣٥١] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ،جـ٢ ، ص٣٤٨ .

[٣٥٢] – تحارق : أي تعفن البن وفساده بسبب الرطوبة الناتجة عن عدم تجفيف البن جيدا .

[٣٥٣] – الغرائر : جمع غرارة ، وهي عبارة عن كيس من القماش توضع فيه بعض المحاصيل الزراعية الجافة مثل : الحبوب ، والبن ، والزبيب ، وكانت الغرارة معلومة الوزن لذلك كانت من الأشياء التي يقاس عليها البن المشترى .

[٣٥٤] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ٢ ، ص٣٤٨ .

والمتسببين[355] من أجل أنه كان يجمع الصافي بالصلبة في المخازين ، فإذا وصل تجار الشـــام وشرع البيع والشراء فيها باع من الواصلين بناقص بعض الشيء مما باعه سائر الناس لوسع ما معه لأجل الترغيب أن يشتروا ما قد جمعه ، فيشترون منه جميع ما قد معه ، ويتركـــون الشراء من الزَرَعة _ أي المزارعين _ ، وسائر المتسببين ، ثم يشترون ويســـتكفون ، فبعـــد ذلك يبقى حق الزراع متخمنا[356]، ولا يجدون من يشتري منهم ، ولا يبذل ثمنا ، ويشـــق بهم العودة إلى بلادهم ، فيتحكم فيهم ابن نصار في الثمن ، ويشتري به منهم بدون ما باعه ، ويخزنه في السمسرة ، ينتظر لمن يصل من تجار الشام ، وكان دأبه وحالة في بيعه وشـــرائه "[357] ، وقد علق يحيى بن الحسين على عمله ذلك انه :" خداع للمسلمين فكان الواجب عليه أن يعرض البضاعة من جملة غيره ، ويبيع معهم من غير أن يستميلهم ويجرهم إليـــه ، ويطمعهم ، بل يبيع من طرف ماله ، ويشرك غيره ، وما جرى به السعر مع طرح البضاعة ، فالله المسعر، وليس له أن يتحجرهم[358]، بل عليه رعاية المسلمين ، والاشتراك مع غـــيره من البائعين المشترين ، فلهذا السبب مازال الواصلون بالبن الصافي إلى الصـــلبة يـــدعون عليه"[359].

البانيان ودورهم في تجارة البن

الفئة الأخيرة من التجار الذين لعبوا دورا كبيرا في التجـــارة الداخليـــة للـــبن هـــم البانيان[360] . وبالرغم أنهم ليسوا يمنيين ، " إلا أن بقاء معظمهم زمنـــاً طـــويلا في الـــيمن وتعامل الدولة معهم ، باعتبارهم جماعة متميزة ومستقرة نوعا ما ، يجعلنا أكثـــر مـــيلا إلى تناولهم كأقلية سكانية ، بدلا من تناولهم كأجانب "[361] .

---

[355] – المتسببين : أي صغار التجار .

[356] – متخمنا : أي كاسدا .

[357] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير، جـــ٢ : ص٣٤٨ .

[358] – يتحجرهم : من الحَجر ، أي المنع ، و يتحجرهم ، اي يمنعهم ، وتحجر عليه : أي ضيق (القـــاموس المحيط، جـــ١ ، ص٥٢٩) .

[359] – يحيى بن الحسين : نفس المرجع : حـــ٢ ، ص٣٤٩ .

[360] – البانيان : هم التجار الهنود الذين انتشروا في جميع المناطق اليمنيـــة ، وعملـــوا في معظـــم الانشـــطة الاقتصادية والتجارية اليمنية .

[361] – د. أحمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٣٦ .

وأرى أنه من المناسب قبل الشروع في دراسة دور البانيان في تجارة البن ، إعطاء نبذه موجزة عنهم ، وعن علاقتهم بالسكان المحليين ، وكذلك دورهم في النشاط التجاري الداخلي لليمن .

اختلف العديد من المؤرخين حول تحديد المعنى الدقيق لكلمة البانيان ، كما اختلفوا حول المناطق التي قدموا منها إلى اليمن ، والى كافة الموانئ في البلاد العربية . وقد أورد براور في كتابه اليمن في اوئل القرن السابع عشر ، تعريفا للبانيان ، وهي أن البانيان بمعانها المحدود" تاجر هندي من كجرات ، والمعنى العام : الهندي " على نقيض المسلم "[(٣٦٢)] . أما جان دي لاورك ، في كتابه رحلة إلى العربية السعيدة فقد أورد تعريفا آخرا لكلمة البانيان "ويقال أن اسم البانيان لا يعني شيئا غير الرجل البسيط البريء"[(٣٦٣)] . أما المصادر العربية فقد عرفت البانيان بأنهم الهنود الكفار الذين كانوا يعملون في التجارة في البلاد العربية .

كان البانيان ينتمون إلى كافة المناطق الهندية ، ولم يكن يقتصر على كجرات ، كما كان يعتقد بعض المؤرخين ، فعندما وصل التجار الهولنديون إلى السواحل اليمنية عام (١٦١٤ م) ، وجدوا الكثير من البانيان ، ففي ميناء الشحر " يحتل البانيان المكان الرئيسي"[(٣٦٤)] ، وكانت تصل في الأشهر فبراير ومارس وابريل سفنا من الساحل الهندي ، من جوا وكمباية ، وسورات وديو ودامان وغيرها من المناطق الهندية ، وكانت محملة بالكثير من البضائع الهندية ، ومن أهمها التوابل والأقمشة . كما وجد الهولنديون الكثير من البانيان ايضا في ميناء قشن اليمني ، وكانوا يأتون " من كل اماكن الهند "[(٣٦٥)] .

أما الفرنسيون الذين وصلوا الى اليمن عام (١٧٠٩ م) ، فقد عرفوا البانيان بانهم " جميعا من الهنود ، وبصورة رئيسية من جزيرة ديو في مملكة كمباية القريبة من سورات ويأتون إلى الجزيرة العربية في مقتبل العمر سعيا وراء المال بالتجارة "[(٣٦٦)] .

---

(٣٦٢) - براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص٢٢٨ .

(٣٦٣) – جان دي لا روك : رحلة الى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص٩٤ .

(٣٦٤) – براور: اليمن في اوئل القرن السبع عشر ، ص٥٦ .

(٣٦٥) – نفس المرجع ، صـ٦١ .

(٣٦٦) – جان دي لاروك : رحله إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، صـ٩٣ .

انتشر الهنود في كافة الأسواق والموانئ اليمنية ، كما انتشروا في المناطق الزراعية "لما رأوا من ألامان على أنفسهم وأموالهم ، والعدل فيهم ، و في غيرهم ، فقلّ مدينة أو سوق لم يخل منهم في بر وبحر وسهل ووعر ، حتى لقد استقروا في سوق شهارة "[٣٦٧] وعملوا في معظم الأنشطة الاقتصادية والتجارية ، وعلى رأسها تجارة البن . ففي ميناء المخا، وهو الميناء الرئيسي في تجارة البن ذكر الهولنديون عام ١٦١٦ م انه كان يستقر فيها " حوالي ٣.٠٠٠ من البانيانين من كمباية وكجرات وساحل الهند "[٣٦٨] . إن ما يلفت الانتباه حقا ، هو أن هذا العدد كبير جدا ، وانه قد تناقص كثيرا بعد ذلك حوالي قرن ونصف من الزمان تقريبا، فقد ذكر نيبور عام ١٧٦٣م أن عدد أولئك الهنود في المخا يتراوح بين (٦٠٠ – ٧٠٠ شخص) .

إن هذا الاختلاف في الإحصائيات ، ربما كان ناجما من إنها لم تكن دقيقة بما فيه الكفاية ، أو أن من أوردها قد اعتمد إما على المشاهدة المنقوصة ،أو السماع غير الموثوق فيه .

وقد أورد نيبور إحصائية تقريبية لعدد البانيان الذين كانوا موجودين في اليمن خلال تلك الفترة :

- في اللحية حوالي ٤٠ شخصا .
- في بيت الفقيه اكثر من ١٢٠ شخصا .
- في المخا حوالي ٦٠٠ – ٧٠٠ .
- في صنعاء حوالي ١٢٥ [٣٦٩] .

تمكن العديد من البانيان من كسب ثقة اليمنيين ، سواء الحكام ، أو المواطنين العاديين بما فيهم التجار " ومال إليهم الناس للشراء منهم والاستدانة و المرابحة في أموالهم

---

[٣٦٧] – المطهر محمد بن احمد الجرموزي : تحفة الاسماع والابصار ، تحقيق : عبد الحكيم الهجري ، ج٢، ص٧٤٩.

[٣٦٨] – براور : المرجع السابق ، ص٨٥ .

[٣٦٩] –د . احمدالصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٩٤ .

لما الناس عليه من الحرص في طلب الأخف في الثمن و التيسير في المعاملة "[٣٧٠] ، لـــذلك تمكنوا من تكوين علاقات قوية سهلت لهم القيام بإعمالهم التجارية .فقد نجـــح البانيـــان في الاتصال بالأئمة ، وكونوا معهم علاقات وطيدة ، إلى درجة انه في عام ١٠٦٦ هـــ اشتكى تجار صنعاء من البانيان إلى الإمام المتوكل على الله إسماعيـــل "وإهـــم افســـدوا البيـــع والشراء، والتعامل بالربا "[٣٧١] ، وأرادوا إخراجهم من صنعاء ، ولما علم الإمام بـــذلك لم يوافق على طردهم وقال: " هم في أماهم ، وتسليم جزيتهم ، وقرارهم"[٣٧٢] .

وتتجلى قوة العلاقة بين البانيان وأبناء الأئمة ، في علاقتهم مع محمد بن المتوكل على الله إسماعيل ، فقد وصلت تلك العلاقة إلى درجة جعلت الأخير يستدين منهم مبالغ ماليـــة كبيرة . وفي اليوميات التي كتبها محمد بن المتوكل ، والتي نشرها عبدالله الحبشي تحت اسم "مذكرات المؤيد الصغير" ، سجل المؤيد الكثير من حالات الاقتراض من البانيان ، وكـــان دائما يذكر انه استدان مبالغ مالية من شخص بانياني ، كان يدعى روبه ، وكان يســـجلها في تلك اليوميات، حتى يتسنى له تذكرها ، وتسديدها . على سبيل المثال : ذكر محمد بـــن المتوكل أنه في عام (١٠٨٤هـــ) اقترض خمسمائة حرف ، " النصف مائتان وخمسون حرفا من البانيان"[٣٧٣] . وفي موضع اخر من نفس اليوميات ذكر أنه " اقترض من البانيان اربع مائة حرف وأربعين قرشا بنظر الفقيه جابر ، فليسلم للبانيان مما يحصني ، فإنها ممـــا يخصـــني إنشاء الله أو بعضها من والدي حفظه الله مما يسوغ لي من بيت المال إنشاء الله وحســـبي الله ونعم الوكيل"[٣٧٤] . لم يكن الأئمة فقط الذين كونوا علاقات مع التجار البانيان ، ولكـــن أيضا التجار ، والناس العاديين ، ففي أحداث عام ١٠٩٦هـــ ذكر يحيى بن الحســـين انـــه فلس رجل بانيان ، ويقال له ميداس ، " وكان قد أمال إليه كثير من الناس بوضع الأمانات عنده والمعاملات"[٣٧٥] ، وكان إجمالي ما عنده للناس أربعين ألفا فأكثر ، وكان جزءاً مـــن

---

[٣٧٠] – المطهر بن محمد الجرموزي : تحفة الأسماع و الأبصار ، تحقيق : عبد الحكـــيم الهجـــري ، جـــ٢ ، ص٧٤٩

[٣٧١] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـــ١ ، ص٣٣٤ .

[٣٧٢] – نفس المرجع ، جـــ١ : ص ٣٣٤ .

[٣٧٣] – المؤيد محمد بن المتوكل : مذكرات المؤيد الصغير ، تحقيق عبدالله الحبشي، ص٨٧.

[٣٧٤] – نفس المرجع : ص٣١ .

[٣٧٥] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـــ٣ ،ص٦٦٨ .

تلك الأموال لبعض التجار ولما لم يتمكن من إرجاع تلك الأمانات استجار بالمؤيد محمد بن المتوكل ، " فأجاره على ذلك وأمر غرماه بالكف عنه وتفريق ما يكسبه على الغرماء"[(٣٧٦)]

شكل العمل في تجارة البن اليمني جزءاً لا يتجزأ من نشاط البانيان في اليمن ،وقد تركز وجودهم بشكل كبير في المراكز الرئيسية لتجارة البن ، سواءً في الموانئ، مثل المخا وعدن ، والحديدة واللحية وغيرها ، أو في الأسواق الداخلية لتجارته، مثل بيت الفقيه ، والحدية ، وعلوجة والصلبة وغيرها . كما عملوا في كافة الأنشطة المتصلة به . فقد عملوا في تجارة البن، حيث كانوا ينتقلون من منطقة إلى أخرى من اجل الحصول على البن من المزارعين مباشرة . كما عملوا سماسرة أو وسطا بين المزارعين والتجار اليمنيين من ناحية، والتجار الأجانب من ناحية أخرى. إلى جانب ذلك كان البانيان يقومون بأعمال الصرافة ، وتوفير النقود، من فئة القروش اللازمة لتجارة البن . كما قاموا بإعمال الترجمة في تلك الأسواق والموانئ بين اليمنيين والأجانب .حيث كان التجار الأجانب الراغبون في شراء البن من بيت الفقيه يأخذون البانيان لمساعدتهم دائما ، حيث كانوا يجيدون أعمال السمسرة " خصوصا بالنسبة لتجارة البن ، والتي يفهمونها فهما تاما " [(٣٧٧)] ، وسوف يتم دراسة دور البانيان في تجارة البن مع التجار الأجانب الذين قدموا إلى اليمن في الفصل الثالث.

تمكن بعض البانيان من تكوين ثروات من جرأ العمل في التجارة بشكل عام ، وفي تجارة البن بشكل خاص . ففي عام (١١١١ هـ/١٦٩٩ م)عندما وقعت فتنة الساحر المحضوري في حجة ، قام أتباع هذا الساحر بأعمال السلب والنهب في احد اسواق في حجة ، وكان البانيان ممن تضرر من تلك الأعمال ، حيث قتل ثلاثة منهم ، وغادر بقيتهم ، وهم حوالي سبعين نفراً ذلك السوق ، بعد أن أصبحوا فقراء ، " ومنهم من بلغ ماله إلى الخمسين الألف القرش والستين على التحقيق "[(٣٧٨)] . وفي عام (١٠٨٦هـ /١٦٧٥م) كانت قد وقعت حادثة مشابهه للحادثة الأولى ، فقد بعث الإمام المهدي أحمد بن الحسن ابنه علي من أجل محاربة القاسم بن المؤيد الذي ادعى الإمامة في حجة ، فدخل جيش علي بن احمد بن الحسن إلى سوق الصلبة ، ونهبوه ، وكان أكثر النهب

---

(٣٧٦) – نفس المرجع ، جـ٣ : ص٦٦٨

(٣٧٧) – جان دي لا روك : رحلة الى العربية السعيدة ، ترجمة: صالح محمد علي ،ص٧٧ .

(٣٧٨) لطف الله جحاف : تاريخ جحاف ، مخطوطه بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ، ص١٣ ، أ .

على البانيان الذين فيه ، وكانت نتيجة ذلك فقدانهم لأموالهم حتى افتقر بعضهم ، وخرجوا من سوق الصلبة فقراء لا يملكون شيئا

ومن ضمن النصوص التي تدل دلالة واضحة على حجم الثروات التي كونها بعض البانيان من جرأ العمل في تجارة البن ، ما ذكره لطف الله جحاف ، أثناء سرده في لأحداث عام (١٠٩٧هـ / ١٧٨٢ م) ، وهي حادثة وقعت لمحسن بن إسماعيل النهمي ، كاتب[٣٧٩] الحديدة ، فقد وشى به احد خصومه عند الإمام المنصور علي ، وذلك انه لما مات أحد البانيان "حصرت تركته بخط الحاكم فكان فيها تسعة أقلام من البن الصافي ، وكان بلغ الحاكم أن محسن بن إسماعيل صلحها بالكشط سبعة أقلام بتقديم السين على الباء الموحدة ، فطلب الإمام من محسن القاضي فيما حصره من تركة البانيان ، فوجد ذلك التصليح صحيحا"[٣٨٠] ، فكان ذلك مما أوجب رفع المحسن بن النهمي عن الكتابة في الحديدة . إن ما يهمنا في هذا النص هو حجم مخلف ذلك البانياني من البن ، بالرغم من أنني لم أتمكن معرفة حجم الكمية التي يمثلها القلم المذكور في النص، كما يهمنا من النص أيضا أن ألائمة كانوا يصادرون أموال البانيان إذا لم يكن لهم ورثه ، كما حدث للبانياني المذكور في النص السابق. وهذا طبيعي وشرعي في أن تصير تلك الثروة ملكاً لبيت المال .

سادساً :- الأسعار :

لم يكن هناك سقفاً محدداً لأسعار البن الذي يباع في الأسواق المحلية ، إنما كانت أسعاره تخضع لكثير من الظروف ، سواء الطبيعية ، أو السياسية . كما كانت أسعار البن تخضع للنظرية الاقتصادية ، والتي تقضي بخضوع السلعة لظروف العرض والطلب ، لذلك كانت أسعاره متذبذبة ، وغير ثابتة .

لعبت الظروف الطبيعية دوراً كبيراً في تحديد أسعار البن ، على سبيل المثال ، فقد أثرت الأمطار على إنتاج البن ، وبالتالي على أسعاره ، ففي السنوات التي تهطل فيها كميات مناسبة من الأمطار ، فإن الإنتاج يكون جيدا ، وبالتالي تنخفض الأسعار ، ويحدث العكس في سنوات القحط ، حيث تقل الأمطار أو تنعدم ، مما يؤدي إلى ارتفاع أسعار البن . وليس

[٣٧٩] الكتابة : منصب اداري في عهد الدولة القاسمية.

[٣٨٠] لطف الله جحاف : درر نحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي ، ص٢٩٩.

أدل على ذلك من التوصيات التي أوصى بها التاجر البريطاني ديكنسن مستخدميه من البانيان قبل أن يغادر المخا في ١١ أغسطس من عام ١٧٣٣م ، بعد أن ترك لديهم مبلغاً كبيراً من المال ، وطلب منهم شراء البن كلما أمكنهم ذلك ، وخاصة عندما تكون الأسعار منخفضة ، معربا عن أمله بأن تنخفض الأسعار في الموسم المقبل ، حيث قال : " لقد تركنا في أيديكم مبلغ مئة ألف دولار أسباني لتستثمروها في شراء البن لحساب الشركة ، و نأمل أن الكميات الكبيرة من الأمطار الساقطة مؤخرا تعمل على خفض سعر البن بشكل كبير ، عندما يأتي المحصول الجديد ، ولهذا السبب لم نحدد لكم السعر ، ولكن يعتمد ذلك عليكم لتشتروا أحسن نوع يعرض عليكم "[٣٨١]

كما أن الجراد ، والأمراض التي تصيب شجرة البن تؤثر على البن أيضاً ، وبالتالي على أسعاره ، كما سبق أن أوضحت الباحثة ذلك في الفصل الأول . كما توقفت أسعار البن على نوعيته ، ودرجة نظافته ، ونقائه من الشوائب ، وطراوته ، والمناطق التي كان يتم شراء البن منها ، سواء من الأسواق ، أو الموانئ ، والمزارع . فقد ذكر جان دي لاروك أنه عندما كان في المخا ، أشار عليه راهبان إيطاليان كانا يعملان كمترجمين له على الاستعانة بشخص ، كان يدعى حسبما ذكر بسيدي محمد ، وكان رجلاً ثرياً وخبيراً في التجارة . وقد قدم هذا التاجر اليمني عرضا للاروك بأن يحصل له على " أفضل أنواع البن والتي سيتولى شراءها في الموقع " دون أن يدفع عنها سوى التكاليف الرئيسية[٣٨٢] . أي أنه لن يدفع تكاليف الدلالة أو ما يعرف بالسمسرة ، وهذا يعني أن أسعار البن تكون أقل في مواقع الإنتاج ، منها في الأسواق .

إلى جانب ذلك فان كثرة المتنافسين على شراء البن في الأسواق ، وزيادة الطلب عليه كان يؤدي بالضرورة إلى رفع أسعار البن . كما حدث عندما اشترى الفرنسيون كميات كبيرة منه عام ١٧١٠م، وقد أشار جان دي لاروك إلى ذلك بقوله " أدى شراؤنا للبن بكميات كبيرة إلى جعله أكثر ندرة في السوق فضلا عن أن وصول سفننا إلى المخا قد رفعت الأسعار التي كانت مرتفعة أصلاً بسبب الطلب الهائل عليه من جانب التجار

---

[٣٨١] - Boxhall : The Diary of A Mocha Coffee Agent , P.115

[٣٨٢] - جان دي لاروك : رحالة إلى العربية السعيدة ترجمة : صالح محمد علي ، ص٧٩ .

المصريين والأتراك "[383] . و قد حدث الشيء ذاته بين عامي (١٧١٦م – ١٧١٨م) عندما شُحنت خمس سفن هولندية ب (٣.٧٦٨.٤٩٤) باوند من البن ، في نفس الفترة التي زادت فيه المشتريات الإنجليزية ، و الفرنسية من البن . كما زادت أيضا مشتريات الأتراك و المصريين له في الفترة ذاتها . مما أدى بالضرورة إلى أن الإنتاج في اليمن لم يعد يجاري الطلب المتزايد، وبالتالي ارتفعت الأسعار بدرجة كبيرة[384] وليس ذلك فحسب ، ولكن كانت أسعار البن تتأثر بالإشاعات أيضا ،فقد تؤدي الإشاعة بتوقع وصول سفن جديدة إلى الموانئ اليمنية إلى رفع أسعار البن في سوق بيت الفقية من ٢٥ إلى ٣٠ ريالا للبهار الواحد .وبشكل عام فان السبب الرئيسي لارتفاع أسعار البن هو زيادة الطلب الهائل عليه ، و الانخفاض الهائل في الكميات المعروضة منه[385].

ولم تذكر المصادر اليمنية التي بين يدي ، الأسعار التي كان يباع بها البن في اليمن ، وما ورد من ذكر لتلك الأسعار جاء عن طريق التجار والشركات الأوربية ، والرحالة الأوربيين .

وقد صل إلينا أول ذكر لأسعار البن في اليمن عن طريق أحد التجار الهولنديين ، والذي وضع قائمة بأسعار البضائع المتاجر بها في المخا ، وكان البن من ضمن تلك السلع ، وذلك في عام ١٦٢٣م ، فقد ذكر أن " البون – أي البن – يبلغ ثمنه من ٢٥ إلى ٣٠ ريالاً للبهار ، أما غير المدقوق ومع الكشر – أي القشر – فيبلغ ثمنه من ١٥ إلى ٢٠ ريالاً للبهار الواحد "[386]، ويقصد بالريال هنا العملة الهولندية ، المعروفة بقطعة الثمانية ، والتي كانت تختصر بالريال ، " وتبلغ قيمة الريال الواحد من ٥٠ إلى ٦٠ كبيراً ، وأثناء الموسم حتى ٦٨ كبيراً . ويساوي الكبير الواحد ٤ فلوس "[387] . وبعد مرور أكثر من قرن ونصف القرن تقريبا ذكر نيبور أن سعر البن في المخا قد بلغ " ٥٥ ريال للبهار الواحد ،

---

[383] – نفس المرجع : ص٧٩ .

[384] – **Glamann : Dutch-Asiatic Trade , P. 196**

[385] – **Ibid: 196-**

[386] – براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص ١٦٢ .

[387] – نفس المرجع : ص١٦١– ١٦٢ .

ويتم دفع ريال واحد إضافة إلى السعر مقابل عملية الوزن ، ونصف ريال كبقشيش عـــن كل بهار من البن وإضافة إلى ذلك يتم دفع ٣ ٪ من القيمة كضريبة جمركية "[٣٨٨] .

إن التذبذب في أسعار البن سيتضح في الفصل الرابع بشكل اكبر عندما يتم إيـــراد كميات البن المشتراة من قبل الأوربيين ، والأسعار التي كانت تدفع مقابل ذلك .

سابعاً :- العملات

تعددت العملات التي استعملت في اليمن ، في المعاملات التجارية المختلفـــة . وقـــد اختلفت تلك العملات في أنواعها ، وأسعار صرفها ، وأوزانها ، وما إلى ذلـــك . كمـــا أن بعض تلك العملات النقدية كانت محلية ، والبعض الآخر كانت عملات أجنبية .

وبالنسبة لتجارة البن اليمني فقد اعتمد الريال أو القرش النمساوي ، والـــذي كـــان يدعى في أوروبا بالريال القيصري ، أو ريال ماريا تريزا ، والذي كان يعـــرف في الـــيمن بالريال الحجر أو الفرانصي .وقد أصبحت هذه العملة هي الوحـــدة القياســـية للعملـــة في اليمن . وقد ذكر يحيى بن الحسين أن بعض السلع لم يكن يتعامل بها التجـــار إلا بـــالقرش الفرانصي مثل البن ، وأن هؤلاء التجار لم تكن خسارتهم كبيرة في حالة حدوث أي اختلال في سعر الصرف ، فقد ذكر أنه " مما كان بيعه بالقرش مثل تجار الهند إلى بلادهم ، وأهـــل البن لان بيعهم بالقروش ، ومن باع بالقرش من التجار وقبضة حال البيع أو أمهل فيـــه ولم يقبض بالعددي فهؤلاء لا ينقص عليهم ، ولكن هم القليل لأن القـــبض والبيـــع أكثـــره بالعددي فلا يحصل العدل "[٣٨٩] . ويشير النص السابق بأن البن كان من بين السلع القليلة التي يتم التعامل فيها بالقرش الفرانصي ، أي ريال الماريا تريزا النمساوي.

وقد ذكر نيبور عام ١٧٦٧م أن سعر البهار الواحد من البن ٥٥ ريالاً ، أي ريـــال فرانصي . ولا يُعرف ما إذا كانت أجزأ الريال الفرانصي مقبولة في التعامل التجاري للبن ، أم لا .

---

[٣٨٨] – د. احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٧١ .

[٣٨٩] – يحيى بن الحين : بهجة الزمن تحقيق : امة الغفور الامير، جـــ٣ ، ص٧٣٢ .

ولم يكن التعامل في تجارة البن بالريال الحجر، أو الماريا تريزا مقصورا علـــى الـــيمن، ولكنه كان يستعمل أيضا في تجارة البن في معظم المناطق والموانئ العربية ، فقـــد ورد اســـم الريال الحجر في كثير من الوثائق المصرية ، والتي كان أصحابها يعملون في تجارة البن ، سوء في موانئ وأسواق اليمن أو الحجاز أو مصر ، أو حتى بلاد الشام . على سبيل المثال ، لا الحصر، فقد ورد في أحدى الوثائق المتعلقة بمخلف احد التجار المصريين الـــذين عملـــوا في تجارة البن ، وهو الحاج المرحوم مصطفى بن علي الشامي، والذي أسس مع أحـــد التجـــار شركة لشراء وبيع البن ، وقد ورث ولديه أحمد ومحمد مبلغ ٣.٨٦٣ ريـــال حجـــر عـــن الشركة التي كانت في البن المرسل من المتوفى حال حياته من الحجاز ، والذي كان يبيعـــه الحاج علي حيدر [٣٩٠]

ووجدت في اليمن العديد من الريالات أو القروش التي تنتمي إلى مناطق متعددة مـــن أوروبا منها على سبيل المثال القرش أو الريال الأسباني والريال الفرنسي . ولا يُعرف ما إذا كان يتم التعامل بها في تجارة البن مباشرة ، ودون أن تخضع للصرف أولاً أم لا . وقد ذكـــر دي لاروك ، أنه سعى اثناء وجوده في اليمن عام ١٧٠٩ إلى توطيد علاقته مع حاكم المخا " لإعطاء المصداقية والقابلية للتداول بقروش بيرو التي نحملها بكميـــات كـــبيرة "[٣٩١] ، ولكنه لم يذكر ما إذا كانت هذه العملة قد قبلت منهم مباشرة ، أم أنها خضعت للتحويـــل إلى القرش الفرانصي .

لقد كانت عمليات صرف العملات جزءاً لا يتجزأ من البنية التحتيـــة للأســـواق ، والموانئ اليمنية التي كانت تتعامل في تجارة البن . وكانت أعمال الصرف بيد تجـــار غـــير يمنيين، فقد كان التجار الهنود في اليمن يزاولون أعمال الصرافة وتغيير العملات في معظـــم الموانئ والأسواق اليمنية وكانوا يعرفون بالصيارفة ، وقد ذكر يحيى بن الحسين ، في حوادث عام ١٠٩٨هـــ ، إن " أكثر من صار يبدل القروش ويجعلها بيع وشراء البانيـــان "[٣٩٢] . كما عمل اليهود أيضا في أعمال الصرافة ، وسك النقود في دور الضرب المختلفة .

---

[٣٩٠] - سجلات محكمة القسمة العسكرية : سجل ٩٤ ، مادة ٥٥٧ ، ص٣٠٤ .

[٣٩١] - جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص٧٩ .

[٣٩٢] - يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير، جـــ٣ ، ص ٧٣٣ .

وقد تأثرت أسعار صرف القرش بفعل العديد من العوامل السياسية، والاقتصادية ، " وذلك باعتبار العملة في بلد من البلدان تكون المؤشر الصادق للأوضاع الاقتصادية في هذا البلد . إذ أن ارتفاع وثبات قيمة العملة يدلان على ازدهار اقتصاد البلاد واستقراره ، وعلى العكس من ذلك فان انخفاض قيمة العملة واهتزاز هذه القيمة باستمرار يدلان على مدى انهيار الأوضاع الاقتصادية ، أو عدم ثباتها على الأقل "[٣٩٣] . وكان يتم صرف الريال الفرانصي إلى وحدات نقدية أصغر ، كانت تعرف بالحرف ، وقد ذكر يحيى بن الحسين في عام(١٠٩٨هـ/١٦٨٦م) أنه " بلغ صرف القرش إلى اثني عشر حرفاً ونصف وإلى ثلاثة عشر حرفا وإلى أربع عشر وخمسة عشر ، ثم مازال يزداد الصرف إلى أن بلغ خمسة وعشرين حرفاً ، فحصل مع التجار تضرر " [٣٩٤] سواء من جهة ما باعوا ، أو ما اشتروا ، مستخدمين الوحدات النقدية الصغيرة ، مثل الحروف ، والعددي وغيرها . أما من تعامل بالقرش الفرانصي ، مثل تجار البن فأن خسارتهم كانت ضئيلة .

ثامناً :- الأوزان والمكاييل التي استخدمت في معايرة البن

استخدمت العديد من الأوزان والمكاييل لحساب كمية البن المراد بيعها، وذلك حتى يتم حساب المبالغ المالية المستحقة . من الموازين التي استخدمت لهذا الغرض البهار ، البالة والحمل ، الفراسلة ، والعدلة ، القنطار ، والرطل .

لقد اختلفت قيم الأوزان من وقت إلى آخر، ومن مكان إلى آخر، ففي المخا مثلا ، عند زيارة نيبور إلى اليمن ١٧٦٣م ، كان البهار يعادل ١٥ فراسلة ، بينما كان البهار في بيت الفقيه يعادل ٤٠ فراسلة . ولم يذكر نيبور سر الاختلاف في مقدار البهار في كلا من المخا وبيت الفقيه . هذا وكان جان دي لاروك قد ذكر حجم البهار في مدينة بيت الفقيه عام ١٧١٠م ، في معرض حديثه عن ارتفاع الأسعار هناك ، فقد ذكر أنه قبل وصولهم إلى اليمن بخمسة وعشرين عاماً ، كان بمقدور المرء " الحصول على بهار بيت الفقيه الذي يزن سبعمائة وخمسين رطلا بعشرة أو اثني عشرة قرشاً ، والذي يتعين أن تدفع مقابله اليوم مائة

---

[٣٩٣] – د . سيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الأول لليمن ، ص٢٧٣_ ٢٧٤ .

[٣٩٤] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير، جـ٣ ، ص٧٣٢ .

وخمسين قرشاً وفي بعض الأحيان أكثر من ذلك "[٣٩٥] .وقد ظلت الفراسله تستخدم في عمليات الوزن إلى عهد قريب حيث كانت تساوي ٢٤ رطل .

وكان الهولنديون قد حسبوا وزن البهار في المخا عام ١٦٢٣م بـ٣١٥ كيتي صيني و يعادل ٣٩٣ ٣\٤ بونت – أي رطل– هولندي[٣٩٦]. كما أجرى الهولنديون حساباً أخر للبهار عام ١٦٢٦م ، حيث حدده جوهان كارستينين بـ٣٩٤ رطلا هولندياً، وقد حوّل براور هذا المقياس إلى النظام المتري فكان "(١ رطل هولندي =٤٩٤.٠٩ غرام) فهذا يعني أن الرزمة _ أي البهار _ في المخا كانت تزن ١٩٤.٢٨ كغ أو ١٩٤.٦٧كغ، وبشكل ادق ١٩٥كغ "[٣٩٧]

ومما يوزن به البن أيضا البالة . وتزن البالة نفس الكمية التي يزنها البهار ، وقد بدأ استعمال كلمة بالة منذ ١٦١٦م ، وقد ذكر براور أن سعر البالة من حبوب البن في تلك السنة كان بنفس نظام الرزمة _ أي البهار _ حتى عام ١٦٢٣م . أي أن الكلمتين _ عند الحديث عن البن _ كان لهما المعنى نفسه في المخا[٣٩٨] .

كان الحمل أيضاً من وحدات وزن البن في اليمن ، و كان الحمل يزن نفس وزن البهار أيضا ، فكانا اكبر وحدات الوزن ، فيقال حمل بعير من البن ، ويطلق عليه محلياً وِقر بعير ، أي الكمية التي يمكن للبعير حملها على ظهره ، ويقدر الحمل بـ ٣٠٠ رطل تقريباً، " أي أن ١٢١,٨٧٥كغم "[٣٩٩] . ويبدو أن هذا المعيار كان يستخدم من قبل المزارعين أكثر منه من قبل التجار ، وذلك لعدم معرفة المزارعين بالموازين الحسابية بشكلٍ دقيق ، ونظراً لنقل البن من الأراضي الزراعية .

---

[٣٩٥]– جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص٧٩ .

[٣٩٦] – براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص ١٥٩.

[٣٩٧] – براور : المخا ميناء تصدير البن الممتاز في العقود الاولى من القرن السابع عشر ، ترجمة :د . حسين العمري، الثوابت ، ص ٥٠ .

[٣٩٨] – نفس المرجع : ص ٥٠ .

[٣٩٩] – داوود المندعي : تاريخ اليمن الاقتصادي من القرن الرابع إلى إلى القرن السابع للهجرة، رسالة دكتورة غير منشورة ، ص٢١١.

وتعد الفراسلة من الوحدات الشائعة لوزن البن ،وقد قام التـاجر الهولنـدي ولم دي ملده في عام ١٦٢٣م بحساب الأوزان في المخا فكانت بالشكل التالي : [٤٠٠]

يساوي البهار ١٥ فراسلة ، ووزن الفراسلة الواحدة ٢١ كيتي .

تعادل الفراسلة الواحدة ١٠٠ من .

يعادل المن الواحد رطلين .

ويعادل الرطل الواحد ١٤ أوقية .

وفي عام ١٧٦٨م حسب نيبور حجم الفراسلة في كلٍ من المخا وبيت الفقيه بالشكل التالي :

في المخا :

- رطل واحد = ١٥ دقيقة .
- موند واحد = ٤٠ ديتو .
- ٤٠٠ ديتو أو ١٠ موند = فراسلة واحدة .
- ٦٠٠٠ ديتو أو ١٥ فراسلة = بهار واحد .

في بيت الفقيه :

- ٢٩ ديتو = موند واحد .
- ٢٩٠ ديتو = فراسلة واحدة .
- ١١٦٠٠ ديتو أو ٤٠ فراسلة = بهار واحد[٤٠١]

العدل أو العدله ، وتعنى وضع كمية متعادلة من السلعة على جانبي الحيوان الذي ينقلـها ، وهو عادة الجمل ، وقد استخدمت العدل لوزن كمية البن أيضاً . والعـدل " أكـبر مـن القنطار ، ويساوي نصف البهار والحمل "[٤٠٢] ، أي ما بين " ١٢٥ – ١٥٠ كغم "[٤٠٣] .

---

[٤٠٠] – براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص١٥٩– ١٦٠ .

[٤٠١] – د. احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٧٣ .

[٤٠٢] – د . داوود المندعي : تاريخ اليمن الاقتصادي من القرن الرابع إلى إلى القرن السابع للهجرة، رسـالة دكتوراة غير منشورة ، ص٢١٠ .

[٤٠٣] – فالتر هنتس :الاوزان الاسلامية و مايعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي ، ص٣٩ .

القنطار كان أيضا من وحدات وزن البن . والقنطار الواحد " يساوي من حيث الأساس ١٠٠ رطل "[٤٠٤] .

كما كان الرطل من ما يوزن به البن ، وكان الرطل في المخا في القرن السابع عشر " يتراوح بين ٢٤, ٥٢١ غم و ٣٢ , ٥٤٤ حسب رضى الكيال ، أي أنه كان يبلغ في المتوسط ٥٣٠ غم "[٤٠٥] .

المن . كذلك استخدم المن لوزن البن ، ففي حوالي ١٦١٢م كان المن يتراوح حسب رضى الكيال بين ٢,٣ و ٢,٤ باوند ، أي ١٠٤.٢٥ و ١٠٨,٦٤ غرام ، وبذلك يكون معدل وزنه ١,٠٦ كغم .

وإلى جانب وحدات الوزن السابقة ، وجدت العديد من الأواني والأدوات التي استخدمت لتحديد كمية البن المراد بيعة ، ومن تلك الأدوات الغرارة والفرق .

والغرارة عبارة عن كيس كبير من القماش توضع فيه الحبوب المختلفة ، وتعرف بـ" الجوال "[٤٠٦] وما تزال الغرائر موجودة حتى يومنا هذا . أما جوالات البن فكانت من الحصير ، وكان الجمل يحمل اثنين منها[٤٠٧] . كذلك استخدم الفرق لكيل البن ، وتوجد للفرق قيم مختلفة فالفرق في المدينة المنورة ٣ صيعان ، أي ١٢,٦١٧ لتر ، وفي العراق كان الفرق ٣٦ رطلا " كل رطل ٤٠٦,٢٥ غم ، أي ٦٢٥و١٤ كغم"[٤٠٨] . ولا يعرف أي "فرق" كان يعتمد في اليمن لكيل البن . ويبدو ان الفرق و الفردة يحملان نفس المعني . عموما فقد حسب الفرنسيون فردة البن في نهاية القرن الثامن عشر بـ" ١/٢ ٣ قناطير ويصل ثمن القنطار إلى ٣٠ قرشا أسبانيا"[٤٠٩]

---

[٤٠٤] – نفس المرجع : ص٤٠ .

[٤٠٥] – فالتر هنتس :الاوزان الاسلامية و مايعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي: ص٣١ .

[٤٠٦] – السياغي : قانون صنعاء ، هامش ١ ، ص٢٤ .

[٤٠٧] – جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص٧٧

[٤٠٨] – فالتر هنتس : نفس المرجع ، ص٦٤، ٦٥ .

[٤٠٩] – جيرار ليميز : وصف مصر ، ترجمة : د زهير الشايب ، جـ١ ،ص٣٢٨

عموما كان يتم وزن وكيل البن في مراكز متخصصة لهذا الشأن وهذه الأماكن عرفت عند الأوروبيين بالفندنغة ، وهي منقولة من البرتغالية ، وتعني " مركز الجمرك "[410] ، وقد شاهد التاجر الهولندي بيتر فن دن بروكة، مركز الجمرك في عدن ، وذلك عام ١٦١٤م وقدم لنا معلومات جيدة حول ذلك ، فقد ذكر بان مركز الجمرك ، والفندنغة يوجد في وسط المدينة وهو" مركز الجمرك الحاوي على ميزان لا يتوقف طوال اليوم "[411] ، كما ذكر بأنه كان يدفع واحد بالمائة أجرة للوزن ، " ولخدمتك يوجد عمال وحمالون وحزامون وحمال لنقل السلع إلى منزلك مثل ما يحدث في أوروبا تقريباً ، وتنقل معظم البضائع من مكان إلى آخر بواسطة الجمال مما يكون ذا سهولة كبيرة للتاجر والمسافر "[412].

لقد كانت عملية وزن البن تتم تحت الاشراف المباشر من الدولة ، حيث كان يجلس مسؤولو الجمارك وسط السوق على مسطبة مرتفعة مغطاة بالسجاد ، و في بعض الاحيان كان يجلس هناك الحاكم شخصيا . وينتبه هولاء المسؤلون لوزن البن وسعره الذي يباع بحضورهم ، وذلك من أجل دفع المكوس للإمام [413]

تاسعاً :–أساليب التعامل

كان يتم التعامل في بيع وشراء البن بالنقود، بدرجة أساسية، وقد ذكر جان دي لاروك أنه عند وصولهم إلى المخا عام ١٧٠٩ م كان كل مخزونهم " من القروش لشراء البن "[414] ، كما ذكر أن اليمنيين لم يكونوا يداينون الأجانب ، وأن " عليك أن تدفع نقدا مقابل كل شيئا تشتريه "[415] ، وكما ورد في ملاحظات نيبور بأن التجار في اليمن عندما

---

[410] – براور : اليمن في مطلع الفرن السابع عشر ، هامش ص٢٢٧ .

[411] – براور : اليمن في مطلع الفرن السابع عشر ، ص٤٨ .

[412] – نفس المرجع : ص٤٩ .

[413] – جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص ٧٧ .

[414] – نفس المرجع : ص٤٢ .

[415] – نفس المرجع : ص٧٨ .

يسلموا لبعضهم البعض مبالغ كبيرة كانوا " يلجأوا بدلا من عد القطع النقدية ، إلى وزنها ، ولهذا فإن صراف الإمام يقوم بمراقبة وفحص موازين التجار والصرافين أيضا "[416] .

ويعد استخدام المترجمين واحد من أساليب العمل في تجارة البن في اليمن . ونظرا لكون معظم تجار البن من الأجانب، فان الاحتياج للمترجمين كان كبير، ويعد استخدام المترجمين جزءاً من بنية المجتمع التجاري في اليمن ، خاصة تجارة البن . وقد عمل في الترجمة عدد كبير من التجار الهنود الذين عرفوا بالبانيان ، والذين بحكم احتكاكهم الطويل مع الأوربيين من ناحية ، واليمنيين والعرب من ناحية ثانية ، أصبحوا يتقنون العربية إلى جانب اللغات الأوربية المختلفة. وذكر جان دي لاروك أنهم عندما وصلوا إلى المخا ذهبوا إلى "البانياني بيرا ، المترجم ، والعنصر الرئيسي بين الأوربيين كافة "[417] .

كما عمل في الترجمة أيضا العديد من الأوربيين الذين عاشوا في اليمن أو بعض البلاد العربية لمدة طويلة ، فقد ذكر جان دي لاروك انه أثناء إقامته في عدن ، خرج لمشاهدة المدينة بصحبة مترجمه البرتغالي ، والذي شرح له كل شيء . كما ذكر أيضا أن راهبين إيطاليين كنا يعملان معه كمترجمين ، في المخا .

لا يوجد ما يثبت أن اليمنيين قد عملوا في الترجمة ، مع أن البعض قد تمكن من تكلم بعض اللغات ، فقد ذكر نيبور ، أن البعثة في طريقها من جدة إلى اليمن، صحبت معها " أحد أبناء التجار الموسرين في المخا، ويدعى إسماعيل صالح ، وكان شاباً نشيطاً نوعاً ما ، ويتكلم قليلاً اللغة الهولندية "[418] .

وقد ظهرت في المخا العديد من اللغات الأجنبية ، منها التركية ، والفارسية ، والهندية والهولندية والبرتغالية والإنجليزية والفرنسية . ويبدو أن التجار ، خاصة الأوربيين منهم قد تعاملوا باللغة البرتغالية ، أكثر من غيرها ، وذلك لكون البانيان كانوا يجيدونها أكثر من غيرها من اللغات .

---

[416] — د. احمد الصايدي : ا لمادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٧٧ .

[417] دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص٦٢ .

[418] توركيل هانسن : من كوبنهاجن إلى صنعاء ، ترجمة : محمد احمد الرعدي ، ص٢٠٧ .

استخدام الدلال أو السمسار من الأمور التي أعُتمدت في تجــارة الــبن في الــيمن ، والسمسار هو الواسطة بين المزارعين والتجار ، أو بين التجار المحليين والتجار الأجانــب . وقد برز البانيان في مهنة الدلالة أو السمسرة في اليمن لأسباب كــثيرة ، منــها لمعرفتــهم باللغات المختلفة ، واحتكاكهم الطويل باليمنيين ، ومعرفتهم القوية بتفاصيل تجارة الــبن في اليمن .

ونظرا لأهمية مهنة الدِلالة فقد وجدت بعض القوانين التي نظمت هذه المهنة ، خاصة ضمن القانون المعروف بقانون صنعاء ، والذي ورد فيه " أن للدلالين دلالة ما باعوا من أي سلعة، والذي تكون إلى العشرة ، وما دون على البائع بقشة ونصف وعلى المشتري بقشــة واحدة على القرش "[419] . ويتوجب على الدلال أن يقرب بين البــائع والمشــتري ، وان يضمن البضاعة المباعة ، بعد أن يفحصها بنفسه ، ويتأكد من سلامتها ، ويبين أوصــافها ، وإذا اكتشف أنه دلس على أياً من البائع أو المشتري فإنه يعاقب . وتقتصر مهمة الدلالة أو السمسرة على التوسط ، ولا يحق للدلال أن يشتري لنفسه ، " فإذا اشترى الــدلال منــع الدلالة في البيع والشراء "[420] .

لقد تمكن العديد من البانيان الذين عملوا في مهمة الدلالة تحقيق سمعة طيبــة ، إلى جانــب تكوين ثروات كبيرة ، ومن أولئك الدلالين البانيان ، شخص كان يدعى بــيرا البانيــاني ، العنصر المهم في تجارة البن في اليمن بين الأوربيين ، كما وصــفه جــان دي لاروك عــام (١٧٠٩م-١٧١٠م) .

ولا يوجد دليل بين يدي يثبت أن اليمنيين عملوا في مهنة الدلالة ، ولكن لا يستبعد أن يكون هناك من اليمنيين ممن عملوا في هذه المهنة .

عاشراً :- أهمية البن بالنسبة لدخل الدولة

أولاً : طريق تحصيل الأموال المترتبة على زراعة و تجارة البن

---

(٤١٩) حسين السياغي : قانون صنعاء ، ص٢١ .

(٤٢٠) نفس المرجع : ص٢١ .

كانت الدولة تحصل ثلاثة أنواع من الواجبات المالية على البن ، الزكـــاة وكانـــت تؤخذ من المزارعين ، و الضرائب من التجار الذين يعملون في التجارة الداخليـــة للـــبن ، والجمارك من التجار الأجانب الذين ينقلون البن من الـــيمن ، ســـواءً كـــانوا أفـــرادا أو شركات.

أعُتبر البن واحداً من المحاصيل التي يجب دفع الزكاة عنها ، مثله مثل بعض المحاصـــيل الزراعية الأخرى مثل الزبيب و التمر و غيرهما .واتبعت السلطات المتعاقبة التي حكمـــت اليمن ، سواءً العثمانية، أو اليمنية ، طريقة محددة لجمع الأموال من زكاة البن تمثلت فيمـــا كان يعرف بطريقة التثمير أو الخرص أو الطيافة[٤٢١] ، أو الكشف .

ويعد أسلوب الخرص و الكشف من الأساليب المتبعة منذ صدر الإسلام ، لتحديـــد الزكاة الواجب تسليمها للدولة ، ولكن كانت مقيدة بالكثير من الشروط منها الخـــبرة ، و العدل في تقدير المال المستحق. و مع مرور الزمن اكتنف هذه الطريقة الكثير من السلبيات. وقد أشار يحيى ابن الحسين إلى بعض تلك السلبيات بقوله : " و الخرص هذا صـــار أمـــره عظيم ، وحالة على العباد جسيم ، لما يحصل من وضع للزيادة على الرعايـــا بســـببه ، ولا ينظرون للكشاف ما يحصل من بعده و قدرة "[٤٢٢] . أي إن الكشاف بعد أن يطوفوا بالبن ويحددوا الكمية ، أو المبلغ المستحق كزكاة ، لم يكونوا يراعوا الظروف التي قد تستجد فيما بعد، سواء كانت ظروفا طبيعية كالجراد مثلا ، أو ظروفا بشرية . حيث كان يتوجب على المزارعين تسليم ما تم تحديده سلفا مهما كانت الظروف. أما السبب الذي جعل الدولـــة تعتمد طريقة الكشف ، فهو تهرب بعض المزارعين من دفع زكاة البن . ويشترط أن يكـــون الكشاف من الرجال الموثوق في عدالتهم و إنصافهم " إلا انه مع ظهور الخيانة لا بأس به في الشجر من الرجل العارف المعتبر ، فإن ذلك تعريف و معرفة لئلا يحصل التفريط "[٤٢٣]

---

[٤٢١] – طيافة وطوف وطائفي ، كلمات محلية المقصود بها نزول موظف الدولة إلى المناطق الزراعية ليقدر قيمة الزكاة اثناء وجود الثمرة في الارض (د. سيد مصطفى سالم : وثائق يمنية ت دراسة وثائقية تاريخية ، القاهرة ، المطبعة الفنية ، ط٢ ،ص٧٤)

[٤٢٢] – يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، تحقيق : امة الغفور الامير ،جـــ ١ ، ص ٤٤٤.

[٤٢٣] – عبد الصمد الموزعي : الاحسان ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص ٤٤٤ .

وقد اعتمد العثمانيون هذه الطريقة في حساب الزكاة الواجبة على البن ، ولكن كان يلحق المزارعين الظلم أحيانا بسبب ظلم الكشاف لهم . ومثال ذلك ما حدث عام (١٠١٦هـ/١٦٠٧م) عندما وصل جعفر باشا واليا على اليمن . وفي طريقة إلى صنعاء، مر على تعز، فتلقاه جماعة من أهل جبل صبر ، واشتكوا من ظلم الكشاف الذين يثمرون البن على الأشجار ، وان أولئك الكشاف يحاسبون المزارعين على أشجار البن اليابسة ، ويجبروهم على دفع الزكاة عن جميع الأراضي المزروعة بالبن بغض النظر ما إذا كانت أشجار تلك الأراضي منتجة أم لا، مما سبب فقرهم و عوزهم ، وطلبوا من جعفر باشا إنصافهم من ذلك الظلم الواقع عليهم " وأجابهم إلى ما طلبوا ، وأمر بان يمر وقت ثمرة البن في جبل صبر مباشرون عارفون بغلة البن مقدرون، مع كاتب من قبل الكاشف، ومندوب شرعي من قبل حاكم الشريعة في تعز، ثقة عارف، ينظرون بالحق فيما بين صاحب الدولة و و الرعية و يخمنون لجانب السلطنة ما هو موجود من البن، ويتركون للمالك بقية ، مع إخراج حق الأوقاف، وما هو لجانب التكايا والترب ، والصوفية والعلماء والأشراف ، وجعل بأيديهم في ذلك مراسيم كريمة، وأوامر شريفة مقررة مستديمة "[٤٢٤] .

اعتمد الأئمة من آل القاسم أسلوب الطيافة هذا لتحديد الزكاة الواجب دفعها للدولة عن زراعة البن ، ففي عام (١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م) أمر الإمام المتوكل على الله إسماعيل أهل الحيمة ، وهي – من المناطق المشهورة بزراعة البن – بتسليم زكاة البن من سائر المناطق ، " وأمر بالطيافة و الخرص لثمرة البن فيها ، وكانوا قبل ذلك لا يعتادونها و لا يألفونها ، بل الزكاة بالأمانة "[٤٢٥] . وكان لدى أهل الحيمة قبل التاريخ سالف الذكر إعفاء من الخرص و الطيافة لثمار البن، على أن يدفعوا الزكاة بالأمانة " لأجل ما سبق لهم مع الأمام القاسم و المؤيد من الإعانة ، و ما معهم من الخطوط في الصيانة"[٤٢٦] .

وكان الأئمة من آل القاسم يعفون بعض المناطق ، أو العائلات الكبيرة من عملية الخرص ، كمكافأة لهم على أي معونة قدمت لهم من تلك القبائل ، وكانت المناطق أو

---

[٤٢٤] عبد الصمد الموزعي : –لاحسان ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص ١٠٨.

[٤٢٥] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ ١ ، ص ٤٤٤ .

[٤٢٦] – نفس المرجع : ص ٤٤٤.

العائلات المعفية من الطيافة تُمنح أوراقا شرعية بذلك تُعرف بالرايات[٤٢٧]. و بالمقابل كان على تلك المناطق أو العائلات وجوب دفع التزاماتهم المالية إلى الأئمة بالأمانة. وقد حاول أهل الحيمة إقناع الإمام المتوكل العدول عن قرارة بالطيافة على أشجار البن عندهم، ولكنه رفض بسبب إن البعض " تساهل في الحق الواجب "[٤٢٨] .

لم تكن عملية التثمير أو الخرص سهلة فقد يتعرض المزارعون لسوء تقدير الثمار التي على الشجر، وبالتالي يتعرضون للظلم من قبل المثمرين ، لذلك كان الأئمة يحرصون على اختيار أولئك المثمرين من الناس الموثوق بنزاهتهم ، و أمانتهم و خبرتهم في هذا المجال. إلا أن الخطأ في التقدير لا يعدم ، مما جعل بعض الناس يرفضون العمل في التثمير خوفا من إلحاق الضرر بالمزارعين كما فعل القاضي محمد بن إسماعيل الاكوع ، الذي كان والده يعمل مثمرا ، وأراد أن يكون ابنه مثمرا مثله، ولكنه كان كارها لذلك ، ولكن تحت ضغط والدة اضطر لقبول العمل في التثمير ، وفي احد زياراتة لطيافة الأموال " لم يشعر الا بعجوز قد أقبلت عليه بثياب رثة تقول له " أسألك بمن سواك ألا ظلمتني في خرص هذه ، فان لي صبية يتضاوعون[٤٢٩]ليس لهم إلا الله تعالى ، قال : فعقدت مع الله عهدا أن لا أثمر بعدها طرفا من الأرض"[٤٣٠] .

ولا يعرف بالتحديد المبالغ المالية التي كانت زكاة البن ترفد خزينة الدولة بها ، ولكن إذا نظرنا إلى حجم الأراضي المزروعة بالبن ، و التي كادت تُغطي جميع الأراضي الصالحة لزراعته فمن الممكن استنتاج أن زكاة البن كانت ضخمة ، و أنها شكلت مصدرا هاما من مصادر دخل البلاد، خاصة في الفترات التي كانت تجود فيها زراعته. على سبيل المثال ، فقد وصل حاكم العدين ، السيد جعفر الجرموزي إلى الإمام المهدي أحمد بن الحسن عام

---

[٤٢٧] – الرايات : عبارة عن أورق رسمية صادرة عن الأئمة تمنح لبعض القبائل أو العائلات ، ويتم بموجبها إعفائهم من طيافة أموالهم ، على أن يدفعوا زكاة أموالهم بالأمانة . وكان أصحاب الرايات يعرضونها على الكشاف والمثمرين حتى لا يدخلوا إلى أراضيهم ، انظر الملاحق ، الوثيقة (١) و (٢) .

[٤٢٨] – عبدالله الوزير : طبق الحلوى ، تحقيق : محمد عبدالرحيم جازم ، ص ٢١١.

[٤٢٩] – يتضاوعون : مفردها تضوع أي بكى ، و التضاوع : البكاء (الفيروزبادي : القاموس المحيط ، بيروت، دار احياء التراث الإسلامي ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، ط١ ، جـ٢ ، ص٩٩٦ .

[٤٣٠] – لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي، ص ٧٣٢.

(١٠٨٩هـ / ١٦٧٨ م) " و اطلع معه للمهدي قريب ثمانين حملا "[٤٣١] من محصول العدين و مع إننا لا نعرف بالضبط ما هي محتويات الحمولات إلا أنه لا يستبعد أنها من البن أو من المال الناتج عن بيعه ، خاصة وأن العدين كانت واحدة من أكثر المناطق شهرة بزراعة البن الجيد. و قد أورد يحيى بن الحسين نصاً مفيداً حول مقدار الأموال التي كانت تجبى من كل من العدين و وصاب. فقد ذكر أن الإمام المهدي احمد بن الحسن أرسل جعفر الجرموزي إلى بلاد العدين والزمه دفع مبلغ معين كم المال ، وهو سبعة آلاف حرف ، وزاد علية مقدار المطلوب من المنطقة قد ألف حرف ، فكان كل شهر ثمانية آلاف . كما ولى المهدي السيد صالح الغرباني على وصاب ، والزمه أيضا بدفع مبلغ معين من المال ، ولكنه زاد عليه قدر ألفين ، فانه أولا في زمان والده الحسن كل شهر ثلاثة ألاف، ثم زاد الفقيه عامر ألفا، فكانت أربعا، ثم زاد هذا الألف فكانت خمسة آلاف، " وهذه الدراهم التي تؤخذ في مقابل زكاة البن والأسواق وسائر المطالب "[٤٣٢] .

ويبدو إن أسلوب تحديد الأموال التي يجب أن تدفع إلى خزينة الدولة سلفا، كان يسبب الكثير من المشاكل للمزارعين ، و قد علق يحيى بن الحسين على ذلك بقوله " ولو أنهم جعلوا ذلك بالأمانة و أكدوا على العامل في عدم الخيانة كان هو اعدل، ما حصل من قليل أو كثير فهو الواقع ، فأما هذه القطفة فإنها ذريعة إلى زيادة الوالي ، وقد تزيد الثمرة فتصير له ، وما نقص فانه يأخذها من الرعية ، فتكون عليهم ظلما"[٤٣٣] .

مما لا شك فيه أن الأموال التي تجبى من زكاة البن كانت كبيرة . ويكفى أن نعرف أن إيرادات الإمام المهدي عباس من الحيمة وحدها، وهي من المناطق التي تجود فيها زراعة البن، بلغت مائة ألف ريال سنويا. و في عهد الإمام المنصور علي ابن الإمام المهدي عباس، حاسب إبراهيم بن عبدالله الجرموزي الإمام المنصور عن بلاد ريمة التي كان يحكمها ، و التي تعد أكثر المناطق زراعة للبن، في عام (١١٩٣هـ- ١١٩٤هـ/ ١٧٧٩- ١٧٨٠م) بثلاثة وسبعين ألف ريال. وتولى الحسن بن عثمان العلفي ، نفس المنطقة بعد ابراهيم الجرموزي وحاسب عنها أربعة و خمسين ألف ريال ، مما دفع وزير الإمام علي بن يحيى

---

[٤٣١] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ .

[٤٣٢] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ ٢ ، ص ٥٠٩ ، ص٥١٠ .

[٤٣٣] – نفس المرجع : جـ٢ ،ص ٥٠٩

الشامي إلى معاتبة الحسن بن عثمان، ومواجهته بما دفعه إبراهيم بن عبـــدالله الجرمـــوزي، واخبره " انه لا اقل من أن يبعث إليه بمثل ما بعثه إبراهيم بن عبدالله الجرمـــوزي"[٤٣٤] ممـــا اضطر الحسن بن عثمان إلى أن يرسل ثلاثة وخمسين ألف ريال أخرى، وقد جعلـــت تلـــك الحادثة الحسن بن عثمان يحقد على إبراهيم الجرموزي ، مما سيؤدي إلى عزله عن حكم المخا ، ويتم مصادرة أمواله، عندما يتولى الحسن بن عثمان منصب الوزارة العظمى في حكومـــة الإمام المنصور علي فيما بعد.

ونظرا للأهمية القصوى لزكاة البن فإنه في الفترات التي كان يسودها الاضـــطرابات السياسية و يكثر فيها عدد القوى المتصارعة، كانت كل قوة تسعى إلى الاستحواذ على هذا المصدر، ففي عام (١٠٩٦هـــ / ١٦٨٤ م) كتب الإمام المؤيد محمد بن المتوكل على الله إسماعيل إلى مشايخ بلاد آنس أنهم لا يسلمون شيئا من زكاة البن إلى صنوه حســـين بـــن المتوكل، وإنما تكون إليه ، فنزل حسين بن المتوكل من ذمار إلى وادي النائجـــة و ارســـل مجموعة من العسكر ، وقبض زكاة البن من انس بالتمام و الكمال ، ولم ينصاع لأمر المؤيد، قائلا أن تلك البلاد هي :" بلاده من والده وليس من أخوه "[٤٣٥].

وكان المزارعون في مناطق زراعة البن يتعرضون لكثير من العنت من قبل بعض حكام المناطق، الذين كانوا يرفعوا نسبة الزكاة المطلوبة من المزارعين باستمرار، ممـــا ســـبب لهـــم الكثير من المشاكل. ولقد كان محمد بن الحسن أول من زاد في مطالب اليمن الأسفل ، فانه " زاد فيها على المعتاد و أمر عماله بذلك حتى كان يصح مع أهل اليمن النصف ، والنصف يأخذه ، بل إن بعض الناس لم يبق معهم إلا الثلث "[٤٣٦].

ونتيجة للاضطهاد الذي كان يتعرض له المزارعين ، من قبل الولاة عليهم ، كـــانوا يشـــتكون إلى الأئمـــة، لأنصـــافهم مـــن ظلـــم أولئـــك الـــولاة . ففـــي عـــام (١٠٨٥هـــ/ ١٦٧٤م) قدم ثلاثون رجلا من أهل العدين إلى الإمام احمـــد بـــن الحســـن

---

[٤٣٤] – لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين ، تحقيق: عارف الرعوي ، ص .

[٤٣٥] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير،جـــ ٣ ، ص ٦٧٠، ص ٦٧١ .

[٤٣٦] – نفس المرجع : جـــ ١ ، ص ٤٨٨.

" شاكين على الإمام ما يأخذه عليهم السيد جعفر بن مطهر الجرموزي مما اســتجحف[٤٣٧] أكثر محصول مالهم "[٤٣٨] ، كما اشتكى أهل وصاب الشيخ راجح من نفس المشــكلة ، وبالرغم من بقاء الشاكين مدة طويلة عند الإمام ، إلا أن الإمام لم ينصفهم من الظلم الواقع عليهم . و قد علق يحيى بن الحسين على ذلك بقوله : " و الشكوى في الحقيقــة عائــدة في الإمام عليهم لأنه المرخص لعماله في الذي يأخذونه من الأموال"[٤٣٩] . كما شكا أهل حراز القاضي احمد السلفي الذي " طلب منهم البن أكثر من سعره"[٤٤٠] وقد حاول المؤيد محمد بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ، المشهور بالمؤيد الصغير حل هذه المشكلة، حيث جمــع الشاكين من القاضي احمد السلفي، ورأى رفع القضية إلى والده المتوكل على الله إسماعيــل. هذا بالنسبة للأموال التي تجبى من زراعة البن .

أما عائدات البلاد الناتجة من تجارة البن فقد كانت اكبر بكثير _ حسبما اعتقد _ من تلك الأموال الناتجة من زراعته، حتى أن الفضة الأمريكية وجدت طريقها إلى الوطن العربي عبر أوروبا بفضل البن دون أي سلعة أخرى . فقد كان البن يمثل السلعة الوحيدة في الوطن العربي كله " القابلة للتصدير إلى الأسواق العالمية بكميات كبيرة، والتي تستدر الأمــوال – الفضة و الذهب – "[٤٤١] . ولكن المصادر الأصلية التي بين يدي لم تــوفر الكــثير مــن المعلومات حول هذا الموضوع ، ومع هذا سوف أحاول استشــفاف مــا يتيســر لي مــن المعلومات مما ورد متناثرا بين سطور بعض تلك المصادر . وبطبيعة الحال فان الأرقام الــتي سترد في البحث ليست سوى أرقاماً تقريبية ، أكثر منها واقعية. ويــدخل ضــمنها كافــة الأموال التي تحصل عليها الدولة ، من المواد المصدرة ، والمستوردة ، ولكن لأن البن كــان أهم سلعة محلية ، يمكن الاستنتاج انه كان المصدر الأهم لتلك الأموال التي تدخل خزينــة الدولة من التجارة .

---

[٤٣٧] – استجحف : مصدرها جحف و جحاف : يذهب بكل شيء . واجتحفه : استلبه. (الفيروزبــادي : القاموس المحيط ، جــ٢ ، ص ١٠٦١)

[٤٣٨] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير: جــ ٢ ، ص ٣٣٠ .

[٤٣٩] – نفس المرجع : جــ ٢ ، ص٣١٩

[٤٤٠] – محمد بن اسماعيل بن القاسم: مذكرات المؤيد الصغير ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص ٨٤.

[٤٤١] – د. عبد الامير محمد امين : دراسات النشاط التجاري الاوروبي في اسيا ، ص ٣٦.

ويعد محصول المخا واحداً من أهم الإشارات على حجم الأموال الناتجة عـــن تجـــارة البن، وكما سبق أن أشرت بأنه تدخل ضمنها بعض الأموال من مصادر أخرى ، ولكنـــها قليلة نسيبا. وسأعطي بعض الأمثلة على ذلك، ففي عام(١٠٨٤هـــــ / ١٦٧٣م) قـــدم الحسن بن مطهر الجرموزي ، حاكم المخا إلى الإمام المهدي أحمد بن الحســـن ، وبصـــحبته محصول المخا، " فوصل إلى حضرة الإمام بأول شعبان بحوالي مائة وخمسون حمـــلا "[٤٤٢] ، وبعد ذلك بعامين وصل نفس الحاكم إلى الإمام أي في عام(١٠٨٦هــ /١٦٧٥م) ، بمائة حمل فاستقل الإمام ذلك المحصول، لأنه كان يحصل قبل توليه الإمامة اكبر مـــن ذلـــك ، بالرغم من انه كان يتقاسم المحصول مع أخيه محمد بن الحسن . هذا وكان السيد زيد بـــن علي جحاف قد عزل من منصبه كحاكم للمخا ، عام(١٠٨٠هــ / ١٦٧٠م) ، وعـــين محله السيد الحسن بن مطهر الجرموزي، بسبب قلة المحصول ، و تناقصه ، عما كان علية في السابق . وبعد ذلك بحوالي قرن من الزمن ، أي في عـــام (١١٩٨هـــــ / ١٧٨٣م)، في عهد الإمام المنصور علي ، حاسب إبراهيم بن عبدالله الجرموزي عن ولايته للمخـــا بـــــ" ثلاثمائة آلف و سبعة و ثمانين ألفا قروشا معدودة، داخلا في ذلك جميع مخرجات البنـــدر و لوازمه "[٤٤٣] .

إن هذه الإشارات ، وان كانت غير دقيقة ، إلا أنها تعطينا صـــوره تقريبيـــة ، عـــن الأموال التي تدخل خزينة الدولة ، من مناطق إنتاج و تجارة البن، وذلـــك كمـــا جـــاء في المصادر المحلية. إما المصادر الأجنبية ، و التي تتركز بشكل أساسي على المعلومـــات الـــتي وردت عند بعض الرحالة الأوربيين الذين زاروا اليمن ، وحصلوا على هـــذه المعلومـــات بطريقة أو بأخرى ، فتكاد تكون أكثر تفصيلا من المصادر المحلية.

حيث أورد الهولنديون في النصف الأول من القرن السابع عشر بعض التفاصيل حول بعض المكوس التي كان يجري الحصول عليها من في الموانئ اليمنية، خاصة مينـــاءي المخـــا وعدن . ومع أنهم لم يذكروا البن بالاسم إلا أن تلك الرسوم كانت سارية المفعول على كافة المواد المصدرة والمستوردة ، وهذا يعطي إشارة تقريبية عن الرسوم المطلوبة من اجل تصدير

---

[٤٤٢] – يحيى بن الحسين : يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـــ ٢ ، ص ٣٠٣.

[٤٤٣] – لطف الله جحاف : دررنحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي ، ص ٣٠٠ .

البن من تلك الموانئ، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن البن كان أهم سلعة مصدرة عبرها.

فقد ذكر الهولنديون أنه كان يجب دفع نسبة مئوية عن كل البضائع المستوردة والمصدرة مكونة من ٥ ٪ ، وثم عدا عن ذلك تحسب قيمة البضائع المذكورة دائما ١١٠ ٪ مما يؤدي إلى نسبة مئوية صافية مكونة من ٢\١ ٥ ٪، وللكتبة الستة و لمشرفي الملك في الفندنغة _ أي الجمرك _ ٢\١ ١ ٪، وبالإضافة إلى هذا يدفع رسم جمركي يسمونه أجرة السمسرة ١٪ ، كما يدفع بالإضافة إلى ذلك رسوم للمدينة تقدر بـ ١ بالألف[٤٤٤] .

وقد أشار الهولنديون إلى أن البعض قد زعم أن حاكم المخا التركي قد زود السلطان العثماني في عام ١٦٢٠ م بأكثر " من ثلاثمائة ألف قطعة الثمانية ريالات من المكوس"[٤٤٥]. ولا يُعرف بالتحديد كيف و لا أين كان يتم جمع المكوس أو الضرائب المستحقة على البن و لكن التاجر الفرنسي جان دي لاروك أعطانا بعض المعلومات التي جمعها عن سوق بيت الفقيه. " حيث كان يوجد هناك سوقا كبيرا للبن ، وفي الطرف الأدنى وسط البازار يرتفع ديوان أو أريكة عن الأرض مغطاة بالسجاد ، حيث يجلس مسؤلو الجمارك ، وفي بعض الأحيان الحاكم ، وينتبه المسئولون لوزن البن و سعره الذي يباع بحضورهم ، وذلك من أجل دفع مكوس الملك _ أي الإمام – "[٤٤٦] . ويدفع البائع مكوسا بمقدار صول عن كل قرش يتقاضاه. والصول عملة فرنسية قديمة ، ولكن لم يحدد لنا جان دي لاروك ما تعادله تلك العملة من العملة المحلية .

وبعد أكثر من نصف قرن من الزمن جاء نيبور إلى اليمن، أي في عام ١٧٦٣ م ، وذكر بأنه " كان يتم تسديد ضريبة البن في قرية الحدية التابعة لمنطقة كسمة ، قبل أن يتم نقله إلى بيت الفقيه أو الحديدة مباشرة "[٤٤٧] ، ولكن لم يذكر ما إذا كان يتم دفع رسوم ثانية في بيت الفقيه. ولكن من خلال المعلومات التي أدلى بها جان دي لاروك يمكن

---

[٤٤٤] – براور : اليمن في وائل القرن السابع عشر ، ص ٨٨ _ ٨٩.

[٤٤٥] – براور : اليمن في وائل القرن السابع عشر ، ص ١٣٦.

[٤٤٦] - جان دي لاروك :رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص ٧٨.

[٤٤٧] – د . احمد الصايدي: المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ٢٨٧.

الاستنتاج بأنه كان يتم دفع ضرائب أخرى هناك .وربما تكون الضرائب المدفوعة في المناطق الزراعية، والأسواق الداخلية تؤخذ من المزارعين وملاك الأراضي ، بينما كانت الأمـــوال التي تجبى في سوق بيت الفقيه ، وفي الموانئ تؤخذ من التجار ، و المستوردين العرب الأتراك و الأجانب.

عموما قدم نيبور بعض المعلومات و التي تحمل بعض الدلالات حول مداخيل ثلاثة من الأئمة المتتابعين، وإن كنت لا اعرف مدى دقتها، و لا حجم الأموال التي ساهمت به تجارة وزراعة البن في تلك المداخيل، إلا إنها إشارات تقريبية مفيدة في بلاد كانت حـــتى ذلـــك الوقت تعتمد في مصادرها المالية على البن بدرجة أساسية. " فقد كانت إيـــرادات الإمـــام المهدي محمد تبلغ ٨٣ ألف ريال قيصري شهريا ، أي تسع مئة و ستة و تسعين ألف ريـــال سنويا "[(٤٤٨)] ، وقد انخفض هذا المبلغ في عهد الإمام المنصور القاسم إلى ثلاثين ألف ريـــال شهريا، أي إلى ثلاث مئة و ستين ألف ريال سنويا ، وذلك بسبب انفصال بعض المناطق عن حكم الأئمة ، مثل لحج و عدن و قعطبة ، وأبو عريش ، وغيرها من المناطق ، هـــذا مـــن ناحية.ومن ناحية أخرى ، أصبحت إيرادات بعض المناطق تذهب إلى يدي بعـــض أفـــراد الأسرة الحاكمة ، مثل وصاب ، والمخادر ، وبلاد انس ، وغيرها . وقد عـــادت إيـــرادات الإمام إلى الارتفاع في عهد الإمام المهدي عباس ، حيث وصلت إلى أربعين ألف ريال شهريا أي أربع مئة و ثمانون ألف ريال سنويا ، وذلك بعد أن تمكن من استعادة نفوذه على بعض المناطق .

مثل البن مصدراً مهما من مصادر إيرادات الإمام المهدي عباس ، " إذ يقال أن الإمام يحصل على ربع ثمن البن كضريبة ، قبل أن يسمح بشحن الكمية المباعة ، في السفن "[(٤٤٩)] .

ونظرا لأهمية الأرقام التي أوردها نيبور حول الأموال التي كانت تصب في خزينة الدولـــة، رأيت انه من المفيد إيرادها هنا ، وذلك من اجل الحصول على صورة تقريبية لما كانت عليه عائدات الإمام المالية من المناطق الزراعية ، و الموانئ التجارية المتصلة بالبن .

– إيرادات المخا في اشهر ابريل – مايو – يونيو – يوليه ٧.٠٠٠ ريال شهريا

[(٤٤٨)] – د . احمد الصايدي: المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٨٨

[(٤٤٩)] – نفس المرجع : ص ١٨٩

- إيرادات المخا في الأشهر الأخرى ٤.٠٠٠ريال شهريا

- إيرادات اللحية في اشهر ابريل – مايو – يونيو – يوليه ٣.٠٠٠ ريال شهريا

- إيرادات اللحية في الأشهر الأخرى ٢.٠٠٠ريال شهريا

- إيرادات بيت الفقيه ٣.٦٠٠ ريال شهريا

- إيرادات الحديدة ١.٤٠٠ريال شهريا

- إيرادات حراز ١.٥٠٠ ريال شهريا

- إيرادات حفاش ١.٢٠٠ ريال شهريا

- إيرادات زبيد ١.٤٠٠ ريال شهريا

- إيرادات الجبي وريمة ٢.٤٠٠ ريال شهريا

- إيرادات كسمة ٤.٠٠٠ ريال شهريا

- إيرادات الحيمتين ١٠٠.٠٠٠ مئة الف سنويا

بالنظر إلى المناطق المذكورة أعلاه نجد أنها تنقسم إلى قسمين رئيسيين ، مناطق زراعية تجود فيها زراعة البن ، و مناطق الموانئ والأسواق التي كان يسوق أو يصدر البن عبرها .

حادي عشر:– الانعكاسات الحضارية الناجمة عن زراعة و تجارة البن اليمنى

مما لاشك فيه أن ازدهار زراعة وتجارة البن قد انعكس على العديد من جوانب الحياة السياسية و الاقتصادية ، بل و الاجتماعية أيضا .

وقبل الحديث عن الانعكاسات السياسية لتجارة البن على اليمن تحت حكم الأئمة من آل القاسم ، سوف أحاول استعراض تأثير تجارة هذا المحصول على الوجود العثماني في اليمن.

لقد مثل البن أحد روافد خزينة الوالي العثماني في اليمن ، كما هي أيضا أحد روافد خزينة السلطان العثماني في الآستانة. وبالرغم من عدم معرفة حجم المبالغ المالية التي كانت تدخل الخزينة العثمانية من زكاة البن و تجارته ، ولكن يمكن الاستنتاج أنها كانـــت مبـــالغ جيدة خاصة إذا ما علمنا أن الدولة العثمانية قد قسمت اليمن إلى بكلربكيتين ، من اجل تثبيت الأمن ولاستقرار في اليمن ، وذلك ربما يكون لأهداف اقتصادية. فقد جاء في المرسوم السلطاني الذي قضى بتقسيم اليمن إلى بكلربكيتين، و الذي أُرسل إلى مراد بك، انـــه تم تقسيم اليمن إلى بكلربكيتين _ أي ولايتين _ ، تحت حكمك ،و حكم رضوان بك ، و ان عليكما " تسعيا وتجدا في توفير و تكثير مال الميري "[٤٥٠] .

وأثناء الوجود العثماني الثاني في اليمن في القرن التاسع عشر ، رأى محمد خليل أفندي في لائحتيه التي اعدهما عن اليمن ، انه يمكن تقسيم اليمن إلى ثلاث ولايات ،. وقد أخذت هذه النوايا على محمل الجد ، وذلك حتى يتمكن ولاة اليمن العثمانيين مـــن إدارة الـــيمن إدارة جيدة تقضى على الفوضى والاضطربات التي عصفت بها في السنوات الأولى لدخول العثمانيين إليها . وذكر محمد خليل افندي أنه لم يتم تقسيم اليمن إلى ثلاث ولايات بسبب ضعفها الاقتصادي ، و أن وارداتها لا تفي بمرتبات ثلاثة ولاة ، ولكنه ذكر انه من الممكـــن تغطية النفقات من خلال زيادة الرسوم الجمركية على السفن التي تعبر مضيق باب المندب ، والتي ترسو في ميناءي المخا و الحديدة وزيادة الرسوم الجمركية على البن المصدر من اليمن من ١٪ إلى ٣٪، وبهذه الطريقة يمكن تغطية النفقات " [٤٥١]. لم يقتصر الأمر على ذلك ، لكن كان البن واحداً من السلع التي ساهمت في إثراء الولاة العثمانيين في اليمن، حيث كان " يأتي الباشوات معدمين ليصبحوا أغنياء هنا "[٤٥٢] .

وربما يكون الانعكاس الأهم الناجم عن ازدهار تجارة و زراعة البن في اليمن ، علـــى العثمانيين واليمنيين على حدٍ سواء ، هو حصول اليمنيين على الأموال اللازمـــة لمقاومـــة العثمانيين ، وشراء الأسلحة ، و تجميع الأنصار و المؤيدين للأئمة ، مما أدي في النهايـــة إلى إخراج العثمانيين من اليمن عام (١٠٤٥هـــ/ ١٦٣٨م) .

---

[٤٥٠] - د. محمود عامر :النظم الادارية العثمانية في اليمن ، الاكليل ،ص ١٠٢.

[٤٥١] – د. محمود عامر :النظم الادارية العثمانية في اليمن ، الاكليل، ص ٩٩.

[٤٥٢] – براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص ١٣٧.

وبعد ذلك سعى الأئمة الأقوياء من آل القاسم إلى توحيد اليمن تحت حكمهم، فقد قام الإمام المؤيد محمد بن القاسم بتأليف قلوب افرد أسرته ، حتى يضمن ولائهم ، فاقطع معظم المناطق التي تجود فيها زراعة البن لإخوته ،و أبنائهم ، فقد اقطع أخوه الحسن بن القاسم معظم اليمن الأسفل، كمكافأة له على دوره في محاربة العثمانيين وبعد وفاة الحسن ورث أبناءه تلك المناطق خاصة محمد بن الحسن ، الذي صار له معظم اليمن الأسفل .

وبعد وفاة المؤيد تولى الامامه أخوه إسماعيل الذي تمكن من تكوين ثروة مالية كبيرة جدا ، ربما ساهمت زراعة البن وتجارته في تكوين جل تلك الثروة . و قد اطّلع محمد بن المتوكل في عام (١٠٨٦هـ/١٦٧٥م)على خزينة والده و " انكشف لمحمد بن الإمام لما وصل ضوران من الخزائن التي لا تنحصر بعدد ، ولا يوقف فيه على حد من الذهب الأحمر و القروش و النقد "[٤٥٣] ، وبالرغم من كل تلك الثروة فان الإمام كان يفرض على الناس الكثير من الإعانات المالية المتكررة ، وذلك لتمكينه من بسط سيطرة الدولة على كافة المناطق . وفي بعض الأحيان كان تفرض الأموال على المواطنين لأغراض معينة، وعادة ما كانت هذه الأموال فوق الزكاة كما قال المطهر بن محمد الجرموزي وقد اقرها الامام المتوكل على الله اسماعيل " وبررها بأنها من اجل الجهاد ، وبانها لتامين الطرق والأسواق "[٤٥٤]

وقد أثقلت تلك المعونات المفروضة كاهل اليمنيين مما دفع القاضي عبد القادر المحيرسي عام(١٠٦٥هـ/١٦٥٥م)إلى إصدار فتوى " أن الإعانه التي فرضها الامام على الناس غير واجبة عليهم لأن الخزائن فيها ما يغني عنها ، فامتنع بعض أهل الجهة لهذه الفتوى، وبعضهم سلم وأعطى ، وخرج أدب[٤٥٥] على الممتنعين من وليهم "[٤٥٦] .

وقد استغل الإمام المتوكل على الله إسماعيل الثروة الهائلة التي توفرت لديه من أجل مد نفوذه إلى مناطق كثيرة . فقد تمكن من القضاء على خصوم الدولة في المناطق الشرقية

---

[٤٥٣] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن : تحقبق : امة الغفور الامير ، جـ ٢ ، ص ٤٠٧ .

[٤٥٤] – الجوهرة المضيئة : المطهر الجرموزي ، تحقيق : امةالملك الثور ، جـ٢ ، ص٧٦٠ .

[٤٥٥] – الأدب عند اليمنيين : العقاب ، والجزاء المالي ، أو النقدي ، ويؤخذ من المذنب (حسين العرشي : بلوغ المرام ، ص٤٢٠) .

[٤٥٦] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن : تحقبق : امة الغفور الامير : جـ١ ، ص٣٣٢ .

من اليمن ، وهي المناطق التي كان يقطنها آل الرصاص ، في بلاد بـني ارض ، وبـلاد آل الهيثمي ، والعولقي والواحدي و الفضلي ، وغيرها من القبائل التي عرفت بقبائل المشارق ، وقد اعد الإمام لهذا الغرض جيشاً كبيراً في عام ١٠٦٥هـ ، وقد بلغ قوام هـذا الجـيش "عشرة آلاف من مقاتلة الرجال ، وألف من العنان _ أي الخيـول _"[٤٥٧] وكـان هـذا الجيش هو " جملة جنود اليمن في ذلك الزمن "[٤٥٨] .

وبعد أن تمكن الإمام من القضاء على معارضيه هناك . استغل الخلاف الذي وقع بين أفراد آل ألكثيري في حضرموت ، اثر إعلان بدر بن عمر ألكثيري الخطبة للإمام المتوكـل على الله إسماعيل ، و قيام ابن أخيه بدر بن عبدالله بن عمر بإقصائه عن حضرموت، و قـام بمد نفوذه إلى تلك المنطقة. وبعد أن بلغ بدر بن عبدالله انتصار الإمام على القبائل السـالفة الذكر" كتب إلى الإمام بالطاعة ، وإقامة الخطبة ،وترك المخالفة "[٤٥٩] . وبـذلك يكـون الإمام المتوكل قد تمكن من تكوين دولة كبيرة ، وصلت حدودها إلى أقصـى الشـرق في عمان ، ففي عام(١٠٧٣هـ / ١٦٦٢ م)تمكن أهل ظفار حضرموت من التغلب علـى حاكم ظفار العماني خلف ، ودخلها جعفر ألكثيري " وحول الخطبة فيـه للإمـام "[٤٦٠] ، ولكن هذه المنطقة ما لبثت أن انفصلت عن الـيمن بسـرعة ، وذلـك في حـوالي عـام (١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م) .

لم يقتصر الأمر على المناطق الشرقية ، ولكن وصل نفوذ الإمام المتوكل شمـالا حـتى ينبع، ففي عام (١٠٦٩هـ/١٦٥٩م) " طائفة من أهل ينبع اثبتـوا للإمـام الخطبـة في بلادهم "[٤٦١] . هذا وكان قد سبق قبل ذلك أي في عـام(١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م) أن وصل إلى الإمام كتاب من قبائل بلاد الجميلي ، و البديع ، ما بين الحساء و الدواسر على حدود البصرة ، ذكروا فيه انه بلغهم عدل إمام اليمن " وأنهم يودون الدخول في الطاعة في

---

[٤٥٧] – عبدالله الوزير : طبق الحلوى ، تحقيق : محمد عبد الرحيم جازم ، ص ١٣٦.

[٤٥٨] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ،جـ ١ ، ص ٣٢٥ .

[٤٥٩] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير، جـ١ ، ص ٣٢٩ .

[٤٦٠]– نفس المرجع : جـ ١ ، ص ٤١٠

[٤٦١] – عبدالله الوزير : طبق الحلوى ، تحقيق : محمد عبد الرحيم جازم ، ص ١٥٨

السر و العلن ، وتسليم الزكاة إلى رسوله ، والاعتزاء إليه في قليله وكـــثيره "[٤٦٢] . ولم يتمكن الإمام من تحقيق تلك الأمنية بسبب خوف القبائل من قوات الدولة العثمانية ، التي لم تكن لترضى أن تفقد تلك المناطق بعد أن فقدت اليمن .

عموما يمكن أن نخلص إلى القول أن البن قد دعم ميزانية الدولة ، و التي اســتخدمت تلك الأموال في تكوين جيش كبير و قوي ، مكنها من فرض سيطرتها على جميع المنــاطق اليمنية ، مكوناً بذلك أول دولة يمنية وموحدة تحت راية إمام واحد ، هو الإمــام المتوكــل على الله إسماعيل . الأمر الذي ساعد هذا الإمام على إقامة علاقات سياسية وطيــدة مــع بلدان كثيرة، منها الهند و الحبشة ، وغيرهما.

وتعد عملية توحيد اليمن هي أهم النتائج السياسية التي ترتبت على وجود اقتصــاد قوي ، ناتج من توفر كميات كبيرة من النقود ، حصلت عليها اليمن من زراعة وتجارة البن بدرجة أساسية .

لم تستمر اليمن طويلا في طور القوة و المجد ، فقد شهدت المرحلة الأخيرة من حكــم الإمام المتوكل على الله إسماعيل بداية تدهور اليمن ، وانكماش أراضيها بسبب ضعف صحة الإمام ، وكثرة عدد الأشخاص الذين يهيئون أنفسهم لتولي الإمامة بعده .

كما كان لازدهار زراعة البن و تجارته تأثير بارز على الجانب الاقتصادي في الــيمن . فــإذ كان اكتشاف طريق راس الرجاء الصالح و تحول طرق التجارة الدولية إليه ، قد افقد اليمن الكثير من مواردها المالية ، والتي كانت تحصل عليها بالدرجة الأساس من تجــارة العبــور للسلع الشرقية وأهمها التوابل إلى موانئ مصر و الشام ، ومنها إلى مــوانئ أوروبــا. فــان انتشار استعمال شراب البن في العالم وزيادة الطلب عليه ، حول البن إلى سلعة بديلة عن التوابل التي تحولت تجارتها إلى الطريق الجديد ، وأصبحت اليمن قبلة لكثير من السفن الــتي جاءت لشرائه. وليس ذلك فحسب ، ولكن أيضا شكلت تجارة البن أداة لإعادة النشــاط التجاري إلى شبكة الموانئ التجارية المطلة على المحيط الهندي و البحر الأحمر . ومن ناحيــة اخرى فان العمل في زراعة البن و تجارته شكل النشاط الاقتصادي للكثير من سكان اليمن، هذا عدا عن كونه شكل مجالاً اقتصادياً للكثير من الشعوب الأخرى التي عملت في تجارته ،

---

[٤٦٢] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ ١ ، ص ٣٤٠.

مثل العمانيون الذين عملوا في نقل البن بين موانئ البحر الأحمر و الخليج العربي و المحـيط الهندي ، كما سبق أن أشرت في موضع سابق .وكذلك الهنود الذين عرفـوا بالبانيـان ، والذين كان العمل في تجارة البن هو نشاطهم الأساسي في اليمن .

أما من الناحية الحضارية و الإنشائية فقد ساهمت تجارة البن في جزءٍ لا باس به في هذا المجال . فقد استخدم جزء من عائدات البن في انشأ المـدن وتحصـينها، وبنـاء الحصـون والقلاع وترميمها. وكذلك تحصين الموانئ الهامة مثل ميناءي المخا وعـدن. ففـي عـام (١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م) أمر الإمام المهدي احمد بن الحسن حاكم المخا الحسن بن مطهـر الجرموزي " بعمارة باب المندب و التحصين له " فشـرع في بنـاء تلـك التحصـينات ، مستخدما جزأ من عائدات المخا التجارية. كما استخدم جزأ من تلك الأموال في انشـأ و تحسين البنى التحتية للاقتصاد اليمني ، مثل تمهيد الطرقات و حفر الآبار علـى امتـدادها لخدمة التجار و المسافرين ، فقد قام الفقيه إسماعيل بن عبدالله بن عبد الرزاق حاكم المخا في عام(١٢١٥هـ /١٨٠٠) بحفر بئر قريبة من المخا و استخرج الماء العذب منـها ، ولمـا ازدحم الناس عليها أمر بحفر بئر ثانية ثم بئر ثالثة ثم رابعة في محل واحد ، ثم عمـر عليهـا حياضا للأنعام ، وعليها المدار الواسع ، وتعرف هذه الآبار بآبار القاضي رحمه الله [٤٦٣]

أما الأعمال الإنشائية الضخمة فقد كان ينجزها الأئمة و أفراد عـائلاتهم ، وهـم بالطبع المستفيد الأكبر من زراعة البن وتجارته ، حيث تراكمت لديهم مبالغ كـبيرة مـن الأموال التي مكنتهم من القيام بتلك الأعمال . وقد تمثلت الأعمال الإنشائية في بناء العديد القصور و الدور و الحصون و المساجد و السماسر و الاسبلة . وعادة مـا كانـت تلـك الأعمال الإنشائية ضخمة و كبيرة، وليس أدل على ذلك من حصن الدامغ الـذي جـدد الحسن بن الإمام القاسم عمارته منـذ في عـام (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠ م) حـتى عـام (١٠٤٨هـ/١٦٣٨م) " فتم له في هذه الفينة تسهيل طرقه و إحياء أرضـه وأوديتـه و عمارة جامعه و الحمامات و الدور الوسيعة وصار مدينة تضاهي صنعاء"[٤٦٤] .

---

[٤٦٣] – زباره : نيل الوطر ، ص ٢٨١ – ٢٨٢.

[٤٦٤] – احمد بن صالح ابوالرجال : مطلع البدور و مجمع البحور ، مخطوط ، جـ٢ ، ص٥٠ .

ويعد محمد بن الحسن واحد من أهم أفراد أسرة الأئمة بيت القاسم الذين اهتموا ببناء المساجد ، فقد بنى مسجدا كبيرا في ذمار ، وأخر في صنعاء ، كما أنشأ سمسرة كـــبيرة في صنعاء عرفت بسمسرة محمد الحسن ، وهي سمسرة مشهورة لشدة اتســاعها، وحســن بنائها. كما أنشاء احمد بن الإمام القاسم مسجداً مشهوراً في الروضة ، عرف بالجامع الكبير " وليس له نظير في العمارة و الصناعة و حسن النظارة والأناقة ، وهو الذي عمره وبنـــاه جميعا وشيده رحمه الله ووقف عليه وقوفا كثيرة تقوم بأعماله و لوازمه "[٤٦٥] . والى جانب بناء المساجد قام بعض الأئمة بتوسيع، و ترميم بعض المساجد الآيلة للسقوط ، فقــد قــام الإمام المنصور علي في عام(١٢٥٠ هــ / ١٧٩٠ م) بهدم مسجد ازدمر باشــا بعــد أن ضاق بالمصلين و " فعمره ووسعه و بنى منارته "[٤٦٦] .

ولقد برزت الأعمال الإنشائية في بناء المدن وعمارة القصور والدور الفخمة التي بناها الأئمة . فقد أهتم العديد من أولئك الأئمة ببناء المدن الكبيرة . على سبيل المثال فقد قــام الإمام أحمد بن الحسن ببناء مدينة الغراس وجعلها عاصمة لحكمه . ولعل الإمام المهدي محمد بن احمد بن الحسن من اشهر الأئمة الذين اهتموا ببناء المدن ، فقد بني في عهدة العديد من المــــدن في الـــيمن، حيـــث بنيـــت في عهـــده مدينـــة الخضـــراء في عــــام (١١٠٣هــ/ ١٦٩١م)[٤٦٧] كما بنيت أيضا مــدينتي الجميمــة والمواهــب في عــام (١١١٠هــ/ ١٦٩٨م)[٤٦٨] وقد جعل المواهب عاصمة حكمه ،كما تمت في عهده أيضا عمارة مدينة مسعدة عام (١١٢٣هــ/١٧١١م) . وقد امتــدت أعمـــال هـــذا الإمــام الإنشائية إلى الحبشة أيضا ، فبعد أن استولى الإمام المهــدي علـــى بنـــدر زيلـــع عـــام (١١٠٧هــ/١٦٩٥م) " أمر بالعمارة فيه وأدار عليه سورا وأبــتنى بـــه مســـجدا ودارا للدولة . . . "[٤٦٩] .

---

[٤٦٥] - يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق :امة الغفور الامير،جــ ١ ، ص ٣٣٦.

[٤٦٦] – لطف الله جحاف :درر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي، ص ٣٨٣.

[٤٦٧] – محسن بن الحسن بن ابوطالب : السحر المبين وفتور الحاظ العين ، تحقيق : ايمان علي مانع ، ص٢٧٨

[٤٦٨]– نفس المرجع : ص ٣٢٥– ص ٣٢٦ .

[٤٦٩] – نفس المرجع : ص٢٩٦.

أما القصور التي بناها الأئمة فأكثر من أن تحصى في هذا البحث ، حيث ولع العديد منهم ببناء الدور الفخمة ، والقصور المهيبة ، ولكن سوف اكتفى بـــذكر أهـــم القصـــور والدور، خاصة تلك التي أنشئت في عهد الإمام المنصور علي ، باعتباره أكثر الأئمة اهتماما وولوعا بإنشائها ، والإنفاق على بنائها . ففي عام(١١٩١هـــ/ ١٧٧٧م) "اشتعل الإمـــام بشراء البيوت والضياع ببير العزب بمسجد البهمة[٤٧٠] وعمر بها الدور والقصور ، وانفـــق عليها اموالا جليلة ، وكان مغري بها "[٤٧١]. والعل من اشهر الدور التي بنيت في عهد هذا الامام هي دار الفتوح ودار البهمة و دار الإسعاد التي بدأ بنائها في عـــام (١١٩٦هـــــ/ ١٧٨٢م) وانتهى منها(١٢٠٠هـــ/ ١٧٨٦م) أي بعد قرابة خمس سنوات[٤٧٢]

وتعد دار الحجر في وادي ظهر من أشهر الدور التي بنيت في عهد الإمـــام المنصـــور علي. و قد عمر هذه الدار للإمام المنصور ، الحاكم السابق للمخا على بن صالح ألعمـــاري (ت١٢١٣هــ/١٧٩٨م)، والذي "كان مغري بالعمائر و النقوشات و التفاصيل الهندسية، وقد بنى للإمام دار الحجر في الوادي ، فأجاد عملها ، وبنى له ببير العزب مـــآثر متعـــددة نفيسة"[٤٧٣] . كما أن محمد حسن حطبه ، أحد رجال الإمام المنصور " تولى للإمام عمـــائر بئر العزب وشرى له الأموال و الضياع و البيوت بدار الصافية "[٤٧٤] . ومن الدور الكبيرة ، ذائعة الصيت في صنعاء ، دار الذهب ، والتي بنيت أيضا في عهد الإمام المتوكل أحمد ابن الإمام المنصور علي " وقد شادها وتأنق في بنائها و زخرفها "[٤٧٥] . ولم يقتصر بناء القصور الفخمة على الأئمة فقط ، ولكن أيضا قام العديد من حكام المناطق الذين توفرت لهم أموال كبير ، خاصة الذين عملوا في مناطق اتصلت بشكل مباشر بتجارة البن ، كالموانئ ، خاصة مينائي المخا و الحديدة .

---

[٤٧٠] – لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين ، تحقيق: عارف الرعوي ، ص١٤٥ مسجد

[٤٧١] البهمة : مسجد مشهور في بير العزب ، وما يزال موجود حتى يومنا هذا.

[٤٧٢] – د. حسين عبدالله العمري ، مئة عام من تاريخ اليمن ، ص٧٨ .

[٤٧٣] – لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي ، ص٥٣٩.

[٤٧٤] زبارة : نيل الوطر ، ص ٢٥٥.

[٤٧٥] لطف الله جحاف : درر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي : ص ٣٣٧.

على سبيل المثال فقد أنشأ السيد زيد بن علي جحاف ، حاكم المخا ، دارا كبيرة و فخمـــة في الروضة ، جعلت الشعراء ينضمون حولها القصائد ، معرضين بان أموال بنائها جاءت من محصول المخاء[٤٧٦] :

دار لهـــــــــا أن تشـــــــــمخا	عرضـــــت وطالـــــت فرســـــخا
قـــــد أحكمـــــــت آياتهـــــا	ولعلـــــــــــها أن تنســـــــــخا
عمــــــرت بمـــــال المســـــلمين	ســــخا بـــــه مـــــن قـــــد ســــخا
أو مـــــــا تـــــــرى تاريخهـــــا	هـــــــي دار محصــــــول المخـــــا

وفي عهد المنصور علي برز الوزير احمد بن إسماعيل فايع ، الذي قد توســـع في بنـــاء القصور و شراء البيوت والعقارات، و" كان لا يبالي في معاملته بالألوف ، كثير الإحسان ، بذالا للمال فيما يعود عليه بالراحة "[٤٧٧] .

ويتضح مما سبق أن الفائدة الكبرى من زراعة البن ،وتجارته كانت عائدة على الأئمة ، وبعض الشخصيات القريبة منهم بدرجة أساسية ، أما المواطنين العاديين و البســطاء مــن الناس ، مثل صغار المزارعين والتجار فكانت استفادتهم محدودة إلى حدا ما . فبالإضــافة إلى كثرة الالتزامات المالية التي كانوا يجبرون على دفعها للسلطات، مقابل زراعة ، وتجارة البن، كانوا يتعرضون لمصادرة أموالهم ، و للتهديد بقلع أو حرق أشجار البن التي تخصهم ، إذا ما حدثت أي مشكلة بينهم وبين السلطة. و باستثناء بعض الأموال التي كان يخصصها بعــض الأئمة لذوي الحاجات، لم تظهر فائدة واضحة على عامة الشعب . ويعد الإمــام المهــدي عباس واحد من الأئمة الذين خصصوا جزأ من أموال البلاد من اجل الفقراء ، فقد أنــاط بأحد رجاله ، ويدعى سعيد بن علي القيرواني " حاجات أهل الفاقة ، وساق إليه الأمــوال الكثيرة لذلك ، فسلك في تفريقها مسلكا مشكورا "[٤٧٨] .

---

[٤٧٦] – محسن ابوطالب : طيب اهل الكسا ، تحقيق :عبدالله الحبشي ، ص ٧٥.

[٤٧٧] – لطف الله جحاف: درر نحور الحور العين ، تحقيق : عارف الرعوي ، ص ٦٦٦.

[٤٧٨] – زبارة : نيل الوطر ، ص ٧ .

لقد كان من الممكن أن يستفيد جميع أبناء المجتمع من الطفرة الكبيرة في حجم الأموال التي وصلت إلى اليمن بفعل الطلب العالمي المتزايد على البن بشكلٍ أفضل ، ولكن بسبب وجود فئة صغيرة مستغلة في البلاد ، تحولت تلك الأموال إلى خزائنهم ، في نفس الوقت الذي كانت تعيش في البلاد حالة من عدم الاستقرار السياسي ،بسبب الصراع على الحكم، بين الأئمة مع بعضهم البعض من ناحية ، و بينهم و بين القبائل و القوى الطامحة إلى السلطة من ناحية ثانية .أضف إلى ذلك تشابك العلاقات الدولية في مجال التجارة العالمية، متمثلا في الصراع على الأسواق الجديدة من ناحية ، و الرغبة في احتكار السلع المرغوبة عالميا من ناحية ثانية . كل تلك الأسباب جعلت استفادة المزارع والتاجر البسيط محدودة للغاية للأسف الشديد. ومع ذلك لابد من وجود تحسن في المستوى المعيشي للمزارع البسيط ، والتاجر الصغير ، وإن كان ذلك غير ملموس بوضوح .

الفصل الثالث

الدور العربي و الإسلامي

في تجارة البن اليمني

ما أن انتهى الجدل الذي اثير حول القهوة بين علماء الدين بالافتاء بحلها ، حتى تحولـت إلى شراب واسع الانتشار بين جميع الاوساط الاجتماعية ، وفي جميع البلدان العربية . و قد نتج عـن ذلك ان تحول البن إلى سلعة تجارية مربحة جدا ، اغرت معظم البلدن العربية علـى المشـاركة في تجارتها ، والاستفاد من عائداتها الاقتصادية . وسوف استعرض في هذا الفصل الدور الذي ساهمت به بعض البلدان في تجارة البن

أولاً : دور مصر :

لعبت مصر دورا بارزا في التجارة الدولية منذ اقدم العصور ، وقـد هيئـا لهـا موقعهـا الاستراتيجي المتمركز على خطوط المواصلات العالمية بين الشرق و الغرب لعب مثل هذا الدور، لذا فقد أصبحت " مركزا لتصريف السلع التي ترد من الهند والشرق الاقصى واليمن والصومال إلى بلدان المغرب العربي وبلاد الشام وبعض الدول الاوربية "[٤٧٩] .

و بعد تحول طرق التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح اهتزت اقتصاديات جميع الـدول التي كانت تعتمد على الطريق القديم الممتد عبر المحيط الهندي والبحر الاحمر والبحر المتوسـط . ولقد كانت مصر احدى أكبر المناطق التي تأثرت بذلك ، فقد لحق باقتصادها افدح الخسـائر ، نظرا لفقدها عائداتها المالية الناتجة عن تجارة التوابل التي كانت تمر عبر أراضيها الى اوروبا .

ولم يستمر ذلك الامر طويلاً ، فقد ظهرت في المنطقة سلعة تجارية جديدة ، هي البن اليمني. وقد استطاعت هذه السلعة فرض وجودها سريعا على ساحة الاقتصاد العالمي ، مما جعل الطريـق القديم يستعيد جزءاً من اهميته ، وذلك من خلال إعادة تصدير هذه السلعة إلى مختلف انحاء العالم. وقد لعبت مصر الدور الأهم في إعادة تصدير البن ، مما أدى إلى تعويضها عما فقدته من تجـارة التوابل .

لقد وصل البن إلى مصر منذ فترة مبكرة على ظهوره في اليمن . و كان وصوله إلى هناك عـن طريق اليمنيين ، حيث كانت القهوة المستخلصة من البن " تشرب في نفس الجامع الازهر برواق اليمن يشربها فيه اليمانيون ، ومن يسكن معهم في رواقهم من أهل الحرمين الشريفين "[٤٨٠] . و بعد أن أصبحت القهوة مشروباً شائعاً بين جميع الاوساط الاجتماعية في مصر ، تحـول الـبن إلى سلعة تجارية هامة يزداد الطلب عليها يوما بعد يوم .

---

[٤٧٩]- د.عبد الرحيم عبد الرحمن : النشاط التجاري في البحر الاحمر ، ندوة البحر الاحمر ، ص٢٥٤ .

[٤٨٠] - عبدالقادر الجزيري: عمدة الصفوة في حل القهوة ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص ٤٩

ولقد تمكنت مصر من الاستفادة من هذه السلعة التجارية بسرعة كبيرة .فبعد أن أصبحت القهوة معروفة عالميا في بداية القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي، قامت بنقل حبوب البن ، التي يستخلص منها شراب القهوة ، من مناطق الانتاج في اليمن إلى مناطق الإستهلاك ، في الدولة العثمانية و افريقيا واوروبا .

وكان البن اليمني يصل الى مصر عبر الطرق البرية ، بواسطة القوافل التي تحمله من اليمن او من الحجاز . وكانت الطريق البرية التي ينتقل عبرها البن الى مصر هي الطريق التي تسلكها قوافل الحج ، وكانت تلك القوافل تحمل معها أحيانا كميات كبيرة من البن خلال رحلة العودة إلى مصر بعد الإنتهاء من أداء مناسك الحج . فقد استفاد التجار من فرصة موسم الحج ، والذي كان يتزامن مع موسم التجارة في الحجاز ،حيث كانوا يشترون البن من اسواق وموانئ الحجاز ثم ينقلوه ضمن قافلة الحج . وذلك لكون قافلة الحج كانت اكثر امنا نظرا لقيام الدولة العثمانية بحراستها وتأمين طريقها ، بأعتبار ذلك جزءاً من وظائفها الرئيسية هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى كانت البضائع التي تأتي بصحبة قافلة الحج تُعفى من الرسوم الجمركية .

وبالرغم من أن أمن قافلة الحج كان مكفولاً من قبل الدولة العثمانية ، إلا أن قطاع الطرق، وبعض القبائل الواقعة على طرق التجارة ، كانت تتجرأ أحيانا على تلك القوافل ، فتقطع الطريق عليها ، وتنهب محتوياتها ، ففي عام(١٠٠٢ هـ/١٥٩٢م) " نهب العرب قافلة التجار و الحجاج الواصلة من السويس ، وفيها شيئاً كثيراً جداً من أموال التجار و الحجاج ونهب فيها للتجار خاصة ستة الاف جمل ما بين بهار وبن و اقمشة وبضائع "[٤٨١] .ولم يكن نقل البن عبر الطرق البرية إلى مصر يقتصر على قافلة الحج ، ولكن كان نقله مستمراً كلما سمحت الظروف بذلك

كان البن يصل الى مصركذلك عبر الطرق البحرية ، بواسطة السفن و المراكب الصغيرة التي كانت تصل إلى موانئ الحجاز ، وخاصة ميناءي جدة وينبع . و بعد ان يتم شحن المراكب بالبن كانت تعود الى إلموانئ المصرية الواقعة على البحر الاحمر سواء ميناء السويس ، أو ميناء القصير .و كانت رحلة العودة من ميناء جدة الى السويس تستغرق حوالي شهرا كاملا " بسبب الابحار عكس اتجاة الريح"[٤٨٢] .

---

[٤٨١]– عبدالرحمن الجبرتي : عجائب الاثار ، تحقيق : د. عبدالعزيز جمال الدين، جـ ٣ ص ٣٦١

[٤٨٢] – د.نللي حنا : تجار القاهرة في العصر العثماني ، ترجمة : د. رؤف عباس ، ص ١١٩ .

اما بالنسبة لليمن فقد كانت هناك سفينة كبيرة تأتي سنويا من ميناء السويس إلى ميناء المخاء في اليمن ، لصالح السلطان العثماني ، وكان وصول تلك السفينة إلى المخا يعد من الأحداث الهامة في اليمن ، حيث كان يأتي على متنها الكثير من التجار ، وتحمل الكثير من البضائع والتي قد "تصل قيمتها إلى ما يقارب٢٠طنا من الذهب "[٤٨٣] . و كان التجار الذين يأتون على متن تلك السفنة يبيعون بضائعهم المختلفة في اليمن ، ويشترون بقيمتها البن و التوابل، وبضائع اخرى كان يتم المتاجرة بها في ميناء المخا .

ويعد ميناء السويس أهم الموانئ المصرية المطلة علىالبحر الأحمر ، و التي عملت في تجارة البن . و عندما وصلت الحملة الفرنسية الى مصر في عام ١٧٩٨م ، كان " يصل الى السويس سنويا خمسون أو ستون باخرة ، من جدة ، وتشمل حمولتها بشكل رئيسيى على البن والصمغ العربي و البخور و التوابل و العقاقير من الأنواع المختلفة "[٤٨٤] . و قد ذكر الفرنسيون انه قبل وصولهم إلى مصر بخمس عشر سنة ، " كان ياتي إلى السويس من عشرين الى ثلاثين الف حمولة من البن ، تزن الواحدة ثلاثة قناطير و ثلث القنطار ، زنة الواحدة منها ١٠٥ من الأرطال "[٤٨٥] ، كما أشار الفرنسيون ايضا إلى أن تجارة البن كانت قد تدهورت في ميناء السويس ، عند مجيئهم إلى مصر" فلم يعد يصل اليها سوى ١٥ الى ١٧ الفا من الحمولات عن هذا الطريق و يرسل الباقي عن طريق القصير "[٤٨٦] .

وبمجرد وصول المراكب التي تحمل البن إلى السويس ، كانت تبدأ الاجراءات التجارية المتعلقة بمعاينة البن ، و تقدير الرسوم الواجب دفعها للباشا . فعندماكانت السفينة تصل إلى ذلك الميناء كانت الأخبار تُرسل إلى الباشا الذي يقوم على الفور بإرسال ممثله إلى السويس . وبالأشتراك مع قاضي المدينة ،و الذي عرف بقاضي البهاروكاتبه " يُقيم الاثنان البضائع الواردة ويرسلان القائمة مع البضائع إلى وكالة البهار في القاهرة حيث تحصل العوائد و تسلم البضائع لأصحابها "[٤٨٧] .

---

[٤٨٣]- براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص ٢٠١ .

[٤٨٤]- جيرار : وصف مصر ، ترجمة : د. زهير الشايب ، جـ١، ص ٣٠٦ .

[٤٨٥] — نفس المرجع : ص٣٠٦.

[٤٨٦] – نفس المرجع : ص ٣٠٦.

[٤٨٧] — د. ليلى عبد اللطيف: اهمية بندر السويس في العصر العثماني ، ص ٣٠٢

ولقد كان هذا الميناء يدر أرباحا عالية ، و قد عرف هذا الميناء في الوثائق باسم " مقاطعة عشور أصناف بهار و توابعها "[٤٨٨] .

ومن السويس كان يتم نقل البن على ظهور الجمال و التي تسير عبر الطــرق البريــة إلى القاهرة " و يحمل الجمل الواحد من السويس الى القاهرة من خمسة الى ستة قناطير مــن الــبن، ويدفع عن كل واحد منها ٩٠ مديني "[٤٨٩] .

أما ميناء القصير الواقع على البحر الأحمر فهو ثاني الموانئ المصرية من حيث الأهمية بالنسبة لأستيراد البن اليمني . " و يكاد يكون بن اليمن هو السلعة الوحيدة التي يتم استيردها إلى مصــر عن طريق ميناء القصير "[٤٩٠] وكان إلبن يرسل الى هذا الميناء عن طريق ميناءي جــدة و ينبــع .وبعد أن تصل السفن الى القصير، كان البن ينقل على ظهور الجمال الى قنا ، و كانت تبلغ حمولة الجمل أربعة قناطير من البن . و في قنا تحصل الرسوم الجمركية على البن وارد القصير ، ثم ينقــل من قنا إلى القاهرة عن طريق النيل ، " ويباع القنطار في القاهرة بـــ ٢٥ الى ٣٠ قرشا "[٤٩١] .

لقد كان يصل إلى القاهرة كميات كبيرة من البن اليمني ، ولكن لم تكن كل تلك الكميات تستهلك محليا ، فقد كان الجزء الأكبر منها يعاد تصديرها إلى الخارج . اذ كــان " يمــر عــبر القاهرة ١٠٠ الف قنطار بن وارد اليمن، لكي تباع في انحاء الأمبراطورية العثمانيــة ، أو يعــاد تصديرها الى اوروبا "[٤٩٢] .

ولقد كانت مصر أيضا مركزاً لتزويد افريقيا بالبن ، حيث كانت القافلة التجارية المتجهه من مصر الى السودان ، والتي عُرفت بقافلة دار فور ، تحمل معها " ٥٠ قنطارا من بن الــيمن ، زنة القنطار ١٠٠ رطل ، و يساوي ٢٠ الى ٢٥ قرشا "[٤٩٣] .

وكان الدور الأهم الذي لعبته مصر في تجارة البن اليمني هو في إعادة تصديره عبر موانئها المطلة على البحر المتوسط ، خاصة ميناءي الاسكندرية و دمياط ، اما ميناء رشيد فقد كان دوره متواضعا ، حيث اسُتخدم لنقل البن الى بلاد الشام ، خاصة سوريا .

---

[٤٨٨] — د. ليلى عبد اللطيف: اهمية بندر السويس في العصر العثماني، ص ٣٠٠ .

[٤٨٩] — جيرار : نفس المرجع ، ص ٣٠٦ .

[٤٩٠] — نفس المرجع ، ص ٣٠٨ .

[٤٩١] — جيرار : وصف مصر ، ترجمة : د. زهير الشايب، جـــ ١ ، ص ٣٠١ .

[٤٩٢] — اندريه ريمون : المدن العربية الكبرى ، ترجمة : لطيف فرج ، ص ٣٧ .

[٤٩٣] — جيرار : نفس المرجع ، ٢٦٩ .

وقد نقل البن اليمني عبر ميناء الاسكندرية الى المغرب العربي و الدولة العثمانية واوروبا . فقد شملت حمولات السفن المتجهه من الاسكندرية الى تونس ، على سبيل المثال، ما بين ٢٠ الى ٥٠ فردة من البن اليمني ، و كانت كل فردة تزن ١٨٠ كيلو جرام من البن[٤٩٤] .

أما بالنسبة لأوروبا ، وبحسب ما ورد عند نيبور ، فأنه كان " يخرج من مصر كل عام مابين اربعة و خمسة الاف فرق بن عربي الى البندقية و ليفورنيو و مرسيليا "[٤٩٥] . فقد كان يصل إلى فرنسا عبر الاسكندرية سنويا حوالى مائة بالة ، تشمل كل بالة منها على فردتين ، و تزن الفردة الواحدة ثلاثة قناطير ونصف القنطار . كما كانت تصدر الى البندقية و تريستا من الفين إلى أربعة الآف فردة من البن اليمني ، و ذلك قبل الحملة الفرنسية على مصر .

إن عملية إعادة تصدير البن من مصر الى بقية دول العالم قد جعلها حلقة وصل بين اليمن المنطقة المنتجة للبن ، و بين المناطق المستهلكة له . و قد عاد ذلك بالفائدة ، ليس على مصر فحسب ، ولكن على اليمن ، والحجاز وغيرهما ، وذلك بسبب استعادة الطريق التجاري القديم عبر البحر الأحمر جزءاً من أهميتها السابقة ، مما أدى إلى إنعاش اقتصاديات البلدان التي تضررت من إنتقال طرق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح .

وقد أغرت الأرباح الكبيرة التي كانت تحققها تجارة البن ، الكثير من التجار المصريين للعمل في تجارته . إلى درجة أن بعض حكام و باشوات مصر عملوا في تجارته أيضا . فقد كان البن " من أكثر السلع التي اهتم الباشوات بالاتجار فيها ، بسبب ماكانت تحققه من ارباح وفيرة "[٤٩٦] . على سبيل المثال ، فقد أناب حسين باشا ، الذي حكم مصر مابين (١٠٤٥ – ١٠٤٧هـ/ ١٦٤٥ – ١٦٤٧م) أحد رجاله ، واسمه نوح بن اغا شاه سوار الاسلامبولي ، والذي كان يقيم في ميناء جده " بان يشتري له ١٥ زنبيلا من البن و يرسلها بواسطة احدى السفن العثمانية "[٤٩٧] .

ويعد محمد علي باشا الحاكم الأبرز الذي عمل في تجارة البن ، حتى انه احتكرها تماما، كما سيأتي بيان ذلك مفصلا .

---

[٤٩٤] – جيرار : وصف مصر ، تحقيق: د. زهير الشايب، جـ ، ص ٢٨٢

[٤٩٥] – د. مصطفى ماهر : رحلة الى مصر (كارستن نيبور ١٧٦١-١٧٦٢م) ، المطبعة العالمية ، جـ١ ، ط١، ص ٢٦٢

[٤٩٦] – د. سليمان حسانين : تجار القاهرة ، ص٢٥٤

[٤٩٧] – د. نفس المرجع : ص ٢٥٤ .

ولقد برز العديد من التجار الكبار، الذين كون البن جزءاً من ثرواتهم . و قد " بلغ عدد كبار تجار البن ، وقت بلوغ هذه التجارة ذروتها بداية القرن الثامن عشر خمسمائة تـاجر"[٤٩٨] . وتعد عائلة الرويعي التجارية من اوائل الاسر التي عملت في تجارة البن ، كمايعد التـاجر احمـد الرويعي من طليعة التجار الذين عملوا في تجارة البن ، ويعود تاريخ أول صفقة أبرمها لشراء البن الى عام (١٠٠٢ هـ /١٥٩٢ م) ،" ويبدو ان المكاسب التي حققها من وراء هذه التجارة قـد شجعته على التوسع فيها بشكل مضطرد حتى غدت ركنا اساسيا في تجارته"[٤٩٩] . و من أولئك التجار ايضا، التاجر اسماعيل ابوطاقية ، و الذي عُرف بشهبندر التجار، و هو شامي الأصـل . كما تاجر اخوه الاصغر ياسين بالبن اليمني أيضا ، فقد باع صفقة من البن بمبلغ ١٢٠٠ دينارا ذهبيا [٥٠٠]، وهو مايزال شابا صغيرا .

وقد وجد الى جانب اولئك التجار عددٌ اخر من كبار التجار الذين اجتذبتهم تجارة الـبن " منهم جمال الدين الذهبي و شرف الدين الشهير بابن زويته شيخ سوق الجملون ، وسليمان بن ابي الفتح شيخ سوق امير الجيوش وغيرهم "[٥٠١] .

كما عمل في تجارة البن تجاراً ذوي مستويات متوسطه، مثل " عابدين بن شرف الـدين ، والزيني حلوان بن عبدالله الرومي ، ومحمد بن علي الشهير بالحليمي ، وزايد بن سليمان الشـهير بالشجاع ، وعمر بن علي المنادي "[٥٠٢] . اما صـغار التجـار فقـد كـان عـددهم اكـبر – بطبيعة الحال – و ذلك كونهم يعملون بالتجزئة ، و ينتشرون على نطاق واسـع في مختلـف أرجاء البلاد ، وقد برز منهم " عبد القادر النبراوي ، و السنوسي عبدالرحمن بن الشهابي احمـد، وراضي بن شريف ، ومحمد بن علي وغيرهم "[٥٠٣] .

ولم يقتصر العمل في تجارة البن في مصر على فئه اجتماعية دون اخرى ، فقد عمـل بهـا المواطنون العاديون ، و الاشراف ، و الحكام ، وحتى بعض فئات الجيش ، سواءً مـن الاتـراك أو المماليك . فالأشراف مثلا " عملوا بالاتجار في سلع كثيرة منها تجارة البن"[٥٠٤] . كما لم يقتصر

---

[٤٩٨] – د. اندريه ريمون: المدن العربية الكبرى ، ترجمة : لطيف فرج ، ص ٧٠ .

[٤٩٩]– د.سليمان حسانين : تجار القاهرة ، ص ١٦٣.

[٥٠٠] – د. نللي حنا : تجار القاهرة في العصر العثماني ، ترجمة : د. رءوف عباس ، ص ٧٤.

[٥٠١] – د. سليمان حسانين : تجار القاهرة ، ص ١٦٤.

[٥٠٢] – نفس المرجع : ص ١٦٤.

[٥٠٣] – نفس المرجع : ص ١٦٤– ١٦٥.

[٥٠٤]–د. سليمان محمد حسين : الدور الاقتصادي للأشراف ،مجلة الاجتهاد ، ص ٩١ .

العمل في تجارة البن في مصر على المصريين فحسب ، بل شاركهم فيها التجار الشاميون والمغاربة، الذين كانوا يعيشون في مصر ، كما سيأتي بيان ذلك .

وقد تعددت الاساليب التي قامت عليها تجارة البن في مصر . فكان يوجد التجار الذين عملوا لحسابهم الخاص ، ومن خلال وكالاتهم التجارية. كما تشكلت بعض الشركات المكونة من تاجرين او اكثر للعمل في تجارة هذه السلعة . فعلى سبيل المثال " قام اسماعيل ابو طاقية و شريكيه عبد القادر الدميري و مصطفى الصفدي بتكوين شركة – في وقت لاحق – جعلت الصفدي يسافر الى المخا ، السوق الرئيسية للبن "(٥٠٥) .

وقد ظهر في تلك الفترة ايضا نظام الوكلاء ، فقد كان التجار الكبار يرسلون من ينوب عنهم ، الى الموانئ المختلفة ، أو يوكلونهم في ادارة شؤونهم التجارية في تلك الموانئ ، خاصة في المخا و اللحية وجدة و ينبع . و احيانا كان يتم اختيار الوكيل من بين افراد العائلة، فعائلة الرويعي التجارية مثلا نظمت نفسها بشكل دقيق ، فبينما كان التاجر احمد الرويعي يتولى منصب الإدارة العليا للعائلة التجارية ، و يصرف امورها التجارية في مصر ، كان ابن اخية المسمى علي يتولى ادارة الاعمال التجارية التي كانت تتم في مدن و موانئ خارجية بعيدة . و لكن بعد ان تولى الأخير إدارة الشؤون التجارية للعائلة ، اثر وفاة احمد الرويعي، كان احد اخوته وهو محمد الرويعي يقيم في الحجاز ، بينما اخوه الاخر عيسى يقيم في المخا ، ومحمد الرشيدي ابن اخته فاطمة يتردد بين الحجاز والمخا لاستلام البضائع وتحصيل المتاخرات من قيمة ما تم بيعه من سلع، وذلك مقابل راتب ثابت قدره ١٥٠ دينار في السنة(٥٠٦) .

وليس شرطا ان يكون الوكيل ، او النائب من افراد العائلة التجارية ، فقد عين التاجر ابوطاقية احد عبيده الذين اعتقهم مندوبا عنه في ميناء المخا . وعندما مات هذا المندوب ، أقرت زوجته أن جميع ما كان مع زوجها المتوفى في المخا هو للتاجر أبوطاقية " وأنه ليس لها حقوق فيها"(٥٠٧) . وقد يكون للتاجر الواحد أكثر من نائب في موانئ اليمن والحجاز . كما أن النائب الواحد يمكن أن ينوب عن أكثر من تاجر في تلك الموانئ . فقد عمل السيد محمد خليل وكيلا للحاج علي حماد الفيومي ببندر جدة " وكان يقوم بارسال طرود البن اليه ويصرف اموره

(٥٠٥) – د. نللي حنا : تجار القاهرة في العصر العثماني، ترجمة : رءوف عباس ، ص ١٤٥ .

(٥٠٦) – نفس المرجع : ص ٧٦ –٧٧ .

(٥٠٧) – نفس المرجع : ص ١٢٥

التجارية بهذا الثغر نيابة عنه ، واستمر يقوم بهذا العمل لأبنه اسماعيل جلبي مـــن بعـــده"[٥٠٨] . ونظرا لإتساع النشاط التجاري لعائلة الفيومي ، وجد لهم وكلاء اخرين ، منهم السيد محمد نصر وابنه السيد عبد الرحمن ، اللذين عملا وكيلين لهذه الأسرة في ميناء جدة " وقد كانـــت هـــذه الاسره تتاجر باالدرجة الاولى في البن اليمني "[٥٠٩] .

وقد عمد تجار البن المصريين الى تشجيع تجارة البن في الاسواق الداخلية في مصر، وذلـــك من أجل زيادة ارباحهم . فقاموا بتعيين مندوبين عنهم في تلك الاسواق ، كمـــا فعـــل التـــاجر ابوطاقية ، عندما عين له مندوباً في دمياط " للتعامل مع التجار الذين يفدون اليها من الشـــام و الاناضول طلبا للبن "[٥١٠] . كما قاموا ايضا ببيع البن بالأجل ، لصغار و متوسطي التجار.

كما عمد أولئك التجار ايضا الى تشجيع العامة من الناس على شرب القهوة ، وزيـــادة الاقبال على شراء البن ، وذلك عن طريق إنشأ المقاهي العامة ، فقد انشأ كلا من التـــاجر أحمـــد الرويعي و ابوطاقيه ، مقهيين ، أحدهما وسط القاهرة ، انشأه أبوطاقية ، و الأخـــر في الازبكيـــة انشأه احمد الرويعي . وقد وجد التجار في انشأ المقاهي طريقة " لترويج تجارة الـــبن الـــتي درت عليهم ربحا مجزيا "[٥١١].

وكثيراً ما كان يتعرض تجار البن للاضطهاد من قبل السلطات الحاكمة ، التي كانت تفرض عليهم الكثير من الغرمات ، و الرسوم المالية ، كما كان يتم إجبارهم على دفع المســـاعدات ، والقروض غير مأمولة السداد ، ومن ذلك ما ذكره الجبرتي ، في كتابه عجائب الاثار، أنه في عام (١٢٠٢ هـــ/ ١٧٨٧م) طلب اسماعيل بك الكبير ، الذي وصفه الجبرتي بانه انفرد بحكم مصر، وصاحب الحل والعقد فيها ، مبلغا كبيرا من المال على سبيل القرضة ،"فوزعوا جانبا منها علـــى تجار البن و البهار "[٥١٢]

وقد شرعت الحكومة العثمانية في تحصيل الرسوم المقررة على البن من ميناء السويس ابتداء من عام (٩٨١هـــ / ١٥٧٣ م) " نظرا للاقبال المتزايد على شراء هذه السلعة "[٥١٣] ونتيجـــة

---

[٥٠٨] — د. عبد الرحيم عبد الرحمن : النشاط التجاري في البحر الاحمر ، ندوة البحر الاحمر ، ص ٢٥٤

[٥٠٩] – نفس المرجع : ص٢٥٥

[٥١٠] –د. نللي حنا : تجار القاهرة في العصر العثماني ، ص١٤٦

[٥١١] – نفس المرجع ، ص ١٣٦

[٥١٢] — عبدالرحمن الجبرتي : عجائب الاثار ، تحقيق : د. عبد العزيز جمال الدين ، جـــ ٣ ، ص ٣٣٤

[٥١٣] — د.سليمان حسانين : تجار القاهرة ، ص ٢٣٥

لهذا الاقبال المتزايد على البن، زادت نسبة الوارد منه إلى مصر ، عبر الموانئ المطلة على البحر الأحمر، خاصة ميناءي السويس و القصير . وهما من الموانئ الهامة التي كانت ترفد الخزينة المصرية بايرادت مالية عالية . فقد أرتفعت الرسوم المفروضة على البن في ميناء السويس من (٣.٢٨٨.٤٩٦) بارة سنويا في عام (١١٢٩ هـ/١٧١٧م) إلى (٤٤.١٢٩.٩٢٤) بارة عند قدوم الحملة الفرنسية عام (١٢١٣هـ / ١٧٩٨م) " وقد ظلت ايرادات الخزينة من جمرك السويس أو جمرك البهار لا تزيد عن ذلك حتى مجيئ الحملة الفرنسية ١٧٩٨ ، اذ ورد بحسابات الخزينة أن إيرادات هذا الجمرك (٤٤.١٢٩.٩٢٤) بارة سنويا "[٥١٤] .

وعندما وصل الفرنسيون إلى مصر ، عملوا دراسات مستفيضة حول موارد مصر المالية ، ومن ضمن ذلك ما كان يصل الى الخزينة عبر ميناءي السويس والقصير ، فوجدوا ان البن كان يحقق أعلى نسبة ايراد مالي في تلك الموانئ ، كما وجدوا أن البن كان يمثل السلعة الأكثر و الأهم بين جميع المواد المستوردة ، وذلك خلال الفترة ما (١٢٠٩ – ١٢١٢ هـ/ ١٧٩٥ – ١٧٩٨م) ، فقد تم استيراد ما مقداره (٥٦.٥٧٦) بالة من البن اليمني ، بمتوسط سنوي (١٤.١٤٤) بالة سنويا، عبر ميناء السويس. اما ميناء القصير فقد دخل عبره (٢.٣٣٠) بالة وبمتوسط ٧٧٦ تقريبا بالة سنويا .

وكانت نسبة الرسوم المفروضة على البن تختلف بحسب نوعية البن الوارد إلى تلك الموانئ، فقد كان يصل اليها البن اما صافي – أي بدون قشرة – او بن بقشرة ، حيث يتم دفع ٤٠٠ مديني للفرد من البن الصافي ، و٨٢ مديني للبن بقشورة ، وهو فارق كبير ، وذلك لأن المصريين لا يستعملون قشر البن في صنع القهوة .

و نظرا لأهمية إيرادات هذه الموانئ ، خاصة مينا السويس ، فقد وضُع الميناء الأخير تحت الاشراف المباشر للباشا ،اي الوالي العثماني على مصر ، و المعين من طرف السلطان العثماني . وقد ارتبط ميناء السويس مباشرةً بميناء جدة ، الذي كان يصل منه في كل عام خمس عشر سفينة كبيرة " معظم حمولاتها من البن "[٥١٥] . وقد عين السلطان العثماني للباشا حاكم مصر نسبة من إيرادات السويس المفروضة على البن ، فقد كان له " في كل فرق بن اربعمائة نصف

---

[٥١٤] – د. ليلى عبد اللطيف : اهمية بندر السويس ، ندوة البحر الاحمر ، ص ٣٠٤

[٥١٥] أحمد بك الجزار : نظامنامة مصر ، ملحق باعجائب الاثار ، جـ ٣ ، ص ٧٤٨

فضة "[٥١٦] . وقبل وصول الحملة الفرنسية ، كانت عوائد جمرك السويس تقسم بين القائـــدين المملوكيين مراد بك و ابراهيم بك . وعند وصول الحملة كان ابراهيم بك يتمتع بالعوائد لوحده، وفي نفس الوقت " كان يحصل على رسم قدرة مديني واحد عن كل قنطار بـــن لصـــالح باشـــا القاهرة، ورسم قدرة ٤٦ مديني لصالح امير الحج "[٥١٧] . والمديني عملة نقدية سيتم تقديم شرحا وافيا حولها فيما بعد .

ان الإيرادات العالية التي كانت تحققها تجارة البن ، قد شجعت اصحاب النفوذ في الإدارة المصرية ، على تحصيل بعض الرسوم لصالحهم ، مما ادى إلى ارتفاع الرسوم المفروضة على تجـــارة البن ، وهو ما دفع التجار إلى العزوف عن توريده إلى الموانئ المصرية ، مما ألحق أفـــدح الضـــرر بالاقتصاد المصري " فقد فرض الكيخياوان ابراهيم و رضوان لحسابهما خمس بوطاقات اخرى عن كل فرد بن ، اما علي بك الذي تلاهما في الحكم فقد غالى في هذه البدعة ، واخيراً وصل بها مراد بك الى ١٨ بوطاقة عن كل فرد ، حيث توقف صندوق الجمرك عن إيراد أي حصـــيلة "[٥١٨] . ونتيجة لتعسف ابراهيم بك ومراد بك في تحصيل الجمارك على البن ، حتى وصـــل الجمـــرك الى ٢٠٠٠ بارة للفرق الواحد ، حدث انخفاض الشديد في حجم الواردات ، فمـــن " ٢٠٠٠٠ فرق بن سنويا في بداية القرن إلى مايقل عن نصف هذه الكمية "[٥١٩] خلال مدة وجيزة .

لقد كان يعاد تصدير الجزء الأكبر من البن الوارد إلى مصر ، وذلك الى كلٍ مـــن الدولـــة العثمانية وافريقيا و أوروبا ، كما سبق ان ذكرت ، حيث كان ينقل إلى تلك البلدان عبر المنافـــذ البرية و البحرية المختلفة . وكان يتم تحصيل رسوم جمركية جديدة عند إعادة التصدير . فقد كان التاجر يدفع ٣٠ مديني لقنطار البن المصدر إلى أية ولاية عثمانية عبر ميناء السويس ، و يتنـــاقص هذا المبلغ عند تصدير البن إلى بلاد البربر الى ١٦مديني تقريبا . أما البن المصدر إلى اوروبا فكان يتم تسديد مانسبته ٣ في المائة فقط للقنطار . ويدفع في ميناء دمياط ٣ مديني للبن المصدر الى أي مكان ، سواء كان البن مصدر الى الدولة العثمانية ، أو بلاد البربر او اوروبا .

---

[٥١٦] حسين افندي الروزنامجي : ترتيب الديار المصرية في العصر العثماني . مخطوط ، ملحق بعجائـــب الاثـــار ، رقم١١ ، جـــ١ ، ص ٤٩٢

[٥١٧]– جيرار : وصف مصر ، ترجمة : د. زهير الشايب، جـــ ١ ، ص٣٠٨

[٥١٨]– وصف مصر ، جـــ ٥، ص ١٦٧

[٥١٩] – هامش ملحق الجبرتي : رقم ١١ ج٣

ونظرا لطول مدة الدراسة، فان اسعار البن لم تكن ثابتة ، فقد حدثت لها الكثير من التقلبات . ومثل أي سلعة ، فقد كانت اسعار البن خاضعة لقانون العرض والطلب. كما تأثرت اسعار البن ايضا بالأحداث الداخلية و الخارجية ايضا. ولأن البن كان سلعة عالمية ، فأن اضطراب اسعاره ، يعد دليلا على اضطراب الاوضاع السياسية و الاقتصادية ، ليس في مصر فحسب ، لكن دليلا على اضطراب الوضع الاقتصادي العالمي برمته .

وبسبب أهمية البن كان بعض المؤرخين يتتبعون التغيرات التي كانت تطرأ على اسعاره . وكان عبد الرحمن الجبرتي واحدا من اولئك الذين تتبعوا العديد من التقلبات التي حدثت في اسعار البن ، بل انه كان احيانا يذكر أسباب تلك التقلبات في الاسعار . ففي شهر صفر من عام (١٢١٩هـ /١٨٠٤م)ذكر " انه عز وجود البن و غلا سعره حتى بلغ في هذا الشهر سبعين نصفاً _ أي نصف فضة_ "[٥٢٠] . كما ذكر اثناء سرده لأحداث عام (١٢٢٦هـ /١٨١١ م) أن اسعار البن اضطربت بسبب الحركة الوهابية ، في الحجاز ، فقد ذكر انه في شهر جماد الاول من ذلك العام " أنقطع الوارد من الديار الحجازية و غلا سعر البن ، حتى وصل إلى مائتين و سبعين نصف فضة لكل رطل ، وقل وجودة في الاسواق و الدكاكين ، فلا يوجد الامع المشقة "[٥٢١] . وذكر الجبرتي أيضا ، أن الحملة الفرنسية على مصر أثرت في اسعار البن ، فقد وقعت معركة بين الفرنسيين و أهالي ميناء السويس ، فتغلب الفرنسيون " ونهبوا البندر ومافيه من بن وبهار وحواصل التجار ، وغير ذلك "[٥٢٢] . لقد تكرر ذكر الجبرتي لتقلب اسعار البن في مصر كثيرا ، وربما يرجع ذلك الى أهمية هذه السلعة في حياة المصريين .

وتعامل المصريون بعدد كبير ، و متنوع من العملات ، في بيع و شراء البن ، وقد أختلفت تلك العملات بسبب طول فترة الدراسة ، والتي تمتد خلال ثلاثة قرون .

لقد ورد في الوثائق الخاصة بتجارة البن ذكر أسماء العديد من العملات ، منها ألمديني[٥٢٣] ،

---

[٥٢٠] — عبد الرحمن الحبرتي : عجائب الاثار ، تحقيق :د. عبدالعزيز جمال الدين ، جـ٥ ، ص ٣١٧

[٥٢١] — نفس المرجع ، ص ٩٣٢ - ٩٣٣

[٥٢٢] — نفس المرجع ، جـ٤ ، ص٣٧٥

[٥٢٣] – المديني : عملة نقدية " يشكل ٩٠ مديني قطعة نقد اصبحت قياسية تسمى ابوطاقة " وصف مصر ، جـ ٥ ، ص ٩٢

والبارة[٥٢٤] والبوطاقة[٥٢٥] والكيسة[٥٢٦] والقرش الحجر[٥٢٧] والزر محبـــوب[٥٢٨] والنصـــف الفضة[٥٢٩] . كما اشارت الوثائق الى العديد من الأجنبية العملات الذهبية ، والفضية . مثل الزر محبوب الذهبي واجزائه النصف زر محبوب، و الربع زر محبـــوب ، وكـــذلك البنـــدقي الذهبي[٥٣٠] والعملات الفضية مثل الريال الفرانسي و الريال الاسباني و النمساوي .

وقد ظهرت تلك العملات في الوثائق المصرية المتعلقة بتجارة البن ، ولكن كانت العملات المحلية تظهر بكثرة ، في التجارة الداخلية . اما العملات الذهبية و الفضية فقد ظهرت بكثـــرة في التعاملات الخارجية ، أي عمليات الاستيراد و التصدير . ولم يجبر التجار علىالتعامل بعملة معينة في تجارة البن الا فيما ندر . من ذلك ما ورد عند الجـــبرتي عـــام (١٢٢٠ هــــ / ١٨٠٥ م) "انه نودي على التعامل في بيع البن بالريال المعاملة ، وهي تسعون نصفا ، وقد كان الاصطلاح في بيع البن بالفرانسة فقط ، وبلغ صرف الفرانسة مائة و ثمانون نصفا، ضعف الاول ، وعز وجودة لرغبة الناس فيه ، لسلامته من الغش و النقص "[٥٣١] . ان هذا النص يـــدل علـــى ان الريـــال الفرانسة، كان العملة المعتمدة في تجارة البن اليمني ، في الفترة الزمنية التي سبقت عـــام (١٢٢٠ هـــ/١٨٠٥م) . ولكن ليس معنى ذلك انه اقتصر التعامل في البن عليه. ويبدو لي بان الريـــال الفرانسة في مصر هو الريال الفرانصي في اليمن، أي ريال الماريا تريزا النمساوي .

---

[٥٢٤] – البارة : كانت العملة الاساسية في مصر.

[٥٢٥] – البوطاقه : وهو الريال النمساوي ، وقد سمي بذلك نسبة لرسم النافذة أو الطاقة (عبدالرحمن فهمي : النقود المتداولة ايام الجبرتي ، ضمن ندوة عقدقا الجمعية المصرية للدراسات التاريخية حول عبـــد الـــرحمن الجـــبرتي ، ص٥٥٨) .

[٥٢٦] – الكيسه : وحدة نقدية عثمانية تختلف من مكان إلى اخر ، وكانت الكيسة المصرية تساوي خمسة وعشرين الف بارة فضية .

[٥٢٧] – القرش الحجر : الاسم المصري لقروش اجنبية .

[٥٢٨] – الزر محبوب: عملة ذهبية عثمانية ، سكت في عهد السلطان سليم الاول ، وكانت قيمتها سبع وثلاثين و نصف قروش صاغ من الفضة ".(حسن محمود الشافعي : العملة وتاريخها ، ص ١١١) .

[٥٢٩] – النصف الفضة : نقود كانت تضرب كنقود مساعدة بمعنى الها وحدة نقددية صغيرة لمساعدة النقود الرئيسية من الذهب. والفضة ،(عبدالرحمن فهمي : النقود المتداولة ايام الجبرتي ، ص ٥٦١) .

[٥٣٠] – البندقي الذهبي : عملة ذهبية ، تنسب إلى مدينة البندقية .

[٥٣١] – عبدالرحمن الجبرتي : عجائب الاثار ، تحقيق : عبدالعزيز جمال الدين ، جـــ٥ ، ص ٤٧٠ .

ونظرا لاضطراب اسعار العملات ، أصدر محمد علي باشا ، عام ١٨٠٨ م قراراً حدد فيه اسعار العملات المختلفة ، وقد " قدر البندقي الذهب بثمانمائة قرش ، و المحبوب الاسلامبولي بستة ، و المحبوب بخمسة، و القرش الواحد باربعين بارة ، او نصف فضة "[٥٣٢] .

إن الدور الكبير الذي لعبته مصر في تجارة البن سواء في اسواقها الداخلية أو على المستوى الخارجي ، جعل البن جزأً لا يتجزأ من المكون الاقتصادي و الاجتماعي للمصريين، فقد نشطت الحركة الاقتصادية في مصر بعد دخول البن ميدان التجارة العالمية ، بعد ان كاد نشاطها الاقتصادي يتوقف إثر تحول طرق التجارة الى راس الرجاء الصالح . فقد ساهمت تجارة البن في استحداث العديد من الأنشطة الاقتصادية و الاجتماعية المتصلة بها بصورة مباشرة أوغير مباشرة. على سبيل المثال لا الحصر فقد ظهرت العديد من الصناعات و الحرف المرتبطة بتجارة البن ، مثل صناعة أدوات القهوة من الفخار . وقد ذكر كتاب وصف مصر انه في " مدينة القاهرة وحدها يتم تصنيع نوع من الخزف الخشن ، لتصنيع الحلوى و فناجين القهوة "[٥٣٣] .و لم تستخدم ألاواني المحلية في صناعة وتقديم القهوة لشاربين فحسب ، ولكن أيضا استخدمت الأواني المستوردة في إعداد القهوة و تقديمها، خاصة الاواني المستوردة من الصين ، وقد اوردت نللي حنا في دراسه لها عن تجارة البن في القاهرة ، انه " وجد في تركة جعفر اغا ، الذي كان يعمل في التجارة حوالي ٧٠٠ فنجان قهوة من الصين "[٥٣٤] .

ونظرا لكون البن المستورد من اليمن لم يكن جاهزاً للاستعمال المباشر في إعداد القهوة ، فقد نشأت مهنة جديدة متعلقة بإعداد البن ، وهي مهنة تحميص البن ، وطحنه . وقد انتشرت مطاحن البن في طول البلاد وعرضها . لقد قدم لنا العلماء الذين جاءوا بصحبة الحملة الفرنسية إلى مصر بعض المعلومات عن تلك المطاحن وطريقة التحميص و الاعداد، فقد وجدوا في " رشيد محلات يحمص فيها البن و تنزع عنه قشرته ، حيث توضع في صواني كبيرة من النحاس على سطح موقد فتحمص حبوب البن ، وتطحن بعد ذلك بواسطة هاونات من الجرانيت ، وايديها من النحاس "[٥٣٥] . و لقد عمل في مهنة طحن البن معظم فئات المجتمع المصري ، وعلى رأسهم الأشراف الذين ينتمون إلى الأسرة النبوية الشريفة ، " وقد تنوع نشاط الاشراف في هذه الحرفة ،

---

[٥٣٢] – د. حسن محمود الشافعي: العملة وتاريخها ، ص ١٢١ .

[٥٣٣] – جيرار: وصف مصر ، ترجمة : زهير الشايب ، ص ١٩٢

[٥٣٤] – Nelly Hanna: Coffee and Cofee Merchants in Cairo 1580 – 1630 , P. 98

[٥٣٥] – جوكوا : وصف مصر ، ترجمة :د. زهير الشايب ، ص ٢٥٦

فكان منهم العمال ، الذين عرفوا بالمدولبين[٥٣٦] في المعاصر و الطواحين ، ومنهم من كان يقوم بتاجير هذه المعاصر والطواحين "[٥٣٧] و اشتهر الاشراف بهذه الحرفة حتى تمكن بعضهم من الوصول ليكون شيخاً لها .

أدى التداخل والارتباط الوثيق بين تجارة البن ، والحرف المتصلة بها ، إلى تكوين آلية منتظمة للتعامل بينهما ، فقد ارتبط " تجار البن بالقهوجية ،الذين كانوا يشترون منهم كميات كبيرة من البن ، فقد اشترى سلامة بن محمد الجزيري القهوجي بقهوة الطاحون في سوق خان الخليلي، من الخواجا ابراهيم بن الشهابي احمد بن شهاب الدين السلموني ، في عام (١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م) كمية من البن بمبلغ ٤٢٠ دينار "[٥٣٨] ، كما أشترى شخص اخر ، كان يدعى محمد المعراجي بن حجازي الشهير بالدشاش ، كمية من البن بمبلغ ٩٠ قرشا.والى جانب ذلك كانت هناك كميات من البن" كان يبيعها المتسببون في البن للقهوجية "[٥٣٩] .

أما على المستوى الاجتماعي فقد كانت المقاهي، التي هي النتاج الرئيس الانتشار شراب القهوة بين أوساط المجتمع ، أبرز أداة لتغيير العلاقات الاجتماعية، ليس في المجتمع المصري فحسب ولكن في كافة المجتمعات التي انتشرت القهوة فيها.

وقد أنتشرت المقاهي في مصر بسرعة كبيرة بين أوساط المجتمع المصري ، وهذا تطلب من المصريين انشأ اماكن خاصة لشرب القهوة ، فتم انشأ عدد كبير من المقاهي في القاهرة في وقت قياسي . وقد أجرت ايفيليا شلبي احصاء لعدد المقاهي في القاهرة "فوجدها ٦٤٣ مقهى في نحو عام م ١٦٥٠م "[٥٤٠] وقد قدر كتاب وصف مصر ان عدد المقاهي في القاهرة وحدها، في نهاية القرن الثامن عشر بألف ومائتي مقهى.

اما أهم وظيفة قدمها المقهى، فهو إعادة صياغة العلاقات الاجتماعية ، "وقد ادى هذا المكان الجديد لتحقيق اللقاءات ، الى إحداث مفهوم جديد تماما للعلاقات الاجتماعية"[٥٤١] ، فقد إندمجت مختلف فئات المجتمع في اطار المقهى ، الذي لم يعد ارتياده مقصور على فئة ، دون اخرى.

---

[٥٣٦] – المدولبين : العمال القائمون على تشغيل طواحين البن .

[٥٣٧] — د. سليمان محمد حسين :الدور الاقتصادي للاشراف في مصر ، الاجتهاد ، ص ٩٦.

[٥٣٨] — د. سليمان حسانين : تجار القاهرة ، ص ١٨٣ .

[٥٣٩] – نفس المرجع : ص ١٨٣.

[٥٤٠] – اندرية ريمون : لمدن العربية الكبرى ، ترجمة : لطيف فرج ص ١٧٢.

[٥٤١] – نفس المرجع : ص١٧٢ .

كما أن القضايا والأحداث، التي كانت تناقش في ذلك الاطار الجديد ، أصبحت أكثر عمقــاً ، وتاثيراً ، وهذا ما يفسر المحاولات المتكررة من قبل السلطه لإغلاقها، ومنع أرتيادها .

دور محمد علي في تجارة البن :

تعرف محمد علي باشا (١٢٢٠ – ١٢٦٥هـ/ ١٨٠٥– ١٨٤٨م)، والذي حكم مصر اثر خروج الحملة الفرنسية منها عام (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م)، على أهمية البن اليمني بالنســبة للاقتصاد المصري، لأن البن خلال تلك الفترة قد أصبح سلعة متداولة عالميا . ونتيجــة لــذلك حصلت مصر على مبالغ مالية كبيرة من تجارة البن ، ساهمت في رفد خزينة الدولة بالمال .

ولقد كان لدى محمد علي باشا خططاً طموحة لتحقيق نهضة مصر الاقتصــادية . و مــن أجل تحقيق ذلك قبض على جميع المصادر التي كان يعتقد ان عائدها المادي كبير ، وكان البن احد اهم تلك المصادر .

ومثل وصول قوات محمد علي باشا العسكرية إلى اليمن ، اثر مطاردة فلول الوهــابيين في سواحل اليمن المطلة على البحر الاحمر فرصة ذهبية لوضع مصادر هذه الثــروة في يــده .فقــد "كانت الارباح الناتجة من تجارة البن اليمني أحد الأسباب التي دفعت محمد علي باشا حاكم مصر، لكي يرسل قواته للسيطرة على اليمن ، بعد الانتهاء من القضاء على تمــرد الوهــابيين، ضــد السلطان العثماني "(٥٤٢) .

وبعد أن تمكنت قوات محمد علي في عام ١٨١٨م من السيطرة على المناطق التي كانــت تحت حكم الشريف حمود في تهامة وهي " اللحية و الحديدة و زبيد وبيت الفقية و الزيدية ، وما دخل في حكم هذه المحلات "(٥٤٣) ، ولم يكن بإمكانها خلال هذه الفترة الاحتفاظ بتلك المناطق تحت سيطرتها المباشرة ، وذلك لأنشغال محمد على بأعمال عسكرية في ميادين اخرى في السودان واليونان ، لذلك قرر رد تلك الأراضي إلى إمام صنعاء، مقابل أن يدفع له الامام مبلغا من المال وكمية من البن ،وقد ذكر القاضي محمد بن على الشوكاني(٥٤٤)انه اثناء وجود يوسف اغا مبعوث

---

(٥٤٢) – Gordon Waterflild SULTANS OF ADEN , P. 31

(٥٤٣)– الشوكاني : البدر الطالع ، جــ٢ ، ص ٣٦٨-٣٦٩

(٥٤٤) –القاضي الحافظ الناقد الشهير محمد بن علي الشوكاني الخولاني ثم الصنعاني ولد عام ١١٧٣ بهجرة شوكان في خولان ونشأ بصنعاء حيث تعلم العلوم المختلفة على ايدي علمائها ، حيث برع في معظم صنوف العلم آنذاك ،

خليل باشاء قائد قوات محمد علي على اليمن في اليمن من أجل التفاوض على شروط تسليم المناطق التهامية إلى الإمام وصلت رسالة من خليل باشا " انه يقع مقدار من البن في كل عام وهو شيء يسير يصير إلى مطبخ السلطان، ويقع تسليم شيء من النقد في حكم بقشيش للجنود الرومية المنتزعة للبلاد من يد الاشراف "[٥٤٥] وقد تمت الموافقة على تلك الشروط وقد ذكر صاحب حوليات يمانية بأنه تم عقد صلح بين مندوب الامام ، القاضي محمد بن احمد الحرازي ، ومندوب محمد علي باشا، خليل باشا ، وقد تم الأتفاق على " اموال معينة ، وشيئ معلوم من البن، كل سنة "[٥٤٦] . وقد ذكر الشوكاني انه تم الموافقة على تلك الشروط ، بالرغم من تحذير بعض الناس من الانصياع لها ، وقدعلل سبب الموافقة على ذلك ، ان قوات محمد علي كانت كثيرة وقوية، وقد تمكنت من القضاء على السعوديين ، و الوهابيين في نجد وتهامة" ولهذا السبب كانت جنود اليمن في جميع القبائل متفاشلة ، متخاذلة ، مرتجفة ، ولم يبق همهم الا بأنفسهم وحريمهم "[٥٤٧] .

ومن أجل تحديد شروط تسليم الاراضي إلى الامام ، فقد أرسل خليل باشا ، قائد قوات محمد علي في اليمن رسالة وذلك في شهر جماد اخر (١٢٣٤هـ / ١٨١٨م) الى الامام حدد فيها شروط إعادة تسليم الاراضي إليه ، مذكراً اياه بالمبالغ التي تم إنفاقها على تلك الأراضي "ولكن تفهمون ان هذه الاماكن انصرف عليها من الأموال، لا يحصى عده و مثلكم يفهم حقيقة ذلك ، فان كان لكم نظر في هذه الجهات كما ذكرتو لنا انها تحول الى طرفكم ، فلابد من تعيين ثلاثه الاف قنطار بن قهوة الى مطبخ حضرة سلطان الزمان في كل عام ، وكذلك ايضا مائتين الف ريال فرانسة ، لاجل قيام الغرض في تهامة ، فان رايتو ذلك و استحسنتوه ، فليصلنا منكم الجواب "[٥٤٨] .

ولم يكتف خليل باشا بتحديد تلك الشروط ، ولكنه هدد الامام أنه اذا لم ينفذ ما تم الاتفاق عليه ، فأنهم سيحتفظون بتلك الاراضي ، أو يسلموها اللأشراف " وانتم فاهمين ان الدولة نصرهم الله تعالى ما عندهم عجز في ضبط تهامة ، وأيضا تعرفو أن الاشراف يدفعوا هذا

وتولى الوزارة للإمامين المهدي عباس وولدة المنصور علي . توفي بصنعاء عام ١٢٥٠ هـ عن ست وسبعين سنة (زبارة ، نيل الوطر ، جـ٢ ، ص ٢٩٧ إلى ص ٣٠٢) .

[٥٤٥] - الشوكاني : البدر الطالع ، جـ٢ ، ص ٣٦٩- ٣٧٠

[٥٤٦] – مجهول : حوليات يمنية ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص ٣٧

[٥٤٧] - الشوكاني : البدر الطالع ، جـ٢ ، ص ٣٧٠

[٥٤٨] – صالح رمضان : ذكريات الشوكاني ، ص ١٧٥ -١٧٦

القدر و زيادة ، ولكن نشتهي أن يكون هذا الامر في اهله و محله ، هذا ما نعرفكم"[٥٤٩]. وقد تم الاتفاق على ان يتم تسليم البن المقررفي شهر رجب من عام (١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م) .ومن اجل تسليم ما تم الاتفاق عليه فقد فوض خليل باشا مندوبه يوسف اغا في استلام المائة الف الاولى المعجلة من مندوب الامام المهدي وهو القاضي محمد بن احمد الحرازي (ت ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م) ، وتسليم بنادر (موانئ) تهامة .وقد اوردت مجلة المنار نص ذلك التفويض ، كما اوردت أيضا صك الاستلام بتاريخ شوال ١٢٣٤هـ/ اغسطس ١٨١٩م [٥٥٠] .

قبل الامام المنصور علي تلك الشروط مجبراً ، بسبب حالة الضعف الذي كان يعتري اليمن نتيجة لكثرة الاضطرابات السياسية . ولكنه حاول تخفيض المبلغ المالي المقرر ، مع قبوله تسليم الكمية المقررة من البن ، بالرغم من أنه كان يرى أنها كمية كبيرة.

أدت الاوضاع المضطربة في اليمن ، وكثرة الحروب الداخلية ، و قلة الامطار ، وانتشار الجراد الى عجز الامام عن تنفيذ ما تم الاتفاق عليه.

وقد ارسل الامام رسائل إلى محمد علي طلب منه ان يخفض كمية البن المطلوبة ولكنه رد بقوله : " لقد اعطيته بلادا واسعة في نظير المقدار من البن المتفق عليه "[٥٥١] . لذلك ارسل احمد باشا يكن حاكم مكة والمدينة من طرف محمد علي ، رسالة الى القاضي محمد بن علي الشوكاني ، طلب منه سرعة تنفيذ ما تم الاتفاق عليه . وابلغه انه بعث اليهم الحاج سعيد اغا باشا الى الامام " في استبدار ما بقي من المبالغ التي سلم جانبها وفي ارسال الثلاثة الاف قنطار البن المرتبة في كل عام لمطبخ السلطان "[٥٥٢]. وذكره في الرسالة بان موعد التسديد قد مر دون تنفيذ ما تم الاتفاق عليه . كما ذكر ايضا ان الكمية المفروضة من البن يجب توفيرها في اسرع وقت ممكن حتى يتمكن محمد على باشا من ارسالها الى السلطان العثماني في موعدها المحدد .

لقد اعتبر بعض المؤرخين ان اجبار الامام في صنعاء على تسليم ثلاثة الاف قنطار من البن إلى السلطان العثماني ، بمثابة إعادة اليمن الى السيادة العثمانية " وإن لم تكن تلك العودة رسمية "[٥٥٣] . و هذا في إعتقادي الشخصي كلام مبالغ فيه ، وذلك لانه لم يترتب على القبول

[٥٤٩] – صالح رمضان : ذكريات الشوكاني ، ص١٧٦.

[٥٥٠] – انظر نص التفويض ، و صك الاستلام اللذين اوردهما المنار في الملاحق وثيقة رقم (٣)

[٥٥١] – فاروق اباظه : عدن و السياسة البريطانية ، ص١٠٥ .

[٥٥٢] – صالح رمضان : ذكريات الشوكاني ، ص ١٨٩ .

[٥٥٣] – خالد باوزير : ميناء عدن ، ص ٤٧٠.

بتلك الشروط ظهور أي علامة من علامات السيادة العثمانية على اليمن ، حتى ولو كانت تلك علامة على السيادة الاسمية ، كأعلان الخطبة للسلطان العثماني على المنابر مثلا.

إن عجز الامام في صنعاء عن الوفاء بالتزاماته امام محمد علي ، جعل الاخير ينتظر الفرصة المناسبة من اجل الوصول إلى اليمن و احتكار تجارة البن فيها ، وجعلها تحت سيطرته المباشـــرة . ولقد سنحت له الفرصة، عندما جاءت قواته لليمن لمطاردة احد المتمردين ، وكان يدعى تركجه بلمز الذي تمكن من فرض سيطرته على العديد من مناطق تهامة.

و بعد أن تمكنت قوات محمد علي من القضاء على هذه الثورة ، و إسترجاع المناطق الـــتي كان يسيطر عليها تركجه بلمز . لم يرجع هذه الاراضي إلى الامام ، فقد وجدها فرصته لتوطيد سلطته في اليمن ، ووضع تجارة البن تحت سيطرته و إحتكاره المباشر.

ولم تكتف قوات محمد علي بفرض سيطرتها على السواحل اليمنية ، ولكن أصرت علـــى فرض سيطرتها على الاراضي اليمنية كاملة ، من أجل إحكام سيطرتها على البن . ونظرا لمعرفـــة ابراهيم باشا يكن ، قائد قوات محمد علي في اليمن ، بمدى اهتمام محمد علي بوضع مصادر البن تحت سيطرته ، جعل هذا الاهتمام اداة يغري بها محمد علي على الموافقة علـــى اجتيـــاح كامـــل الاراضي اليمنية ، ففي رسالة بعث بها إبراهيم يكن إلى محمد علي ، ذكر ان سبب قلة البن هـــو ظلم الأئمة للرعية، وانتشار الفوضى و لاضطربات " فأما إن فتحنا صنعاء ، كما هو غاية امالنا ورفعت ايدي المفسدين ، وشملنا اصحاب اشجار البن بعين المراحم الخديوية ، غُرســـت اشـــجار البن، بكل إعتناء ، زاد المحصول سنة بعد اخرى ، وبلغ مركزه الاول "[٥٥٤] .

بعد أن أكمل إبراهيم باشا احتلال اقليم تعز ، عمل على تشجيع زراعة البن ، ففي رسالة بعث بها الى محمد على ذكر انه " يجب سلوك طريقه في إقناع كبراء البلاد التي تحـــت حكمنـــا وترغيبهم في غرس اشجار البن و تكثيرها و أن ترفع حقيقة الامر الى اعتابكم الســـامية "[٥٥٥] . ومن اجل احكام السيطرة على تجارة البن تماما ، عمد ابراهيم باشا إلى نقل تجارة البن من مينـــاء المخا إلى ميناء الحديدة " ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه المدينه تزداد أهميتـــها ، وتتحـــول إلى مركز رئيسي لتجارة البن بدلا من المخا "[٥٥٦] .

---

[٥٥٤] – عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٨١

[٥٥٥] – فاروق اباظة : عدن والسياسة البريطانية ، ص ١١٧

[٥٥٦] – محمد ال زلفه : صراع القوى في جنوب شبه الجزيرة العربي ، ص ٢٥

لقد جاء اهتمام محمد علي باشا بتجارة البن قبل وصول قواته إلى اليمن بوقتٍ طويـــل . فقد جعل ميناء جدة مركزاً لهذه التجارة منذ عام (١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م) " وطلب من مـــامور التجارة المصرية في جده ، ان يهتم غاية الاهتمام بشراء أكبر كمية من الـــبن الـــيمني وارســـالها إلى مصر "[٥٥٧] . وقد شدد محمد علي على مامور التجارة في جدة أن يوافيه باخبار ما يتم شراءه من البن.

ولم يقتصر اهتمام محمد علي على إستيراد البن فحسب ، ولكنه أيضا كـــان يأمـــل في أن يتمكن من زراعته في مصر ، لذلك أرسل إلى مامور التجارة بجده " ان يوافيه بعدد من شجيرات البن (شتل) مع احد البستانيين الخبيرين بزراعته ، وفشلت التجربة ، بطبيعة الحال لأن الشروط الطبيعية التي يجب توافرها لزراعه البن في الوطن العربي لا تنطبق إلا على اليمن "[٥٥٨] .

وزيادة في إحكام السيطرة على تجارة البن ، أنشأ محمد علي باشا ديوانا في اليمن ، اسمـــاه " ديوان مصلحة البن"[٥٥٩] ، وعين له رئيسا او ناظراً ، عُرف بناظر ديوان مصلحة البن، وأربعة معاونين ، إلى جانب عدد من الموظفين ، و كان ناظر المصلحة يوزعهم على اقاليم اليمن المختلفة لجمع البن و دفع ثمنه بالسعر الذي تم تحديده سلفا ، و قد كان مركز ذلك الديون هـــو مينـــاء المخا.

لقد كان يتم تجميع كميات كبيرة من البن في ذلك المركز ، خاصة بعد سيطرة قوات محمد علي باشا على اقليم تعز الغني بزراعة البن . ومن ثم كان يتم نقل تلك الكميات مـــن الـــبن إلى الموانئ المصرية المطلة على البحر الاحمر ، وهما ميناءي السويس والقصير ، ومنهما ينقل بطريـــق البر الى القاهرة ، حيث يطرح جزأ منه للتداول المحلي ، ويباع بالسعر الذي يحدده الباشا " وقيل أنه كان يبيعها بإضافة نصف السعر الأصلي ألذي أشتراها به "[٥٦٠] . أما الجزأ المتبقي من الـــبن فكان يعاد تصديره الى الدولة العثمانية ، وافريقيا واوروبا.

أثار إحتكار محمد علي باشا لتجارة البن في اليمن سخط المزارعين و التجار سواءً التجـــار اليمنيين ام غيرهم ، الذين أُجبروا على قبول اسعارٍ محددةٍ من قبله سلفا، دون ان يخضـــع الـــبن لقانون العرض والطلب ، مما ألحق بهم خسائر فادحة ، فكانت النتيجة أن " عمد المزارعـــون إلى

---

[٥٥٧]- عبدالحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص ٩٩

[٥٥٨]- نفس المرجع : ص ٩٩

[٥٥٩] — نفس المرجع : ص ١٠٠

[٥٦٠] محمد آل زلفه : صراع القوب في جنوب شبة الجزيرة العربية ، ص ٢٥

التخلي عن حقولهم "[٥٦١] . وقد ادى تخلي المزارعين عن زراعة البن إلى الإنخفاض التدريجي للبن في الأسواق ، وبالتالي ندرة المعروض منه في السوق المحلية ،وحرمان صغار التجار من مصدر رزقهم، وهذا ما دفع هؤلاء التجار إلى رفع شكوى بهذا الخصوص إلى مجلس جده .الذي قام رئيسه بجمع التجار، وعمل على إفهامهم ان " تلك عادة جارية في جميع الديار المصرية ، وما ذلك إلا لنفع الناس وزيادة دخلهم "[٥٦٢] .

كما أثار إحتكار محمد علي لتجارة البن في اليمن حنق بريطانيا أيضا ، وذلك لأنه كان يحرمها من مصدر مهم من مصادر ثروتها ، وهو البن ، الذي كان لها باع طويل في المتاجرة به ، لذلك سعت إلى توطيد وجودها في اليمن ، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى إحتلال عدن عام ١٨٣٩م . و من ثم إقصائه نهائيا عن اليمن ، بموجب قرارات مؤتمر لندن ، عام ١٨٤٠م ، كما سيأتي في الفصل الرابع .

ولم يكن هدف بريطانيا من وراء احتلال عدن يقتصر على جعلها محطة لتزويد السفن بالوقود ، وتامين طرق مواصلاتها الى الهند فحسب ، ولكن كانت تهدف أيضا إلى العمل في تجارة البن ، وجني الأرباح من وراء هذه التجارة . ولكن إحتكار محمد علي لهذه التجارة، قد أعاق مشروعها في الإستفادة من هذه السلعة ، اذ كان نصف المحصول يذهب للباشا، الذي يرسل جزأً يسيرأ منه إلى السلطان العثماني ، اما " الجزأ الباقي فكان يباع للتجار الامريكان ، الذين كانوا يدفعون ضرائب بنسبة ثلاثة في المائة فقط ، بينما أُجبر البريطانيون على دفع ضرائب بنسبة ٧ ١/٢ ٪ مقابل ما يشترونه من البن "[٥٦٣] .

وقد أعترض البريطانيون على ذلك ، بالرغم من محاولات محمد علي باشا المتكررة لأثبات حسن نواياه تجاه التجارة البريطانية . فقد ظلت بريطانيا متشككة في نوايا محمد علي بالنسبه لتجارة البن . فقد ارسل كامبل المقيم البريطاني في مصر الى وزير الخارجية البريطاني في الهند بلمرستون رسالة ذكر فيها أن سبب قيام محمد علي باحتلال المناطق القريبة من عدن ، الى أنه ربما" يؤدي الحكم العادل للبريطانين لعدن إلى تدفق تجارة البن الى ذلك الميناء "[٥٦٤] . وفي رسالة

---

(٥٦١)-محمد آل زلفه : صراع القوب في جنوب شبة الجزيرة العربية ، ص ٢٦ .

(٥٦٢)- عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ، ص١٠٠ .

(٥٦٣)- Marston : Britin,s Imperial Role, P 50

(٥٦٤) letter from Cample to Palmerston – date 7 july – 1838, P.224 - 226

نقلاً عن محمد ال زلفة : صراع القوى في جنوب شبه الجزيرة العربية

أخرى من الكابتن هينس ؛ أول مقيم بريطاني في اليمن ، إلى الكولونيل كامبل ، المعتمد البريطاني في مصر ، بتاريخ ٢٨ فبراير ١٨٣٩ م ، ذكر فيها ان " محمد علي كان يطمح في الاستيلاء على اليمن باكمله ، من أجل احتكار البن اليمني ، ومن أجل تحويل اليمن إلى سوق لتصريف البضائع المصرية "(٥٦٥) وفي موضع أخر من تلك الرسالة ، يحذر هينز ،من أنه اذا تمكن محمد علي من السيطرة على اليمن كاملة ، فانه بالتاكيد سيحتكر تجارة البن كاملة ، واضاف قائلا بانه " حتى تجارتنا الهندية الموجودة منذ قرون سوف تنتهي "(٥٦٦) .

قامت قوات محمد علي باشا في اليمن بتنظيم عمل الجمارك في الموانئ، من أجل تسهيل العمل في تجارة البن، وقد أعترف الضابط البريطاني جيمس ماكنزي ،الذي قام برحلة إلى الحجاز واليمن عام ١٨٣٧ م بحالة الاستقرار الذي شهدته تهامة تحت حكم قوات محمد علي ، كما " امتدح النظام الجمركي الذي اداره الباشا في جدة و المخا ، واضاف ان الانجليز قد عوملوا هناك بمنتهى الحفاوة "(٥٦٧) .

لم يكتف محمد علي بفرض سيطرته على تجارة البن في اليمن ، ولكنه سيطر عليها في مصر ايضا . عن طريق إحكام قبضته على الموانئ التي كان يصل اليها البن ، وهي ميناء السويس والقصير . وكذلك الموانئ التي يعاد تصدير البن عبرها ، وهي الاسكندرية ، ودمياط ورشيد .

و لم يكن محمد علي يتورع احيانا حتى عن مصادرة البن الموجود في الموانئ ، ففي عام (١٢٢٦هـ / ١٨١١ م) توجه الى الى السويس من اجل الاعداد لحملته على الحجاز ، فوجد في الميناء شحنة من البن فقام بمصادرتها ، وقد ذكر الجبرتي ان الباشا " استولى على البن الذي وجده في بندر السويس للتجار "(٥٦٨) . و لا يستبعد ان الباشا قام بمصادرة البن من أجل بيعة والحصول على الاموال من أجل تمويل حملته على الحجاز . و بعد أن صادر الباشا تلك الشحنه في السويس ، ارتفعت اسعار البن في القاهرة " فغلا سعر البن وزاد حتى وصل إلى خمسين ريالا فرانسة بعد أن كان بستة و ثلاثين "(٥٦٩) .

---

(٥٦٥) - letter from Hanes to Camplbll : P . 228

نقلا عن محمد ال زلفة

(٥٦٦) - letter from Hanes to Camplbll : P . 229

نقلا عن محمد ال زلفة

(٥٦٧) - جاد طه : سياسة بريطانيا ، ص ٦٦ - ٦٧

(٥٦٨) - عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الاثار ، تحقيق : عبدالعزيز جمال الدين ، جـ ٥ ، ص ٩١١

(٥٦٩) - عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الاثار ، تحقيق : عبدالعزيز جمال الدين ، جـ ٥ ، ص ٩١٢

هذا وكان الباشا قد صادر البن قبل ذلك في عام (١٢٢١هـ/١٨٠٦م) ، عندما" ارسل الباشا إلى الخانات و الوكائل اعوانا فختموا على حواصل[٥٧٠] التجار بما داخلها من البن و البهار ، وذلك بعد ان امنهم وقبض عشورها و مكوسها بالسويس "[٥٧١] ، وقد ذكر الجبرتي انه تم مصالحة التحار والافراج عن البن التابع لهم . كما كان تجار البن في عهد محمد علي يتعرضون للابتزاز، وفرض السلف الاجبارية ، من أجل تمويل بعض المشاريع ،و الاعمال العسكرية .

لقد كان محمد علي باشا يهتم كثيرا بإرسال البن إلى السلطان العثماني . وقد تكرر قيام محمد علي بارسال البن إلى القسطنطينية ، إلى درجة تجعل المرء يعتقد بان ارسال البن إلى السلطان العثماني ، كان يمثل جزأ من اعلان محمد علي باشا الولاء والطاعة للسلطان . كما كان محمد علي أيضا يقبل هديا البن من أصحابه و رجال دولته ، ففي عام (١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧م) وصل شاهين بك الالفي " ووصل صحبته مراكب بها سفارة و هدية من ابراهيم بك ومحمد بك المرادي المعروف بالمنفوخ برسم الباشا ،وهي نحو الثلاثين حصاناوماية قنطار بن قهوة "[٥٧٢] .

و إسهاماً من محمد علي باشا في تشجيع الاستهلاك المحلي للبن في مصر ، وذلك كي يزيد من أرباحه الناتجة عن إحتكارة لتجارة البن ، عمد إلى انشاء مقهى لشرب القهوة ، وقد انشأ هذا المقهى في شبرة ، وقد تعرض هذا المقهى للسرقة عام (١٢٣١ هـ/١٨١٥م) ، حيث سرق اللصوص (جميع ما بالمنصة من الاواني والسكارج[٥٧٣] والفناجين ، والظروف "[٥٧٤] .

ثانياً : دور بلاد الشام :

لم يكن الدور الذي لعبته بلاد الشام أقل اهمية من الدور الذي لعبته مصر في تجارة البن . وقد وصل البن إلى بلاد الشام في البداية بنفس الطريقة التي وصل بها إلى مصر أيضا، وهو عن طريق الحجاج ، و قوافل الحج العائدة إلى بلادها. وقد اشترك علماء الدين في بلاد الشام في الجدل الواسع الذي اثير حول القهوة ، كما سبق في الفصل الاول .

تمكنت القهوة من فرض نفسها على الناس في بلاد الشام بسرعة ، مما ادي إلى تحول البن إلى سلعة تجارية مهمة كانت تصل إلى بلاد الشام من منافذ متعددة . فقد كان البن يصل إلى بلاد

---

[٥٧٠] – الحواصل : المخازن

[٥٧١] – عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الاثار ، تحقيق : عبد العزيز جمال الدين ، جـ٥ ، ص ٤٩٧

[٥٧٢] – نفس المرجع ، جـ٥ ، ص ٧١٨.

[٥٧٣] – السكارج : اواني لإعداد القهوة .

[٥٧٤] عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الاثار ، جـ٥ ، ص ١٢٤١ -١٢٤٢ .

الشام ، أما عن طريق مصر ، او الحجاز ، او العراق ، واحيانا عن طريق اليمن مباشرة . وكان جزأً منه يستهلك محليا ، و يصدر الجزأ الآخر إلى الدولة العثمانية .

ولاشك ان هناك العديد من التجار الشاميين قد وصلوا الى اليمن ، من أجل شراء البن من اليمن مباشرة ، ولكن للاسف الشديد ليس بين يدي الا النزر اليسير من المعلومات حول هـذا الموضوع ، و من ذلك ما ورد عند المؤرخ اليمني يحي بن الحسين ، في كتابه المخطوط بهجة الزمن ، فقد اورد انه تعرف على شخص شامي ، كان يدعى أحمد كزبر الدمشقي الشامي الحنبلي وكان هذا الرجل يصل إلى اليمن ببضاعة من بلاد الشام ، ثم يعود إلى بلاده بعد ان يكون قد "تعوض من البن الصافي "[٥٧٥] . وكثيراً ماكان هذا التاجر يتردد على اليمن من اجل شراء البن ، وذلك بعد الانتهاء من اداء مناسك الحج ، حتى انه تزوج امرأة من اليمن . وكان هذا التاجر يحضر معة بعض البضائع الشامية ، فقد ذكر يحيى بن الحسين انه "كان وصوله ببعض شيئ من بضاعة الشام، ثم يدخل بعوضة من الصافي – أي البن – "[٥٧٦]. أما البضائع التي كان يحضرها معه فكانت الجوخ والمصطكى والزعفران. وكان يعود إلى الشام بصحبة المحمل الشامي . وذكر يحيى بن الحسين حين ترجم لوفاته عام (١٠٩٤ هـ /١٧٨٠م) أنه قد حج إلى مكة المشرفة قدر خمسين حجة ، وأنه كان يسافر مع حاج الشام ، وكان يصل أحيانا الى صنعاء . وعندما توفي كان عمره يناهز التسعين سنة.

ولم تورد المصادر والمراجع التي بين يدي أي أسم أخر لتاجر شامي ، مع أنها كانت أحيانا تشير عرضا الى وجود تجار شاميين في اليمن ، جاءوا لشراء البن . و من ذلك ما ورد أيضا عند يحيى بن الحسين ، اثناء سردة لحكاية أحد التجاراليمنيين في سوق الصلبة ، والذي كان يحتال على المزارعين و صغار تجار البن ، مما أدى إلى إلحاق الضرر بهم، و قد سبق أن سردت قصة هذا التاجر في موضع آخر، وما يهمنا هنا هو أن هذا التاجر كان يبيع البن لتجار الشام الموجودين في ميناء الصلبة ، اذ انه " كان يجمع الصافي بالصلبة في المخازين ، فاذا وصل تجار الشام وشرع البيع و الشراء فيها ، باع للواصلين بناقص بعض الشيء مما باعه سائر الناس لوسع _ أي لكثرة _ مامعه الأجل الترغيب أن يشتروا ما قد جمعه...)[٥٧٧].

---

[٥٧٥] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق: امة الغفور الامير ، جـ ٢ ، ص ٣٤٩– ٣٥٠

[٥٧٦] – نفس المرجع ، جـ٢ : ص ٣٥٠ .

[٥٧٧] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق: امة الغفور الامير ،جـ٢ ، ص٣٤٨– ٣٤٩ .

ويدل هذا النص دلالة واضحة على وصول العديد من تجار الشام إلى اليمن وذلك من أجل شراء البن . كما ان كتب التراجم المختلفة حافلة بالعديد من الأسماء الشامية ، و إن كانت لاتشير أحيانا إلى الاعمال ، أو الأغراض التي دفعت هؤلاء الشاميين إلى القدوم إلى اليمن ، إلا أنه يمكن الإستنتاج ، أن بعضهم كان ياتي بغرض التجارة . وبما أن تجارة البن كانت هي الأهم ، فبدون شك، أن من كان يصل من الشام ببضاعة شامية ، كان يحمل معه البن اليمني في رحلة العودة إلى بلاد الشام .

وكان معظم تجار الشام يحصلون على البن من الحجاز ، إلى درجة أن البن في بلاد الشام عُرف بالبن الحجازي " ربما لانه اشتري من الحجاز ، وبلغت كمية البن المستوردة من الحجاز في عام ١٧٤٦م مثلا ستمائة كيس، أدى طرحها في السوق إلى هبوط سعر البن في بلادالشام"[٥٧٨]. وكان يتم نقل البن في معظم الاحيان ضمن قافلة الحج ، واحيانا ضمن القوافل التجارية التي كانت تتقاطر إلى الحجاز من أجل الحصول على البن، وكذلك من أجل تصريف بضائع الشام هناك .

وبالرغم من أن امن قافلة الحج كان مكفولا من قبل الدولة العثمانية، إلا أنها كانت تتعرض أحيانا لعمليات تقطع و نهب محتوياتها ، فقد تعرضت قافلة الحج العائدة إلى بلاد الشام عام(١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م) للنهب، من قبل قطاع الطرق ، ولم يبق معها سوى اربعين حملا من البن الحجازي " وكانت في الاساس تسعين حملا ، ولكن سرق منها خمسون حملا في الطريق تزن أربعة الآف رطل ، قيمتها ١٤٠٠٠٠ قرش "[٥٧٩] .

وكان البن يصل إلى بلاد الشام أيضا عبر مصر ، التي كانت تمثل مركزاً هاماً لتوزيع البن إلى مختلف ولايات الدولة العثمانية في تلك الفترة .

لعب التجار الشاميين المتواجدين في مصر دورا بارزا في تجارة البن اليمني " و التي كانت في ذلك الوقت من مصادر الدخل الكبير "[٥٨٠] . فقد كانوا يستوردون البن من اليمن أو من الحجاز إلى مصر. و وثائق محكمة القسمة العسكرية في القاهرة حافلة باسماء الكثير من التجار

---

[٥٧٨] – د. عبد الكريم رافق : بحوث في التاريخ الاقتصادي لبلاد الشام ، ص ٢٠

[٥٧٩] – نفس المرجع : ص٢٠ .

[٥٨٠] – عبدالله عزباوي : الشوام في مصر في القرن الثامن عشر، المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان ٢٨-٢٩، القاهرة ، ١٩٨١- ١٩٨٢م ، من ص٢٦٩الى ص ٣٢٩ .

الشاميين الذين عملوا في تجارة البن ،واسماء شركائهم ، ووكلائهم ، وحتى نسبة اسهم كل تاجر في الشركة ، و الدور الذي كان يلعبة في الشركة ، أو نوع المهمة الموكلة إليه فيها .

ولقد برز العديد من تجار الشام المتواجدين في مصر في تجارة البن ، وعلى رأس اولئك التجار التاجر اسماعيل ابو طاقية . ويعد اسماعيل ابو طاقية من اوائل التجار الذين عملوا في تجارة البن. وقد ارتبط هذا التاجر بعلاقات تجارية مع الوالي العثماني في اليمن ، فضل الله باشا . كما ذكرت سابقا .

كما أسس أبو طاقية شركة للمتاجرة في البن، وقد تكونت الشركة منه، ومن عبد القادر الدميري ، ومصطفى الصفدي ، وقد جعلوا " الصفدي يسافر الى مخا السوق الرئيسة للبن "[٥٨١] . وقد كان ابو طاقية يمتلك عدة سفن تمخر عباب البحر بين الموانئ الرئيسة في البحر الاحمر ، مثل المخا ، وجدة و السويس .

لم يقتصر دور ابي طاقية على تجارة البن في مصر، ولكنه اضطلع بمهمة نقل البن ، وتوزيعه في مناطق كثيرة مثل بلاد الشام ، والدولة العثمانية ، فقد كانت " صادرات البن تتجه الى الاناضول أما من خلال تجار القاهرة ، او من خلال وكلاء ابو طاقية "[٥٨٢] . كما صدر ابوطاقية البن الى أوروبا، فقد وجدت " كميات من البن اليمني ضمن صادرات ابو طاقية إلى البندقية "[٥٨٣].

لم تكن اسرة ابوطاقية ،هي الاسرة الشامية الوحيدة التي عملت في تجارة البن في مصر، ولكن وجد العديد من تلك الأسر ، مثل " اسرة الجمال ، واسرة عثمان بن يغمور ، اللتين وفدتا من حلب ، واسرة الخطيب التي نزحت من غزة ، واسرة الشهابي التي نزحت من دمشق "[٥٨٤] . و قد تمكنت بعض الاسر الشامية التي كانت تجارة البن ركنا اساسيا من تجارها ، من إحراز مكانة مرموقة اقتصاديا ، حتى " انه اصبح لهؤلاء التجار وكلاء تجاريين يعملون باسمائهم في موانئ البحر الاحمرمثل جدة و مخا و السويس ، كما كان لهم وكلاء ببلاد الشام "[٥٨٥] . بل ان بعضهم وصل الى شهبندر التجار لتجارة البن والبهار ، مثل ابوطاقية ، وعثمان بن يغمور الذي

---

[٥٨١] — د. نللي حنا : تجار القاهرة في العصر العثماني ،ترجمة : رءوف عباس ص ١٤٥

[٥٨٢] — نفس المرجع : ص١٤٥

[٥٨٣] — نفس المرجع ، ص ١٤٥

[٥٨٤] – سليمان حسانيين : تجار القاهرة ، ص ٥٠

[٥٨٥] – عبد الرحيم عبد الرحمن : بلاد الشام في العصر العثماني ، ندوة حول بلاد الشام . ص ٢٨١

اعتبر واحد من اهم تجار البن الشاميين في مصر ، والذي تركز نشاطه في موانئ البحر الاحمـــر ، فقد كان يستورد البضائع من مينائي المخا وجدة .

وإلى جانب التاجرين السابقين ، وجد عدد من تجار الشوام أقل بروزا ، منهم الخواجــا علي بن أحمد المعروف بالعاقل الشامي ، " و الحاج حسين بن نور الدين الحمصـــي ، و الخواجــا عبدالجليل الحمصي التاجر بالبن بخط المشهد الحسيني ،والحاج عبد الله بن عبـــد الله المشـــهدي الشهير بالشامي من أعيان تجار البن "[٥٨٦] .

أرتبط بعض التجار الشوام ، الذين عملوا في تجارة البن في مصر ، بموطنهم الأصلي . فقد كان هؤلاء التجار يرسلون البن إلى وكلائهم هناك ، فقد كان التاجر الشامي علـــي بـــن احمـــد المعروف بالعاقل ، يرسل البن الى شريكه عبد القادر السعدي ، والذي شكل معه " شركة سهمها بالسوية "[٥٨٧] . وكان لهما اموال في تجارة البن في الاقطار الحجازية ، وغزة ، والطور ، قـــدرت بـــ ٥٢٣.٨٤٦٠ ريال حجر، بعد خصم الديون ،و اجور النقل ، و الحماية ، وخلافه .وعندما توفي التاجر ، علي بن أحمد العاقل، كان له عند شريكه في الشام ١٣.٩٩٨ ريال حجر " عـــن قيمة البن ، المرسل من المتوفي ، حال حياته لشريكه الخواجا عبد القادر من مصر الى الشام بحـــرا من دمياط "[٥٨٨] . كما كان في ذمة عبد القادر السعدي لعلي بن احمد العاقل ١٨٥ ريال حجر و ٨١ عددية " مقابل ٣٠ فرقا من بن قلب[٥٨٩] مرسل للشام من مصر "[٥٩٠] . كذلك بـــرز التاجر الخواجا عمر بن محمد الشامي المعروف بالصبان ،وكان يمتلك حال وفاته ١٣٠ فرق بـــن خاصة به كما وجد معه ٨ فروق بن مثلت سهمه مع تاجر اخر و قد بلغ إجمالي ما يمتلكه هـــذا التاجر "حوالي ٦٠٠.٠٠٠ نصف فضة "[٥٩١] .

لعبت بعض الموانئ الشامية دورا فعالا في تجارة البن ، ويعد ميناء غزة اهم تلك المـــوانئ . وقد هياء لها موقعها الممتاز على ملتقى الطرق التجارية البرية و البحرية ، بين مصر والشـــام ، لعب هذا الدور، كما انها " على الطريق التجاري البري الوحيد الذي يربط بلاد الشـــام ، ومـــا اتصـــل بهـــا مـــن تجـــارة الاناضـــول ، و العـــراق ، وفـــارس ومـــا ورائهـــا ،

---

[٥٨٦] – عبدالله عزباوي : الشوام في مصر : المجلة التاريخية المصرية ، ص٢٦٩.

[٥٨٧] – وثيقة من القسمة العسكرية : سجل ٩٤ ، مادة ٥١١ ، ص ٣٧٧ – ٣٧٨

[٥٨٨] – وثيقة من القسمة العسكرية : سجل ٩٤ ، مادة ٥١١ ، ص ٣٧٧ – ٣٧٨

[٥٨٩] – البن القلب . اي اللب ، وليس القشر

[٥٩٠] – وثيقة من القسمة العسكرية : سجل ٩٤ ، مادة ٥١١ ، ص ٣٧٧ – ٣٧٨

[٥٩١] – القسمة العسكرية :سجل ٩٩ ، ماده ٨٨١ ، ص٥٥٧

ومصر "[٥٩٢] . وكان البن يصل إلى غزة بواسطة القوافل ، التي تصل إليها عبر الطرق البريـــة . وقد وجد في غزة العديد من خانات القهوة ، ويجب ان نفرق هنا بين الخانات ، وبين المقــاهي ، " فخان القهوة كان لخزن القهوة، و بيعها ، لا لإستهلاكها "[٥٩٣] ، ومن تلك الخانات الموجودة في غزة ، خان القهوة بمحلة السجاعية ، في سوقها . اما المقاهي ، فهي عبارة عن الاماكن الـــتي كان يتم فيها شرب القهوة ، أي استهلاك البن ، وقد وجدت في غزة العديد من المقاهي ، الـــتي كانت تقدم القهوة لمرتاديها.

والى جانب المقاهي ، وجدت اماكن لتحميص البن ، و التي عرفت بالمحامص ، وكان يوجد في دمشق لوحدها ، في الربع الثاني من القرن الثامن عشر " تسعة محامص للبن ، موزعة في مختلف مناطق المدينة ، وشكل اصحابها طائفة محمصي البن، و كان على الطائفة مائتا قـــرش ضـــريبة في الشهر ، وقد تعهد أفراد الطائفة أنه اذا تعطل أحد المحامص ، فانهم يتحملون ما علية مـــن مـــال الميري ، بحيث لا ينقص المال"[٥٩٤] . ويدل ذلك على الدور الاقتصادي الدي لعبه البن في بـــلاد الشام .

ثالثاً : دور الحجاز

احتلت الحجاز المركزاً متقدماً من حيث اهمية الدور الذي لعبته في تجارة البن اليمني. فـــاذا كانت اليمن هي المنطقة الوحيدة التي تحتكر انتاج البن ، فان الحجاز هي المركز الاهم لتجميـــع البن، ونقله الى معظم مناطق الاستهلاك ، خاصة عبر ميناء جده ، والذي عُد " مركـــزاً رئيســـياً لتوزيع البن اليمني "[٥٩٥] . وبدرجة اقل ميناء ينبع .

كانت منطقة الحجاز هي المنطقة الثانية التي عرفت البن اليمني ، وقد ساهم وجود الاماكن المقدسة فيها ، في سرعة وصول البن اليها ، فقد نقل الحجاج اليمنيون البن معهم في بداية الامر، وذلك من اجل استهلاكهم الخاص وقد ذكر الموزعي ان محمد كتخدا ، وزير الوالي العثماني في

---

[٥٩٢] – عبد الكريم رافق : بحوث في التاريخ الاقتصادي لبلاد الشام ، ص ٥٢

[٥٩٣] – نفس المرجع : ص ٥٤

[٥٩٤] — نفس المرجع : ص ٥٢

[٥٩٥] – هاني الزامل : تجارةالبن اليمني ، مجلة جامعة الملـــك عبـــدالعزيز ، مركـــز النشـــر العلمـــي ، جـــدة ، المجلد ١١، ١٤٢١هـــ/ ٢٠٠١ ، ص ٦٢

اليمن سنان باشا أمر في عام(١٠٢٨ هـ /١٦١٩م) بتجهيز المحمل الشريف اليماني ، وكان " القشر و البن "[٥٩٦] . من ضمن الاشياء التي تم تزويد قافلة الحج بها

وقد تعرفت سائر الأمم على البن اليمني عبر الحجاز ، وذلك من خلال احتكاك الحجاج اليمنيين مع غيرهم . و لم يات عام(٩١٧هـ/ ١٥١١م) ، الا وقد اصبح البن معروفاً في الحجاز، وكان يتم بيع القهوة "على رؤوس الأشهاد في الحوانيت و في سوق القهوة ،وعلى الشوارع وغيرها "[٥٩٧] . فعندما أصدر خاير بك المعمار ناظر الحسبة في مكة المكرمة قراره بتحريم البن ، في ذلك العام ، كان البن قد وجد قبل ذلك بمدة طويلة .

وبعد الجدل الواسع الذي حدث حول القهوة ، والذي انتهى الى الإفتاء بتحليلها . انتشرت القهوة بسرعة مذهلة . فكانت معظم قوافل الحج العائدة الى بلادها تحمل البن معها.

و بالرغم من الأهمية القصوى للبن اليمني ، في اقتصاديات شبة الجزيرة العربية بشكل عام. والحجاز بشكل خاص، الا انه وللأسف الشديد لاتوجد اسماء للتجار الذين ، كانوا يزاولوا نقل و تجار البن ، بين اليمن و الحجاز. فقد سكتت جميع المصادر التي بين يدي عن ذكر أي اسم بعينه، ولكن كانت أحيانا تنعتهم باسم المنطقة التي جاءوا منها ، على سبيل المثال ، كانت المصادر تذكر اسم التجار الحجازيين، او لقب تاجر حجازي ٠٠ الخ . و لكن نظرا لأهمية البن في اقتصاد الحجاز، يمكن الإستنتاج أنه كان يعمل في تجارة البن عدد كبير من تجار الحجاز ، خاصة بعد أن تحولت تجارة التوابل إلى طريق راس الرجاء الصالح .

ويعد ميناء جدة أهم موانئ الحجاز ، بالنسبة لتجارة البن . فقد مثل واحداً من اهم مراكز شبكة موانئ البحر الأحمر في هذه التجارة ، حيث كانت حمولات البن ، تصل الى هناك إما عبر القوافل البرية ، او بواسطة المراكب و السفن . فقد قام تجار الحجاز بنقل البن إلى ميناء جدة في رحلات منتظمة كانت تتم بين موانئ اليمن و جدة. و قد تواجد هؤلاء التجار في معظم الموانئ والاسواق اليمنية التي كانت تصدر البن ، خاصة ميناء المخا ، واللحية ، و الصلبة ، و سوق بيت الفقية ، وغيرها . ولم يقتصر نقل البن الى جدة على التجار اليمنيين و الحجازيين ، ولكن لعب العمانيون ، والهنود دورا كبير في ذلك، وقد لاحظ نيبور ذلك اثناء انتقال بعثتة من جده إلى اليمن ، فقد كانت السفينة التي تقلهم إلى اليمن هي سفينه عمانية ، خاصة بنقل البن "و قد

---

[٥٩٦] – عبد الصمد الموزعي : الاحسان ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص ١٥١

[٥٩٧] – عبد القادر الجزيري : عمدة الصفوة ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ص ٦٠ – ٦٥

وصلت جده بحمولة من حبوب البن ، جاءت به من المخا باليمن السعيد "[598] . كمـــا قامـــت السفن الهندية ايضا بنقل البن من موانئ اليمن إلى ميناء جدة ، خاصة أثناء قيامها بنقل الحجاج إلى الاراضي المقدسة .

وكان يصل الى جدة البن المزروع في " منطقة حاشد و بكيل "[599] ، و الذي كان ينقل الى موانئ جيزان و اللحية ، ومنها الى جدة . اما البن الموجود في ميناء المخا ، فكان جـــزأ منـــه يصدر الى جدة والاجزاء الاخرى الى موانئ الخليج ، وعمان ، البصرة ، وبندر عباس ، وغيرها .

لقد ازدحم ميناء جدة بالتجار من كافة المناطق التي اصبح البن جزأً من مكونها الاقتصادي والاجتماعي. وعندما لم يتمكن بعض التجار من الوصول إلى جدة كانوا يوفدون مندوبين عنـــهم إلى هناك .وقد ورد في وثائق محكمة القسمة العسكرية في مصر اسماء الكثير من مندوبي التجار أو وكلائهم ، فقـــد كـــان للتـــاجر احمـــد كتخـــدا ، المعـــروف بالقيصـــرلي ، المتـــوفى عـــام (١١١٨هـ /١٧٠٦م) ، و الذي كان يعمل في تجارة البن وكيل في جده ، وكان يدعى " موسى اغا "[600] . كما كان زيد الكعكي وكيلا مقيما في جدة ، لكل من التاجرين الحاج علي الشهير بفليفل العسال ، والحاج أحمد بن اسماعيل ، الذين شكلا شركة بينهما بالتساوي.

وقد تشكلت بعض الشركات التجارية التي عملت في تجارة البحر الاحمر و على رأســـها تجارة البن مثل شركة مكونة من ابوطاقية ، واحمد الرويعي ، و عبد القـــادر الصـــفدي ، و قـــد ارسلت هذه الشركه الصفدي الى موانئ اليمن و جدة لشراء البن ، كما سبق ان بينت.

لقد دفع المأزق الاقتصادي ، الناجم عن تحول طرق التجـــارة العالميـــة إلى راس الرجـــاء الصالح. حكام الحجاز للبحث عن مصدر يمكن أن يعوض خسارتهم في تجارة التوابل، فكان الـــبن هو الوسيلة الوحيدة التي حاول حكام الحجاز الاستفادة منها لتعويض تلك الخسارة، خاصة بعد أن اصبح البن سلعة عالمية، ذات مردود مالي كبير.

كانت العوائد الجمركية التي يحصل عليها الاشراف في الحجاز، والناجمة عن العمل في تجارة البن ، واحدة من أهم روافدهم المالية ، لذلك سعى الاشراف إلى تشجيع تجارة البن . لم يتوقـــف إهتمام الأشراف بتجارة البن عند هذا الحد ، ولكنهم كانو يعملون في تجارة البن بانفسهم ، فقـــد كانت لهم مراكبهم الخاصة بهم التي كانت تعمل في تجارة البن . ومن والئك الاشراف ، الشريف

---

[598] – توركيل هانسن : من كوبنهاجن الى صنعاء ، ترجمة : محمد الرعدي، ص ٢٠٧

[599] – احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ٣٨

[600] – القسمة العسكرية : سجل ٩٩ ، مادة ٣٤٥ ، ص٢٠

غالب بن مساعد ، الذي كان يرسل مراكبة الخاصة لجلب البن من اليمن . و كانت هذه المراكب تتأخر احيانا في العودة إلى الحجاز لذلك ارسل الشريف غالب رسالة إلى الإمام المنصور علي ، يناشده فيها سرعة شحن مراكبه بالبن " فالمرجو من حميد توجيهات هممكم العالية بروز امركم في كافة البنادر البحرية من أمرائكم بأن تكون داواتنا مقدمة في التشحين قبل كل داو اوغراب[٦٠١] ويكون جارية تلك القاعدة بهمتكم في جميع مراسيكم ، كما هو المامول من جنابكم ، والمسئول من مزايا اخلاقكم ، ونرجو الله ان رجانا غير مردود "[٦٠٢] . لم يستجب الامام الى طلب الشريف غالب[٦٠٣]، وارسل اليه رسالة جوابيه يعتذر عن ذلك ، متذرعا بانه ليس من العدل تقديم شحن مراكب الشريف قبل بقية المراكب الاخرى ، لأن ذلك سوف يسبب له مشكلة اقتصادية " وما لمحت إليه ايها الجناب العظيم والاخ الفخيم الكريم من أمر الداوات فما زالت أوامرنا الى نوابنا في الجهات برفع الظلامات والاعمال بالنيات وغير خاف على ذهنكم السليم وفكركم الراجح القويم أن العدل الذي قامت به الارض و السموات . أن يستوي القوي و الضعيف والوضيع والشريف في أنواع المكاسب و التجارات . كما حكم بذلك باري البريات ..."[٦٠٤]. وقد علق الشوكاني على ذلك بقوله : " وقد وصلت من الشريف فيما يتعلق بهذه القضية كتب كثيرة بعد هذا إلى مولانا الامام حفظه الله "[٦٠٥] . وهذا إن دل على شيئ إنما يدل على شدة حرص الشريف غالب على استمرار تدفق البن إلى الحجاز ، و بالتالي توفير الأموال اللأزمة له لكي يقوي مركزة امام خصومه الذين كانوا ينازعونه على السلطة .

مما زاد الاوضاع الاقتصادية تأزما في الحجاز في عهد الشريف غالب بن مساعد ، هو الحملة الفرنسية على مصر ، وزيادة اضطراب الأوضاع السياسية في المنطقة . فقد أدى وصول الحملة الفرنسية الى مصر عام (١٢١٣هـ/١٧٩٨ م)، الى توغل الانجليز في مياة البحر الاحمر بحجة حماية طريقهم الى الهند ، مما يعني تهديدا للتجارة العربية في البحر الاحمر، وإلى حرمان الشريف من التجارة فيه . وقد ذكر الجبرتي في عجائب الاثار، في احداث عام (١٢١٣هـ /١٧٩٨م) أنه "حضر إلى السويس تسعة داوات بها بن و بهار و بضايع تجارية ، وفيها لشريف

---

[٦٠١] – الداو والغراب : من اسماء السفن التي كانت تبحر في مياه البحر الاحمر ، وسيأتي توصيح ذلك .

[٦٠٢]– الشوكاني : البدر الطالع ، جـ ٢، ص ٢٠ .

[٣]- الشريف غالب بن مساعد ، شريف مكة المكرمة وقد تولى الحكم فيها بعد وفاة اخوه الشريف سرور عام ١٢٠٢هـ ، وحكم لمدة تقارب من السبع و العشرين سنة ، اسر في اخر ايامة ونقل إلى سلانيك في تركيا حيث توفي هناك عام ١٢٣١ هـ . (الجبرتي ، جـ٥ ، ص ١٢٧٦) .

[٦٠٤] – الشوكاني : البدر الطالع ، جـ٢ ، ص٢٣.

[٦٠٥]–نفس المرجع ، جـ٢ ، ص٢٣ .

مكة نحو خمسماية فرق[٦٠٦] بن، وكانت الانجليز منعتهم الحضور فكاتبهم الشريف فـاطلقوهم بعد أن حددوا عليهم اياما مسافة التحميل و الشحن ، واخذوا منهم عشورا ، وسامح الفرنسيين بن الشريف من العشور لانه ارسل لهم كتاباً بسبب ذلك وهدية قبـل وصـول المراكـب الى السويس بنحو عشرين يوم "[٦٠٧] .

استمر الشريف غالب في استرضاء الفرنسيين في مصر من أجل السماح له بارسال البن إلى مصر ، فقد ارسل الكثير من الرسائل ، حيث إرسل الى بوسليك ، احد ضباط الحملة الفرنسية ، رسالة شكر فيها الفرنسيين على ما قاموا به حيال البن الذي ارسله ، واشاد بذلك ، مؤكدا انه ارسل خمس سفن اخرى تحمل البن ، وذكر انه لم يجمع هذه الكمية الا بصعوبة بالغة ، وخاطبـه قائلا : " في حال وصول كتابنا اليكم ارسل عسكر من لديكم الى بندر السويس لاجل حفـظ اموال الناس و يصلون بالابنان الى مصر ويبيع التجار "[٦٠٨] . كما طلب من الفرنسيين حمايـة التجار العائدين الى السويس ، وذلك اثناء رحلة العودة الى هناك من قطاع الطرق. كما طلـب منهم تسهيل عودة التجار الى جدة بعد بيع بضائعهم " ليكون ذلـك سـببا في كثـرة وفـود الابنان "[٦٠٩] . و قد اشار في تلك الرسالة إلى انه " هذه المرة ما أرسل إليكم هـذا المقـدار الا تجربه من اعيان التجار "[٦١٠] ، وانه ان ثبتت حمايتكم لهم، فالهم سيرسلون إلى مصـر نفـائس أموالهم بدون خوف. وفي هذه الرسالة لم يذكر الشريف ان معظم البن كان له ، وأكتفى بذكر انه كان لأعيان التجار ، وربما أراد من وراء ذلك ان يظهر بمظهر المهتم بشؤون رعيته ، وربمـا أراد أيضا ان يموه حتى لا يقوم الفرنسيون بمصادرة الشحنة إذا علموا الها تخصه.

كما أرسل الشريف عبد الله اخو الشريف غالب بعض الرسائل إلى الفرنسـيين ، لـنفس الغرض وهو ، تامين تجارة البن في مصر. فقد أرسل في ديسمبر من عام (١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م) رسالة إلى الجنرال دنزلوا ، قائد ميناء القصير ، وقد ذكر في تلك الرسالة الهم – أي الاشراف – قد اعلموا " تجار مكة أن يضعوا ثقتهم فيكم ، وقد وثقوا في كلامنا ونفذوه "[٦١١] ، وانه سوف

---

[٦٠٦] – الفرق : وحدة وزن تساوي ثلاثة قناطير ونصف .

[٦٠٧] – عبدالرحمن الجبرتي : عجائب الاثار ، تحقيق : عبد العزيز جمال الدين ، جـ٤ ، ص ٢٣٣ .

[٦٠٨] – عبدالرحمن الجبرتي: مظاهر التقديس ، ص ١٢٩ .

[٦٠٩] – نفس المرجع : ص ١٢٩.

[٦١٠] – نفس المرجع : ص ١٢٩ .

[٦١١] – عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الاثار ، تحقيق : عبدالعزيز جمال الـدين، ملحـق رقـم ٩ ، جـــ ٤ ، ص ٤٣٣

يصل إلى القصير مراكب تجارية ، مؤكدا أن مصر ستشهد وصول الكثير من تلك المراكب التجارية .

أن السبب الأساسي في ارسال الشريف غالب تلك الرسائل الى الفرنسيين ، هو ضمان استمرار تدفق التجارة إلى مصر، خاصة وأن الشريف كان يدرك ايضا " حقيقة ضعفه الاقتصادي، ويعمل على أن يستمر نشاطة التجاري المحدود بين موانئ البحر الأحمر "[٦١٢] . خاصة ان الأشرف يحتاجون الأموال لمجابهة الاخطار الناجمة عن إجتياح الوهابيين للمناطق التي تحت حكمهم.

كما أن قيام الفرنسيين بتسهيل تجارة الأشراف في البن في مصر ، لا يستبعد أن يكون ناتجاً عن رغبة فرنسا في الاستفادة من هذه السلعة النقدية العالمية .

لقد كان البن اليمني الذي في موانئ جدة ، وينبع ، ينقل إلى موانئ مصر على البحر الاحمر، وكان هو السلعة الوحيدة التي يتم استيرادها الى مصر عبر ميناء القصير ، والذي كان ينقص فيه " سعر قنطار البن القادم من جدة بمقدار قرشين عن سعر مثيله القادم من ينبع ، ولكن يعوض الانخفاض في السعر برسم يبلغ ٣٠٠ مديني يحصل لحساب شريف مكة "[٦١٣] .

لم يطل أمد الاستفادة من العلاقات التجارية بين الاشراف في مكة ، و الفرنسيين في مصر ، إذ أنه بمجرد طرد الفرنسيين من مصر عام(١٢١٦هـ/١٨٠١م) . تولى الحكم فيها محمد علي باشا ، الذي وجه قواته للقضاء على الحركة الوهابية المتمردة ضد السلطان العثماني .وقد تمكنت تلك القوات من السيطرة على الحجاز، ووضعتها تحت السيطرة الفعلية لقوات محمد علي ، والسيطرة الاسمية للسلطان العثماني .و قبضت على الشريف غالب بن مساعد وارسلته إلى مصر، حيث تمت مصادرة ممتلكاته بما في ذلك البن ، ففي شهر جمادى الاولى من عام (١٢٢٩هـ/١٨١٤م) وصلت قافلة فيها " بضايع تجارة بن و أقمشة و بياض شيئ كثير ، وقد أتت إلى جده من تجارات الشريف غالب ، ولم يبلغهم خبر ما حصل له ، فلما حضروا وضع الباشا يدة علية جميعه وارسله الى مصر فتولى ذلك السيد محمد المحروقي وباعها على التجار بالثمن

---

[٦١٢] — د. سيد مصطفى سالم : نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية ، ص ٦٩

[٦١٣] — جيرار :وصف مصر ، ترجمة : زهير الشايب ، ص ٣٠٠

الذي قدره عليهم والزمهم أن لا يدفعوه إلا فرانسة "[٦١٤] . وقد قدر بعض المؤرخين أن مقدار ما تم مصادرته من ممتلكات الشريف غالب يعادل " ٢٥٠ الف جنيه استرليني "[٦١٥].

رابعاً : دور المغاربة :

بالرغم من ان المسافة بين اليمن و بلاد المغرب كبيرة جدا، إلا أن التجار المغاربة ساهموا في تجارة البن بشكل او باخر .

وكان التجار المغاربة يحصلون على البن إما من موانئ و اسواق الحجاز ، حيث كانوا ينقلون البن من هناك بعد إنقضاء موسم الحج أو في مواسم تجارة ، أو يحصلون عليه من اليمن مباشرة ، وذلك لأن نسبة الظرائب في الاسواق و الموانئ اليمنية ، أقل من تلك المطلوبة في الحجاز . و عندما وصل نيبور الى اليمن وجد تجارا مغاربة كانوا يشترون البن من أسواق اليمن ، فقد وجد في تلك الأسواق تجارا من " بلاد البربر ، و فاس ، ومراكش "[٦١٦] .

إن الدور الأهم الذي لعبه التجار المغاربة في تجارة البن ، كان عبر مصر . فقد كان يسكن مصر الكثير من التجار المغاربة . و وثائق محكمة القسمة العسكرية ، زاخرة باسماء التجار المغاربة الذين عاشوا في مصر وعملوا في تجارة البن " حتى أن العديد من التجار الذين هم من أصل مغربي كانوا شيوخا لتجارة البن ، مثل قاسم الشرايبي ، واحمد بن عبد السلام "[٦١٧] . وقد برزت العديد من الاسر المغربية الاخرى في تجارة البن ، مثل " اسر السقاط ، ذات الشهرة الواسعة في تجارة البن والاقمشة "[٦١٨] . واسرة حماد الفيومي ، المغربية الاصل ، والمشهورة بتجارة البن ، والتاجر علي بن جاد الله ، وعبدالله الدقاق التاجرين في البن ببولاق ، ومن أعيان تجار البن في القاهرة " التاجر محمد بن مسعود المغربي التونسي "[٦١٩] ، والتاجر علي حسن الشهير بالشويح ، والتاجر أحمد عزبان ، الشهير بالصريفي ، والتاجر عثمان بن عبدالله ، والتاجر " حميد

---

[٦١٤] – عبدالرحمن الجبرتي :عجائب الاثار ، تحقيق : عبد العزيز جمال الدين ، جـ ٥ ، ص١١٢٤

[٦١٥] – فاسلييف : تارخ العربية السعودية ، ترجمة :خيري الضامن و جلال المشاط، ص ١٧٥

[٦١٦] — احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٦٦

[٦١٧] — اندريه ريمون : المدن العربية الكبرى ، ترجمة : لطيف فرج ، ص ٧٨

[٦١٨] – عبد الرحيم عبدالرحمن :فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي ، ص ١٦٦

[٦١٩] – سجلات محكمة القسمة العسكريه : سحل ٩٨ ، مادة ١٦٣ ، ص ٨٨٤

بن صالح بن ايوب المغربي، الذي كان من اعيان التجار بسوق البن بخط القفاصين القريب من الجامع الازهر "[٦٢٠] .

وقد تطور عمل التجار المغاربة في تجارة البن ، فتشكلت العديد من الشركات التجارية للعمل في هذا المجال . وقد تكونت هذه الشركات باشكال متعددة ، منها ماكان يشكل ضمن الاسرة الواحدة مثل اسر ة الشرايبي. ومنه ما كان يشكل من تجار من اسر مختلفة ، مثل الشركه التي اسسها أحمد بن عبد السلام ، والتي كان لها فروع في الحجاز واليمن ، وكان " يسافر إلى الحجاز كل سنة "[٦٢١] ، وكان له أخ من ابيه ، عرف بالعرايشي ، كان مستقرا بالحجاز " وهو من اكابر التجار ووكلائهم المشهورين و ذو ثروة عظيمة "[٦٢٢] ، وقد شارك هذا التاجر محمد المحروقي الذي عمل على أستمرار هذه الشركة ، " وشارك بعض التجار في تجارة البن "[٦٢٣] . أما التاجر المغربي الخواجا محمد محرم ، فقد كانت له شهرة واسعة في تاسيس شركات البن ، فقد اسس شركات مع كلٍ من " تابعه علي عيسى ، والحاج خليل اغا الازميرلي ، واسماعيل زيد "[٦٢٤] .

تعد اسرة محمد الدادة الشرايبي المغربية ، ابرز اسره تجارية عملت في تجارة البن ، في مصر . و قد برز في تجارة البن العديد من اعضائها، و قد توارث العمل في تجارة البن عدة اجيال من أبنائها ، وكانت هذه الاسرة تمتلك في عهد محمد الدادة الشرايبي ، المتوفى عام (١١٧٣هـ / ١٧٥٩ م)" ثلاث مراكب في بحر القلزم "[٦٢٥] – أي البحر الاحمر – . وقد ذكر الجبرتي أيضا أن هذه الاسرة استطاعت تكوين ثروة كبيرة، بدأت براس مال صغير، مقداره ٩٠ كيسا فقط عام (١١١١ هـ /١٦٩٩م) وعند وفاة محمد الدادة عام ١١٧٣هـ/،١٧٥٩م) اصبحت ٤٨٠ كيسا وزعها على الورثة. وقد استمرت الاسرة تعمل في تجارة البن في عهد ابنائه، ومنهم احمد بن محمد الدادة الشرايبي ، و الذي ترجمه الجبرتي بقوله " أنه كان من أعيان التجار المشتهرين كاسلافه "[٦٢٦] وأضاف الجبرتي أن أعضاء هذة الاسرة في"

---

[٦٢٠] عبدالرحيم عبدالرحمن : المرجع السابق ، ص ١٦٧- ١٦٨

[٦٢١] – عبدالرحمن الجبرتي :عجائب الاثار ، تحقيق : عبد العزيز جمال الدين ، جـ ٣ ، ص٤٩٩

[٦٢٢] – نفس المرجع ، ص ٤٩٩

[٦٢٣] – عبد الرحيم عبد الرحمن :فصول من تاريخ مصر الاقتصادي ولاجتماعي، ص١٧١

[٦٢٤]– نفس المرجع ، ص ١٧١

[٦٢٥]– عبدالرحمن الجبرتي : عجائب الاثار ، جـ ١ ، ص ٣٠٤

[٦٢٦]– نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ١١٥

غاية الرفاهية و النظام ومكارم الاخلاق"[٦٢٧] . ومن أبناء هذه الاسرة كـان قاسم الشرايبي هو أهم هؤلاء التجار جميعا، ويراس اسرة قوية ، وحين تـوفي عـام (١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م) " ترك ثروة ضخمة ، تقرب من ٥٠ مليون بارة "[٦٢٨] وقد ترجمه الجبرتي بقوله " من بيت المجد و السيادة و الإمارة والتجارة "[٦٢٩] .

ولم يقتصر دور المغاربة على القيام بالانشطة التجارية المتصلة بالبن بين موانئ اليمن والحجاز ومصر، ولكنهم كانوا يمثلون همزة وصل بين تلك الموانئ ، وبين بلادهم الاصلية ، فقد أصبحوا " أداة من ادوات الوصل التجاري بين القاهرة و المدن المغربية الرئيسية تونس، الجزائر، طـرابلس، فاس، مراكش"[٦٣٠] فكانوا يجلبون البضائع التي تشتهر بها مناطقهم الاصلية ، لتباع في مصـر ، ويرسلون البن ، والمنتجات الاخرى كالاقمشة القطنية والحريرية ، والتوابل الى المغرب .

وكان البن ينقل إلى المغرب عبر ميناء الاسكندرية ، وذلك على مـتن السـفن العربيـة ، والتركية ، و اليونانية ، وقد قدرت كمية البن التي ترسل عبر هذا الميناء إلى كلٍ مـن تـونس، والجزائر ب٩٠٠٠ كيلوجرام .

وقد جد الفرنسيون عام ١٧٩٨م انه كان يصل البن الى بلاد المغرب من مصر عبر الطرق البرية والبحرية ، فقد كان يصل إلى تونس على سبيل المثال " من ٢٠ الى ٥٠ فردا – بالـه – تزن ٢٨٠ كجم من البن"[٦٣١] ، وتأتي الجزائر في المرتبة الثانية ، ثم مراكش .

خامساً : دور عمان

لعب العمانيون دوراً مهماً للغاية في تجارة البن اليمني ، فقد ساهموا في نقل وتجارة البن بين موانئ البحر الاحمر و الخليج العربي و المحيط الهندي. وإلى جانب موقع عمان عند مدخل الخليج ، كان لإمتلاك عمان أسطول بحري قوي ، وبحارة ذي خبرة كبيرة بشؤون الملاحة ، دوراً كـبيراً في ازدهار تجارة البن على أيديهم .وبالرغم من ذلك الا أن علاقتهم باليمن لم تكن جيـدة علـى الدوام ، وذلك بسبب مطاردهم للسفن الأوربية والهندية التي كانت تتاجر في المحـيط الهنـدي والبحر الاحمر والخليج العربي ، مما أدي الى حدوث إضطراب في تجارة المنطقة ، وهو مـا أثـر

[٦٢٧] – عبدالرحمن الجبرتي : عجائب الاثار ، تحقيق : عبد العزيز جمال الدين ، جـ ٢ ، ص١١٦.

[٦٢٨] – اندريه ريمون : المدن العربية الكبرى ، ترجمة : لطيف فرج ، ص ١١٦.

[٦٢٩] – عبدالرحمن الجبرتي : عجائب الاثار ، تحقيق : عبد العزيز جمال الدين ،جـ١ ،ص ٧٢ .

[٦٣٠] – سليمان حسانين : تجار القاهرة ، ص ٢١٩.

[٦٣١] – جيرار : وصف مصر ،ترجمة : زهير الشايب ، ص ٢٨٢ .

بالطبع على الاقتصاد اليمني ، وهذا بدوره سبب تأزم العلاقات بين اليمن وعمان . ولعل هـذا هو السبب الذي دفع بعض المؤرخين اليمنيين لتتبع ورصد تحركات العمانيين علـى السـواحل اليمنية . فلقدكان يحيى بن الحسين ، وهو مؤرخ الدولة القاسمية ، يتتبع تحركات العمانيين في مياه المحيط الهندي و البحر الاحمر ، حتى انه يكاد يذكرهم سنويا ، ويرصد النتـائج المترتبـه علـى تحركاتهم تلك . واثر تلك التحركات على تجارة البن خاصة مع السفن الأوربية والهندية ، الـتي كانت تحمـل الـبن الى المـوانئ المختلفـة . علـى سـبيل المثـال فقـد ذكـر في عـام (١٠٧٩هـ / ١٦٦٨ م) ان اربع سفن عمانية وصلت سواحل عدن و المخا ، وسدوا بـاب المخا " وانتهبوا من بابه ثلاث جلاب كانت واصلة للفرنج من باب فرضة المخا ، وقتلو منـهم جماعة ،و انتهبوا الذي معهم وساقوهم الى بلادهم "[٦٣٢] . وقد حاول اليمنيون صـد هجـوم العمانيين ، وقاموا بتجهيز فرقة عسكرية من الجنود المتواجدين في المناطق القريبة من السواحل ، كما ارسل الامام المتوكل على الله اسماعيل ابنه على لنجدة حاكم المخا ، ولكن عندما وصـلت هذه النجدة ، كان العمانيون قد غادروا المخا . وقد علق يحيى بن الحسين علـى ذلـك ، بـان العمانيين لم يقصدوا إلا " الفرنج لما بينهم من الحروب فيما مضى " ، ثم أضـاف الى ذلـك ان العمانيين " رجعوا بعدما محقوا[٦٣٣] في البحر ،ونهبوا و ضعف موسم هذه السـنة بالمخـا لهـذا الحادث ، ولما حصل باليمن في القحط في جميع الجهات"[٦٣٤] .

وقد تكررت الهجمات التي قام بها العمانيون ضد السفن الاجنبية، ومما زاد حدة الصراع بين العمانيين وغيرهم ، وهو وجود الكثير من القوى و القبائل المتناحرة في منطقة الخلـيج . ممـا جعل هذه المنطقة غير مستقرة بشكل دائم .

ومع بروز البن كسلعة تجارية ذات مردودات مالية كبيرة حاول العمانيون استرضاء الائمة في اليمن ، واثبات حسن نواياهم ، وذلك لكي يستفيدوا من العمـل في تجارتهـا . ففـي عـام (١٠٨١ هـ/١٦٧١م) وصل من السلطان العماني الى المخا رصاص " قدر الفي رطل معونـة لحرب الفرنج ، اذا خرج احد منهم الى السواحل " و قد علل يحيى بن الحسين ذلك " لأنهـم –

[٦٣٢] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ١، ص٥١٠ .

[٦٣٣] – محقوا : أي تسببوا في ارباك حركة السفن في البحر مما سبب ضرراً كبيراً للتجارة .

[٦٣٤] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير، جـ١ ، ص ٥١٠.

أي الفرنج – خصومه _ أي السلطان العماني _ وكثير ما جرى بينه و بينهم مـــن الحـــروب "[٦٣٥].

إن دخول العمانيين ميدان التجارة ، جعلهم يسعون لتحسين علاقتهم مع القوى الاوربيـــة التي كانت متواجدة في المنطقة، فقد عقدوا في عام ١٠٨٣هـــ صلح مع تلك القوى . وقد ذكر يحيى بن الحسين بان نبأ الصلح بين العمانيين ،و الفرنج قد جاء مع تجـــار عمـــان ، الاحســـاء ، والبصرة ، الذين جاءوا إلى اليمن ، وانهم قالوا بان سبب عقد الصلح مع الفـــرنج " لاجـــل ان صاحب عمان قد ولع بالتجارة و الأسباب، وأن كثرة الخارج من البحر "[٦٣٦] ، وبعد ان كانت السفن الأوروبية تخاف من العمانيين ، أصبحوا يراقبون السفن العمانية ، ويطاردونها ، مما اضطر العمانيين لعقد الصلح معهم .

عموما لم يدم الهدوء طويلا بين العمانيين والأوربيين وذلك لكثـــرة القـــوى المتصـــارعة المتواجدة في المنطقة ، فإلى جانب العمانيين، والأوروبيين ، كان يوجد الفرس والعثمانيين والهنود والقبائل العربية القوية ، والتي بدأت تشكل قوى بحرية صاعدة ، وتبحث لها عن موطى قدم على الخليج . إن تصارع جميع هذه القوى قد اثر بدون شك على تجارة البن في هذه المنطقة ، بســـبب أعمال القراصنة الذين كانوا يقومون باختطاف السفن التي تحمل البن ، ومصادرة حمولاتها.

وقد حاول بعض حكام اليمن توضيح النتائج المترتبة على مطاردة السفن العمانية للســـفن الاوروبية و الهندية ، على الاقتصاد اليمني، فقد ارسل الامام المهدي ، صاحب المواهب محمد بن احمد بن الحسن ، رسالة إلى حاكم عمان ، عام (١٠٩٠هـــ / ١٦٧٩م)، يعاتبه عما يحدث من ملاحقة العمانيين للسفن . وذكر فيها " وأن كل من قد وصل الى سواحل البنادر اليمانيـــة مـــن مسلم او كافر من الفرنج قد صار في امانه ، وانه ان لم يترك افعاله قصده وناجزه "[٦٣٧] .

أما على صعيد مساهمة العمانيين في تجارة البن ، فقد كانت فاعلة إلى حـــدا كـــبير ، وان كانت تمر أحيانا بأزمـــات معينـــة ، لســـبب أو لأخـــر . علـــى ســـبيل المثـــال ، في عـــام (١٠٨٩هـــ/١٦٧٨م) كان السلطان العماني ، سلطان بن سيف اليعربي ، يعتقـــد أن شـــرب القهوة حرام ، لذلك ارسل إلى إمام اليمن اعتراض في هيئة سؤال ذكر فيه " أن القهوة لاينبغـــي أستعمالها ، وأنها حرام عنده ، محتجا أن فيها شبهة بالادارة باعمال الخمر ، وانها مســـكرة ، وان

---

[٦٣٥] – نفس المرجع : جـــ ٢ ، ص ٢٤٧.

[٦٣٦] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق امة الغفور الامير ،جـــ ٢ ، ص ٢٤٧.

[٦٣٧] – نفس المرجع ، جـــ ٢ : ص ٥٢٢

بعض الشافعية حال خروجها أفتى بتحريمها ، وهذا محصول اعترضه "[٦٣٨] . و علق يحـيى بـن الحسين، بان إعتراض السلطان باطل، و سؤاله عاطل ، خالف فيه اجماع العلماء من أهل السنة ، وأن القول بالتحريم من الجهل الذي لا يخفى . و قد سبب ذلك التحريم قطع الطرق البحرية إلى اليمن ، ونهب الاموال، مما أدى إلى ضياع اموال كثيرة على " تجار بلاد الحساء و بلاد العجم و الهند ، وغيرها ، بحيث انه قطع مسيرة البن الى تلك الجهات هذه السنة و التي بعدها ولم يخـرج فيها من بلاد العجم والحسا أحد بسببه ، وقطع الطريق أعظم شيء في التحريم "[٦٣٩] . هذا كان واحد من الأسباب التى أزمت العلاقة بين اليمن وعمان ، وهناك العديد من الاسباب الاخـرى، التي سبق توضيحها .

وبعد ان ادرك العمانيون ان تجارة البن تدر ارباحا عاليـة ، سـعوا للمشـاركة فيهـا، والاستفادة من أرباحها.

وقد تمكن العمانيون من بناء اسطول بحري قوي ، كان هذا الاسطول مكون من عدد كبير من السفن التجارية ، والعسكرية ، و قد بلغ عدد سفن هذا الاسطول عـام ١٧٦٥م حـوالى خمسين سفينة ، من مختلف الأحجام ، وكانت هذه السفن قوية و متينة . استخدم الأسطول لنقل البن بين الموانئ المختلفة ، و قد اشار نيبور إلى ان كثيراً من العمانيين " اصبح يعيش على نقل البن من اليمن الى موانئ الخليج"[٦٤٠] . ولم يقتصر عمل السفن العمانية على نقل البـن إلى مـوانئ الخليج فحسب ، ولكن كانت تقوم بنقل البن الى ميناء جدة ، فقد كانت السفينة التي اقلت بعثة نيبور من جدة الى اليمن ، هي سفينة عمانية ، خاصة بنقل البن ، وليس المسافرين " وقد وصلت جدة بحمولة من حبوب البن ، جاءت من المخا باليمن السعيد ، وهي راجعة الان لتحصل علـى حمولة جديدة تعود بها هذه المرة الى موطنها مسقط "[٦٤١] . وقد نقل العمانيون كميات كبيرة من البن من المخا إلى ميناء البصرة و الموانئ الفارسية .

لم يقتصر دور العمانيين على عملية نقل البن الى الموانئ المختلفة ، ولكنهم شـاركوا في تجارتـة بأنفسهم ، فقد كان العديد منهم ، يتوجه الى مناطق زراعة البن، من أجل شراء البن من المزارعين

---

[٦٣٨] – نفس المرجع : ص٥٠١ – ٥٠٢

[٦٣٩] — يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق امة الغفور الامير ، جـ٢ ،ص٥٠١ – ٥٠٢

[٦٤٠] – احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٨١

[٦٤١] – توركيل هانسن : من كوبنهاجن إلى صنعاء ، ترجمة : محمد الرعدي ، ص ٢٠٧

مباشرة. كما عملوا سماسرة لتجارة البن ، حيث كانوا يقومون بشراء البن من المزارعين ثم يبيعونه للتجار الاوربيين ، وغيرهم .

كما ساهمت العديد من الموانئ العمانية في تجارة البن، خاصة مينائي مسقط و صور. فقد " أصبح ميناء مسقط فعلا محور اللتجارة عبر الساحل العربي للمحيط الهندي ، وتجمعت هناك المنتجات المحملة من اليمن ومن شرق افريقيا ، وكانت ترسل بعدها إلى الحسا و البحرين و قطر والبصرة "[٦٤٢] . وقد ساعد إنتقال الوكالة الانجليزية من بندر عباس سنة (١١٧٧هـ / ١٧٦٣م) إلى مسقط على ازدهارها ، كما ان نسبه الضرائب المعتدلة والتي كان تساوي ستة و نصف في المائة من ثمن التكلفة ، ساعدت ايضا على ذلك الازدهار، و هذا جعل ميناء مسقط ، اهم موانئ التجارة العمانية ، الداخلية و الخارجية . ولقد كان البن من ضمن السلع التي ترد الى ذلك الميناء . والذي كان ينقله التجار العمانيون إلى هناك .

اما الميناء الاخر الذي لعب دورا هاما في تجارة البن فهو ميناء صور، والذي كان ينطلق منه رحلة سنوية " لتجارة البن من اليمن إلى العراق التركي عبر طريق مسقط بين الخليج و الهند والبحر الأحمر "[٦٤٣].

سادساً : دور البصرة

لعب ميناء البصرة دورا مميزا في تجارة البن فقد كان هذا الميناء يستقبل أعداداً كبيرة من السفن العمانية التى تحمل البن . وذلك في الرحلة السنوية التي كانت تنطلق ، من ميناء صور العماني.

وكان وصول السفن التي تحمل البن إلى البصرة ، حدثا مهما جدا ، كان التجار ينتظرونه بفارغ الصبر، وفي دار المحفوظات العامة بلندن ، رسالة ترجع الى عام (١١٣٤هـ /١٧٢١م) يقول فيها مرسلها انه : " قد وصل اسطول البن المكون من بضع عشر سفينة إلى البصرة بامان "[٦٤٤] .

---

[٦٤٢] – بن سلوت : عرب الخليج ، ترجمة : عايدة خوري ، ص١٩٦

[٦٤٣] – لوريمر : دليل الخليج ،ترجمة : مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر جـ٢ ، ص ٦٥٢

[٦٤٤] – نقولا زيادة : الطرق التجارية في العصور الوسطى ، مجلة تاريخ العرب و العالم ، ص ٢٥

كما كان العمانيون ينقلون ما مقداره " ٢٠.٠٠٠ بالة بن الى البصرة "[٦٤٥] . ولم يكـن الـبن يصل إلى البصرة عن طريق العمانيون فحسب ، ولكن كان تجار البصرة ياتون إلى اليمن لشـراء البن منها مباشرة . إلا أن أعمال القرصنة ومطاردة السفن في مياة الخليج العربي ،و المحيط الهندي ، والبحر الأحمر من قبل العمانيين ، كانت تقطع " طريق البصرة وتجارتها مـع بـلاد الهنـد و اليمن "[٦٤٦].

حاول البريطانيون الاستفادة من موقع ميناء البصرة ، في نقل البريد بين حكومـة الهنـد البريطانية و لندن ، وذلك لقرب هذا الطريق ، بالمقارنة مع طريق راس الرجاء الصالح . وقـد أدى ذلك إلى زيادة الاهتمام البريطاني بهذا الميناء ، و تحوله فيما بعد إلى ميناء تجاري هام . وابتدأ من (١٠٤٠هـ/ ١٦٤٠م) بدأت العمليات التجارية الانجليزية في البصـرة [٦٤٧] . وعنـدما فشلت شركة الهند الشرقية البريطانية في تحقيق فائدة كبيرة من تجارة البن في المخا ، قررت التخلي عن مقرها هناك ، و " الحصول على البن من البصرة "[٦٤٨] وذلك في عام١٦٦٠.

ولما كان هدف بريطانيا من التجارة مع بلدان الشرق ، هو الحصول على الأموال اللأزمة لشراء التوابل من الهند ، فقد بذلت جهودا كبيرة من أجل الحصول على تلك الامـوال ، عـن طريق العمل ضمن شبكة الموانئ الشرقية ، فقامت عام ١٦٦٠م بـرحلات دائريـة ، في تلـك الموانئ، فقد أرسلت بريطانيا السفينة دارجوان من انجلترا الى سقطرا حيث " انزلت جانبـا مـن حمولتها في المخا ، وحملت بدلها البن و اللادن ، حيث يتم تفريغها في الخلـيج و بنـدر عبـاس والبصرة ، وتعود مرة اخرى إلى بندر عباس ، ثم تبحر إلى سـورات بعـد أن تحمـل البضـائع الايرانية "[٦٤٩] ، وبذلك تحصل بريطانيا على الأموال .

وكان البن من بين السلع الهامة التي تصل إلى ميناء البصرة ، كما كان من بين المواد الـتي " تفرض عليها رسوم باهظة "[٦٥٠] ، وذلك عند إعادة تصديره .

---

[٦٤٥] – فاضل محمد جابر : عمان في عهد الامام احمد بن سعيد ، ص ١٢١

[٦٤٦] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير جـ ٢ ، ص ٥٠١– ٥٠٢ .

[٦٤٧] — سلوت : عرب الخليج ، ترجمة : عايدة خوري ، ص ١٥٣

[٦٤٨] – اريك ماكرو : اليمن و الغرب ، ترجمة : حسين العمري ، ص ٢٩

[٦٤٩] – لوريمر : دليل الخليج ، جـ ٤ ، ص ١١٧

[٦٥٠] – نفس المرجع : حـ ٤ ، ص ١٩٨٧

ولعبت هذه المدينة دورا هاما في نقل البن إلى بلاد الشام ، ومنها إلى الدولة العثمانية، فقد كان " اقتصاد البصرة يعتمد على تجارة القوافل إلى حلب "[٦٥١] . و كان البن من ضمن الحمولات التي تنقل إلى " حلب ، ومن هناك الى استنبول "[٦٥٢] .

إن وقوع البصرة بالقرب من فارس ، و بعض القبائل ، التي كانت في حروب مستمرة فيما بينها ، جعلها هدفا لتلك القوى المتصارعة من أجل الاستفادة من تجارتها المزدهرة ، وقد " اثر ذلك في مجرى الاعمال التجارية و الاقتصادية في المدينة "[٦٥٣] كما ان ازدهار تجارة البصرة قد اثار حسد حكام فارس ، خاصة كريم خان الذي " رغب ان يكون هذا الازدهار من نصيب الموانئ الأيرانية على الخليج ، فرى في احتلاله للبصرة خير وسيلة لضرب تجارة المدينة و القضاء على منافستها للموانئ الأيرانية "[٦٥٤] .

و لقد كان البن الواصل إلى البصرة يُنقل في أتجاهين ، أحدهما عبر الطريق البحري ، إلى الموانئ الهندية و الفارسية ، مثل مينا بندر عباس ، بو شهر ، و سورات . و الطريق الاخر هو الطريق الصحراوي ، الذي" يعرف بطريق البصرة – حلب الصحراوي ، أو طريق القوافل التجارية الصحراوي الكبير (the great desert caravan rout) أو طريق الفرات الصحراوي "[٦٥٥] ، ومما لا شك فيه أن البن كان جزءاً من حمولات القوافل التي كانت تسير في هذا الطريق .

سابعاً : دور تجار الاحساء :

كان تجار الاحساء يأتون إلى اليمن بشكل دوري من أجل ممارسة التجارة معها ، فقد كانوا يجلبون بضائعهم ، والتي كانت تشمل بدرجة اساسية الأعبي الحساوية[٦٥٦]، واللؤلؤ ، لكي تُباع في اليمن ، ومن ثم يشترون البن بدلا عنه . وقد تكرر ذكر مجيئهم الى اليمن عند يحيى بن الحسين، فقد ذكر في عام (١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩) انه " في هذه السنة خرج تجار الحساء من بندرهم البحرين المعروف بالقطيف إلى البحر الفارسي وخرجوا إلى عدن بالاعبي الحساوية و اللؤلؤ عوضا

[٦٥١] – بن سلوت : عرب الخليج ، ترجمة : عايدة خوري ، ص ٦٩

[٦٥٢] – محمد الارناووط : بداية انتشار القهوة و المقاهي في بلاد الشام الجنوبية ، ص ٣٣

[٦٥٣] – عبد الامير محمد امين : القوى البحرية في الخليج ، ص ٥١

[٦٥٤] – نفس المرجع : ص ٦٢

[٦٥٥] – فلاح عبد الحسين واخرين : طريق بصرة – حلب للقوافل التجارية ، مجلة دراسات الخليج ، ص ٥٥

[٦٥٦] – الاعبى : جمع عباية ، وهي نوع من الملابس ، وكانت هذه الملابس مشهورة في تلك الفترة .

عما فاقم من البيع بمكة لقطع الطريق ... فباعوها باليمن و صنعاء ، وتعوضوا من البن الصافي وعادوا الى بلادهم البحرين من عدن "[٦٥٧] . كما ذكر يحيى بن الحسين وصولهم إلى اليمن لنفس الغرض ، وهو بيع الاعبي الحساوية ، وشراء البن في عام (١٠٨١ هـ/١٦٧١م) و(١٠٨٥ هـ/١٦٧٤م) .

ثامناً : دور الاتراك العثمانيين

كانت الدولة العثمانية من أكثر البلدان تأثرا من إكتشاف طريق راس الجاء الصالح ، وتحول طريق التجارة الدولية إليه ، فقد حرمها ذلك من عائداتها المادية التي كانت تحصل عليها من جراء تجارة التوابل التي كانت تمر عبر المناطق التي تسيطر عليها. ومما زاد من تفاقم الوضع ، قيام البرتغاليين بمهاجمة السفن الإسلامية في مياة المحيط الهندي و محاولاتها المتكررة للوصول إلى الاماكن المقدسة و تدميرها. لذلك سعت الدولة العثمانية لوضع حد لهجوم البرتغاليين على المنطقة ومحاولة استعادة التجارة عبر الطريق القديم .

ولما لم تتمكن الدولة العثمانية من القضاء على البرتغاليين في الهند و مياة المحيط الهندي، أكتفت بالسيطرة على اليمن ، وإغلاق المنافذ البحرية المؤدية إلى الأماكن المقدسة ، وتحويل البحر الأحمر إلى بحيرة اسلامية . كما سعت الى الاستفادة من الأمكانيات المادية والبشرية الموجودة في المنطقة لتوفير الاموال اللأزمة من أجل حماية المنطقة من التهديدات الأجنبية.

أصبحت اليمن ولاية عثمانية منذ بداية القرن السادس عشر ، وقد سعت الدولة العثمانية إلى استغلال مواردها لاقتصادية ، من أجل اولا توفير الاموال اللأزمة لصد قوات المقاومة من القوى اليمنية الداخلية ، ثانيا من أجل حماية المناطق الساحلية من هجمات البرتغاليين المتكررة عليها .

مثل البن المصدر الأهم من مصادر الادارة العثمانية في اليمن ، لذلك عمل الولاة العثمانيون على تشجيع زراعة وتجارة البن في اليمن .

كان البن قد وصل إلى الدولة العثمانية ، في حوالى منتصف القرن السادس عشر ، وقد وصل إليها عبر بلاد الشام ، حيث انتقل إلى " حلب ومنها إلى استنبول "[٦٥٨] . وقد تم إفتتاح

---

[٦٥٧] – يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ،جـ١ ، ص ٣٧١

[٦٥٨] – محمد الارناؤوط : بداية انتشار القهوة و المقاهي ، ص٣٣

أول مقهى في استنبول عـــام (٩٦٢هــــ / ١٥٥٥م)، علـــى يـــد شخصـــين مـــن بـــلاد الشام ، واحد من حلب ،والاخر من دمشق .

وقد واجه إنتشار القهوة في عاصمة الدولة العثمانية بعض الصعوبات ، مما ادى إلى أصدار فرمانات سلطانية لمنع شرب القهوة ، و إغلاق محالها ، وقد سبق ذكر تلك الصعوبات في الفصل الاول. ولم يدم الأمر طويلا فقد ادى تمسك الناس بعادة شرب القهوة ، إلى فرض الامر الواقع مما أدى إلى انتشار المقاهي بسرعة في الدولة العثمانية. ومن هناك إلى بقية الدول الأوروبية .

وقد تعرف الأوربيون على البن عن طريق الدولة العثمانية ، وذلك عندما هاجم الجـــيش العثماني فينا ، وعندما هزم الجيش العثماني ، تقهقر إلى الخلف ، تاركا وراءه كميات من حبوب البن ، غنمها الجيش النمساوي، وقد قام أحد الجنود العثمانيين الاسرى ، بتعليم النمساويين كيف يحضرون القهوة، وقد تذوقوا البن ، وأعجبوا به[٦٥٩] .

كانت الادارة العثمانية تحصل على الاموال من العشور التي فرضتها على مزارعي الـــبن ، وكذلك من الرسوم الجمركية التي فرضتها على تجار البن. وكان مزارعي البن يتعرضون أحيانـــا للأبتزاز من قبل الولاه العثمانيين الذين كانوا يفرضون عليهم مبالغ مالية كبيرة . فقد كان الولاة العثمانيون يحاسبون ملاك الاراضي المزروعة بالبن على أساس مساحة الارض الـــتي يمتلكوهـــا ، وليس على أساس كمية المحصول الذي كان يتم جمعة من تلك الاراضي كل عام ، مما كان يلحق ابلغ الضرر بالمزارعين ، وقد سبق ذكر قصة الوالي العثماني جعفر باشا مع اهل جبل صبر في هذا الشأن في الفصل الثاني .

وقد سعى الولاة العثمانيون للاستفادة من تجارة البن، وذلك من أجل الحصول على ثروات مالية كبيرة ، وذلك خلال وقت قياسي ، حتى ان الهولنديين الذين وصلوا الى الـــيمن في مطلـــع القرن السابع عشر ، قد علقوا على ذلك ، بان الوالي العثماني يصل إلى اليمن فقيرا ، ويغادرهـــا غنيا، وليس أدل على ذلك من حجم الثروة التي نقلها جعفر باشا معه بعد انقضاء فترة ولايته في اليمن ، عام ١٦١٦ م . ففي رسالة بعث بها احد التجار الهولنديين في حلب إلى إدارة شركة الهند الشرقية الهولندية في الهند ، ذكر فيها مدى ثراء جعفر باشا، اثناء رحلة عودته إلى القسطنطينية ، مارا بحلب ، فقد ذكر هذا التاجر بان جعفر باشا جلب معه " مائه وثلاثين جملا محملة بثراء وافر، بكمية كبيرة من الذهب و البضائع الثمينة "[٦٦٠] . وقد صحب جعفر باشا معه في رحلة العودة

---

[٦٥٩] – نقولا زيادة : الطرق التجارية في العصور الوسطى ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، ص ٢٤

[٦٦٠] – براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص ١١١

الى القسطنطينية اثنين من رجاله " كانا قد اقاما في المخا كحاكمين "[٦٦١]. لقد تمكن جعفرباشا من تكوين هذه الثروة من خلال حكمه لليمن لمدة طويلة التي ناهزت عشر سنوات . حيث كان يحكم اليمن حكما مطلقا ، نظرا لبعد اليمن عن مركزالدولة في القسطنطينية .

ولم يتوقف استغلال العثمانيين للبن عن طريق فرض الرسوم الجمركية على تجارته ، و أخذ العشور من المزارعين فحسب ، ولكنهم كانوا يتاجرون به ايضا ، فقد وجدت علاقات تجارية بين الوالي العثماني على اليمن فضل الله باشا ، والتاجر اسماعيل ابو طاقية ، الذي كان مقرة في مصر، والذي " ربما كان يعاونه علي تصريف البن و التوابل في المراكز التجارية التي كان له فيها وكلا، وموظفون يرعون تجارته "[٦٦٢] .

ازدهر ميناء المخا اثناء وجود الادارة العثمانية في اليمن ، فقد كان يوجد في المينا حركة تجارية واقتصادية نشطة . حيث كان يتوافد إليه اعدداً كبيراً من التجار ، وخاصة الهنود والاوروبيين ، وذلك لان الدولة العثمانية منعت الابحار شمال المخا خوفا على الاراضي المقدسة ، وقد بلغ حجم التجارة في المخا أربعة اضعاف تلك التي في جده ، ويرجع السبب في ذلك انة يجوز للتجار من الاديان المختلفة التجارة في المخا إلى جانب التجار المسلمين [٦٦٣] .

لقدكانت الدولة العثمانية ترى في اليمن ولاية كثيرة الاضطرابات ، نتيجة لكثرة الثورات التي كان يقوم بها اليمنيون ضد السلطة العثمانية . لذلك فكرت في تقسيم اليمن إلى ولايتين ، ثم فيما بعد إلى ثلاث ولايات، وذلك للحد من تلك الاضطرابات، وتثبيت الامن فيها . ولكنها فشلت في ذلك الامر. و قد عللت الادارة العثمانية سبب ذلك الفشل إلى كون اليمن ضعيفة اقتصاديا. وقد ذكر محمد خليل افندي رئيس محكمة الاستئناف الجزائية في عامي (١٨٧٩م) و(١٨٨٧ م) في لأئحتيه التي كتبهما عن النظم الادارية العثمانية في اليمن انه كان يمكن تقسيم اليمن إلى ثلاث ولايات ، بدلا من ولايتين ، كما حدث اثناء الوجود العثماني الاول في اليمن (٩٤٥هـ – ١٠٤٥ هـ\١٥٣٨ – ١٦٣٥م) وأنه كان يمكن توفير المال اللازم لذلك من خلال زيادة الرسوم المفروضة على البن ، حيث أن " الرسوم المفروضة على البن ١٪ ، فاذا ارتفعت الى ٣٪ يمكن تغطية النفقات و يصبح الولاة

---

[٦٦١] – نفس المرجع ، ص ١٣٣

[٦٦٢] – د.نللي حنا : تجار القاهرة في العصر العثماني ، ترجمة : رؤءف عباس ،ص ١٧٩

[٦٦٣] – براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص ١٠٨

أكثر قدرة على توطيد الامن و الاستقرار فيها فتستقيم الامور "[٦٦٤] . وفي البند الرابع عشر من اللائحة الثانية ، ذكر خليل افندي ، مرة اخرى أن تقسيم اليمن إلى ثلاث ولايات ممكن اذا رفعت الرسوم على البن المصدر الى ٣٪ " وفي حالة زيادة الرسوم فان عائدات وارداها تعادل مصاريفها ، لان محصول شجرة البن يصدر بمجمله إلى اوروبا ، اما المخصصات العينية من محصول البن الذي يرسل إلى السرايا الهمايوني ، فهو جزءاً من الضريبة للدولة العثمانية هو مائة الف قرش فقط "[٦٦٥] . وفي الائحتيه اكد محمد خليل افندي بان الدولة العثمانية سعت إلى تشجيع زراعة البن ، ولكن حدث رد فعل عكسي ، فقد هجر المزارعون حقولهم ،لخوفهم من أن تقوم السلطات العثمانية بمصادرت منتجاهم.

لم تنقطع علاقات العثمانيين الاقتصادية و التجارية مع اليمن بعد عام (١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م) وهو عام خروجهم من اليمن ، حيث كان التجار الاتراك يصلون إلى اليمن من اجل شراء البن ونقله الى استنبول وبقية الدول الاروبية. فقد أصبحت استنبول مركزاً هاماً لتجارة البن في اوروبا . وعندما كانت البعثة التجارية الفرنسية في اليمن في عام ١٧١١م ، واثناء تواجد مجموعة من اعضاء تلك البعثة في المواهب في زيارة الإمام المهدي محمد بن احمد بن الحسن ، وصل إليه وفداً من الدولة العثمانية للتفاوض حول بعض المسائل التجارية ، "وبخاصة تجارة البن ، حيث اعربوا عن عظيم شكواهم من ان البن تعاظمت ندرته ، وارتفعت اسعاره في مصر ، ومناطق اخرى من تركيا ، منذ أن جاء الأوربيون مباشرة إلى البحر الاحمر ، وحملوا مراكب كبيرة به "[٦٦٦] ، وقد اشتكى الاتراك من ان قيام الاوربيين بنقل كميات كبيرة من البن مباشرة من اليمن ، قد ادى ذلك إلى إلحاق الضرر بالاقتصاد العثماني بسبب " تقليص جماركه "[٦٦٧].

ان حالة الاستقلال التي كانت تعيشه اليمن عن الدولة العثمانية ، جعلت الامام لا يرضخ لمطالب البعثة العثمانية ، بمنع التجار الأوروبيين من نقل البن من اليمن مباشرة. حيث سمح الامام للفرنسيين بشحن " أكبر قدر من البن يمكن للسفن نقله"[٦٦٨] .

---

[٦٦٤] – محمود عامر : اليمن من خلال لائحتي محمد خليل افندي ، الأكليل ، ص ٨٤

[٦٦٥] – محمود عامر : اليمن من خلال لائحتي محمد خليل افندي ، الأكليل ، ص ٩٣

[٦٦٦] – جان دي لاروك : رحلة إلىالعربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص ١٤٧

[٦٦٧] – نفس المرجع : ص ١٤٧

[٦٦٨] – نفس المرجع : ص ١٤٧

كان التجار الأتراك ينتشرون في كافة الاسواق و الموانئ اليمنية التي تتعامل في تجارة البن. وقد تمكن الاتراك من الحصول على كميات كبيرة من البن في سوق بيت الفقيه، وباسعار اقــل من تلك التي كان يمكن الحصول عليها من أسواق و موانئ اخــرى . وقــد ذكــر فرنســيس ديكنسن[٦٦٩] ، في يومياته حول تجارة البن في بيت الفقية و المخا، عــام ١٧٣٣ ، أن الاتــراك تمكنوا من شراء كميات كبيرة من البن ، خلال الفترة الواقعة من ٢٦ يونيو و ٣٠ يوليو ، حيث اشتروا البن من اللحية ، والحديدة ، ونقلوه إلى كلٍ من جدة و البصرة ، وقــد بلغــت تلــك الكميات[٦٧٠] :

●من اللحية الى جدة	**٦.١٥٠ بالة**
●من الحديدة الى جدة	**٦.٤٥٠ بالة**
●من لحديدة الى البصرة	**٩٠٠ بالة**

لقد كان الأتراك يشترون البن من سوق بيت الفقيه ، وذلك حتى يضمنوا الحصول علــى أكبر كمية ممكنة من البن ،وقد اشار التاجر الانجليزي هانسن إلى ذلك ، في رسالة بعثها من بيت الفقية، إلى رئيسه ديكنسن في المخا ذكر فيها " أن السبب الوحيد وراء قلة البن الوارد إلى المخا ، هو أنه قد تم بيعه في بيت الفقية مسبقا ، حيث قام التجار الاتراك بشراء ثلاثة اربا ع البن الموجود هناك "[٦٧١] .

تاسعاً : دور فارس

كان البن من السلع التجارية الموجودة في موانئ فارس ، خاصة ميناء بندر عباس . وربمــا يكون البن قد وصل إلى تلك الموانئ عن طريق التجار العمانيون ، أو حتى التجار الفرس انفسهم. وكان الأوروبيون يرون في البن ، واحداً من السلع التي يمكن أن تعود عليهم بالربح الوفير أن هم باعوها في الموانئ الفارسية . وفي محاولة لاقنا ع شركة الهند الشرقية البريطانية للعمل في اطار تلك الموانئ ، أرسل وليم بيرت وكيل الشركة في الهند إلى مقرها في أوروبا يقول " إذا أرسلت السفن

---

(٦٦٩) – ديكنسن : هو المندوب الذي بعثته شركة الهند الشرقية البريطانية من اجل البقاء في اليمن من اجل شــراء البن خلال موسم التجارة في اليمن عام ١٧٣٣م

(٦٧٠) Boxhall : the diry of mocha coffee P.112

(٦٧١) – Ibid : P. 113 .

إلى المخا بشحنة مناسبة فسيكون في ذلك فائدة لاسيما إذا ما استثمر العائد من ذلك في شـــراء البن الذي سيجد سوقا في سورات و بلاد فارس ، ويكون لكم في ذلك فائدة كبيرة "[٦٧٢] .

أدى ازدهار ميناء البصرة ، بسبب وجود الوكالات الاجنبية، إلى اثارة حنق حكام فارس ، خاصة كريم خان على الانجليز " لإصرارهم على مقاطعة الموانئ الايرانية ، وحصـــر تجــارتهم في البصرة " ، ورغبة من كريم خان في ازدهار الموانئ الفارسية ، أعلن الحرب على ميناء البصرة ، في ١٦ مارس ١٧٧٥، بثلاثة الاف مقاتل تحت قيادة أخوه صادق خان . وعندما تاكد الانجليز بان الفرس ، سيتمكنون من الاستيلاء على البصرة ، عقدوا صلحا مع كريم خان ، تعهد فيه بحماية أملاك الانجليز في البصرة ، وأعلن ترحيبة بعودة ممثلي الشركة إلى مدينة البصرة ، في حال احتلال جيوشه لها ، كما تعهد بعدم التعرض لتجارة الانجليز وسفنهم ، وقد وافق الانجليز مقابل ذلـــك فتح مقر تجاري لهم في ابو شهر [٦٧٣] .

أستمر احتلال الفرس للبصرة حتى توفي كريم خان عام ١٧٧٩م . أثناء ذلـــك اسســـت شركة الهند الشرقية البريطانية مركزا تجاريا هاما لها في ميناء بندر عباس ، واصبح مينـــاء المخـــا فرعا لذلك المركز ، وأصبحت الشركة تحصل على البن من ذلك الميناء . وقد اغلق مقر الشركة في المخا ، في منتصف القرن السابع عشر، " لأن التجارب قد برهنت على ان السفن المحلية كانت تقوم بنقل البضائع للشركة في المياة الساحلية بطريقة أرخص ، وأكثر كفاءه "[٦٧٤] .وقد ظـــل ميناءي بندر عباس و ابوشهر من اهم الموانى التي كان يصل إليها البن ، حيث يتم بعـــد ذلـــك تصديرة إلى سورات في الهند ،و إلى البصرة ، ومنها إلى حلب ثم إلى استنبول .

عاشراً : دور الهند

برز دور التجار الهنود في تجارة البن اليمني من عدة نواحي ، فمن ناحية التجارة الداخلية ، لعب التجار الهنود دورا بالغ الاهمية ، فقد انتشروا في جميع الاراضي اليمنيـــة ، حيـــث كـــانوا يمارسون العمل في التجارة بشكل عام ، وفي تجارة البن بشكل خاص. لقد عرف التجار الهنـــود الذين جائوا إلى اليمن بالبانيان . وقد عملوا في الكثير من المهن التجارية ، فقدعملوا سماسرة اي وسطاء لتجارة البن، وقد سبق الحديث عن دورهم في التجارة الداخلية للبن اليمني ، في الفصـــل الثاني . و من ناحية اخرى عمل بعض التجار الهنود كمندوبين لبعض الشركات الأجنبية الـــتي

---

[٦٧٢] – اريك ماكرو : اليمن والغرب ، تحقيق :د. حسين العمري ، ص ٢٩

[٦٧٣] – عبد الامير محمد امين ، القوى البحرية في الخليج العربي ، ص٧١- ٧٢

[٦٧٤] اريك ماكرو :نفس المرجع ، ص ٣٠

جاءت لشراء البن من اليمن. فقد تركت شركة الهند الشرقية البريطانية أحد التجار الهنود في مقر الشركة في المخا ، وطلبت منه شراء البن حتى ياتي الموسم التالي كما سبق ان ذكرت .

كما لعب التجار الهنود دورا فعالا في عمليات تغيير العملات ، أي مهنة الصرافة ، وقد برز العديد منهم في هذة المهنة. كما سبق أن ذكرت في موضع سابق .

وقد قام التجار الهنود بعملية نقل البن إلى الموانئ المختلفة، خاصة من كان يعمل منهم على متن السفن التابعة لشركات الهند المختلفة . أما عن إستهلاك البن ، فلاتوجد لدى الباحثة معلومات كافية حول هذا الموضوع باستثناء ما ورد عند نيبور من ان " بعض السفن الاجنبية تعود إلى الهند بعد بيع حمولتها من بضائع الهند في المخا غير محملة ، وذلك لأن اهم ما تصدره اليمن هو البن ، والهنود لا يحبون البن كثيرا "[٦٧٥] . وهذة الإشارة لاتدل على أن حجم الإستهلاك للبن في الهند محدودا فحسب ، ولكن تشير ايضا ان معظم البن الموجود في موانئ الهند ، مثل ميناء سورات ، كان يجري تجميعه وتجهيزه هناك من أجل إعادة تصديره إلى اوروبا ، عبر طريق رأس الرجاء الصالح .

حادي عشر : دور افريقيا

ذهبت بعض الروايات التاريخية إلى القول بان شجرة البن قد نقلت من الحبشة إلى اليمن ، وقد تم توضيح تلك الروايات وتفنيدها في الفصل الاول بشكلٍ مفصل . أما من الناحية التجارية فان موقع اليمن القريب من افريقيا يجعل امر التبادل التجاري بينهما واردا تماما . و لكن المشكلة هي في أي اتجاه ، أي هل كان البن ينقل من اليمن إلى دول شرق افريقيا، خاصة الصومال وجيبوتي وغيرها ، أم انه كان يصل من الحبشة إلى اليمن .

لا توجد بين يدي معلومات كثيرة حول هذه المسأله خاصة في بداية فترة الدراسة باستثناء ما ورد عند حسن صالح شهاب الذي ذكر بانه في عام(٩٤٨هـ /١٥٤١م) قامت إحدى السفن البرتغالية بالاستيلاء على طراد كان في طريقه من زيلع إلى اليمن وعلى متنه شحنة من قشر البن و السمن ، وقد ذهبت به إلى الشحر على أمل ان يقوم السلطان بدفع الاموال مقابل ارجاع ذلك الطراد ، ولكنه لم يفعل ، لذلك ذهبت به إلى المشقاص[٦٧٦] . عدا عن هذه المعلومة

---

[٦٧٥] – احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٨١

[٦٧٦] – حسن صالح شهاب ، اضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص ٢١٤

لا يوجد بين يدي ما يوحي بان البن أو حتى القشر كان ينقل من وإلى الموانئ اليمنية من افريقيا قبل القرن التاسع عشر .

وابتداً من القرن التاسع عشر لم يعد بمقدور اليمن تلبية الطلب العالمي المتزايد على البن، في نفس الوقت اصبح البن ينتج بكميات تجارية كبيرة في مناطق اخرى العالم .

لقد حاول الأحباش في هذه الفترة الاهتمام بزراعة البن ، خاصة أمراء المناطق التي تجود بزراعة البن ، وقد أحتكر اولئك الأمراء زراعة البن ، ولم يأذنوا لأحد بزراعته لزعمهم ان الناس بذلك يغتنون ويخرجون عن الطاقة[٦٧٧] . ولكن بعد أن وضِعت بعض المناطق الساحلية على الجانب الافريقي من البحر الاحمر تحت الادارة المباشرة لمصر الغت تلك الادارة إحتكار أولئك الأمراء لزراعة البن ، وعملت على تشجيع زراعة البن ، خاصة في أقليم هرر الحبشي ، الذي كان ينتج بنا يضاهي في جودته البن اليمني . وصدر بذلك فرمان إلى حاكم هرر في عام (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م) بأنه " ينبغي إعادة لإعلان و الترخيص عمومي لسائر الأهالي و العربان وغيرهم من سكان تلك الجهات المعتادين خصوصا على زراعة صنف البن بالرخصة الكلية لكل من أراد أن يزرع بدون معارض و لا مانع – ومع هذا يلزم انكم تجرون التشويق والترغيب الكلي في تكثير وتعميم زراعة الصنف المذكور ٠٠٠"[٦٧٨] ، وجاء في نفس الفرمان أنه إذا تطلب الامر لجلب خبراء لمساعدة المزارعين على فهم أصول زراعة البن ، فيجب على الحاكم الاستعانة بألخبراء الانجليز .

عموما أرد القائمون على تلك المناطق الاستفادة من سمعة البن اليمني الطيبة عالميا ، لذلك قاموا بنقله إلى عدن اولا ثم اعادوا تصديره من هناك ، خاصة بعد ان تحولت عدن بعد السيطرة البريطانية عليها إلى مركزٍ تجاريٍ ، أو محطةٍ تجاريةٍ عالميةٍ .

وفي تقرير شامل مقدم من أركان حرب مأمورية هرر عام(١٢٩٣ هـ/١٨٧٦م) حول هرر ذكر أنه : " وبدون حق ينسبون الجودة لبن (مخا) مع ان تجار عدن والأوروبيين يرجحون البن الهرري على البن اليمني ويشترونه بأثمان غالية عن أثمان البن اليمني ، وفي الغالب ان سبب نسبة الجودة للبن اليمني هو حاصل من بيع البن اليمني والهرري بعدن"[٦٧٩].

---

[٦٧٧] – شوقي عطاالله الجمل : الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر (١٨٦٣م – ١٨٧٩) ، القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، د.ط ، د.ت ، ص٢٩٠

[٦٧٨] – نفس المرجع : ص ٢٩٠

[٦٧٩] – نفس المرجع : ص ٢٩٨ .

عموما فانه مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بدأت بعض الشركات التي تحتكر تجارة البن في خلطه ، حيث كانت تقوم بخلط كميات من البن اليمني الجيد مع كميات من البن الحبشي الأقل جودة ، بهدف تحقيق الربح السريع مما الحق ضرراً بالغا بسمعة التجار اليمنيين و البن اليمني ، خاصة لدى التجار الأمريكيين الذين كانوا اكثر التجار تعاملا في تجارة البن خلال تلك الفترة .

الفصل الرابع

دور أوروبا وأمريكا في تجارة البن اليمني

أولاً : وصول الأوروبيون إلى اليمن :

تعد الكشوفات الجغرافية أحد أهم أسباب التحولات العميقة التي حدثت في العصر الحديث . فقد نتج عنها اكتشاف طريق جديد إلى الهند ، حيث توجد مصادر ثروات الشرق من التوابل والحرير وغيرهما . وقد أدى ذلك إلى إحداث تغيير في موازين القوى السياسية والاقتصادية في العالم . فقد برزت العديد من دول غرب أوروبا مثل البرتغال ، وانجلترا وهولندا ، وفرنسا ، مقابل انكماش واضمحلال قوى قديمة ، خاصة تلك التي كانت تعتمد اعتماداً كلياً في اقتصادها على التجارة مع الهند عبر الطريق القديم ، الممتد من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر ثم إلى البحر المتوسط ، ومنه إلى أوروبا ، ومن تلك القوى التي تأثرت سلباً دولة المماليك في مصر ، والدولة الطاهرية في اليمن ، وبعض المدن الإيطالية ، خاصة البندقية .

لقد كان العامل الاقتصادي وأحداً من أهم العوامل التي دفعت البرتغاليين لاكتشاف طريق جديد إلى الهند ، حيث توجد المصادر الأصلية لتجارة التوابل . وبعد العديد من المحاولات التي دُعمت من قبل الأمير البرتغالي هنري الملاح ، تمكن البرتغاليون من الوصول إلى الهند عبر طريق يلتف حول قارة أفريقيا ويمر بمضيق رأس الرجاء الصالح . وقد وصل البرتغاليون إلى الهند بقياده الملاح فاسكوداجاما في (٢٠ مايو ١٤٩٨م) .وقد أدى وصولهم إلى هناك " إلى سرعة احتكارهم لتجارة الشرق "[٦٨٠] .

ولم يكتفِ البرتغاليون بممارسه التجارة في الهند ، ولكنهم حاولوا جعل مصادر تلك التجارة تحت سيطرتهم المباشرة ، عن طريق احتلال المناطق التي توجد فيها التوابل . وليس ذلك فحسب ولكنهم عملوا أيضا على حرمان الشعوب الأخرى من الاستفادة من التجارة مع الهند ، خاصة الشعوب الإسلامية . لذلك قاموا بمطاردة السفن الإسلامية ، والاستيلاء على حمولاتها وإحراقها ، كما قاموا بمهاجمة بعض الموانئ المطلة على البحر الأحمر ، والمحيط

---

[٦٨٠] – د. سيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الأول لليمن، ص ٤٩ .

الهندي ، ومنها موانئ اليمن ، " فقد قام البوكيرك في عام ١٥١٣ بمهاجمه عـــدن "[٦٨١] في محاولة للاستيلاء عليها . ولكن محاولته تلك باءت بالفشل .

وقد أدى اكتشاف البرتغاليين للطريق الجديد إلى الهند ، ونقلهم التوابل عـــبر هـــذا الطريق إلى أوروبا إلى جنى أرباح كبيرة ، وتكوين ثروات طائلة ، مما شجع بقيـــة الـــدول الأوروبية كي تحذو حذوها في الوصول إلى مصادر الثروة في الشرق .

وصل الإنجليز والهولنديون إلى الهند بعد البرتغاليين بحوالي قرن من الزمن. وقد تمكنـــوا من تكوين شركات تجاريه كبرى عُرفت بشركات الهند الشرقية . وقـــد منحـــت تلـــك الشركات مراسيم ملكيه ففي " (٣١ ديسمبر ١٦٠٠م) أصدرت الملكة اليزابيث مرسوماً لشركة الهند الشرقية الإنجليزية باسم محافظ وشركه تجار لندن الذين يتاجرون مـــع الهنـــد الشرقية. وكان هذا المرسوم بمثابة وثيقة رسمية تمنح الشركة الحق المطلق في احتكار التعامل التجاري مع الشرق "[٦٨٢] . وقد منحت هذه الشركة كافة الصلاحيات لممارسة التجـــارة مع الشرق بما في ذلك عقد الاتفاقيات والمعاهدات مع حكام تلك المناطق .

ولم يمر وقتاً طويلاً على تأسيس شركة الهند الشرقية الإنجليزية حتى تم تأسيس شـــركة الهند الشرقية الهولندية ، والتي تكونت في الأساس من اتحاد مجموعه من الغرف التجاريـــة ، التي كانت تمثل الولايات الهولندية السبعة عشر . وقد عرف هذا الاتحاد بمجلـــس مـــدراء الشركة السبع عشر ، وقد حصلت هذه الشركة على " حق احتكار الملاحة شـــرقي رأس الرجاء الصالح وعبر مضيق مجلان "[٦٨٣] ، كما منحت الشركة أيضـــاً " امتيـــازات تامـــةَ لعشرين عاماَ "[٦٨٤]. وكان من ضمن الصلاحيات التي منحت لها " عقد المعاهدات وشـــن الحروب "[٦٨٥]. وبعد ذلك بمدة طويلة تم تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية وذلـــك في

[٦٨١] – Marston : Britian's Imperial Role, P .20.

[٦٨٢] – مصطفى عقيل الخطيب : تنافس الدول في الخليج العربي ، ص ١٣ .

[٦٨٣] – براور : اليمن أوائل القرن السابع عشر ، ص ١٤ .

[٦٨٤] – ارنولدت ويلسون : الخليج العربي (مجمل تاريخي) ، ص ٢٧٣ .

[٦٨٥] – براور : رحلة التاجر بيترفان ون بروكه المستخدم لدى شركة الهند الشرقية الهولندية إلى بلاط الـــوالي في صنعاء سنه ١٦١٦ ، ص ٤٤ (ضمن كتاب هولندا والعالم العربي) .

عام ١٦٦٤ م . وبذلك تكون أهم ثلاث دول في غرب أوروبا قد ثبتت أقدامها في جنوب شرق أسيا . وأصبح في إمكانها الحصول على التوابل والسلع الشرقية الأخرى من مصادرها بأسعار رخيصة .

وبمجرد وصول الأوروبيين إلى تلك الجهات شرعوا في شراء التوابل التي كانت هدفهم الرئيس ، إلى جانب بعض السلع الشرقية الأخرى، وقاموا بنقل تلك السلع إلى أوروبا عبر الطريق الجديد المار برأس الرجاء الصالح .

أصبحت اليمن هدفاً من أهداف الشركات الأوروبية الموجودة في الهند ، فقد وجهت إليها تلك الشركات العديد من الرحلات البحرية ، وذلك من أجل " استطلاع الامكانات التجارية مع شبه جزيرة العرب "[٦٨٦] .

وقد جاء وصول الإنجليز والهولنديين إلى اليمن في بداية القرن السابع عشر في إطار البحث عن أسواق يمكن فيها تصريف بعض البضائع الهندية ، والحصول على أموال أو بضائع يمنية يمكن بيعها في الموانئ الهندية والفارسية في عملية أشبه ما تكون دائرية . حيث تقوم السفن الأوروبية بنقل البضائع من ميناء إلى آخر على امتداد البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج العربي ، بهدف الحصول على الأموال اللازمة لشراء التوابل ،كما سبق أن ذكرت .

ويعد عام ١٦٠٩ م البداية الحقيقية لمحاولات شركة الهند الشرقية الإنجليزية للوصول إلى اليمن ، فقد وصل إليها خلال هذا العام الكابتن الكسندر شاربي (**Alexader Sharpey**). حيث رست السفينة التي كانت تقله في ميناء عدن في (٨ ابريل ١٦٠٩م)، ولكنه فشل في تحقيق أي نجاح ، فقد قام حاكم المدينة باحتجازه ومصادرة الحمولة التي كانت على متن سفينته .

ولم يفت ذلك في عضد الإنجليز ، فقد جهزت ذات الشركة رحلة ثانية في العام التالي بقيادة السير هنري ميدلتون (**Henry Middleton**) الذي وصل إلى عدن في (١٠ نوفمبر ١٦١٠م). وقد توجه ميدلتون إلى المخا حيث وجد فيها الحاكم التركي رجب اغا ، الذي استقبله في البداية استقبالاً جيداً ، ثم ما لبث أن قبض عليه ، مع واحد

---

[٦٨٦] – جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب . ترجمة : قدري قلعجي ص ٧٨ .

وثلاثين رجلاً من رفاقه ، من ثم أرسلهم إلى صنعاء حيث يوجد الوالي العثماني ، الذي " تعجب من جراءة المسيحيين على الاقتراب من الأرضي المقدسة "(٦٨٧) . وأمر باحتجازهم ، حيث احتجزوا إلى عام ١٦١١م ، حتى صدر مرسوماً من الاستانه بإخلاء سبيلهم ، "وأنذروا بعدم العودة إلى الجزيرة العربية "(٦٨٨) .

وفي بداية العام التالي ، أي ١٦١٢م جاءت رحلة ثالثة ، بقيادة جون ساريس ، (**John Saris**)الذي وصل إلى ميناء المخا فوجد رجب اغا قد عزل عن حكم المدينة وعين بدلاً عنه حاكم جديد من أصل يوناني ، يدعى أدهر اغا الذي استقبل جون ساريس ببالغ الحفاوة " وطلب منه أن ينسى المعاملة العنيفة التي تلقاها السيد هنري ميدلتون على يد رجب اغا "(٦٨٩) . ونتيجة لرغبة السلطات العثمانية في اليمن في تحسين علاقاتها مع الإنجليز " أصدر باشا اليمن تعليمات تقضي بالسماح للتجار الأجانب بالتجارة في اليمن بحرية تامةً، سوء على الشواطئ ، أو على متن السفن الهندية ، كما سُمح لهم بشراء أي شيء قد يحتاجونه من المخا "(٦٩٠). وتعد هذه التعليمات أول أنجاز حقيقي لمحاولات الإنجليز المتكررة لإقامة علاقات تجارية مع الموانئ اليمنية .

ولم تثمر تلك المحاولات بشكل جيد إلا عام ١٦١٨م ، عندما وصل الكابتن شلينج " **Shilling** " إلى المخا ، على متن السفينة آن رويال " **Anne Royal** " . وقد قدم إليها بناءً على رغبة السير توماس رو " **Thomas Roe** " سفير انجلترا لدى إمبراطور المغول ، لإقامة محطة أو وكالة تجارية لشركة الهند الشرقية الإنجليزية هناك .

وعند وصوله إلى المخا ، وجد الكابتن شلينج أن رجب اغا قد أعُيد تعيينه حاكماً على المدينة للمرة الثانية . وفي هذه المرة قدم رجب اغا اعتذاره الشديد لما بدر منه أثناء رحلة السير هنري ميدلتون عام ١٦١٠م ، متذرعاً بأن ذلك كان تنفيذاً لأوامر الوالي العثماني على اليمن ، والذي أصدر الآن قراراً للإنجليز " سمح لهم بموجبه بالمتاجرة بحرية في المخا ،

---

(٦٨٧) – **Playfair : History of Arabia Felix . P.107**

(٦٨٨) – هارولدف يعقوب : ملوك شبه الجزيرة العربية ، ص.

(٦٨٩) – **Playfair: History of Arabia Felix . P.108.**

(٦٩٠) - **Ibid. p 108 .**

وبفتح مقر لهم هناك ، وحدد ضرائب الاستيراد والتصدير بنسبة لا تتجاوز ٣ ٪ يمكن تسديدها نقداً أو عيناً "[٦٩١] . وبذلك نجح الإنجليز في تأسيس أول وكالة تجارية أوروبية في اليمن .

لم يتأخر التجار الهولنديون عن نظرائهم الإنجليز في الوصول إلى اليمن ، إذ أنه خلال الفترة التي كان الإنجليز يبذلون محاولاتهم المتكررة من أجل فتح مقر لهم في المخا في بداية القرن السابع عشر ، كانت السفن الهولندية أيضاً تمخر عباب البحر باتجاه اليمن لإجراء نفس المحاولة وهي المتاجرة معها ، وفتح مقر تجاري لها في المخا .

إن السبب الذي دفع الهولنديين للوصول إلى اليمن ، وفتح المجال التجاري معها ، هو ذات السبب الذي دفع الإنجليز للوصول إليها ، آلا وهو الحصول على الأموال اللازمة لشراء التوابل والبضائع الشرقية التي تحتاجها أوروبا .

ويعود تاريخ أول بعثات الهولنديين لتقصى الاحتمالات التجارية في جنوب شبه الجزيرة العربية إلى سنة ١٦١٤م .[٦٩٢] فقد أرسلت الشركة أسطولا مكون من عدد صغير من السفن ، بقيادة قائد الاسطول التاجر الهولندي بيتر فان دن بروكة " Pieter Van Den Broecke " للحصول على المعلومات أللأزمة لتنشيط حركة التبادل التجاري في سواحل البحر الأحمر[٦٩٣] . وقد وصل هذا التاجر إلى عدن في (٣٠ أغسطس من عام ١٦١٤م). حيث وجد علي اغا حاكماً . وقد استقبله استقبالاً رسمياً ، ولكنه أبعدهم عن الميناء فيما بعد ، رافضاً السماح لهم بالتجارة في الميناء ، لأنه أعتبرهم قراصنة إنجليزيين هدفهم الحرب وليس التجارة ، إلى جانب أنه لم يكن بحوزتهم رسالة توصية من السلطان[٦٩٤] ، كما أنه أراد أيضاً احترام مشاعر التجار المقيمين في عدن

---

(٦٩١) – Playfair: History of Arabia Felix . P.110.

(٦٩٢) – بن سلوت . الهولنديون على سواحل شبه الجزيرة العربية ، ص٣٠ .

(٦٩٣) – فاروق أباظه . عدن والسياسة البريطانية ، ص٥٩ .

(٦٩٤) – براور . اليمن في أوائل القرن السابع عشر ، ص٢٢ .

الذين اعتبروا مجيء الهولنديين يشكل خطراً على مصالحهم[٦٩٥] . عقب ذلك توجه فان دن بروكه إلى الشحر حيث استُقْبِل بحفارة وشيّد فيها وكالة هولندية[٦٩٦] .

وصل فان دن بروكه إلى اليمن للمرة الثانية في (٢٥ يناير ١٦١٦م) حيث ألقت السفينة التي كانت تنقله مرساها أمام ميناء المخا . وقد استقبله حاكمها حسن اغا بكل حفاوة ، ونصف له المكوس _ أي خفض المكوس إلى النصف _ ، ولكنه لم يجرؤ بالسماح له بافتتاح محطة تجارية ثابتة بدون إذن رسمي من قبل البكلربك[٦٩٧] . ونظراً لأهمية افتتاح مثل تلك المحطة في المخا توجه فان دن بروكه إلى صنعاء في(٢١ إبريل عام ١٦١٦م) ، وقد وصلها في الرابع من مايو من نفس السنة . وهناك استقبله الوالي العثماني على اليمن جعفر باشا استقبالاً حافلاً ، إلا أنه رفض السماح له بفتح محطةً تجاريةً في المخا ما لم يحصل على فرمان رسمي ، وأن مثل ذلك الفرمان لا يمنح إلا من قبل السلطان العثماني شخصياً[٦٩٨] . ولكن جعفر باشا سمح للهولنديين بالتجارة في المخا خلال ذلك الموسم التجاري ، مع تأكيده على منعهم من العودة إلى اليمن بدون الفرمان المطلوب[٦٩٩] .

وهكذا فشلت رحلة فان دان بروكه الثانية إلى اليمن . ولم يقلل من حدة الفشل الخصم في دفع الجمارك وهو ٣٪ بدلاً من٥ ٪[٧٠٠] الذي منحه جعفر باشا لبروكه في آخر لقاء بينهما في ١٦ مايو ١٦١٦م .

كان الهولنديون قد توصلوا من خلال رحلاقم السابقة إلى اليمن إلى نتيجة هامة مفادها بأن المتاجرة مع اليمن سيحقق فوائد كبيرة للشركة . لذلك سعوا للحصول على ذلك الفرمان .

---

(٦٩٥) – فاروق أباظه : عدن والسياسة البريطانية ، ص٦٠ .

(٦٩٦) – جاد طه . سياسة بريطانيا ، ص٢٧ .

(٦٩٧) – براور . اليمن في أوائل القرن السابع عشر ، ص٢٣ .

(٦٩٨) – Playfair : History of Arabia Felix , P.109

(٦٩٩) – براور : اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ص٢٣ .

(٧٠٠) – براور . رحلة التاجر بيتر فان دن بروكه المستخدم لدى شركة الهند الشرقية الهولندية إلى بلاط الوالي في صنعاء سنة ١٦١٦م ، ص٤٤ ، ضمن كتاب هولندا و العالم العربي ، وزارة الخارجية الهولندية .

وقد نجح السفير الهولندي لدى السلطان العثماني كورنيلس هاخا في الحصول على ذلك الفرمان الخطي من السلطان العثماني عثمان الثاني و المؤرخ في أوائل رجب عام (١٠٢٧هـ/ يونيو ١٦١٨م) . وقد أوصى السلطان العثماني في ذلك الفرمان والي اليمن أن يفتح الموانئ اليمنية أمام السفن الهولندية ، والسماح للهولنديين بحرية التجارة في المخا وبفتح مقر تجاري لهم هناك .

عقب ذلك وصل فان دن بروكة إلى اليمن للمرة الثالثة ، حيث ألقت سفينته مرساها أمام ميناء عدن عام ١٦٢٠م ، وفي هذه المرة أنزل فان دن بروكة احد رجاله في عدن وهو هيرمان فان خل ، وعينه رئيسا للمحطة التجارية الهولندية في اليمن .

وبناءً على ذلك توجه هيرمان فان خل إلى المخا التي وصلها في (٢٨ يناير ١٦٢٠م) وأسس فيها أول محطة تجارية هولندية ثابتة في جنوب الجزيرة العربية[٧٠١] . وفي نفس السنة عُين بيتر فان دن بروكه مديراً لمحطات شركة الهند الشرقية الهولندية في كلٍ من سورات والمخا[٧٠٢] . وقد شغل بروكه هذا المنصب من عام ١٦٢٠م إلى ١٦٢٨م .

لقد استغرق الهولنديون ، ومن قبلهم الإنجليز وقتاً طويلاً من أجل الحصول على الفرمانات السلطانية التي تسمح لهم بفتح مقرات تجارية في اليمن ، ويعود السبب في ذلك إلى خوف المسلمين من أن يمد الأوروبيون محطاتهم أو وكالاتهم إلى الأراضي المقدسة فقد قال جعفر باشا لبروكه عام ١٦١٨م : " لقد جئتم في البداية إلى عدن ، ومن عدن ذهبتم إلى الشحر ، ثم عدتم إلى المخا ، ومراكبكم الآن في الحديدة ، وأنتم تتجهزون الآن للتوغل أبعد من ذلك في البحر الأحمر . وهو ما لم يتم السماح به لأحد من الأمم المسيحية "[٧٠٣] .

إن خوف العثمانيين من توغل المسيحيين إلى الأراضي المقدسة لم يستمر طويلاً ، إذ سرعان ما تغير موقف الدولة العثمانية منهم . وتم إصدار فرمانات تسمح لهم بفتح مقرات

---

(٧٠١) – براور . اليمن في أوائل القرن السابع عشر ، ص٢٥ .

(٧٠٢) – Marsto: Britin's Imperial Role , P.25

(٧٠٣) - Playfair : History of Arabia Felix , P.109,110

تجارية في المخا وغيرها من الموانئ اليمنية على أن لا يتجاوز ذلك ميناء المخا شمالاً . وربما يعود السبب في ذلك التغير هو أن العثمانيين كانوا يرغبون في تبادل المنفعة الاقتصادية مع الأجانب ، ورواج الحركة التجارية في ممتلكاقم[٧٠٤] .

ثانياً : تعرف الإنجليز والهولنديون على البن في اليمن :

تعرف التجار الإنجليز والهولنديون على البن منذ وصولهم إلى اليمن في النصف الأول من القرن السابع عشر . فقد تعرف التاجر الإنجليزي جون جورداين ، الذي وصل إلى اليمن عام ١٦٠٩م بصحبة الكسندر شاربي ضمن أول رحلة إنجليزية إلى اليمن، على البن أثناء رحلته من عدن إلى صنعاء لمقابلة الوالي العثماني فيها ، فقد شاهد أشجار البن لأول مرة في نقيل[٧٠٥] سماره[٧٠٦] . وعلم أن حبوب هذا البن بضاعة تجارية عظيمة لأنها تشحن إلى مدينة القاهرة العظيمة وإلى جميع أنحاء تركيا وبلاد الهند[٧٠٧] . وذكر أن : " الهنود كانوا يحصلون على بنهم من البلاد العربية الجنوبية "[٧٠٨] كما أشار خلال رحلته تلك إلى وجود المقاهي في اليمن .

أما بالنسبة للهولنديين ، فيعد التاجر بيتر فان دن بروكه أول من تعرف على شراب القهوة في اليمن ، وذلك أثناء رحلته من المخا إلى صنعاء لمقابلة الوالي العثماني بغرض الحصول على فرمان يسمح للهولنديين بإنشأ محطةً تجاريةً في المخا عام ١٦١٦م . فقد ذكر أنه في صباح اليوم الرابع من شهر مايو في السنة سالفة الذكر ، مر ببيت تباع فيه

---

[٧٠٤] – أحمد بن بريك . اليمن والتنافس الدولي ، ص٣٤ .

[٧٠٥]– النقيل في اليمن هي العقبة المرتفعة التي تنقل الإنسان إلى مستوى أعلى أو إلى أسفل .

[٧٠٦] – سماره : قلعة في راس جبل صيد اليها ينسب سمارة ، وكانت سابقا تعرف بنقيل صيد وتقع في مديرية المخادر – محافظة إب (الحجري – ٢– ٤٣١) .

[٧٠٧] – جاكلين بيربن . اكتشاف جزيرة العرب ، ترجمة : قدري قلعجي ،ص٧٥ .

[٧٠٨] – Surendra Gopal : Coffee Trade of Western India In the Seventeenth Century , P.300

القهوة[٧٠٩]، وكان هذا البيت يبعد حوالي نصف ميل عن صنعاء ، وهناك ارتدى فـان دن بروكه ملابسه الأكثر رسمية[٧١٠] التي قابل بها الوالي العثماني .

وقد أورد بيتر فان دن بروكه القهوة ضمن السلع التي كانت تباع في المخا ، والـتي كانت تنقل إلى مصر على السفينة التابعة للسلطان العثماني . وقد أطلق عليها (كاهـاوا) أي القهوة وهو الاسم الذي عرف به البن عند الأوروبيين عموماً . وقـد عـرف بروكـه القهوة لأول مرة بأنها " نوع من الحبوب السوداء مشابهة لحبوب الجـذر الأجـوف[٧١١] ، والتي يعملون منها ماءً أسود يشربونه حاراً "[٧١٢] . ومن المستغرب حقاً أن بروكه لم يذكر أنه شاهد أشجار البن ، وهو في طريقه إلى صنعاء عام ١٦١٦م ، وربما يعـود السـبب في ذلك إلى عدم معرفته بشجرة البن و ثمارها من قبل .

إن التعريف الذي أورده بروكه للقهوة يوضح بأن الهولنديين وربما الإنجليز أيضـاً ، لم يكونوا يعرفون البن حتى ذلك التاريخ ، في الوقت الذي كان البن أو القهوة قـد شـاع استهلاكهما في الهند وبلاد فارس .

ثالثاً : دخول البن إلى ميدان التجارة الدولية :

أثناء تنقل الأوربيين بين الموانئ الآسيوية لإيجاد موانئ مناسبة لإنشاء محطـات تجاريـة تابعة للشركات التي يعملون لحسابها ، وجدوا أن البن كان شائعاً في موانئ الهند وفـارس ، لذلك أدركوا بأنه ربما يعود عليهم بأرباح وفيرة إذا ما قاموا بنقله إلى تلك الموانئ .

بدأ اهتمام الإنجليز بالبن كسلعة تجارية منذ وصولهم إلى اليمن ، فقد توقع جـورداين منذ ١٦٠٩م الفوائد من تجارة البن الذي يزرع في المناطق اليمنية القريبة من ساحل البحـر الأحمر[٧١٣] . وفي عام ١٦٢٧م أبلغ وليم بيرت وكيل شركة الهند الشرقية الإنجليزيـة في الهند مجلس إدارة الشركة في لندن أن حبوب البن وقشوره التي تستعمل في صنع نوع مـن

---

[٧٠٩] – براور . اليمن في أوائل القرن السابع عشر ، ص٦٨ .

[٧١٠] – براور . رحلة التاجر بيتر فان دن بروكه ، ص٤٧ .

[٧١١] – الجذر الأجوف : نوع من النباتات يستخلص منه عقار يساعد على الولادة .

[٧١٢] – براور . اليمن في أوائل القرن السابع عشر ، ص٨٦ .

[٧١٣] – أريك ماكروا . اليمن والغرب ، ترجمة : د. حسين العمري ، ص٢٨ .

المشروب لا توجد إلا في المخا ، وذكر أن المشروب نفسه كان يستعمل في تركيا وأجزأ أخرى من الجزيرة العربية وفارس والهند[٧١٤] . ومن أجل تشجيع الشركة على جعل البن ضمن السلع التجارية التي تقوم سفن الشركة بنقلها بين الموانئ الآسيوية كتب بيرت في (٢٧ فبراير ١٦٣٠م)إلى الشركة يقول : " إذا أرسلت السفن إلى المخا بشحنة مناسبة فسيكون في ذلك فائدة أي فائدة . لا سيما إذا ما استثمر العائد من ذلك في شراء البن الذي سيجد سوقاً في سورات وبلاد فارس ، ويكون لكم في ذلك فائدة كبيرة "[٧١٥] .

ولم يغفل الهولنديون عن الأهمية التجارية للبن ، فقد نبه بيتر فان دن بروكه الهولنديين إلى ذلك في عام ١٦١٦م[٧١٦] . كما قدم التاجر الهولندي يوهن كرستزون إلى مدير الشركة في سورات فيلبو لوكس وصفاً لمدينة المخا في (٢٢ نوفمبر ١٦٣٣م)، ذكر فيه بأنه في المخا كانت " تتشكل التجارة الرئيسية _اى التصدير_ من القهوة "[٧١٧] . وقبل هذا الوصف للتجارة في ميناء المخا ، ورد في إحدى قوائم الأسعار التي وضعها تاجر هولندي مجهول عام ١٦٢٣م سعر البن والقشر على رأس تلك القائمة ، التي تتكون من أسماء وأسعار العديد من السلع التي كان يتم التعامل التجاري بها هناك، فقد ذكر أن " الـ (بون) – أي البن يبلغ ثمنه من ٢٥ إلى ٣٠ ريالاً للبهار الواحد ، أما غير المدقوق ومع الكتشر – أي القشر – فيبلغ ثمنه من ١٥ إلى ٢٠ ريالاً للبهار الواحد "[٧١٨] كل تلك الدلالات جعلت الهولنديين يدخلون البن ضمن السلع التي تقوم الشركة بنقلها إلى موانئ الهند وفارس " فقبل أن يعرف الأوربيون طعم القهوة كان الهولنديون يقومون بشرائها ثم بيعها في الدول الآسيوية "[٧١٩] .

بدأت الشركات الأوروبية في نقل البن إلى الهند وبلاد فارس ، ففي الفترة ما بين ١٦٤٨ و ١٦٥٢م كان الهولنديون يجلبون البن من المخا إلى مراكزهم في شمال غربي الهند

[٧١٤] – نفس المرجع ، ص٢٨ .
[٧١٥] – أريك ماكروا : اليمن والغرب ، ترجمة : د . حسين العمري ، ص٢٩ .
[٧١٦] – نفس المرجع ، ص٢٨ .
[٧١٧] – براور : اليمن في أوائل القرن السابع عشر ، ص١٩٩، ٢٠٠ .
[٧١٨] – نفس المرجع : ص١٦٢ .
[٧١٩] – بن سلوت : الهولنديون على سواحل شبه الجزيرة العربية ، ضمن كتاب هولندا والعلم العربي ، ص٣١ .

وبلاد فارس[٧٢٠] وكذلك الحال بالنسبة لشركة الهند الشرقية الإنجليزية ، التي كانت تنقل البن إلى المناطق السابق ذكرها . ولم يصل البن إلى إنجلترا حتى سنة ١٦٥٠م ، كما لم يظهر في قوائم البيع الخاصة بالشركة حتى سنة ١٦٦٠م[٧٢١] . فقد كانت شركة الهند الشـــرقية الإنجليزية تقوم بنقل البن من المخا إلى سورات وبومباي في الهند ، ومن ثم تقـــوم بنقلـــه إلى لندن ، وكان هذا يستغرق وقتاً طويلاً يؤدي إلى أن يفقد البن طراوته ونكهتـــه ، لـــذلك عدلت الشركة عن ذلك وبدأت تنقله مباشرة من المخا إلى أوروبا . وقد وصلت في عـــام ١٦٨٢م " أول سفينة بصورة مباشرة من أوروبا إلى المخا واستمرت السفن في المجيء إلى المخا سنوياً "[٧٢٢] .

رابعاً : مشتريات الأوروبيين من البن :

أ – الإنجليز :

ازداد الطلب على البن منذ ستينات القرن السابع عسر ، لذلك استوردت شـــركة الهنـــد الشرقية الإنجليزية (٢٠.٣٩٠) كيلوا جرام من البن ١٦٦٤م ، وازدادت هذه الكمية في عام ١٦٧٢م إلى (٥٤.٩٨٤) كيلوجرام ، وواصلت ارتفاعها حتى عـــام ١٦٨٤م إلى (١٣٠.٧٣٠) كيلوجرام . وخلال العقود الأولى من القرن الثامن عشر قفزت الكميـــات التي استوردها الشركة إلى أعلى مستوى لها فقد بلغت حـــوالي (٢٥٤.٢٤٠) كيلوجرام ، خلال موسم عام ١٧١١م ، ووصلت إلى (١.٢٢١.٨٢٦) كيلوجرام خلال عام ١٧٢٤م[٧٢٣] . ولم تتجاوز نسبة البن الذي اشترته الشركة من اليمن خلال القرن السابع عشر عن ٢٪ من الحجم الكلي لتجارة الشركة إلا نادراً ، وفي بعـــض السنوات وبشكل استثنائي كما حدث خلال السنوات ١٦٨٨ و ١٦٩٠م حيث وصلت النسبة إلى ٦٪ و ٨٪ على الترتيب . وفي العقدين الثاني و الثالث من القرن الثامن عشـــر وصلت هذه النسبة إلى أعلى من معدل ١٠٪ . وفي عام ١٧٢٤م لم تقل النسبة عن ٢١٪.

---

[٧٢٠]– اريك ماكرو : اليمن والغرب ، ترجمة : د. حسين عبدالله العمري ، ص٣٤ .

[٧٢١] – نفس المرجع : ص٢٩ .

[٧٢٢] – د.عبد الأمير محمد أمين . دراسات في النشاطات التجارية ، ص٤٠ .

[٧٢٣] – Chaudhuri : The Trading world of Asia , P.361

ومنذ ١٧٣٠م وما بعدها انخفضت النسبة إلى ما دون ١٠٪ وقد تراوحت هـــذه النســـبة بشكل عام بين ٥٪ و ٧٪ [٧٢٤] . لقد كان المعدل السنوي لاستيراد البن في النصف الأول من القرن الثامن عشر أكثر مليون باوند ، وقد وصلت هذه الكمية ذروتها عـــام ١٧٢٦م عندما وصلت إلى ٢.٦٧ مليون باوند[٧٢٥].

وقد زودتنا المصادر الانجليزية بمعلومات مهمة حول اجمالي كميات البن المصدرة مـــن اليمن ونصيب المجموعات التجارية المختلفة من اجمالي الكميـــة المقـــدرة بـــــ١٩.٢٦٧ بالة[٧٢٦] وذلك في عام ١٧٢٦م .

وحتى ذلك الحين كان التجار الأتراك والعرب يحصلون على نصيب الأسد من الـــبن اليمني يليهم الإنجليز في الترتيب من حيث الكمية المســـتوردة مـــن الـــبن ، ثم الهولنـــديين فالفرنسيين وأخيرا الإيرانيين . والجدول التالي يوضح نصيب المجموعات التجارية المختلفة من إجمالي كمية البن المقدر بـــ ١٩.٢٦٧ بالة في عام١٧٢٦[٧٢٧] .

جنسية التجار	الكمية التي تم شراؤها بالبالة	النسبة	المركز
العرب والأتراك	١٠.٣٣٠	٥٤٪	المركز الأول
الإنجليز / الشركة والأفراد	٥.٠٥٠	٢٦٪	المركز الثاني
الهولنديون	٢.٠٠٠	١٠٪	المركز الثالث
الفرنسيون	١٣.٠٠	٧٪	المركز الرابع
الإيرانيون	٦١٧	٣٪	المركز الخامس
المجموع	١٩.٢٦٧	١٠٠٪	-----

---

(٧٢٤) – Ibid : P.P.361-362

(٧٢٥) - Chaudhuri :Kahwa , The Encyclopedia Of Islam,P.44

(٧٢٦) – وتحتوي كل بالة على ٢٨٠ باوند تقريبا (Ibid : P,454 4)

(٧٢٧) – Chaudhuri: KAHWA , The Encyclopedia Of Islam, P.454.

وقد أدت حدة التنافس بين القوى الاقتصادية المختلفة ، والتي تعمل في تجارة البن ، إلى ارتفاع أسعاره بشكل كبير . وقد وجد ضمن سجلات شركة الهند الشرقية الإنجليزيـــة أمثلة كثيرة على التغير في أسعار البن خلال العشرينات من القرن الثامن عشر . فقد ورد في أحد تلك السجلات العائدة لعام ١٧٢٢م نموذجاً لارتفاع الأسعار خلال تلـــك الفتـــرة ، وذلك بحسب الجدول التالي ، والذي رصد ذلك التغير في الأسعار خلال الموسم التجـــاري في ٢٧ مايو ١٧٢٢م[٧٢٨] .

كمية البن المشتراة		معـــدل السعـــــر	كمية البن المشتراة		معدل السعر
بهار	فراسله	بالدولار الأسباني	بهار	فراسله	بالدولار الأسباني
٢٣	١.٥	١٦٠	٥	١٣	١٧٢.٢٠
٦	٨	١٥٦	–	٦	١٦٨
٢٩	٣.٥	١٦١	–	١٣.٦	١٧٢
٣٤	٧.٥	١٥٦	٢	٣٦.٩	١٧٢
٣	٢٩.٥	١٦٨	–	–	–

لقد كانت الشركة تشتكي دوماً من الارتفاع المستمر في أسعار البن الذي تشتريه من اليمن كما كانت تشتكي أيضاً من ارتفاع تكاليف الشحن والنقل ، ومع ذلك فقـــدكانت الأرباح التي تحصل عليها الشركة مرتفعة جداً . وقد ورد ضمن سجلات شـــركة الهنـــد الشرقية الإنجليزية نموذجاً لتكاليف شراء ونقل شحنة من البن اشترها الشركة من اليمن في عام ١٧٣٦م . وقد تم استخلاص المعلومات من الفواتير والسجلات التابعة للشركة .

ولمزيد من الإيضاح أورد هذا النموذج ، والذي يحتوي على تفاصيل دقيقـــة حـــول تكاليف وأرباح شراء شحنة من البن في عام ١٧٣٦م .[٧٢٩]

الضرائب المستحقة	١١.٥٠٦ جنيه إسترليني
رسوم الشحن	١١.٠٨٥ جنيه إسترليني

(٧٢٨) – Iftikar Khan : Coffee Trade of The Red Sea , P. 321.

(٧٢٩) – Chaudhuri : The Trading world of Asia , P.363.

٥ ٪ واجبات	٤.٠٤٧ جنيه إسترليني
أجرة التخزين	٢.٠٢٣ جنيه إسترليني
٥% سمسره على بضائع مخزنة بـــ (٤٧٠٢٤ جنيه إسترليني)	٢.٣٥١ جنيه إسترليني
الإجمالي	٣١.٠١٤ جنيه إسترليني
صافي المحصول (الإنتاج)	٤٤.٦٧٣ جنيه إسترليني
الوزن النهائي	٧٥.٦٨٧ جنيه إسترليني
تكلفة البن	٣٧.٨٠٩ جنيه إسترليني = ١٥١.٢٣٦ دولار
كل ٣٦٠٢ باله من البن تباع بـــ	٨٠.٩٤٩ جنيه إسترليني
بعد خصم	٥.٢٦١ جنيه إسترليني
الإجمالي	٧٥.٦٨٧ جنيه إسترليني

ومن خلال هذا النموذج يمكن مشاهدة أن الجزأ الأعظم من التكلفة النهائية لشـــحنة من البن تكمن في أجور الشحن والضرائب .

إن الأهمية الكبيرة التي كان يمثلها البن لشركة الهند الشرقية الإنجليزية جعلـــها تهـــتم بتسجيل أدق التفاصيل المتعلقة بتجارته ، حتى أن مقر وكالة الشركة في المخا كـــان يهـــتم برصد تلك التفاصيل في دفاتر الحوادث اليومية ، حيث ترصد الوكالة يومياً كميات الـــبن التي تصل إلى مقرها في المخا ، كما ترصد الأسعار ، وتقلباتها المستمرة ، إلى جانب رصـــد الأسباب المؤدية إلى تغير تلك الأسعار . كما كانت هذه السجلات اليومية تهتم اهتماماً بالغاً برصد الملاحظات المتعلقة بالتنافس بين هذه الشركة والشركات الأوروبيـــة الأخـــرى ، في مجال تجارة البن . والجدول التالي يوضح عدد بالات البن الواصلة إلى مقر الوكالة الإنجليزية في المخا من سوق بيت الفقيه وسوق المخا لمدة أسبوع في الفترة الممتدة من ٧ يونيو إلى ١٢ يونيو من عام ١٧٢٢م[٧٣٠] .

---

(٧٣٠) - Iftikar Khan : Coffee Trade of The Red Sea , P.321

يوم الوصول	تاريخ الوصول	عدد البالات	الإجمالي[٧٣١]
السبت	٧ يونيو	٩١	١.٣٢٢
الأحد	٨ يونيو	١٠٥	١.٤٣٧
الاثنين	٩ يونيو	١٢٨	١.٥٦٥
الثلاثاء	١٠ يونيو	٦	١.٥٧١
الأربعاء	١١ يونيو	٩٣	١.٦٦٩
الخميس	١٢ يونيو	١٥	١.٧١٤

وقد استطاعت شركة الهند الشرقية الإنجليزية الحصول على كميات كبيرة . في بعض المواسم التجارية ، كما حدث في موسم عام ١٧٢٦م ، حيث تمكنت من الحصـــول علـــى حوالي ٢.٤٤٨ باله من البن خلال الفترة الواقعة بين ٢٩ مـــارس ١٧٢٦م و ٣١ مـــايو ١٧٢٦م ، الجدول التالي يوضح ذلك [٧٣٢] .

تاريخ الوصول	عدد البالات الواصلة	الإجمالي
٢٩ مارس ١٧٢٦م	٤٠٨	لا يوجد
١ إبريل ١٧٢٦م	٦٢	١٢٦
٢ إبريل ١٧٢٦م	١٠	١٣٦
٤ إبريل ١٧٢٦م	٤٦	٣١٢
٢٠ إبريل ١٧٢٦م	١٤	٣٧٦
٢٢ إبريل ١٧٢٦م	٢٤	٤١٢
٢٣ ابريل ١٧٢٦م	٦	٤١٨
٢٤ ابريل ١٧٢٦م	١٠	٤٢٨

[٧٣١] – الإجمالي: المقصود به هنا كميات البن الواردة إلى مقر الوكالة في المخا بالإضافة إلى الكميات التي كانت موجودة من قبل

[٧٣٢] - Iftikar Khan : Coffee Trade of The Red Sea , P.P.322,323 .

٢٥ ابريل ١٧٢٦م	٥٢	٤٩٠
٣٠ ابريل ١٧٢٦م	٧٠	٦١٨
١ مايو ١٧٢٦م	٦	٦٨٢
٢ مايو ١٧٢٦م	٩٤	٧٤٢
٣ مايو ١٧٢٦م	٣٨	٣٨٦
٢٠ مايو ١٧٢٦م	٣٨	٨٩٢
٢١ مايو ١٧٢٦م	٧٢	١.٧٨٤
٢٢ مايو ١٧٢٦م	٥٠	١.٢٦٠
٢٦ مايو ١٧٢٦م	٢٤	١.٠١٠
٢٧ مايو ١٧٢٦م	١٠٤	٢.٢٠٢
٢٨ مايو ١٧٢٦م	٣٠	٢.٣٠٦
٢٩ مايو ١٧٢٦م	٧٢	٢.٣٣٦
٣٠ مايو ١٧٢٦م	٣٤	٢.٤٠٨
٣١ مايو ١٧٢٦م	٥٦	٢.٤٤٢

ومنذ أن تمكنت شركة الهند الشرقية الإنجليزية من فتح مقر لها في المخا في عام ١٦١٨م ، وهذا المقر كان يدار تحت إشراف مدراء إنجليز تبعثهم الشركة إليه ، وكان يعاونهم في إدارة المقر عدد من المساعدين ، عادة ما يكونوا من الإنجليز أيضا ، وأحياناً من الهنود البانيان .

لقد كان مقر الشركة يتعرض أحياناً للإغلاق لفترات محدودة ، وذلك لأسباب مختلفة، من تلك الأسباب ، على سبيل المثال أنه عندما أدركت الشركة بأن السفن الإسلامية والمحلية تقوم بنقل البن إلى ميناء بندر عباس ، والذي يوجد فيه مقرها الرئيسي ، بطريقة أرخص وأكثر كفاءة[٧٣٣] ، أقفلت مقرها في المخا بعد منتصف القرن السابع عشر .

---

[٧٣٣] اريك ماكرو : اليمن والغرب ، ترجمة : د . حسين عبد الله العمري ، ص٣٠ .

لم يستمر هذا الإغلاق طويلاً إذ سرعان ما أعيد فتح المقر، ولكن تخلل ذلك فتـــرات توقف مؤقتة حتى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر . ولعل من أهم الأســـباب الـــتي جعلت شركة الهند الشرقية تحتفظ بمقر دائم لها في المخا هو وجود فرصة لمستخدميها مـــن اجل الحصول على البن بأسعار ارخص من تلك الأسعار التي تعرض في موسم التجارة ، إذ يمكنهم الحصول على بن رخيص الثمن خلال مدة تصل إلى سبعة ا شهر ، لأن السفن التي تأتي إلى البحر الأحمر من اجل تزويد الأسواق التركية بالبن وكذلك السفن التي تأتي مـــن الهند لا تصل إلى اليمن قبل شهر ابريل ومايو أي خلال موسم التجارة ، وتغادر ثانيـــة في أغسطس وسبتمبر(٧٣٤) .

وقدكانت الشركة تضطر أحيانا لسحب موظفيها الإنجليز و تترك مقراتها في كلٍ مـــن المخا وبيت الفقيه تحت إشراف التجار الهنود ، ولكنها كانت ترسل أحياناً مندوبين عنـــها للاهتمام بتجارة البن ، كما حدث عام **١٧٣٣**م ، عندما أرسلت الشركة المستر فرانسيس ديكنسن كوميســـاري " **Frances Dikinson Commissary** " ومســـاعده المستر جون هانيس " **Jhon Hanys** " إلى المخا ليهتموا بشراء البن ، وقـــد طلبـــت الشركة من ديكنسن شراء أكبر كمية ممكنة من البن من اليمن .

وبمجرد وصوله إلى المخا أرسل ديكنسن مساعدة إلى بيت الفقيه ، حتى يتولى شـــراء البن بسرعة ، قبل أن تصل السفن العربية أو التركية أو حتى الأجنبية ، فتعمل على رفـــع الأسعار هناك . وقد وصل هانيس إلى بيت الفقيه في **١٥** ابريل **١٧٣٣**م وظل فيها حتى **٣** يوليو من نفس العام. وأثناء تواجده هناك تمكن من شراء كمية كبيرة من البن " تجـــاوزت حمولة السفينة البرنس وليم (**Prince William**) التي تقدر بـــ **٣٠٠٠** بالة من الـــبن لتصل إلى **٣٥٠٠** بالة "(٧٣٥) . وقبل أن يتوجه هانيس إلى سوق بيت الفقيه ، وجـــه إليـــه رئيسه ديكنسن العديد من النصائح التي يجب أن يأخذها بعين الاعتبار عند شرائه للـــبن ، حيث قال له : " عليك الانتباه عند شرائك للبن بأن يكون من النوع الجيد ، كما يجب أن

---

(٧٣٤) - **Chaudhuri : The Trading World of Asia , P . 382 .**

(٧٣٥) - **Boxhall : The Diary of Mocha Coffee Agent, P.11 .**

يكون مجفف جيداً ، وخالي من الشوائب ، وكذلك يجب أن يكون مقشوراً ، ومخزن بطريقة جيدة "[٧٣٦] .

لقد حرص ديكنسن على حث مساعدة هانيس على سرعة البدأ في شراء بالات البن قبل وصول السفن الهولندية والفرنسية إلى المخا ، لأن وصول تلك السفن سيعمل على رفع أسعار البن في الأسواق اليمنية . ونتيجة لحرص ديكنسن على تتبع عمليات شراء البن من سوق بيت الفقيه ، والتي كان يشرف عليها مساعده هانيس هناك ، عمد ديكنسن إلى تسجيل تلك العمليات بدقة متناهية ، في دفتر يومي ، حيث كان يسجل عدد بالات البن التي كانت تصل إلى مقر الشركة في المخا يوماً بيوم ، منذ بدأ عمليات الشراء حتى اليوم الذي غادرت فيه السفينة والبرنس وليم ميناء المخا . وليس هذا فحسب ، ولكن كان ديكنسن يسجل أيضاً بعض ملاحظاته حول التغير المستمر في الأسعار ، والتنافس بين الشركات الأوروبية المختلفة على شراء البن . ويعد الدفتر والذي سجل فيه ديكنسن تلك التفاصيل ، من أهم الوثائق التي حفظها أرشيف شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، حول تجارة البن في النصف الأول من القرن الثامن عشر . وتكمن أهمية هذا الدفتر ، والذي عرف بدفتر يوميات المخا في دقة التفاصيل التي أوردها حول تجارة البن ، بحيث رسمت لنا صورة تقريبية لما كانت عليه تجارة البن خلال تلك الفترة والتي تعد من أزهى فترات تجارة البن وأكثرها ازدهارا .

وقد أظهر دفتر اليوميات هذا أنه " بالرغم من أن شركة الهند الشرقية الإنجليزية كانت تستخدم المخا لإنجاز كافة أعمالها الإدارية ، إلا إن معظم مشترياتها من البن كانت تجرى في بيت الفقه "[٧٣٧] ، حيث كانت الشركة تستأجر هناك منزلاً تدير منه عمليات الشراء تلك .

كما أظهر دفتر يوميات المخا السابق ذكره ، الأهمية البالغة لدور التجار البانيان ، في عمليات شراء البن لصالح شركة الهند الشرقية الإنجليزية . حيث قام أولئك البانيان أثناء

---

(٧٣٦) – Ibid : P.104 .

(٧٣٧) – Chaudhuri : The Trading World of Asia , P.375.

شراء السيد هانيس للبن من بيت الفقيه بمساعدته في نقل البن ، وتخزينه ، ووزنه ، وما إلى ذلك من الإجراءات اللازمة لشراء البن . ونظراً لحرص ديكنسن على التزود بالبن طوال العام ، ترك قبل مغادرته للمخا عام ١٧٣٣م مبلغ مائه ألف دولار أسباني لدى اثنين من التجار البانيان كانا يعملان مساعدين لـه ، وهما بارسوتم فالبشتد راجبال " Puurusottam Vallabchd Rajbal " ورانجي رانكود " Ranji Rancod " ، وكتب إليهما رسالة قال فيها : " لقد تركنا في يديكم مبلغ مائه ألف دولار أسباني ، لتستثمر في شراء البن لصالح الشركة ، ونحن نأمل أن تنخفض الأسعار بشكل كبير ، بسبب هبوط كميات كبيرة من الأمطار مؤخراً ، لذلك لن نحدد لكما أسعار الشراء ، ولكننا نعتمد عليكما كلياً في شراء البن في أفضل الأوقات التي يعرض فيها ، ويجب أن يكون شراؤه مبكراً ، وبتأني حتى لا ترفعوا الأسعار "[٧٣٨] . وذكر ديكنسن أن الفرنسيين الموجودين في المخا لم يعد لديهم المال الكافي لشراء البن ، وأن هذا شيئاً جيداً يسمح للبانيان التابعين للشركة بشراء كميات كبيرة منه . لذلك نصح مساعديه أن " ينتبهوا إلى جعل البانيان الموجودين في بيت الفقيه مزودين بالمال دائماً ، حتى يأمنوا شراء كميات جيدة من البن الواصل إلى هذا السوق"[٧٣٩] . وكان ديكنسن يأمل بأن لا يحصل الفرنسيون على البن ، إلا بعد أن يكون البانيان قد حققوا تقدماً في الاستثمار . " كما نصحهم بالانتباه أثناء الشراء ، فيجب أن يكون البن نظيفاً ، ومجففاً ، وخالياً تماماً من الشوائب "[٧٤٠] .

لم يعتمد الإنجليز على مصدر واحد في تزويدهم بالبن ، أعني أنهم كانوا يتعاملون مع كافة التجار العاملين في تجارة البن في اليمن سواءً كان أولئك التجار من البانيان أو من اليمنيين ، بل والأكثر من ذلك أنهم كانوا أحياناً يشترون البن من الحكام ، أي من حكام المناطق الذين كانوا يعملون في تجارة البن ، ففي موسم عام ١٧٣٥م اشترى الإنجليز بناً من الأمير الماس حاكم المخا . وقد أورد شودري " Chaudhuri " في كتابه

---

(٧٣٨) – Bohall : Thw Diary of Mocha Coffee Agent , P.P.114,115

(٧٣٩) – Ibid , P.115 .

(٧٤٠) – Ibid : P.115.

(The Trading World of Asia) قائمة بأسماء الأشخاص الذين باعوا الـــبن لشركة الهند الشرقية الإنجليزية خلال موسم عام ١٧٣٥م ، وقد ذكر بأن هؤلاء التجـــار الذين كانوا يزودون شركة الهند الشرقية الإنجليزية بالبن خلال عام ١٧٣٥م .

ولعله من المفيد معرفة أسماء أولئك التجار الذين كانوا يمثلوا الجنسيات المختلفة لتجار البن العاملين في اليمن . فقد كان منهم التجار اليمنيين والعرب والهنود البانيان و الفـــرس. ونظرا لأهمية هذه القائمة، والتي تحوي اسماء العديد من التجار الذين زودوا شركة الهنـــد الشرقية بالبن عام ١٧٣٥ سوف اوردها[٧٤١] .

الاسم	الكمية بالبهار	النسبة %	عدد مرات التعامل	معدل الأسعار بالدولار الأسباني
سعيد مهدي حلبي	٢١٥.٧٦	٢٣	١٧	١٢٥
حسان مقابص	١٥٥.٨٥	١٧	١٧	١٢٥
دورسي جوجال	١٥٢.٩٣	١٦	١٠	١٣٧
حسان خالدي	١٣١.٧٦	١٤	١٩	١١٥
عبد الولي	٧٦.٩٧	٨	٦	١٣٠
ميجي مولجى	٣٦.٥٩	٤	٨	١٢٦
سولا جيبا	١٩.٤٦	٢	١	١٢٩
جبيلي الحيمي	١٦.٨٦	٢	٣	١١٥
حي بن علي	١٦.٥٦	٢	٤	١٢٦
حي قعطبي	١٥.٩٩	٢	٧	١٢٢
الأمير الماس (الحاكم)	١٤.٢٥	٢	٤	١٣٤
سوجي كونجي	١١.٧٦	١	٢	١١٨
سعيد حميدي	١١.١١	١	٢	١٣٥

(٧٤١) – Chaudhuri : The Trading World of Asia, P. 380

نارنجي كيمجي	٨.١٧	١	١	١١٧
إسماعيل قعطي	٥.٠٧	١	٣	١١٩
عبد الله محمود	٤.٨٨	١	٣	١٢١
حمود علي سرطي	٤.٧٩	١	٣	١١٥
علي صالح هادي	٣.٩٩	٠.٥	٢	١١٧
سعيد حمدي	٣.٦٩	٠.٤	٣	١١٤
حي فتح	٣.٢٢	٠.٤	١	١٣٩
عبد الله بن حمود	٢.٥٩	٠.٣	٤	١٢٢
فقير حجاجى	٢.٣٩	٠.٣	٣	١١٤
حيتى بونجى	٢.٣٤	٠.٣	٣	١٢٧
فقير سرطي	٢.١٠	٠.٢	١	١٢٦
إبراهيم عمان	١.٩٣	٠.٢	٤	١٢٢
عمر بن حمود	١.٤٨	٠.٢	٢	١٢٣
يوسف منصوري[٧٤٢]	١.٨	٠.١	٢	١١٤
محمود حسان هيثمي	٠.٩٨	٠.١	١	١٢٤
عبيد سبيل	٠.٩٧	٠.١	٢	١٣١
شرجي	٠.٨٥	٠.١	١	١٤٠
هادي بن حمود	٠.٧٥	٠.١	٢	١١٤
سعيد علي سرطي	٠.٧٣	٠.١	٢	١١٤
عبدو سالم هندي	٠.٧٢	٠.١	١	١١٥
حمود حسن قعطي	٠.٦٨	٠.١	١	١١٣
هادي شوال	٠.٤١	٠.٠٤	١	١١١

[٧٤٢] – ورد اسمه في المصدر **Isouf Mensuree** ويبدو انه فارسي الجنسية

(Chaudhuri : The Trading World of Asia, P. 380)

سعيد عمر	٠.٤١	٠.٠٤	١	١١٥
حمود مقبول	٠.٤٠	٠.٠٤	١	١١٤
حمود عويد	٠.٣٨	٠.٠٤	١	١١٤
حميد خليفه	٠.٣٥	٠.٠٤	١	١١٥
صادق جعفر	٠.٣٣	٠.٠٤	١	١١٣
موسى قطيف	٠.٢٣	٠.٠٢	١	١١٢

وهذه القائمة مستخلصة من سجلات المقرات التابعة للشركة في مصر والبحر الأحمر، كما أن النسب والأرقام الواردة فيها تقريبية[٧٤٣].

ب: الهولنديون :

أدى تزامن تأسيس شركتي الهند الشرقية الإنجليزية والهولندية ، وتزامن وصولهما إلى الهند عبر طريق رأس الرجاء الصالح ، وبالتالي إلى اليمن ، بالإضافة إلى تزامن اكتشافهما لأهمية البن كسلعة تجارية ذات عائد مادي كبير أدى إلى احتدام شدة المنافسة بينهما حول هذه السلعة . حيث حاولت كل منهما نقل أكبر كمية من البن إلى الموانئ الآسيوية ، مما أدى بالضرورة إلى رفع أسعاره بشكل كبير .

وقد بدأ التنافس بين شركة الهند الشرقية الهولندية ، وشركة الهند الشرقية الإنجليزية حول البن منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر ، واشتد هذا التنافس خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر . الذي شهد نمواً هائلاً في تجارة الشاي والقهوة[٧٤٤]. خاصة بعد أن ساهمت الشركتان في تغيير بعض العادات الاجتماعية في أوروبا ، والتي شجعت الأوروبيين على استهلاك البن في صناعة مشروب جديد وهو القهوة .

سعى الهولنديون لنقل البن في البداية إلى الموانئ الآسيوية ، وذلك من أجل تأمين الحصول على أكبر قدر من سبائك الذهب والفضة من بلدان آسيا بغية خفض شحنات

---

[٧٤٣] – ومن اجل تعميم الفائدة سأرفق هذه القائمة بأسماء التجار ضمن ملاحق البحث كما وردت في مصدرها، انظر الملحق رقم (٩) .

[٧٤٤] – ك . د . بوكسر . إمبراطورية هولندا البحرية ، ترجمة . شوقي جلال ، ص٢٧٧ .

المعادن النفيسة من أوروبا[٧٤٥]. لذلك تأخر وصول البن إلى هولندا حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وعندما قدم الإنجليز إلى اليمن ، ومن بعدهم الهولنــديون في مطلــع القرن السابع عشر ، كان هدفهم الأساسي هو بيع السلع الهنديــة في المــوانئ اليمنيــة ، والعودة بالأموال إلى الهند . ولكن ما إن القوا مراسي سفنهم في الموانئ اليمنية حتى وجدوا البن سلعةً مشهورةً لدى العرب والأتراك والهنود والفرس ، وهو مــا أعطــاهم الأمــل في الحصول على أرباح كبيرة نتيجة لقيامهم بالمتاجرة به . ونظراً لزيادة أهميــة تجــارة الــبن افتتحت كل شركات الهند الشرقية الأوروبية مقرات تجارية ثابتة لها في المخا الميناء الــيمني الرئيسي لتصدير هذه السلعة[٧٤٦]. وأصبح ميناء المخا حلقة مهمــة في سلســلة المــوانئ الآسيوية التي ترتادها السفن الأوروبية . وقد ورد في أحد السجلات الهولندية التي دونــت حركة السفن عام(١٦٣٨/١٦٣٩م) بأن أحدى السفن الهولندية التي كانت في طريقها إلى ميناء بندر عباس الواقع على الخليج العربي قادمة من بتاقياً المقر الرئيس للهولنديين في جزر الهند الشرقية توقفت في ميناء المخا حيث أفرغت جزأً من حمولتها مــن الســكر هنــاك ، وجاءت بالجزء المتبقي منه إلى بندر عباس ، كما حملت البن من المخا[٧٤٧].

لقد كانت مقرات الشركات الأوروبية في المخا تقع تحت مسئولية المقرات الرئيسية في سورات وبومباي ، فمنذ عام ١٦٢١م أصبح مقر وكالة شركة الهند الشــرقية الهولنديــة ضمن مسئولية سورات[٧٤٨]. كما أن مقر شركة الهند الشرقية الإنجليزية في المخا ظل تحت أشراف المقر الرئيسي للشركة في سورات حتى عام ١٦٦٠م[٧٤٩]. وقد ظل المقر الرئيسي في سورات يشرف على كافة المقرات التابعة للشركة ، التي تقع على امتــداد الســواحل الممتدة من المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي .

تولت مقرات الشركات الأوروبية في المخا الأشراف على التجارة التي كانت تتم بين الشركات التي كانت تعمل تلك المقرات لحسابها من ناحية ، وبين اليمن من ناحية ثانيــة .

---

(٧٤٥) – نفس المرجع : ص٢٧٨ .

(٧٤٦) Chaudhrui . Trading World Of Asia , P354.

-

(٧٤٧) – عبد الأمير محمد أمين . دراسات في النشاطات التجارية ، ص٥٩ .

(٧٤٨) – براور . اليمن بداية القرن السابع عشر ، ص١٦ .

(٧٤٩) – Chaudhuri . The Trading World Of Asia , P.47

حيث كانت هذه المقرات تستقبل السفن القادمة إلى اليمن في مواسم التجـــارة ، وتقـــوم بتجهيز البضائع التي تنقلها بعد انتهاء الموسم .

وقد لعبت تلك المقرات دوراً بارزاً في تجارة البن ، حيث كانت تشرف على عمليات شراء البن من الأسواق الرئيسية ، وأحياناً كانت هذه المقرات ترسل منـــدوبيها إلى تلـــك الأسواق من أجل شراء البن ، كما سيتضح لاحقاً .

بدأت الشركات الأوروبية بنقل البن منذ العقد الثاني من القرن السابع عشر ، وقـــد قام الإنجليز بنقل البن من اليمن إلى ميناء سورات في الهند ، " حيث كان يتم بيع جزأً منـــه هناك ويصدر الباقي إلى فارس "[٧٥٠]. هذا وكان سكان فارس قد اعتادوا علـــى شـــرب القهوة منذ وقت طويل ، قبل مجيء الإنجليز إلى موانئهم . فقد " وجد الرحالـــة الإنجليـــزي توماس هاربرت **Thomas Harbrt**، الذي زار بندر عباس عام ١٦٢٨م ، العديد من المقاهي هناك ، حيث كان الناس يتقابلون فيها لشرب القهوة[٧٥١].

أما الهولنديون فبالرغم من تنبهم لأهمية البن التجارية منذ مطلع العقد الثاني من القرن السابع عشر ، إلا أنهم لم يشتروا أي كميه منه حتى عام ١٦٢٧م ، عندما وصل إلى اليمن التاجر الهولندي جوب كريسيانسن خرايب **(Job Christiaeunsz Grijph)** في محاولة لإطـــلاق ســـراح رئـــيس الوكالـــة الهولنديـــة في الـــيمن ولـــيم دي ملـــده **(Willem De Milde)** ، الذي حُبس نتيجة لقيامة بأعمال القرصنة ضد الســـفن الهندية والإسلامية والبرتغالية المتوجهة إلى اليمن ، ونهب حمولتها في عام ١٦٢٢م ، وقـــد أتهمة فضل الله باشا ، الوالي العثماني على اليمن بمسئولية القيام بالأعمال العدوانية وطالبـــة بدفع تعويض كبير جداً[٧٥٢]. ولما لم يدفع تلك الأموال سجنه الوالي العثماني مع أصحابة . وبعد فشل كرستيانسن خرايب في الإفراج عن دي ملده " أبحر في ١٢ يوليـــو ومعـــه ٤٠

---

[٧٥٠] – **Chaudhuri . The Trading World Of Asia , P.304**

[٧٥١] **Ibid : P.304**

[٧٥٢] – براور . اليمن في أوائل القرن السابع عشر ، ص٢٦ .

كيساً من البن وقليل من البضائع الأخرى[٧٥٣]. وقد ذكرت جاكلين بيرين بأن هذه الكمية قد وصلت إلى بلاد هولندا في سنه ١٦٣٣م[٧٥٤]. وبالتقدم نحو نهاية الأربعينـــات وبدايـــة الخمسينات من القرن السابع عشر كانت كميات البن تشتريها شـــركة الهنـــد الشـــرقية الهولندية تتراوح مابين ١٢٠.٠٠٠ و ٢٠٠.٠٠٠ باوند ــ رطل هولندي ــ سنوياً[٧٥٥].

ولم يبدأ بيع البن في المستردام إلا في عام ١٦٦٢م ، حيث كان ذلك لأول مـــرة . ولم يجلب إلى هولندا مباشرة من المخا إلا بعد مضى عامين من ذلك التاريخ[٧٥٦]. وقد قُـــدرت تلك الكمية بـــ (٢١.٤٨١) باوند ، أي رطل هولندي من بن المخا . وفي العام التـــالي لم يتم بيع كمية منه في المستردام ، لأسباب غير معروفة . ولكن تم خلال الفترة الممتدة بـــين ٦٣ ــ ١٦٦٤م و ٦٦ ــ ١٦٦٧م بيع كميات متفاوتة من البن ، إلا أنه لم يـــتم خـــلال تلك الفترة بيع أي كمية تعادل الكمية الأولى[٧٥٧]. وقد أعقب ذلك فترة توقف عن إرسال البن إلى هولندا ، حتى عام ١٦٨٥م حيث تم نقل ما مقداره (١.٧٩٢) باونـــد . وقـــد ارتفعت هذه الكمية في عام ١٦٨٧م إلى ٢.٥٨٦ باوند . عموماً ، بدأ البن يظهر بشـــكل دائم في طلبات رحلات العودة إلى هولندا منذ عام ١٦٨٦م . وقد رفعت الشركة طلباتهـــا من البن خلال ثمانينات القرن السابع عشر في ٥٠.٠٠٠ لبيرة – رطل – إلى ٤٠٠.٠٠٠ لبيرة[٧٥٨].

ازداد عدد مستهلكي البن في أوروبا في نهايات الثمانينات في القرن السابع عشـــر ، وقد ذكر مدراء شركة الهند الشرقية الهولندية في عام ١٦٨٩م بأن استهلاك البن في أوروبا في تزايد مستمر ، وأن مبيعات البن تزداد يوماً بعد يوم ، ولهذا السبب طلبوا من الشركة في بتاقيـــا إرســـال مـــابين (٧٥.٠٠٠) و (٨٠.٠٠٠) باونـــد مـــن الـــبن إلى

---

[٧٥٣] – ماكروا . اليمن والغرب ، ترجمة :د. حسين عبدالله العمري ، ص٣٤ .

[٧٥٤] – جاكلين بيرين . اكتشاف جزيرة العرب ، ترجمة : د قدري قلعجي ، ص٨٨ .

[٧٥٥] - Glmann . Dutch , Asi tic Trade , P.184

[٧٥٦] – ماكرو . اليمن والغرب ، ترجمة :د. حسين العمري ، ص٣٤ .

[٧٥٧] – Glamann . Dutch – Asiatic Trade , P.183

[٧٥٨] – عبد الأمير محمد أمين . دراسات في النشاط التجاري ، ص٣٩ .

هولندا[٧٥٩] . وشددوا على أن البن المرسل يجب أن يكون طرياً وجيداً . ونظراً لوصول كمية رديئة من البن إلى هولندا خلال العام التالي ، تم تخفيض كمية البن المطلوبة إلى ما بين (٤٠.٠٠٠) و (٥٠.٠٠٠) باوند .

ظل البن ينقل إلى هولندا بشكل متقطع وبكميات متفاوتة حتى عام ١٦٩٠م ، عندما بدأ البن ينقل بشكل منتظم . وقد ارتفعت الكمية التي وصلت إلى هولندا في عام ١٦٩٥م من ٥٠.٠٠٠ باوند إلى ما بين (٣٠٠.٠٠٠) إلى (٤٠٠.٠٠٠) باوند[٧٦٠] . وقد استمرت هذه الكميات في الوصول إلى هولندا حتى عام ١٦٩٩م ، عندما انخفضت الأسعار هناك ، مما دفع مجلس مدراء الشركة إلى تخفيض الكمية المطلوبة إلى النصف .

ولم يستمر هذا الانخفاض طويلاً ، إذ سرعان ما عادت كميات البن المطلوبة إلى الارتفاع ثانيةً . ففي حوالي سنة ١٧٠٠م بدأ إلحاح غرب أوروبا من أجل الحصول على البن ، وبهذا أرسيت شروط التبادل التجاري المنتظم ، فازدهرت تجارة البن مع اليمن خلال فترة قصيرة ، بحيث وصلت إلى حمولة سفينتين كبيرتين من البن في السنة[٧٦١] ، وقد تم تصدير ما يقارب من مليون كيلوجرام من البن اليمني إلى هولندا خلال ذلك العام .

أدى التنامي المستمر لاستهلاك البن في أوروبا عامة ، وهولندا خاصة في بداية القرن الثامن عشر ، إلى حدوث تنامي مقابل له في استيراد البن من اليمن ، فقد " زادت شركة الهند الشرقية الهولندية كميات البن المستوردة في عام ١٧٠٣م إلى كمية تتراوح ما بين (٢٠٠.٠٠٠) إلى (٢٥٠.٠٠٠) باوند ، وظلت هذه الزيادة مستمرة بشكلٍ مضطرد حتى وصلت عام ١٧٠٧م إلى (٥٠٠.٠٠٠) باوند . وفي عام ١٧١١م إلى ما بين (٦٠٠.٠٠٠) و (٧٠٠.٠٠٠) باوند "[٧٦٢] .

---

[٧٥٩] – Glamann . Dutch – Asiatic Trade , P.186

[٧٦٠] – Ibid : P.186

[٧٦١] – بن سلوت : الهولنديون على سواحل شبه الجزيرة العربية ، ص٣١ .

[٧٦٢] – Glamann . Dutch – Asiatic Trade , P.186

وقد لاحظ الفرنسيون عند وصولهم إلى اليمن عام ١٧٠٩م ، بهدف شراء البن مباشرة من اليمن النشاط الكبير الذي مارسه الهولنديون في مجال تجارة البن ، وقد ذكر جان دي لاروك أنه كان يوجد في المخا مقراً لشركة الهند الشرقية الهولندية كما ذكر أيضاً: " أن الهولنديين يرسلون سفينة كل عام حمولتها سبعمائة طن من بتافيا إلى المخا ، ويحملونها بالبن والبضائع العربية المرسلة إلى بتافيا ، حيث يوجد مخزنهم الرئيسي . إما لتصديرها إلى أوروبا أو إلى جزأ أخر من جزر الهند "[٧٦٣] . هذا وكان الهولنديون قد أعادوا فتح مقر وكالة الشركة في المخا ، بناءً على طلب من الإمام بذلك ، وقد منحهم الإمام امتيازاً يتضمن "حق تصدير ٦٠٠ بالة من البن ، معفية من الضرائب سنوياً "[٧٦٤] .

وبالرغم من ذلك لم تسر عمليات شراء الهولنديين للبن من المخا على وتيرة واحدة ، فبينما قد تشهد بعض الفترات شراء كميات كبيرة ، فإنها قد تنخفض إلى أدنى مستوى لها في فترات أخرى . ويعود ذلك لأسباب كثيرة ، منها حدة التنافس بين الشركات الأوروبية المختلفة والتي تعمل في مجال شراء البن ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية عدم تمكن اليمنيين من توفير كميات كافية من البن تواكب الطلب المتزايد عليه . خاصة في الفترات التي كانت تشهد فيها اليمن بعض الاضطرابات السياسية ، أو التغير في العوامل الطبيعية مثل الجفاف والجراد وغيرها . كل ذلك أدى إلى تذبذب كميات البن التي اشتراها الهولنديون من اليمن والجدول التالي يوضح حجم مشتريات الشركة من البن بين عامي ١٧١٣م و ١٧٢٧م ، كما يوضح معدل الأسعار لكل باوند[٧٦٥] .

السنة	حجم البن في ألف باوند	معدل الأسعار بالأستويفر[٧٦٦]
١٧١٣	١.١١٨	١١.٦
١٧١٤	١.١٠١	١٠.٨

[٧٦٣]– جان دي لاروك : رحلة إلى بلاد العربية السعيدة ، ص٦٣ .

[٧٦٤] – Boxhall : The Diary of Mocha Coffee Agent , P.P.102-103

[٧٦٥] – Glamann : Dutch – Asiatic Trade , P.201

[٧٦٦] – الاستويفر : عملة هولندية ، ويساوي الجلدر أو الفلورين الهولندي الواحد عشرين ستويفر (بوكسر : امبراطورية هولندا البحرية، ص٤٠١) .

١٧١٥	٥٦٨	١١.٣
١٧١٦	٧١١	١١.١
١٧١٧	١.٤٧١	١٣.٦
١٧١٨	١.٥٨٥	١٧
١٧١٩	١.٦٢٧	١٥.٣
١٧٢٠	١.٧٧٢	١٤.٩
١٧٢١	١.٦٩٩	١٤.٤
١٧٢٢	١.٦٨٥	١٥.٨
١٧٢٣	٨٦٤	١٧.٧
١٧٢٤	٨٠٨	١٩.٧
١٧٢٥	٤٦٢	٢٢
١٧٢٦	٥٦١	١٤.٦
١٧٢٧	٥٣٤	١٠.٤

إنه لمن الملفت للانتباه حقاً أن الهولنديين كانوا يدفعون أسعاراً للبن تختلف عن تلك التي كانت يدفعها الإنجليز خلال نفس الفترة . وربما يعود السبب في ذلك إلى الفرق في الأوزان الهولندية والإنجليزية . حيث كان الرطل الهولندي يساوي ٠.٤٩٤ من الكيلوجرام أي أنه يساوي عملياً ١.٠٩ رطل إنجليزي[٧٦٧] .

والجدول التالي يوضح اختلاف الأسعار التي يشتري بها كلاً من الإنجليز والهولنديين البن من المخا بين عامي ١٧١٣م و ١٧٢٧م [٧٦٨].

السنة	الشركة الهولندية	الشركة الإنجليزية
١٧١٣	١٢٩	١٢٨

(٧٦٧) بوكسر : إمبراطورية هولندا البحرية ، ترجمة : شوقي جلال ، ص٤٠٢ .

(٧٦٨) - Glamann : Dutch – Asiatic Trade , P.205 .

١٧١٤	١٢٠	مفقود
١٧١٥	١٢٦	١٢٩
١٧١٦	١٢٤	١٢٣
١٧١٧	١٥٢	مفقود
١٧١٨	١٨٩	١٧٥
١٧١٩	١٧٠	١٧١
١٧٢٠	١٦٥	١٤٥
١٧٢١	١٦١	١٥١
١٧٢٢	١٧٦	١٦٧
١٧٢٣	١٩٨	١٩٥
١٧٢٤	٢١٣	٢١١
١٧٢٥	٢٤٥	١٨٩
١٧٢٦	١٦٣	١٥٢
١٧٢٧	١١٥	مفقود

ونتيجة لتزايد الطلب على البن خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ارتفعت أسعاره بوتيرة متسارعة ، وبينما كانت أسعار البن ثابتة الى حد ما بين عامي ١٧٠٨ و ١٧١٦م حيث كان يتراوح سعره ما بين ١١ و ١١.٥ ستويفر لكل باوند ، ارتفع هذا السعر إلى ١٣.٦ ستويفر لكل باوند في عام ١٧١٧م . وفي عام ١٧١٨م وصل سعر الباوند الواحد إلى ١٧ ستويفر .

ونتيجة لهذا الارتفاع في أسعار البن استاء مدراء الشركة في هولندا ، إلا أن موظفيها في كلٍ من بتافيا واليمن قدموا تفسيرات منطقيةً لذلك الارتفاع ، مدعمة بإحصائيات دقيقة. فقد ذكروا بأنه " بينما كان إجمالي مشتريات الشركة من البن خلال السنوات من (١٧٠٧م) إلى (١٧١٥م) قد وصلت إلى (٤.١٤٣.٢٥٢) باوند ،

نقلت على متن ثمان سفن إلى هولندا ، فإن إجمالي مشترياقما خلال الثلاث السنوات التاليـــة بين عامي(١٦١٦م) و (١٦١٨م) قد صلت إلى (٣.٧٦٨.٤٩٤) باوند نقلت على متن خمس سفن "[٧٦٩] .

وقد أدى ارتفاع كميات البن التي اشترتها شركة الهند الشرقية الهولندية ، إلى جانـــب ارتفاع كميات البن التي اشترتها كلاً من شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، وشـــركة الهنـــد الشرقية الفرنسية ، بالإضافة إلى الكميات الكبيرة التي اشتراها التجار الأتـــراك والعـــرب والفرس والهنود ، أدت بالضرورة إلى ارتفاع أسعاره ، خاصةً عنـــدما أصـــبح اليمنيـــون عاجزين عن مواكبة الطلبات المتزايدة من البن ، لذلك قفزت الأسعار إلى مستويات عالية .

لقد وصلت تجارة شركة الهند الشرقية الهولندية من البن إلى ذروتها في عـــام ١٧٢٠م " حيث بلغ إجمالي مشتريات الشركة البن (١.٧٧١.٧٤٢) باوند (رطل ، بملـــغ قُـــدر بـــ (١.٣١٧.٠٥٥) فلورين ، وبمعدل (١٤.٩) ستويفر لكـــل باونـــد "[٧٧٠] وقـــد شحنت تلك الكمية من البن على متن السفينتين روتردام (**Rotterdam**) ولـــوتنبرج (**Lugtenberg**) . ووصلت تلك السفينتين " بأكبر شحنة من البن أخذها الهولنديون من المخا حتى ذلك الحين "[٧٧١] .

سببت هذه الشحنة الانزعاج لمدراء الشركة في هولندا ، بسبب ارتفاع ثمنها ، لذلك قرروا فصل وكيل الشركة في المخا من عمله ، كما ألغوا راتبه ، وتم اســـتدعائه إلى بتافيـــا مقبوضاً عليه بتهمة خداعه للشركة عند شرائه لهذه الشحنة من البن[٧٧٢] . فقد اتُهم بإهدار أموال الشركة ، خاصة بعد أن تبين لمدرائها في هولندا أن الشركات الأوروبية الأخـــرى،

---

(٧٦٩) **Glamann : Dutch – Asiatic Trade , P.196**

(٧٧٠) **Ibid, P.202**

(٧٧١) ماكرو : اليمن والغرب ، ترجمة : د. حسين العمري ، ص٣٥ .

(٧٧٢) **Glamann: Dutch – Asiatic Trade , P.202 .**

خاصة شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، قد تمكنت من شراء كميات كبيرة من البن بأسعار أقل وجودة أكبر

جـ : الفرنسيون :

بدأ اهتمام الفرنسيين بشراء البن من اليمن مباشرة في وقت متأخر نسبياً عن الإنجليز والهولنديين . فقد وصلوا إلى اليمن بعد مرور حوالي قرناً من الزمن تقريباً على وصول الأوربيين السابق ذكرهم .

وقد وصلت أول بعثة تجارية فرنسية إلى اليمن في يناير من عام ١٧٠٩م ، وذلك من أجل شراء البن . وقد ذكر جان دي لاروك بأن الهدف الرئيسي لهذه البعثة هو شراء البن من اليمن مباشرة ، وأن الفرنسيين كانوا يشترون معظم البن من الأتراك في شرقي المتوسط وأحياناً من الإنجليز والهولنديين[٧٧٣] .

ومما لاشك فيه أن الأرباح التي كان يجنيها الإنجليز والهولنديون من جراء متاجرتهم في البن اليمني قد شجعت الفرنسيين على تسيير هذه الرحلة البحرية إلى اليمن . وقد وصلت أول رحلة فرنسية إلى المخا في ٣ يناير من عام ١٧٠٩م على متن السفينتين الفرنسيتين كيرييز (Curieuse) وديلجنت (Diligent) التابعتين لشركة سانت مالو الفرنسية[٧٧٤] وتحت قيادة البحار الفرنسي دي ميرفيل (De – Merveille) وشامبلوريه .

وعقب وصول هذه السفن إلى المخا تمكن قائد الرحلة دي ميرفيل من عقد معاهدة تجارية مع حاكم المدينة صالح الحريبي نيابة عن الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ، صاحب المواهب . وقد تكونت هذه المعاهدة من عشر مواد . أوردها بلايفير وقد جاء فيها: بأنه يحق للفرنسيين التمتع بممارسة طقوسهم الدينية بحرية ، ويحق لهم أيضاً رفع علم فرنسا

[٧٧٣] – جان دي لاروك : رحلة إلى بلاد العربية السعيدة ، ص١٧ .

[٧٧٤] – جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب شبه الجزيرة العربية ،ص٣٠.

على مقر إقامتهم في المخا ، كما تم تحديد نسبة الضرائب على البضائع المباعة بنسبة ٣٪ ، كذلك مُنح الفرنسيين حق المتاجرة في المخا طول النهار والعودة إلى سفنهم ليلاً[٧٧٥] .

اهتم الفرنسيون إثر عقد المعاهدة السالفة الذكر بشراء البن متمتعين بالامتيازات التي حصلوا عليها بموجب تلك المعاهدة . وحتى يحصلوا على أكبر كمية من البن ، أرسلوا السيد دي شامبلوريه إلى مدينة بيت الفقيه ، حيث توجد السوق الرئيسية لبيع البن في اليمن . وقد تمكن دي شامبلوريه من الحصول على كميات كبيرة من البن، قدرها جان دي لاروك " بقيمة تزيد على مائتي ألف قرش "[٧٧٦] .

عادت تلك الرحلة إلى فرنسا بعد أن بقيت في اليمن لمدة ستةً أشهر ، إطلعت من خلالها على مدى إمكانية العودة مرة ثانية ، وتحقيق أرباح جديدة من جرأ ممارسة تجارة البن.

لقد كانت نتيجة الرحلة الأولى مرضيةً جداً ، وقد سُعدت الشركة التي تضم تجار سانت مالو ، والتي أُنشئت بصفة رئيسية للقيام بتجارة البن مع شبه الجزيرة العربية للغاية من الفوائد التي تحققت في الحملة الأولى[٧٧٧] . لذلك أرسلت الشركة ذاتها رحلةً أخرى ، وصلت إلى اليمن عام ١٧١٢م[٧٧٨] . لقد كانت هذه الرحلة مكونة من سفينتين هي السلام (La Paix) والمجتهد (Le Diligent) التي شاركت في الحملة الأولى ، ووضعتا تحت إمرة دي لا لند " De La Lande " ودي بريزلن " De Briselaine " وهما قبطانان ذوا خبرة عالية[٧٧٩] . وكان قائد هذه ألرحلة هو دي ميرفيل الذي قاد ألرحلة السابقة إلى اليمن .

---

(٧٧٥) – Playfair : History of Arabia Felix , P.P.113,114 .

(٧٧٦) – جان دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي ، ص٩٥ .

(٧٧٧) – نفس المرجع ، ص١٢٩ .

(٧٧٨) – Marston : Britain's Imperial Role In The Red Sea , P.28 .

(٧٧٩) – هنري لابروس : البرتغاليون والفرنسيون في اليمن والبحر الأحمر ، ترجمة : حسين أحمد الورد ، مجلة الاكليل ، ص١٦٥ .

غادرت هذه الرحلة سانت مالوا في ٤ يناير ١٧١١م ، ووصلت إلى المخا في ٢ديسمبر من نفس العام . وعند وصول هذه الرحلة إلى المخا كان الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن يعاني من مرض في إحدى أذنيه ، وعندما علم بقدوم الفرنسيين ، استدعى طبيباً من إحدى السفن الفرنسية لمعالجته . وتبعاً لذلك أرسل وفدا مكون من عشرين شخصاً يرأسه دولا جرولوربيير في(١٤ فبراير ١٧١٢م) إلى الإمام في المواهب ، وسار هذا الوفد عبر جبلة ويريم وذمار حتى وصل المواهب حيث يقيم الإمام[٧٨٠] . وقد وصل هذا ألوفد إلى المواهب في ٢٢ فبراير من نفس السنة . حيث استُقبل استقبالاً حافلاً .

وفي المواهب قام الطبيب الفرنسي باربيه (Barbien) وهو جراح السفينة ديلجنت (Le Diligent) ، بمعالجة الإمام والعناية به .

وقد ظل الوفد الفرنسي في المواهب ثلاثة أسابيع حتى شفي الإمام[٧٨١] . وقد ترك هذا الوفد شعوراً طيباً عند الإمام تجاه الفرنسيين ، الذين أحاطهم بعنايته الخاصة . وقد انعكس ذلك على الامتيازات التجارية التي منحها لهم في مجال تجارة البن .

وقد تجلت تلك الامتيازات في التسهيلات التي منحها الإمام للفرنسيين من أجل شحن البن من اليمن ، حتى أنه شخصياً عرض على الوفد أثناء تواجده في المواهب عاصمة حكمه ، تقديم خمسمائة بالة من أجود أصناف البن[٧٨٢] كهدية منه لملك فرنسا لويس الرابع عشر . إلا أن الوفد اعتذر عن قبول تلك الكمية من البن ، لأن عملية شحن السفينتين كانت قد قطعت شوطاً متقدماً ، ولم يعد هناك متسعاً لمثل هذه الكمية الكبيرة . وقد علق جان دي لاروك على ذلك بقوله : " ولكن الحقيقة هي أنهم لم يعتقدوا أنه ينبغي عليهم من تلقاء أنفسهم من دون إذن في البلاط ، تسلم مثل تلك الهدية "[٧٨٣] .

لقد حرص الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن على الحفاظ على علاقات تجارية متميزة مع الأوربيين بشكل عام ، والفرنسيين بشكل خاص وقد تجلى موقفه هذا من خلال عدم الاستجابة للاحتجاج الذي صدر عن الدولة العثمانية حول علاقة الإمام بالتجار

---

[٧٨٠] – جاد طه : سياسة بريطانيا ، ص٣١ .

[٧٨١] – نفس المرجع : ص٣١ .

[٧٨٢] – دي لاروك : رحلة إلى العربية السعيدة ، ص١٤٩ .

[٧٨٣] – نفس المرجع ، ص١٤٩ .

الأوربيين ، فقد وصل إلى الإمام المهدي ، أثناء وجود الوفد الفرنسي في المواهب مبعـــوث تركي أرسله السلطان العثماني للاحتجاج على تخفيض عمليات إرســـال الـــبن إلى مصـــر والدولة العثمانية ، والذي كان يصرف من هناك إلى أوروبا(٧٨٤) . كما تم الاحتجاج أيضاً على دخول السفن الأجنبية إلى البحر الأحمر من جهة الجنوب ، وذلك لشحن البن مباشرة من اليمن ونقله إلى أوروبا عبر طريق رأس الرجاء الصالح .

وقد ذكر المبعوث التركي : أن هذا العمل قد أثر بشكل كبير على تجارة الســـلطان العثماني في البن ، والعوائد المالية الناتجة منها(٧٨٥) لذلك طلب المبعوث من الإمام المهـــدي عدم تصدير البن إلا إلى مصر فقط(٧٨٦) . معتمداً في هذا الطلب على الروابط الدينية بـــين إمام اليمن والسلطان العثماني .

تجاهل الإمام الاستجابة لهذا الطلب تماماً ، وسمح للسفن الفرنسية بشحن ما تســـتطيع حمله من البن ، وبنفس الأسعار المحددة أثناء الحملة الأولى(٧٨٧) .وقد جاء تجاهل الإمام لهذا الطلب لتعارضه مع حركة تنشيط التجارة في الموانئ اليمنية(٧٨٨) .

ولم تستمر العلاقات الجيدة بين حكومة اليمن والشركة الفرنسية لمدة طويلة ، فقـــد بدأت تلك العلاقات تتصدع منذ مطلع الثلاثينات من القرن الثامن عشر ، فقد كان حاكم المخا يقوم بشراء بضائع من السفن الهندية التابعة للشركة دون أن يدفع الأموال المســـتحقة على تلك البضائع ، وعوضاً عن ذلك كان يعد بخصم ثمن تلك البضائع من قيمة الضرائب المستحقة للدولة في العام التالي ، ومع استمرار تطبيق هذا النظام تورط الحـــاكم في ديـــون كبيرة للشركة قُدرت بـــ (٨٢.٠٠٠ دولار)(٧٨٩) .

---

(٧٨٤) – هنري لابروس : البرتغاليون والفرنسيون في اليمن ، ترجمة : احمد الورد، مجلة الاكليل ، ص١٦٧ .

(٧٨٥) - Marston : Britian's Impertal Role In The Red Sea , P.28 .

(٧٨٦) Playfair : History of Arabia Felix , . P.115

(٧٨٧) – هنري لابروس : المرجع نفسه ، ترجمة احمد الورد ، الاكليل ، ص١٦٧ .

(٧٨٨) – فاروق أباظه : عدن والسياسة البريطانية ، ص٧١–٧٢ .

(٧٨٩) - Playfair : History of Arabia Felix , P.115 .

ومن أجل استعادة تلك الأموال ، أرسلت الشركة أسطولاً تجارياً يصحبه أسطولاً عسكرياً للمطالبة برد تلك الديون . وعندما وصل ذلك الأسطول إلى المخا عام ١٨٣٨م طلب الفرنسيون من الحاكم دفع الديون التي عليه للشركة ولكنه رفض ، واستعد للمقاومة ، لذلك قامت السفن الفرنسية بضرب المدينة بالمدفعية من البحر مما أثار الرعب بين سكان المدينة . و أدى إلى قبول الحاكم دفع الديون التي عليه . كما وقعت معاهدة مع الفرنسيين تم بموجبها تخفيض الرسوم الجمركية المفروضة على الفرنسيين من ٣٪ إلى ٢,٥ ٪ [٧٩٠] .

د : الدول الأوروبية الأخرى :

يعد النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي أهم فترات تجارة البن في اليمن ، فقد بلغ التنافس الدولي حول تجارته الذروة . وقد شهدت هذه الفترة دخول العديد من الأمم الأوربية غمار تجارته ، بسبب التزايد المضطرد لعدد مستهلكيه في أوروبا . والجدول التالي يوضح بعض تلك الدول الأوربية ، وكميات البن التي حصلت عليها خلال الفترة من ١٧٢٥م إلى ١٧٤٦م من المخا ، مقدرة بوحدة الرطل[٧٩١] .

السنة	سويسرا / جنيف	إيطاليا / سافوا / بيرنت	أسبانيا	البرتغال
١٧٢٥	–	١٧٧٥٤	٤٧٠	–
١٧٢٦	–	–	–	–
١٧٢٧	–	٣٩.١٦٣	–	–
١٧٢٨	١٩٨.٤٩٧	–	–	–
١٧٢٩	٣١.٨٠٠	–	–	–
١٧٣٠	٧٦.٩١٥	–	–	–
١٧٣١	٥١.٥٦٠	–	–	–

(٧٩٠) – Playfair : History of Arabia Felix : P.116 .

(٧٩١) – Iftikhar Khan : Coffee Trade of the Ked Sea P. 227

,

١٧٣٢	٩٦.٤١٥	–	–	–
١٧٣٣	٥٠.٥٩٠	–	–	–
١٧٣٥	١٢٨.٣١٠	–	–	–
١٧٣٦	١٠٨.١٤٠	–	–	–
١٧٣٧	٨٨.٠٦٣	–	–	–
١٧٣٨	١١٤.٠٥٠	–	–	–
١٧٣٩	٤١.٧٧٥	١٣.٧٥٠	–	–
١٧٤٠	–	٢٢.٢٧٥	–	–
١٧٤١	–	١٩.٤٨٦	٦٦٩	١٣٦
١٧٤٢	–	٢٥.٩٤٥	–	–
١٧٤٣	–	٦١.٧٥١	٢٠٢	–
١٧٤٤	٢٠٤	١٦.١٨٠	–	–
١٧٤٥	١٦٧	٥.٨٨٠	١١٤	–
١٧٤٦	–	١٩.٨٥٩	٢٥٠	–

ولا يُعرف بالضبط كيف كانت تصل هذه الكميات إلى تلك البلدان وهل كانت سفنهم تصل إلى الموانئ اليمنية ؟ أم أن تلك الكميات من البن كانت تصل إلى تلك البلدان عن طريق وسيطاً آخر ، مثل شركات الهند الشرقية الأوروبية المختلفة ، أو عن طريق مصر والدولة العثمانية ، باعتبارهما من أهم مراكز توزيع البن إلى كافة أنحاء أوروبا . وترجح الباحثة بأن البن ربما يكون قد وصل إلى تلك البلدان عبر المصادر المذكورة مجتمعة ، خاصة وأن الأرباح التي كانت تجنيها الشركات والتجار العاملين في تجارة البن كانت كبيرة ومشجعة على نقله والمتاجرة به .

وثمة عدة دول صغيرة أخرى دخلت في منافسة مع فرنسا وهولندا وانجلترا على التجارة في البحار الشرقية خلال القرن الثامن عشر . فقد تأسست شركة تابعة للنمسا في عام ١٧١٧م ، عرفت شركة الأوستند " وقامت سفن هذه الشركة بنشاط تجاري واسع في

المخا بين سنة ١٧١٩م وسنة ١٧٢٧م مما سبب حرجاً كـثيراً للفرنسـيين والهولنـديين والإنجليز "[٧٩٢] . ولكن هذه الشركة انهارت بسرعة نتيجة لوقوف الشـركات الأوربيـة الكبرى ضدها . كما لعب الدنماركيون دوراً محدوداً في تجارة البن فقد قاموا بمعاملات تجارية متقطعة مع المخا خلال القرن السابع عشر ولكنها لم تكن على نطاق واسع[٧٩٣] .

خامساً : بداية انحسار الاهتمام الأوروبي بالبن اليمني :

وصل التنافس بين الدول الأوربية على تجارة البن اليمني في المخا إلى الـذروة خـلال الأعوام ما بين ١٧٢٠م و١٧٤٠م . وكان سعر البن في تلك الفترة يتراوح في بيت الفقيه ما بين ١٢٦.١٣٠ دولاراً أسبانياً[٧٩٤] .

أدى زيادة التنافس على تجارة البن إلى حدوث ارتفاع كبير في أسـعاره في الـيمن ، الأمر الذي دفع الشركات الأوربية لمحاولة إيجاد مصادر جديدة للحصول عليـه بأسـعار أرخص ، لذلك لجأوا لمحاولة زراعته خارج اليمن ، وهو ما نجحت شركة الهنـد الشـرقية الهولندية في القيام به .

ولقد جرت أول محاولة لزراعة البن خارج اليمن عام ١٦٩٦م ، حيث تم خلال ذلك العام نقل أول شجيرات بن إلى بتافيا بهدف زراعتها هناك ، ولكنها ماتت بسبب الهـزات الأرضية والغرق . ولكن كان الحظ أوفر في نجاح زراعة بعض شجرات البن اليانعـة الـتي نقلها الحاكم العام زوارد كورن (Zwaarde Corn) إلى جاوه . وفي عام ١٧٠٧م أمر مجلس مدراء الشركة السبع عشر في هولندا بتشجيع زراعة البن في جزر الهند الشرقية. وقد أظهر الحاكم العام هورن (Hoorn) اهتماماً كبيراً بزراعته[٧٩٥] .

وبعد مرور مدة وجيزة من محاولة زراعة البن في جاوه كتبت حكومة بتافيـا في عـام ١٧١١م إلى هولندا أنهم تمكنوا من قطف ٨٩٤ باوند من البن في جزر الهنـد الشـرقية . وقد تم نقل تلك الكمية مباشرة إلى هولندا ، حيث تم بيعه في المستردام وميدلبرج في عـام

---

(٧٩٢) – اريك ماكرو : اليمن والغرب ، ترجمة : د. حسين عبدالله العمري ، ص٤٢ .

(٧٩٣) – نفس المرجع : ص٤٢ .

(٧٩٤) – عباس فاضل السعدي : البن اليمني ، ص١٠٦ .

(٧٩٥) - Glamann : Dutch – Asiatic Trade , P.2

١٧١٢م ، بسعر ٢٧.٨٨ ستويفر و ١٩.٥٠ ستويفر لكل باوند بالترتيب . وهذه الأسعار منخفظة إلى حد ما عن أسعار بن المخا والتي وصلت خلال نفس الفترة إلى ٢٨.١٠ ستويفر لكل باوند[٧٩٦] .

وقد بدأ الهولنديون زراعة البن في جاوه ثم نقلوها إلى جزر الهند حيث انتشرت زراعتها في كلٍ من شرق وغرب الهند ثم نقلت إلى أمريكا اللاتينية ،خاصة البرازيل ،حيث نجحت زراعته هناك بشكل كبير، وبذلك كُسر احتكار اليمن لهذا المحصول[٧٩٧] .

ولقد استطاع الهولنديون الاستفادة بسرعة من زراعة البن في جنوب شرق آسيا " فبينما كان ٩٠٪ من البن الذي اشتراه الهولنديون في موسم ١٧٢١م من المخا و١٠٪ فقط من جاوه ، فإنه بعد مضي خمس سنوات فقط حدث العكس تماماً "[٧٩٨] . وتزايد المحصول المنتج في مناطق جنوب شرق آسيا بشكل سريع ، ففي عام ١٧٢٠م كانت اشجار البن تعطي ١٠٠.٠٠٠ ليبيره (رطل) من المحصول ، وقد وصلت هذه الكمية في عام ١٧٣٢م إلى ١٢ مليون لبيره[٧٩٩] .

وفي سبيل الحصول على البن مارست شركة الهند الشرقية الهولندية سياسة العنف والإكراه ضد سكان الجزر الإندونيسية ، من أجل إجبارهم على زراعته حتى أن جاوه كانت في نظر الشركة عبارة عن مزرعة ضخمة للبن يملكها الهولنديون [٨٠٠] . وخاصة بعد أن تبين لهم بأن للبن سوقاً ضخمة في أوروبا ، وبأنها ستكون سلعة تجارية موفورة الأرباح جداً .

ومن أجل إحكام سيطرة الشركة على إنتاج البن هناك ، اتبعت سياسة مكونة من ثلاث شعب ، أولاها تخفيض جبري في أسعار البن بباتافيا ، وثانيها تحديد الزراعة أي

---

[٧٩٦] - Glamann : Dutch – Asiatic Trade:P.207

[٧٩٧] – Marston : Britain's Imperial Role , P.27

[٧٩٨] Glamann : Dutch – Asiatic Trade , P.206

[٧٩٩] – ميشيل دوفيز : أوروبا في القرن الثامن عشر، ترجمة : الياس مرقص ، ص١٦١ .

[٨٠٠] بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة : عبدالعزيز توفيق جاويد، ص١١٦ .

تخصيص الأراضي لزراعة البن ، وإجبار المزارعين على زراعته في تلك الأراضي ، وثالثها العمل على غش المنتجين للبن ، الذين كانوا يضطرون إلى تسليم ما بين ٢٤٠ رطل و ٢٧٠ رطل مقابل ثمن ١٢٥ رطلاً فقط ، وبعد إجراء تخفيضات لأسباب وذرائع مختلفة لا يصل إلى جيب المزارع الإندونيسي إلا ثمن ١٤ رطلاً[٨٠١] .

ونظراً لضعف الفائدة التي كانت تعود على المزارعين الأندونيسيين أحجموا عن الاستمرار في زراعة البن ، لذلك أُجبروا على زراعته تحت إشراف صارم من قبل موظفين هولنديين ، وعين عدد من ضباط الصف يعرفون باسم جاويشيه البن ، للتأكد من أن الفلاحين لا يهملون زراعة البن . وقد مارست الشركة من خلال موظفيها أقصى درجات العنف ضد المزارعين الأندونيسيين ، حيث فرضوا عليهم جميعاً العمل بالسخرة في مزارع البن[٨٠٢] .

ولم تقتصر عملية نقل شجيرات البن ، ومحاولة استزراعها خارج اليمن على الهولنديين، فقد قام الفرنسيون بذات العمل . ففي تاريخ يرجع إلى عام ١٧١١م أخذت السفينتان بايكس وديليجانت شجيرات البن لزراعتها في ريبونيون[٨٠٣]، وقد نجحت فرنسا في استزراع البن في العديد من مستعمراتها في جنوب شرق آسيا . وفي العشرينات في القرن الثامن عشر بدأ الفرنسيون استيراد البن من غرب الهند. وخلال السنوات التالية فاق إنتاج غرب الهند من البن ما تنتجه اليمن منه[٨٠٤]. وفي ١٧٤٦م بدأ الفرنسيون في تغيير اتجاه الطريق الذي كان يتدفق البن عبره، عن طريق تصدير من غرب الهند إلى الليفانت أي الشرق .

لم يكن الهدف من زراعة البن خارج اليمن هو كسر احتكار اليمن لهذه السلعة فحسب، ولكن أيضاً من أجل تغطية احتياج السوق الأوروبية من هذه السلعة، وخاصة بعد أن فشلت اليمن في سد ذلك الاحتياج، بسبب زيادة الطلب العالمي على البن من ناحية ،

---

[٨٠١] – بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة : عبدالعزيز توفيق جاويد، ص١١٥ .

[٨٠٢] – نفس المرجع ، ص١١٧ .

[٨٠٣] – ماكرو : اليمن والغرب ، ترجمة : د. حسين العمري ، ص٤١ .

[٨٠٤] - Gavin : Aden Under British Rule , P.20

والظروف الطبيعية والسياسية التي جعلت اليمن عاجزة عن الوفاء باحتياجـات السـوق العالمية من هذه السلعة من ناحية ثانية ، كما سبق أن بينت .

لقد كانت نتائج نجاح زراعة البن خارج اليمن كارثية على اليمن نفسها من الناحيتين السياسية والاقتصادية فقد نتج عن ذلك انخفاض معدل دخل اليمن من الأموال الناتجة عن تجارة البن، وبالتالي تدهورها اقتصادياً، مما ينتج عنه في نهاية الأمر زيادة حدة الاضـطرابات الداخلية، وهذا يعني بالضرورة بأن الاستقرار السياسي في اليمن كان مرتبطاً ارتباطاً كـبيراً بقدرتها الاقتصادية.

لقد أدى ضعف اليمن الاقتصادي نتيجة نضوب الموارد المالية الناتجة عن تجارة الـبن إلى حدوث الكثير من حالات الانفصال عن الحكومة المركزية في صنعاء، فقد أعلـن حاكم عدن فضل بن علي العبدلي انفصال عدن عـن الحكومـة المركزيـة في عـام (١١٤٥هـ/ ١٧٢٨م). ونتيجة للضعف الاقتصادي لم يقم الإمـام بـأي مجهـود لاستعادة سيطرته على عدن والمناطق المجاورة لها تاركاً إياها لسلطان لحج، زعيم قبيلة العبادلة[٨٠٥].

وابتداءً من عام ١٧٦٠م أصبحت سلطة الإمام تتعرض للتهديد المستمر من قبـل بعض القبائل الثائرة. وعند وصول بعثة نيبور إلى اليمن في عام ١٧٦٣م كانت عدن والمناطق المجاورة لها في قعطبة وتعز ، والمنطقة الشمالية في أبو العريش منفصـلة عـن حكومة صنعاء[٨٠٦] . وتعد حالات الانفصال تلك دليلاً كافياً على ضعف الدولة عن فرض سيادتها على كامل الأراضي اليمنية، والناجم عن ضعف مواردها الاقتصـادية، والذي كان دخل البن أحد أهم ركائز تلك الموارد.

لقد كانت نتيجة نجاح زراعة البن في المستعمرات الأوروبية في جنوب شرق آسيا هي فقدان اليمن لأسواق مهمة لتصريف إنتاجها من البن. ففي نهاية القرن الثامن عشر كان بن

---

(٨٠٥) Marston : Britain's Imperial Role , P.29

(٨٠٦) Ibid, P.27

المستعمرات الأوروبية يغزو الأسواق المغربية. وفي بداية القرن التاسع عشر كان بن تلــك المستعمرات يتدفق باتجاه مصر[٨٠٧].

بدأت حدة المنافسة بين الشركات الأوروبية المختلفة، على تجارة البن اليمني تنحسـر بسرعة إثر نجاح زراعته في مناطق أخرى من قارة آسيا. فقد أدى ذلك إلى إغراق السـوق الأوروبية بالبن المستورد من جاوه. ومنذ ثلاثينات القرن الثامن عشر كانت كميات الـبن تستوردها شركة الهند الشرقية الهولندية في انخفاض مستمر، ففي عـام ١٧٣٠م كانـت الأسواق الأوروبية مكتظة بالبن إلى درجة جعلت الهولنديين لا يجلبون إلا القليل منـه مـن المخا[٨٠٨] .

ولقد حاول الهولنديون الإبقاء على مقر وكالتهم في اليمن ، ولكنهم اضـطروا سـنه ١٧٣٩م إلى إقفالها . ومع ذلك فقد استمروا في إرسال السفن من وقتٍ إلى آخر على مدى عشرين سنةً أخرى ، وحين يكون السوق ملائماً[٨٠٩] . أما شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، والتي تاجرت بالبن واعتبرته واحداً من أهم السلع المستوردة فائدةً خلال النصف الأخير من القرن السابع عشر ، وتاجرت به مع المخا بانتظام حتى عام ١٧٦٧م ، فإنها لم تعد منذ هذا التاريخ ترسل سفنها إلى المخا إلا في مناسبات محدده . وقد ذكر بيبور في عام ١٧٦٣م ان شركة الهند الشرقية كانت ترسل سفينة واحدة كل عامين من اجل شراء البن[٨١٠] . وفي عام ١٧٧١م بدأ تدفق هذا الكنز من موانئ البحر الأحمر إلى الهند ينضب . وعند حلـول الربع الأخير من القرن الثامن عشر كان أنتاج البن ما يزال جيداً ، إلا أن أسعاره و الطلب علية أصبح منخفضاً[٨١١] . وهذا يعني بأن العصر الذهبي لتجارة البن اليمني قـد ولى . وأن البحر الأحمر قد أصبح خلف مجرى الاقتصاد العالمي . ولكن هذا الأمر لم يـدم طـويلاً إذ

---

[٨٠٧] - Gavin : Aden Under British Rrule , P.21.

[٨٠٨] ماكرو : اليمن والغرب ، ترجمة : د . حسين عبدالله العمري ، ص٣٥ .

[٨٠٩] – بن سلوت : الهولنديون على سواحل شبه الجزيرة العربية ، ص٣١ .

[٨١٠] - Chauduri: The Trading World of Asia ,P 368.

[٨١١] – Gavin : Aden Under British Rrule , P.21.

سرعان ما تحول التنافس الدولي على البحر الأحمر إلى مجال المواصلات عوضاً عـــن المجـــال التجاري كما سنرى لاحقاً .

وبالمثل بدأت فرنسا أيضاً بتخفيض عدد رحلاتها إلى ميناء المخا منذ الربع الأخـــير في القرن الثامن عشر، خاصة بعد أن أصبح بن جزر الآنتيل ينافس بن جزيرة العـــرب[٨١٢] ، حتى أن فرنسا تمكنت من بيع كميات كبيرة منه قدرت المبالغ الناجمة عـــن ذلـــك بحـــوالي (٨.١٠٠.٠٠٠ ليرة) . ونظراً لكون بن جزر الهند الشرقية كانت أقل جودة من الـــبن اليمني، فقد أرسلت فرنسا في عام ١٨٢٣م شخص يدعى بريون إلى اليمن ليجمع عينـــات من شجيرات البن بغية تحسين بذوره التي كانت تزرع في جزيرة رينيون[٨١٣].

أدى نجاح زراعة البن في جزيرة جاوه، ثم انتشار زراعته في كلٍ من شـــرق وغـــرب الهند، ثم فيما بعد إلى منطقة جنوب أمريكا، إلى تحطيم احتكار اليمن لهذه السلعة، وبالتـــالي إلى مغادرة الشركات الأوروبية لمقراتها في اليمن، ابتداءً من النصف الثاني في القرن الثـــامن عشر . ففي ١٧٦٢م تخلى الفرنسيون والهولنديون عن وكالاتهم في المخا، تـــاركين المجـــال للإنجليز للإنفراد بتجارة التصدير[٨١٤]، خاصة تصدير البن من المخا . وقد ذكر نيبـــور في عام ١٧٦٣م أن الفرنسيين لم يعودوا يرسلوا سفناً إلى الموانئ اليمنية منذ سبع سنوات على وصوله إلى اليمن وذلك نتيجة لحرب السبع سنوات بين فرنسا وبريطانيا في الفتـــرة مـــن ١٧٥٦م إلى ١٧٦٣م والتي كانت نتيجتها النهائية أن أصبحت بريطانيا الدولة الاستعمارية الأولى في العالم على حساب فرنسا . وبالرغم من توقف الفرنسيين عن إرسال ســـفنهم إلى اليمن ، فقد ظلوا يحتفظون بمقرات بيوتهم التجارية في كل من المخا وبيت الفقيه، وكانـــت إيجاراتها تدفع بواسطة وكيلهم الهندي الجنسية[٨١٥] . وبالمثل الهولنديون، فقد ذكر نيبور بأن آخر عهد سفنهم بالموانئ اليمنية قبل عامين من قدومه. عندما جاءت إلى المخا سفينتان من مستعمرتهم بتافيا . ويبدو أن تجارتهم مع الموانئ اليمنية لم تعد مربحة، لهذا توقفت سفنهم عن

---

[٨١٢]– ميشيل دوفيز : أوروبا والعالم نهاية القرن الثامن عشر ، ص٦٥ .

[٨١٣]– ماكرو : اليمن والغرب ، ترجمة : د . حسين العمري ، ص٧٧ .

[٨١٤]– Marston : Britian's Imperial Role , P.29.

[٨١٥] – أ.د احمدالصايدي : المادة التاريخية ، ص١٨٢ .

المجيء إليها[٨١٦] . ومع أن الهولنديين أوقفوا تجارة البن المباشرة مع المخا، إلا أنه لم يتوقف وصول كميات كبيرة منه إلى هولندا عبر مصر ودون وساطة شركة الهند الشرقية[٨١٧]

سادساً : دور أمريكا في تجارة البن اليمني :

لم تتمتع شركة الهند الشرقية الإنجليزية طويلاً بالانفراد في مجال تجارة البن في اليمن بعد أن تخلى الهولنديون والفرنسيون عن مقراقم في المخا، إذ سرعان ما ظهر لها منافساً جديداً وخطيراً في ذلك المجال، آلا وهم التجار الأمريكيون .

بدأ الأمريكيون بالوصول إلى اليمن منذ عام ١٧٨٥م . وفي عام ١٨٠٠م أصبحوا عاملاً مسيطراً في تجارة البن ، ليس فقط في نقل هذا المحصول إلى أمريكا، ولكن أيضاً في نقله وتوجيهه مباشرة من الجزيرة العربية إلى أوروبا منافسين بذلك شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، التي كانت تنقل البن من الجزيرة العربية إلى أوروبا عبر بومباي[٨١٨]. لقد تمكن الأمريكيون بهذه الطريقة من اكتشاف طريقاً جديداً تماماً ، يربط لأول مرة بين تجارة البحر الأحمر وسواحل شرق أفريقيا مع أوروبا . ولم يستغل هذا الطريق من قبل البريطانيين إلا عام ١٨٧٢م . ولقد مكن ارتياد هذا الطريق الأمريكيين من تفادي دفع تكاليف إعادة شحن البن في بومباي ، وموانئ المستعمرات البريطانية ، لذلك كان يتم بيعه بأسعار أقل من تلك التي تعرضها شركة الهند الشرقية الإنجليزية .

وقد بذل الأمريكيون جهوداً كبيرةً للوصول إلى اليمن والمتاجرة معها، وذلك منذ نهاية القرن الثامن عشر . وفي عام ١٧٩٨م وصلت أول سفينة أمريكية إلى المخا، هي السفينة ريكافاري بقيادة القبطان جوزيف روبس ، " وكانت بذلك أول سفينة أمريكية تصل إلى ميناء في الجزيرة العربية على مدخل البحر الأحمر "[٨١٩] . وقد عادت هذه السفينة إلى مينا المخا في عام ١٨٠١م بقيادة القبطان لوتز دانا، حيث " جلبت من المخا

---

[٨١٦] – نفس المرجع : ص١٨٣ .

[٨١٧] بن سلوت : الهولنديون على سواحل شبه الجزيرة العربية ، ص٣٢ .

[٨١٨] – Marston : Britian's Imperial Role , . P.31

[٨١٩] – ماكرو : اليمن والغرب ، ترجمة : د. حسين عبدالله العمري ، ص٦٣ .

٣٢٦.٠٠٠ رطل من البن لأربعة من تجار سيليم "[٨٢٠] . وبعد ذلك بمدة وجيزة وصلت إلى ميناء المخا سفينة بوليسيس . وهذه هي ثاني سفينة تصل إلى الموانئ اليمنية .

وفي بداية القرن التاسع عشر كانت السفن الأمريكية تقوم بشحن ما يقرب من ثلاثة أرباع الإنتاج الكلي لليمن من البن ، والمقدرة بـ ١٣.٠٠٠ ألف بالة . وقد أدت هذه المنافسة في تجارة البن إلى رفع الأسعار من ٥٦ دولار للبالة (حوالي ١١ جنيه إسترليني) إلى ٧٥ دولار (حوالي ١٥ جنيه إسترليني)[٨٢١] . وقد سبب رفع الأسعار إلى هذا المستوى إلى إلحاق أضرار بالغة بتجارة الإنجليز لهذه السلعة .

وفي سنة ١٨٠٤م تمت محاولة لإنشاء مركز تجاري أمريكي في المخا ، واستطاع بعض قباطنة السفن الأمريكية الحصول على إذن من حاكم المخا برفع علمهم على المنزل الذي استأجروه في المدينة . وكان من بين هؤلاء بنيامين كراوتشيلد وهنري الكينز وبانكروفت ولي ورد . ولكنهم لم يكونوا محبوبين لدى التجار الإنجليز في الميناء الذين كانوا يعتبرون أنهم – أي الأمريكان – يفسدون عليهم التجارة بدفع أسعار عالية للبن[٨٢٢] .

وقد حاول الأمريكيون إحراز قصب السبق في تجارة البن مع اليمن على حساب الإنجليز ، لذلك كانت سفنهم تصل إلى ميناء المخا من أجل شحنها بالبن طول الربع الأول من القرن التاسع عشر . وقد أثر ذلك تأثيراً سلبياً على تجارة بريطانيا في هذه السلعة . ففي أكتوبر سنة ١٨٠٧م عادت السفينة (مارجريت) بشحنة كبيرة من البن لا يعرف مقدارها ، إلا أن الصفقة وصفت بأنها أكثر جرأه. واستطاعت السفينة (فرانكلين) أن تحمل في العام التالي (٥٣٢٣٦٥ رطلاً من بن اليمن) إلى سيليم حيث سلمها جوزيف بيبودري في ديسمبر ١٨٠٨م[٨٢٣] .

---

[٨٢٠] – نفس المرجع : ص٦٣ . (وسيليم هي احدي اشهر الولايات الامريكية في صناعة السفن التي وصلت إلى الهند واليمن عبر طريق راس الرجاء الصالح).

[٨٢١] – **Waterfield : Sultans of Aden , P.30**

[٨٢٢] – ماكرو : اليمن والغرب ، ترجمة : د. حسين العمري ، ص٦٣، ٦٤ .

[٨٢٣] – د. حسين العمري : يمانيات في التاريخ والثقافة والسياسة ، بيروت – دار الفكر المعاصر ، د.ت ، ص٥٣ .

وقد تعرضت تجارة أمريكا مع اليمن لبعض الهزات نتيجة لقانون الحظر ، الذي أصدره الرئيس الأمريكي جيفرسون ، والذي تم بموجبه حظر الملاحة مع الموانئ غير الأمريكية ولكن هذا الحظر ما لبث أن ألغي فيما بعد . وفي مارس سنة **١٨٠٩**م استؤنفت التجارة مع المشرق في الحال، وقد تم في ذلك العام استيراد مليوني رطل من بن المخا ، وقد كان للسفينة امريكا نصيب الأسد من ذلك المجموع[٨٢٤] . وبعد ذلك بمدة وجيزة حدث تراجع في تجارة أمريكا مع اليمن خلال الفترة بين **١٨١٢**م و **١٨١٥**م بسبب إعلان أمريكا الحرب ضد بريطانيا . وبعد انتهاء الحرب انتظمت التجارة بين الطرفين من جديد بالرغم أنها كانت متباعدة . وفي يناير من عام **١٨١٩**م كان في ميناء المخا أربع سفن أمريكية تشحن بالبن[٨٢٥] .

لقد ولد النشاط التجاري الأمريكي في مياه المحيط الهندي والبحر الأحمر الشعور لدى الإنجليز بأنهم أي الأمريكيين منافسين جادين لشركة الهند الشرقية الإنجليزية . فقد كانوا يحضرون من بلادهم البعيدة للمشاركة في تجارة الشرق . وكان العديد من التجار الأمريكيين يظهرون همة بالغة في التجارة في هذه المنطقة ، فعلى سبيل المثال أبحر القبطان تشاليز ميليت قبطان السفينة آن من سيليم في**١٢** مارس **١٨٢٦**م ، حاملاً معه شحنة من البضائع المكونة من القطن والمسامير والتبغ ، وقد وصل إلى المخا في **٢٠** يونيو من نفس العام ، حيث باع تلك البضائع عن طريق تجاراً يعملون لحسابه ثم قام بشحن سفينته بكميات كبيرة من البن ، وقد كرر تلك الرحلات عدة مرات[٨٢٦] .

كما تمكن الأمريكيون من فرض وجودهم في مياه المحيط الهندي خلال مدة وجيزة من وصولهم إلى الشرق عبر طريق رأس الرجاء الصالح . وقد ازدادت عدد السفن الأمريكية التي تمخر عباب مياه المحيط الهندي . ففي خلال الثمانية عشر شهراً بين عامي (**١٨٣٢**م و **١٨٣٤**م) وصلت على ميناء زنجبار ، على السواحل الشرقية لأفريقيا **٣٢** سفينة أمريكية ، وصل كثيراً منها إلى جنوب البحر الأحمر ، هذا في الوقت الذي لم تصل فيه إلى ميناء المخا سوى سبع سفن بريطانية لا غير . وقد وصلت إلى ذلك الميناء مجموعة كبيرة

---

(٨٢٤) – ماكرو : اليمن والغرب ، ترجمة : د. حسين العمري ، ص٦٧ .

(٨٢٥) – نفس المرجع ، ص٥٣ .

(٨٢٦) – **Waterfield : Sultans of Aden , P.31.**

من السفن الأمريكية لنقل كميات من البن اليمني الذي كان يلقي ترحيباً بالغاً وسوقاً رائجةً في الولايات المتحدة الأمريكية[٨٢٧] .

ومن أجل إحكام سيطرتها على التجارة في المحيط الهندي ، عقدت الولايات المتحـــدة الأمريكية معاهدة تجارية مع سلطان مسقط وزنجبار في عام ١٨٣٣م . وكانت سفن هـــذا السلطان تبحر بالتجارة بين بلاد الهند والصين . وقد عقد السلطان هذه المعاهدة بعـــد أن تبين الفوائد الجمة التي ستعود عليه من ارتباطه مع التجار الأمريكيين الذين كان لهـــم دوراً فعالاً حينذاك في حركة التجارة الشرقية[٨٢٨] .

سابعاً: احتلال عدن والتنافس على تجارة البن :

لقد تزامنت المنافسة الأمريكية للإنجليز في مجال تجارة الشرق بشكل عام وتجارة الـــبن اليمني بشكل خاص ، مع وصول الحملة الفرنسية إلى مصر في عام ١٧٩٨م . ممـــا جعـــل الإنجليز يشعرون بالتهديد الشديد لمصالحهم السياسية والاقتصادية في المنطقة ، لذلك بدأت شركة الهند الشرقية تغير توجهاتها ، والتي كانت ترتكز في السابق على أســـاس المتـــاجرة السلمية مع الموانئ الآسيوية ، دون أن تقحم نفسها في المشاكل السياسية .

فلقد تولد لدى شركة الهند الشرقية الإنجليزية شعوراً بأن أمريكا تسعى لإقصائها عن تجارة البن ، وهي التجارة التي كانت الشركة تعتبرها حكراً عليها خاصـــة بعـــد مغـــادرة الفرنسيين والهولنديين لمقراتهم في المخا .وفي الوقت نفسه شعرت بأن فرنسا تهـــدد طـــرق مواصلاتها إلى الهند ، عقب وصول الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨م ، لذلك بـــدأت جدياً في التفكير في إيجاد موطئ قدم لها في المنطقة ، على الطريق المتحكم بين البحر الأحمـــر والمحيط الهندي ، وهو الأمر الذي ســـيؤدي في نهايـــة المطـــاف إلى احـــتلال عـــدن في عام١٨٣٩م .

ولقد أوشكت تجارة شركة الهند الشرقية البريطانية في مجال البن على التوقف في مطلع القرن التاسع عشر ، فالبن الذي اعتادت السفن الإنجليزية نقله إلى الهند و أوروبا ، وجـــد

---

[٨٢٧] – أحمد بن بريك : اليمن والتنافس الدولي ، ص٤٢٥ .

[٨٢٨] – فاروق أباظه : عدن والسياسة البريطانية ، ص ١٥٠ .

طريقه الآن إلى هناك عبر مصر ، أو نقل بواسطة القوافل إلى جدة ، ومكـــة ومـــن ثم إلى القسطنطينية[٨٢٩] . فخلال هذه الفترة اتجه معظم البن شمالا ، واصبحت مـــوانئ الحجـــاز ومصر اهم مراكز لتجمع البن ، وإعادة تصديره إلى أوروبا . وخلال الـــثلاث الســـنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر نقل الأمريكيون كميات كبيرة منه ، سوءً من أجل استهلاكه في أمريكا، أو تصديره إلى منطقة حوض البحر المتوسط . لذلك سعت شركة الهند الشرقية البريطانية ، ومن ورائها بريطانيا إلى إحياء تجارة البن عبر الموانئ اليمنية ، كما سعت أيضـــا لإيقاف المد الفرنسي الذي بات يهدد طريق مواصلاتها إلى الهند .

ومن أجل تحقيق أهدافها ، أرسلت الشركة أسطولاً بحرياً بقيادة السير هوم بوفهـــام ، من أجل نقل بعض الجنود ، للانظمام إلى جنود الجنزال بيرد ، الذي كان يقـــاوم الوجـــود الفرنسي في مصر ، وقبل توجهه إلى هناك ، أصُدرت إليه الأوامر من مجلس إدارة شـــركة الهند الشرقية في لندن لكي يبذل كل ما في وسعه لإحياء التجارة في المنطقة[٨٣٠] . وعندما وصل بوفهام إلى المخا وجد الدكتور برنجل ، وكان هذا الأخير برفقة الجنزال موراي الذي احتل جزيرة بريم ،عند مدخل باب المندب والبحر الأحمر، في ٣ مايو ١٧٩٩م . وقد غادر برنجل المخا في مايو ١٨٠١م متوجهاً إلى صنعاء ، ومحملاً بالهدايا والرسائل من قبل الحاكم العام للهند . وكان الهدف من هذه الرحلة هو الحصول على أوامر من الإمـــام إلى حكـــام الموانئ اليمنية المختلفة على ساحل البحر الأحمر من أجل تسهيل الأعمال التجارية للســـفن الإنجليزية ، وقد استُقبل الدكتور برنجل بحفاوة من قبل الإمام المنصور علي ، الذي أصـــدر تعليمات مشددة إلى حكام الموانئ بعدم مضايقة السفن الإنجليزية عنـــد قيامهـــا بالتبـــادل التجاري هناك ، إلى جانب أمره لحكام المخا والحديدة واللحية بأن يزودوا السفن الإنجليزية بأي شيء قد يحتاجونه وبالأسعار العادية[٨٣١] .

وإلى جانب تزويد السفن الإنجليزية بالمرشدين البحريين ، والحفـــاظ علـــى حمـــولات السفن الإنجليزية ، وبحارها في حال تعرض إحداها لأي حادث يؤدي إلى تحطمها ، وافـــق

---

(٨٢٩) - Playfair : History of Arabia Felix , P.12

(٨٣٠) - Marston : Britian's Imperial Role , P.32

(٨٣١) - Playfair : History of Arabia Felix , P.124

الإمام أيضاً على بناء مستشفى بحري في المخا لاستقبال المرضى من الأسطول التجاري[٨٣٢] . وعقب حصول برنجل على هذه التسهيلات التجارية غادر صنعاء متوجهاً إلى المخا . أما السير هوم بوفهام ، فإنه بعد عودته من مصر توجه إلى الهند في عام ١٨٠١م ، حيث قدم تقريراً مطولاً حول الأوضاع التجارية في المخا ، إلى الحاكم العام ، وقد أوصى في تقريره بتعيين ممثل تجاري بريطاني مقيم في المخا .

عقب ذلك بمدة وجيزة عُين السير هوم بوفهام مندوباً دائماً في المنطقة العربية ، وأعطي الصلاحيات الكاملة للدخول في معاهدات تجارية مع إمام صنعاء ، وسلطان لحج وعدن[٨٣٣] .

وبدأ السير هوم بوفهام بتنفيذ التعليمات التي وجهت إليه عند تعيينه ، فبعد وصوله إلى المخا في بداية عام ١٨٠٢م أرسل بعثه إلى الإمام في صنعاء مكونة من ثلاثة أفراد هم : الدكتور برنجل(**Pringle**) والمستر اليوت (**Elliot**)والملازم لامب (**Lamb**)وقد أرسُلت هذه البعثة لكي تعرض على الإمام اقتراحاً لعقد معاهدة معه[٨٣٤] . ولكنها فشلت في تحقيق أهدافها وعادت إلى المخا في ١٥ سبتمبر ١٨٠٢م حاملةً معها رسائل من الإمام إلى الحاكم العام ، والسير هوم بوفهام ، تُظهر اعتراضه على مواد المعاهدة المقترحة[٨٣٥] . وبذلك غادر السير هوم بوفهام المخا بعد أن أدرك أن لا جدوى في محاولته تلك . خاصة بعد ان تعرض للأسر من قبل شيخ منطقة الدريبات .

توجه السير بوفهام بعد ذلك إلى عدن حيث استقبله حاكم لحج وعدن أحمد بن عبد الكريم العبدلي ، وعقد معه معاهدة صداقة وتجارة بتاريخ (٦ سبتمبر ١٨٠٢م). وقد تكونت هذه المعاهدة من سبع عشر مادة ، أوردها أحمد بن فضل بن علي العبدلي ، في كتابه هدية الزمن .

---

[٨٣٢] – جاد طه : سياسة بريطانيا جنوب الجزيرة العربية ، ص٤٠ .

[٨٣٣] – **Playfair : History of Arabia Felix , P.124**

[٨٣٤] – جاد طه : سياسة بريطانيا ، ص٤٢ .

[٨٣٥] – **Playfair : History of Arabia Felix, . P.126**

ولقد تضمنت تلك المعاهدة العديد من المواد المجحفة بحق اليمنيين ، والتي تنتقص من حق السيادة الوطنية الكاملة على كافة الأراضي اليمنية . ومن المواد الواردة في تلك المعاهدة ، إيجاد صلة تجارية بين شركة الهند الشرقية البريطانية والرعايا الإنجليز وبين رعايا السلطان ، وأن تكون نسبة الرسوم على المواد المصدرة والمستوردة من قبل الشركة ٢٪ ترتفع بعد عشر سنوات إلى ٣ ٪ . وأن السلطان يمنح الشركة قطعتين أرض ، قطعة تكون مقبرة لدفن موتاهم ، أما القطعة الثانية فيحق للشركة أن تعمر فيها أي بناء أو بيت(٨٣٦) ، كما جاء في المعاهدة أنه إذا حدث أي نزاع بين أيٍ من الرعايا الإنجليز فإن حل هذا النزاع يرجع إلى المقيم الإنجليزي في عدن ، ويجري المذكور الأحكام في قضاياهم بموجب القوانين المتبعة في بلادهم(٨٣٧) . وقد تعهد السلطان أحمد بن عبد الكريم بموجب هذه المعاهدة بأن يسترجع الديون التي عند رعاياه لشركة الهند الشرقية البريطانية .

وتعد هذه المعاهدة فاتحة التدخل البريطاني السياسي والعسكري في اليمن ، بل وفي منطقتي البحر الأحمر ، والخليج العربي . فمنذ ذلك الحين وبريطانيا تتحين الفرص ، وتحيك المؤامرات من أجل تنفيذ إرادها في إيجاد موطئ قدم لها في المنطقة .

وعقب توقيع هذه المعاهدة بدأت بريطانيا تطرح مسألة احتلال عدن بقوة كبيرة . ومع أن الذرائع التي كانت تسوقها بريطانيا لاحتلال عدن هي ذرائع سياسية وعسكرية بالدرجة الأولى ، والتي تتمثل في تحويلها إلى قاعدة استراتيجية لوقف المد الفرنسي في المنطقة، وإيجاد محطة مناسبة لتزويد السفن البريطانية بالفحم ، إلا أن الأسباب الاقتصادية لم تكن غائبة عنها . فمنذ عام ١٨٠٠م ، وعند عودة الضابط البريطاني بلانكيت إلى بومباي من المخا ، حاول إقناع حكومة بومباي بتكوين حامية لها في عدن ، مشيراً إلى أن معظم عائدات الجزيرة هي من البن ، كما ذكر أيضاً أن استيلاء بريطانيا على عدن سيجعلها تتحكم في الإمدادات الغذائية للنصف الغربي للجزيرة العربية ويسمح بتحويل تجارة بن المخا عن طريق عدن نفسها(٨٣٨) . وسوف يزداد اهتمام بريطانيا لاحتلال عدن باستمرار عند زيارة اللورد فالنتيا(**Valentia**) للموانئ اليمنية بما فيها عدن ، وقيامه بجمع

(٨٣٦) – أحمد بن فضل العبدلي : هدية الزمن ، ص١٦٧ .

(٨٣٧) – جاد طه : سياسة بريطانيا ، ص٤٣ .

(٨٣٨) – ماكرو : اليمن والغرب ، تحقيق : د. حسين العمري ، ص٥١ .

المعلومات عن حالة التجارة فيها ،حيث أشار إلى أهمية احتلال عدن[٨٣٩] ، وذلك من أجل زيادة حجم التجارة مع الهند ، ومن أجل إيجاد نقطة استراتيجية لتدعيم سيطرة بريطانيا على البحر الأحمر وتمكنها من إيقاف أي مد عدائي ضدها من الغرب . وذكر بلانكت بأن ذلك لا يتأتى إلا بالتحالف مع الوهابيين والأحباش . ومن أجل تحقيق ذلك أرسل سكرتيرة المستر سولت إلى الحبشة ، ولكن فشل في تحقيق تلك المهمة ، واستمر الأمر كذلك حتى تم تعـيين المستر سولت قنصلاً عاماً لبريطانيا في مصر .

وقد ضمن فالنتيا تقريره الذي قدمه إلى جورج كاننج سكرتير الشئون الخارجيـة في الهند معلومات عن وضع تجارة المخا ، وتعد تلك معلوماته في غاية الأهمية ، فقد أورد لأول مرة تقييم لوضع التجارة في المخا خلال تلك الفترة ، حيث ذكر بأن المخا كانـت تصـدر حوالي ١٣.٠٠٠ بالة من البن سنوياً بسعر ٥٦ دولار لكل بالة ، وأن حوالي ٩٠٠٠ بالة كانت تأخذها السفن الأمريكية[٨٤٠] .

وقد لقي تقرير فالنتيا إعجاب مكتب الشئون الخارجية في الهند ، لذلك أرسل سولت (**Salt**) إلى اليمن ، الذي وصل إلى المخا في نوفمبر ١٨٠٩م حيث وجد أن سعر البن قد ارتفع إلى ٧٥ دولار بسبب المنافسة الأمريكية[٨٤١] . وقد أعرب عن اعتقاده بـأن ذلـك يسبب أضراراً بالغة لشركة الهند الشرقية البريطانية ، بسبب ارتفاع ثمن الـبن إلى جانـب ارتفاع تكاليف نقله .

عموماً لم يوقف البريطانيون محاولاتهم في سبيل عقد معاهده تجارية مع إمام صـنعاء ، لذلك سعوا لاستغلال حادثه وقعت في المخا في عام ١٨١٧م . وقد انتهت الحادثة بقيـام بعض الأشخاص بإهانة عددً من الضباط البريطانيين بالوكالة[٨٤٢] ، حسبما ذكر البريطانيون .

---

[٨٣٩] – جاد طه : سياسة بريطانيا ، ص٤٣ .

[٨٤٠] – **Marston : Britain's Imprial Role , P.34**

[٨٤١] **Ibid : P. 35**

[٨٤٢] – جاد طه : سياسة بريطانيا ، ص٤٥ .

ولقد بالغ البريطانيون أيما مبالغة في تضخيم تلك الإهانات التي تعرض لها ضباط الوكالة في المخا ، وذلك بهدف استغلال هذه الحادثة من أجل الضغط على الإمام لتوقيع معاهدة على غرار تلك التي وقعت مع سلطان لحج وعدن عام ١٨٠٢م .

لذلك أرسلت شركة الهند الشرقية الكابتن بروس (**Bruce**)، وهو المقيم السياسي في ميناء بوشهر الفارسي ، لكي يتفاوض مع اليمن حول مطالب الشركة . والتي تتلخص في تقديم الاعتذار من قبل حكومة اليمن على ما بدر من حاكم المخا ضد وكالة الشركة في المخا ومعاقبة ذلك الحاكم ، وضمان حماية الوكالة في المستقبل ، إلى جانب تعويض الشركة عن خسارهًا في تلك الحادثة ، وتخفيض الرسوم الجمركية على البضائع من ٣.٥٠٪ إلى٢.٢٥٪ .

ومن أجل التفاوض حول هذه المشكلة أرسل الإمام أحد رجاله ويدعى الفقيه حسين، وقد وافق هذا المندوب على الشروط السابقة ما عدا اعتذاره عن عدم تمكنه من إحضار حاكم المخا السابق ومعاقبته ، بسبب عدم امتلاكه للصلاحيات التي تخوله القيام بذلك ، ولكنه كان يملك الصلاحيات لاصطحاب بروس إلى صنعاء ، حيث يمكن للإمام استدعاء الحاكم ومعاقبته ، ولكن بروس عاد إلى سفنه بعد أن رفض السفر إلى صنعاء قائلاً : " أنه لا يستطيع التقدم إلى صنعاء قبل أن يصل إليه الاعتذار عما حدث في الوكالة "[٨٤٣] . وقد طلب الفقيه حسين من بروس إعطائه فرصة لينقل وجهة نظره إلى الإمام ، إلا أنه رفض ، وعاد إلى سفنه الراسية في الميناء ، وفور وصوله إلى سفنه أصدر تحذيراته لكل السفن الراسية في الميناء ، بأن الميناء محاصر ، " وأنه إذا بقيت أيٍ من تلك السفن هناك فإنها ستدمر "[٨٤٤] . وفي ٣ ديسمبر ١٨٢٠م ضربت مدفعية السفن البريطانية الميناء بالقنابل ، مما أثار الرعب بين سكان المدينة ، ومما دفع الحاكم إلى إصدار تعليماته " بمنع أي شخص من إهانة الرعايا البريطانيين ، وأن من لا يطيع هذا القرار سوف يعاقب بكل قسوة "[٨٤٥] ، كما أصدر الإمام أمراً بتخفيض الضرائب على التجارة البريطانية إلى ٢.٢٥٪ وبذلك حصل البريطانيون على امتيازات تجارية محمية بمعاهدة رسمية .

---

[٨٤٣] – **Playfair : History of Arabia Felix , P.136**

[٨٤٤] – **Ibid : P.137 .**

[٨٤٥] – جاد طه : سياسة بريطانيا ، ص٤٧ .

ولم تكتف بريطانيا بما حققته من مكاسب من جرأ عقدها لكل معاهدات تجارية مع حكام اليمن في عامي ١٨٠٢م ، ١٨٢٠م ، ولكنها كانت ترمى إلى تحقيق أهداف أكبر من ذلك بكثير ، وهو احتلال عدن .

ولقد استفادت بريطانيا في تحقيق ذلك الهدف من تأزم الوضع السياسي في اليمن والذي بدأ منذ نهاية القرن الثامن عشر . وقد ساهم في تأزم ذلك الوضع العديد من العوامل الداخلية والخارجية . فعلى المستوى الداخلي ، تزايدت عوامل الضعف التي قطعت أوصال النظام السياسي ، ونتيجة لذلك تعددت حركات الانفصال ، التي فتتت البلاد إلى أجزأ متناثرة ، ومتناحرة ، أدى في النهاية إلى اشتعال الحروب الأهلية ، والتي زادت من حدة تمرد القبائل ضد السلطة المركزية .

أما على المستوى الخارجي ، فقد أصبحت اليمن ساحةً واسعةً لتصارع القوى الطامعة فيها . ابتداً من الحركة الوهابية التي اجتاحت الأراضي اليمنية من الشمال، مستوليةً على أجزأً منها ومهددة طرق مواصلتها التجارية ، ثم ما نتج عن ظهور هذه الحركة من وصول قوات محمد علي باشا إلى اليمن ، واستيلائه على موانئها وسواحلها ، بل ومحاولة قواته فرض السيطرة على اليمن كاملة اثر مطاردة قواتة لتركجة بلمز ، واحتكار تجارة البن فيها ، إنتهاءً باحتلال عدن من قبل البريطانيين في عام ١٨٣٩م .

إن كل تلك الأحداث المتتابعة ، والمتداخلة أدت بالضرورة إلى إنهاك قوى اليمن السياسية والاقتصادية ، ولعل هذا ما يفسر انخفاض عائدات البلاد من التجارة ، وبخاصة تجارة البن . وقد لاحظ نيبور مثل هذه الاحداث في عام ١٧٦٣م حيث ذكر " أن إجمالي دخل الإمام كان بمعدل ٨٣٠.٠٠٠ دولار سنوياً ، ولكن نظراً لفقدان عدة مناطق هامة ، مثل عدن ، وقعطبة ، وأبو عريش ، وتعز ، أصبحت هذه الأموال لا تتجاوز ٥٠.٠٠٠ دولار "[٨٤٦] . وقد استمر هذا المبلغ بالتناقص بسبب تزايد حالة الضعف التي كانت تعاني منها اليمن بشكل مستمر.

لقد ظلت تجارة البن والسيطرة عليها واحدة من أهم أهداف القوى المتصارعة في اليمن . فإذا كان الإمام يعتبر البن أهم مصدر من مصادر دخله ، فإن هذا المصدر بدأ

---

(٨٤٦) – Playfair : History of Arabia Felix , P.121

يتسرب من بين يديه ، وذلك بسبب تعدد القوى الطامعة في جني أرباحه . فالوهابيون مثلاً احتلوا المناطق الساحلية ، وقاموا بقطع الطرق على قوافل البن ، ونهبوها . وعندما وصلت قوات محمد علي بدأ صراعاً جديداً بين تلك القوات وبين الأئمة من ناحية ، وبينها وبين بريطانيا من ناحية ثانية . أما بريطانيا فإنها كانت تنظر إلى قيام أمريكا بنقل كميات كبيرة من البن منذ عام ١٧٩٨م على أنه عملاً عدائياً موجهاً ضدها، لذلك بدأت تحركاتها من أجل استعادة سطوتها على هذه التجارة المربحة . وذلك عن طريق إرسال البعثات العلمية لإجراء مسوحات جغرافية ، ودراسة إمكانية احتلال عدن وتحويلها إلى قاعدة عسكرية وتجارية . وقد كانت تلك البعثات معنية أيضاً بدراسة الوضع الاقتصادي في اليمن ، وتقديم تقارير عنه . ففي تقرير للكابتن هينس بعث به إلى كامبل القنصل العام البريطاني في مصر ، في ٦ أكتوبر ١٨٣٦م ذكر فيه بعض التصرفات التي قام بها إبراهيم باشا ، قائد قوات محمد علي باشا في اليمن ، فقد قام " ببيع البن إلى الأمريكيين ، لكي يحرم التجار الإنجليز منه ، كما فرض رسوماً جمركية تعسفية على البضائع البريطانية المصدرة والمستوردة ، وهذا انتهاكاً لنص المعاهدة بين بريطانيا العظمى ، وإمام صنعاء "[٨٤٧] وقد اعتبر هينز هذا التصرف من قبل إبراهيم باشا عملاً موجهاً ضد المصالح البريطانية ، وبناءً على هذا التقرير احتج كامبل لدى محمد علي باشا في مصر ، مذكراً إياه بأن بريطانيا موقعة على معاهدة مع الإمام في عام ١٨٢٠م ، وأن هذه المعاهدة ملزمة لمحمد علي باشا ، ويجب أن تحترم ، وأنه يجب عدم رفع الرسوم الجمركية في الموانئ اليمنية على البضائع البريطانية المستوردة والمصدرة ، وبما في ذلك البن أكثر من ($\frac{1}{4}$ ٢٪) ، وهي النسبة التي تم الاتفاق عليها في المعاهدة[٨٤٨] .

أدى اختراع بريطانيا للسفن البخارية إلى فتح آفاقاً جديدةً أمام التجارة البريطانية في منطقة المحيط الهندي والبحر الأحمر ، لذلك سعت من أجل إحياء الطريق التجاري القديم الممتد من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر فالسويس ، ومن هناك بطريق البر إلى القاهرة ثم إلى الإسكندرية ، ثم إلى أوروبا عبر البحر المتوسط .

---

(٨٤٧) – **Ingram : Records of Yemen , Vo.2 , P.562**

(٨٤٨) **Ibid ,Vo.2,P569**

وقد بدأت بريطانيا جدياً في البحث عن مكان يصلح لبناء محطة للفحم منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر ، لذلك أرسلت الشركة الكابتن جيمس ماكينزي في عـام ١٨٣٧م ، حيث قام برحلة طويلة مر فيها بمعظم الموانئ اليمنية ، قدم بعدها تقريراً في يونيو ١٨٣٧م ، وصف فيه ما شاهده خلال رحلته تلـك ، ابتـداء مـن ميناء جـدة حـتى ميناء عدن ، كما وصف سياسة محمد علي في تلك الموانئ ، مبديا إعجابه بما شاهده من النظـام في تلك الموانئ ، وقد ذكر ماكينزي " بأن امتلاك الباشا لهذه المناطق قد أعطتـه الفرصـة للسيطرة الكاملة على التجارة في اليمن والحجاز ، المنطقتين الرئيسيتين في الجزء الغربي مـن الجزيرة العربية "(٨٤٩) .

وانتهى البريطانيون إلى نتيجة مفادها بأن عدن هي أنسب الأماكن لإقامة محطة لتزويد سفنهم بالفحم ، فقد أرسل كامبل القنصل العام البريطاني في مصر إلى حكومة الهند الشرقية رسالة في ٢٧ مارس ١٨٣٨م ذكر فيها بأن " الحقيقة ببساطة هي أن عدن ، والـتي هـي عبارة عن ميناء ممتاز ، تقع في موقع متوسط بين بومباي والسـويس ، كمـا أن السـفن البخارية التي تعمل الآن في البحر الأحمر ستحتاج للتزود بالفحم مـن محطـة ذات موقـع متوسط أيضاً "(٨٥٠) .

وقد سعت بريطانيا لاحتلال عدن منذ وقت مبكر ، ولكن لم تتح لها الفرصة لتحقيـق ذلك إلا في عام ١٨٣٩م . عندما استغلت حادثة تحطم السفينة الهندية داريا دولت ، والتي كانت تحمل العلم البريطاني . فقد اتهمت بريطانيا السكان المحليين بنهب حمولة السفينة التي تحطمت في يناير ١٨٣٦م . وبعد ذلك بعامين وصل الكابتن هيـنس إلى الـيمن وقابـل السلطان محسن بن فضل العبدلي ، وطلب منه إعادة حمولة السفينة ، ولكن السلطان أنكـر أن يكون رعيته قد اشتركوا في نهب تلك الحمولة . ولم يقبل الكابتن هيـنس بـذلك " لأن بضائع المركب داريا دولت كانت تباع آنئذ في أسواق عدن .لذلك فرض على السـلطان

---

(٨٤٩) – Ibid : p.815

(٨٥٠) – Ingram : Records of Yemen , Vo.2 , P.854

غرامة قدرها (١٢٠٠٠) اثني عشر ألف ريال ، وإعادة جميع الأموال المنهوبة "[٨٥١] .
ولما لم يتمكن السلطان من دفع ذلك المبلغ كاملاً ، كتب على نفسه سند بمبلغ (٤١٩٢) ريال بعد أن سلم (٧٨٠٨) ريالاً فقط ، وقد تعهد بتسليم المبلغ المتبقي خلال اثني عشر شهراً

"وبعد ذلك افتتح هينس المحادثة للتخلي سلمياً عن عدن "[٨٥٢] . وبعد أن تردد السلطان محسن قليلاً ، اضطر إلى الموافقة على ذلك مقابل إعطائه مبلغ ٨.٧٠٠ ريال سنوياً . عموماً لم تنتهي الأمور كما خطط لها الكابتن هينس ، الأمر الذي نتج عنه في نهاية المطاف اندلاع الحرب بين الطرفين ، والتي انتهت باحتلال عدن بالقوة في تاريخ ١٩ يناير ١٨٣٩م .

وبالرغم من أن ذرائع بريطانيا من أجل احتلال عدن كان إنشاء محطة لتزويد السفن بالفحم ، إلا أن الأهداف الاستراتيجية والمتمثلة بتحويلها إلى قاعدة عسكرية لم تكن خافية على القوى الموجودة في المنطقة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن البريطانيين لم ينكروا اهتمامهم البالغ بالسيطرة على الطرق التجارية ، وبخاصة الطرق المتحكمة في تجارة البن . وقد أطنب الكابتن هينس كثيراً في ذكر الأهمية الاقتصادية لعدن ، حيث قال " إن الإمكانيات الكبيرة لعدن في إنماء التجارة ، وتنشيطها ، والتي لا يتمتع بمثلها ميناءً آخر في شبه الجزيرة العربية ، واحتمالات بزوغ شمسها لابد لها أن تسبب بسرعة في التقليل من أهمية المخا وموانئ البحر الأحمر الأخرى "[٨٥٣] .

وقد سعى الكابتن هينس إلى الاستفادة من موقع عدن الاقتصادي بسرعة فما أن تمكن من إحكام سيطرته على عدن حتى سعى إلى تحويل التجارة إليها ، خاصة تجارة البن . فقد أرسل رسالة إلى الإمام في صنعاء يعلمه بأن البريطانيين قد احتلوا عدن ، ويشجعه على تحويل تجارة البن إليها ، حيث قال في رسالته : " وأنتم تعلمون الطريق الأصلي بين صنعاء وعدن ، وأشجار البن ومحصولاتها تحت يد حكومتكم ، فإذا أصدرتم أمراً إلى التجار بأن

---

[٨٥١] – أحمد بن فضل العبدلي : هدية الزمن ، ص٧١ .
[٨٥٢] – هارلدوف يعقوب : ملوك شبه الجزيرة العربية ، ترجمة : احمد المضواحي ،ص٢٩ .
[٨٥٣] – هارلدوف يعقوب : ملوك شبه الجزيرة العربية ، ترجمة : احمد المضواحي ، ص٣٩ .

يسوقوا بضائعهم نحو عدن بدلاً من سوقها لبنادر اليمن الأخرى فإن في ذلك نفع عظيم من الجهتين ، كما لا يخفى ذلك بأدنى ملاحظة "[٨٥٤] .

ولقد أصبحت تجارة البن أحد أهم محاور الصراع بين محمد علي باشا من ناحية ، وبين بريطانيا من ناحية ثانية . كما سبق أن ذكرت . وبالرغم من اتهام بريطانيا المستمر لمحمد علي بمحاولته مد نفوذه عبر الأراضي اليمنية ، إلا أنه كان دائماً يحاول إثبات حسن نواياه ، مؤكداً أنه لا ينوي احتلال عدن .

وكانت بريطانيا تأمل في كسر الاحتكار المصري لتجارة البن كما كانت تأمل أيضاً بأن توجه تجارة البن كاملةً باتجاه ميناء عدن[٨٥٥] . وقد زادت كميات البن المصدرة عبر عدن في عام ١٨٣٩م ، منذ أن بدأ محصول الحجرية من البن ، والذي كان يصدر عادة عبر ميناء المخا، يوجه إلى عدن بتوجيه من شيخ منطقة الحجرية الذي كان في حرب مع المصريين في الميناء الأول[٨٥٦] . وكان هذا الشيخ يريد تصدير البن عبر عدن حتى يتفادى مروره عبر ميناء المخا الذي يسيطر عليه المصريون .

وقد سعى هينس منذ البداية لكي يجمع كافة الخيوط السياسية في يديه . ففي الفترة بين فبراير ويوليو ١٨٣٩م تمكن من إيجاد علاقة مع معظم سلاطين المناطق التي تقع على طرق التجارة ، فقد تمكن من عقد معاهدات صداقة وتجارة مع السلطان الفضلي والحوشبي وسلطان العوالق السفلى ، مانحاً إياهم الضمانات والمرتبات والهدايا[٨٥٧] . كما منح سلطان يافع السفلى راتباً أيضا ، هذا بالإضافة إلى عقد اتفاقية مع شيخ الحجرية السابق ذكره . ولكن بقيت لحج هي محور علاقة عدن مع المناطق الداخلية . وبالرغم من عقد العديد من الاتفاقيات مع السلطنة من أجل إحياء التجارة ، وتحقيق الأمن ، إلا أن لحج لم تتضامن أبداً مع عدن ، بل على العكس كانت تمثل عدواً خطيراً لها .

---

(٨٥٤) – جاد طه : سياسة بريطانيا ، ص١٣٠ .

(٨٥٥) – Gevin : Aden Under British Rule , P.51

(٨٥٦) – Ibid , P.51

(٨٥٧) – Gevin : Aden Under British Rule P, 65

,

أدى تشجيع بريطانيا لنقل تجارة البن إلى عدن بدلاً من المخا والحديدة إلى الإضرار بالقوات المصرية الموجودة في اليمن " وقد اشتكى القائد المصري للمخا من النقص الشديد في جمارك ذلك الميناء "[٨٥٨] . حتى أن السلطات المصرية في اليمن غدت عاجزة عن دفع مرتبات الجنود ، وليس ذلك فحسب ولكن أثر ذلك أيضا على اقتصاد مصر ذاتها ، إذ لم يكن من السهل توفير الأموال الكافية للقوات المصرية الموجودة في اليمن بدون الحصول على مبالغ كبيرة من الجمارك المفروضة على تجارة البن ، وقد أدى تحويل تلك التجارة إلى ميناء عدن إلى حرمانها من ذلك المصدر الهام .كما أدى احتلال بريطانيا لعدن إلى خلق الكثير من المشاكل المعقدة للوجود المصري في اليمن . ادت تلك المشاكل إلى إقصاء قوات محمد علي باشا عن اليمن نهائياً في عام ١٨٤٠م ، وذلك بموجب مؤتمر لندن .

وقبل أن تغادر قوات محمد علي باشا اليمن سلمت المناطق التي كانت تسيطر عليها ، للشريف حسين بن علي بن حيدر بعد أن وافق على دفع إتاوة سنوية قدرت بـ ٩٠.٠٠٠ دولار[٨٥٩] . وقد اختلفت المراجع التي بين يدي حول الجهة التي تدفع لها تلك الإتاوة ، فبعضها ذهب إلى أن تلك الإتاوة تدفع إلى محمد على ، والبعض الآخر قالت بأنها تدفع السلطان العثماني .

وقد حدثت العديد من المشاكل بين الشريف حسين وبريطانيا بعد مغادرة القوات المصرية لليمن مباشرة . فقد وضع الشريف الكثير من المعوقات أمام التجارة البريطانية في ميناء المخا . فقد اشتكى عبد الرسول الوكيل البريطاني في المخا بأن ممتلكات الوكالة البريطانية في المخا تعرضت للمصادرة ، وبأن معاهدة ١٨٢٠م قد تعرضت للعديد من الانتهاكات[٨٦٠] . وقد قام الشريف حسين بإهانة الملازم البريطاني جوردون (**Gordon**) ، الذي وصل إلى المخا على متن السفينة زنوبيا (**Zenobia**) أثناء جلاء القوات المصرية عن المخا وذلك من أجل حماية المصالح البريطانية فيها ، و من أجل استطلاع نوايا الشريف حسين بن حيدر تجاه البريطانيين .

---

[٨٥٨] – جاد طه : سياسة بريطانيا ، ص١٣١ .

[٨٥٩] - **Playfair : History of Arabia Felix , P.147**

[٨٦٠] – **Marston : Britain's Imperial Role , P.101**

انتهج الشريف حسين بن علي بن حيدر سياسة عدائية تجاه بريطانيا ، فقد أمر رئيس الوكالة البريطانية في المخا بإنزال العلم البريطاني من سطح مبنى الوكالة ، كما اخذ حوالي ٦٠٠٠ دولار من التجار الموجودين في المخا بحجة توفير الأموال من اجل محاربة البريطانيين الكفار ، كما كان يطلق عليهم ، كما أمر برفع الضرائب على البضائع البريطانية المستوردة والمصدرة من ٢.٢٥٪ إلى ٩ ٪ [٨٦١] .

في تلك الأثناء أرسل الإمام أحد أقرباءه لعقد معاهدة بينه وبين بريطانيا ، وهي معاهدة سلام وتجارة . وكان الإمام يأمل من خلال ذلك الحصول على مساعدة بريطانيا ضد الشريف حسين ، الذي كان يسيطر على المناطق الساحلية ، والتي كان يعتبرها الإمام جزءاً لا يتجزأ من ممتلكاته .

اضطربت الأوضاع السياسية في اليمن بعد رحيل قوات محمد علي باشا تماماً فقد اشتد الصراع بين إمام صنعاء من ناحية ، والشريف حسين من ناحية ثانية ، وقد نتج عن هذا الصراع اضطراب الأوضاع الأمنية على امتداد الطرق التجارية ، حتى عجز الشريف حسين عن تأمين تلك الطرق ، حيث كانت القوافل التجارية تتعرض لغارات قطاع الطرق المفاجئة باستمرار[٨٦٢] . وقد أدى ذلك بالضرورة إلى عرقلة حركة التجارة في الموانئ اليمنية وبخاصة ميناء المخا و ميناء الحديدة ، وهذا ما دفع بعض التجار المقيمين في تلك الموانئ إلى رفع شكاوى إلى السلطان العثماني عن اختلال الأوضاع الأمنية ، وطلبوا منه ضم اليمن إلى الدولة العثمانية ، وذلك بسبب ما حصل من الفساد والخراب من إمام صنعاء والشريف حسين ، الأمر الذي نتج عنه قطع الطرق ، ونهب الأموال . وقد ذكروا في شكواهم ، بأنه انقطع عنهم الزاد واشتد البلاء على المسلمين فالبعض من التجار طلعوا حريمهم[٨٦٣] وأطفالهم إلى البحر ، والبعض من التجار مقيمين في البنادر لأجل حفظ أموالهم

---

[٨٦١] – Playfair : History of Arabia Felix , P.147

[٨٦٢] - Marston : Britain's Imperial Role , P.102

[٨٦٣] – الحريم في اليمن تطلق على النساء، وتعني الوثيقة بأن التجار قد نقلوا زوجاتهم وأطفالهم إلى مناطق أخرى بواسطة القوارب .

من الخطر[٨٦٤] . وقد أرسلت تلك الشكوى في عام(١٢٦٤هـ /١٨٤٧م) . وقد طلب أولئك التجار من السلطان العثماني أن يجعل اليمن تحت سلطة الدولة العثمانية ، من اجل حفظ الأمن وتسهيل التجارة . وقد تعددت شكاوى التجار إلى السلطان العثماني حول الوضع الأمني في الموانئ. وليس ذلك فحسب ولكنهم أرسلوا كذلك إلى حاكم مكة محمد بن عون يطلعونه على ما يحدث من صراع بين الإمام في صنعاء و الشريف حسين في تهامة ، وعلى الأضرار التي لحقت بهم وبتجارتهم في ميناء المخا من جرءا ذلك الصراع ، ويستنجدون به ضد الشريف [٨٦٥]

في هذه الأثناء كانت بريطانيا تبذل قصارى جهودها في سبيل تحويل تجارة البن إلى ميناء عدن ، وتعمل على تأمين الطرق المؤدية إليها عبر المناطق المجاورة ، وفي سبيل تحقيق ذلك عقدت العديد من المعاهدات مع شيوخ تلك القبائل، فقبل انتهاء شهر يناير من عام ١٨٣٩م " كانت بريطانيا قد عقدت معاهدة سلام وصداقة مع قبيلة العزيبة ، إحدى فروع قبيلة العبادلة . وفي شهر فبراير وقع السلطان العبدلي شخصياً ، ومعه رؤساء بعض القبائل ، وبالتحديد العقربي والصبيحي واليافعي والفضلي والشرجي نفس المعاهدة "[٨٦٦] . وقد التزمت بريطانيا في تلك المعاهدات بدفع مرتبات لهؤلاء الشيوخ ، مقابل حمايتهم وتأمينهم للطرق التجارية التي تمر عبر أراضيهم إلى عدن ، وحماية القوافل التي تجتاز تلك الطرق، خاصة القوافل التي تحمل البن .

ولم ينجح الكابتن هينس في تحويل تجارة البن كاملة باتجاه عدن خلال الأربعينات من القرن التاسع عشر ، بسبب كثرة الاضطرابات وتزايد حالات العصيان والتمرد التي تمارسها القبائل التي تمر القوافل عبر أراضيها ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية بسبب

---

[٨٦٤] – رسائل من بعض التجار القاطنين في الموانئ اليمنية إلى السلطان العثماني، ملحق رقم (٤) ، ورقم (٥) محفوظة في المركز الوطني للوثائق .

[٨٦٥] – رسائل إلى محمد بن عون واشرف بك قائد القوات العثمانية في الحجاز عن الاوضاع الامنية في تهامة و الحرب بين امام اليمن و الشريف حسين ، ملحق رقم (٦) ، و (٧) و(٨) ، محفوضة في المركز الوطني للوثائق والمعلومات .

[٨٦٦] - Playfair : History of Arabia Felix , P.164

السياسة العدائية التي انتهجها الشريف حسين ضد البريطانيين في عدن ، مما جعلــه يضــع الكثير من العراقيل لمنع تدفق تجارة البن إلى ميناء عدن .

لقد كان جذب انتباه التجار الأمريكيين و الفرنسيين من أجل شراء البن من عدن هي أغلى أمنيات الكابتن هينس.

وبالرغم من كل الصعوبات، واجهت الكابتن هينس إلا انه لم يتراجع عن رغبتــه في تحويل تجارة البن إلى عدن ، لذاك أجتهد في تحويل عدن إلى ميناء حر ، حيث عمل على نقل العمال والصناع والحرفيين ، والبناءين والنقاشين إليها ، وأغراهم بالعمل في عــدن مقابــل أجور مرتفعة ، وذلك بهدف إعمار الميناء ، وتحسين أدائه ، بحيث يجذب إلية التجــارة مــن كافة أنحاء البلاد .

وقد حاول الشريف حسين بن على بن حيدر منع تسرب القوى العاملة في المخــا إلى عدن . حيث قضى بمصادرة أملاك كل تاجر من المخا يحاول الانتقال إلى ميناء عدن حاملاً معه خبراته ومعارفه في التجارة[٨٦٧] .

كما أغرى الشريف حسين السفن الأمريكية الموجودة في مياه البحر الأحمر على نقل البن من المخا ، وذلك عندما قام بتخفيض الرسوم الجمركية إلى (٣٪) إلى جانب تنازله عن رسوم الرسو التي كان يتقضاها في السابق من السفن الأمريكية . وتعد هذه الإجــراءات ضربةً شديدة لمحاولات الكابتن هينس تحويل تجارة البن إلى عدن . ونتيجة لأتخاذ مثل تلــك التدابير من قبل الشريف حسين أصبح القبطان ويب (**Weep**) قائــد الســفينة رتلــر (**Rattler**) الامريكية ، والتي كانت تتردد باستمرار على اليمن لشراء البن ، يأخــذ شحنات البن التي يحتاجها بشكل دوري من المخازن التجارية في المخا . وقد شجع كل ذلك التجار الأمريكيين على شحن البن من ميناء المخا بدلاً من ميناء عدن الواقع تحت الســيطرة البريطانية[٨٦٨] .

لقد كانت منافسة ميناء المخا لميناء عدن واحدةً من أشد الصعوبات الــتي واجهــت الكابتن هينس في تحويل التجارة إلى ميناء عدن ، ويرتبط بهذه المشكلة ، مشــكلة أخــرى

---

[٨٦٧]– د. خالد باوزير : ميناء عدن ، ص ١٩٥ .

[٨٦٨] – د. خالد باوزير : ميناء عدن،ص ١٩٦ .

تتمثل في أن مسألة تدفق البن إلى ميناء عدن من المناطق الداخلية كان بالدرجة الأولى مرتبطاً بالمسائل السياسية حتى عام ١٨٥٠م ، حيث كان يتوجب على الكابتن هينس أن يقدم تنازلات سياسية إلى الإمام وإلى زعماء منطقة الحجرية . وخلال المدة بين ١٨٣٩م و١٨٤٩م جرت عدة مفاوضات بين مندوبين من طرف الإمام في صنعاء وزعماء الحجرية من ناحية و بين الكابتن هينس من ناحية ثانية ، وذلك من أجل نقل تجارة البن من المخا إلى عدن ، ولكن في كل مرة كانت المفاوضات ترتبط بمطالب سياسية ، تلك المطالب التي لم يكن في وسع الكابتن هينس تحقيقها[٨٦٩] . فقد كان كل من الإمام في صنعاء وزعماء الحجرية يتطلعون إلى مساعدة بريطانيا من أجل التخلص من الشريف حسين ، الذي يسيطر على المناطق الساحلية ، بما في ذلك الموانئ ، وهي المناطق التي كان الإمام يؤكد دائماً على أحقيته بامتلاكها[٨٧٠] .

وبعد أن عجز الشريف حسين عن إحكام سيطرته على المناطق التي كانت بحوزته في تهامة عادت القوات العثمانية إلى اليمن من جديد في عام ١٨٤٩م ، حيث تمركزت في المناطق التي كان يحكمها الشريف حسين . وقد نشأت عداوة بين الأتراك من ناحية والسكان المحليين الموجودين في المناطق الداخلية من ناحية ثانية ، وقد نتج عن تلك العداوة أن انتقل جزأً مهماً من التجارة إلى عدن ، دون أن تضطر بريطانيا لعقد إيةً معاهدة[٨٧١] .

لقد أدى الموقف السياسي المعقد في اليمن خلال أربعينيات القرن التاسع عشر إلى توقف شبه تام للنشاط التجاري في المخا.

ولكي يجذب الكابتن هينس التجار المحليين والأجانب إلى ميناء عدن ، فقد عمد إلى رسم سياسة جديدة لتحقيق ذلك ، حيث سعى إلى إقناع حكومة الهند البريطانية لكي تصدر قراراً بتحويل عدن إلى ميناء حر . وقد توجت جهود هينس بإصدار مثل ذلك القانون في عام ١٨٥٠م ، فقد أقرت حكومة الهند البريطانية بأن يكون ميناء عدن ميناءً حراً بالقانون رقم ١٠ لعام ١٨٥٠م . وقد جاء هذا القانون نتيجة للعديد من الخطوات

---

(٨٦٩) – Gavin : Aden Under British Rule , P. 55

(٨٧٠) – رسالة إلى محمد بن عون تؤكد بان تهامة هي من املاك الامام في صنعاء ، ملحق رقم (٩)

(٨٧١) Gavin : Aden Under British Rule , P. 55

الهادفة التي أتخذها الكابتن هينس من أجل تشجيع تحول عدن إلى ميناء حر " خاصة بعد إزدياد السفن المارة به ، وإزدياد النشاط التجاري فيه ، وتهافت الشركات لإقامة الوكالات التجارية والاستثمار ، والرغبة في تحويل التجارة من الموانئ المجاورة إلية "[٨٧٢]. وقد وقع هذا القرار من قبل سكرتير حكومة الهند فريد جاس هاليداي (**Freg Jus Hallidy**) . وقد ورد في مسوغات إصدار هذا القانون ، بأنه بسبب أن التجارة تقع بين الساحل الغربي للهند والبحر الأحمر ، والمناطق المجاورة لها ، فإنه يستحسن تشجيع سفن جميع دول العالم على التردد على ميناء عدن ، الواقع في شبه الجزيرة العربية . وينص هذا القانون على[٨٧٣] :

- أن ميناء عدن بتجمعه السكاني ميناءً حرً ، وعلية فلن تستخلص أية ضريبة جمركية على أية سفينة أو بضائع منقولة بصورة قانونية براً وبحراً من الميناء أو إلية .
- أن العمل بهذا القانون يتم ابتدأً من غرة مارس ١٨٥٠م ، وينشر هذا القانون حتى يعلم به الجميع .

لقد كانت النتيجة الحتمية لصدور مثل هذا القانون هو تدفق السفن من جميع دول العالم التي تعمل في تجارة الشرق إلى ميناء عدن ، والنجاح في جذب السفن التي تبحر في مياه المحيط الهندي والبحر الأحمر إليه ، وهو ما أنعكس ايجابياً على النشاط التجاري فيه، مقابل انكماش وتدهور بقيه الموانئ ، خاصة ميناءي المخا والحديدة .

ولم يكن إصدار هذا القانون وليد الصدفة ، ولكن نتيجة لقيام بريطانيا بالعديد من الإصلاحات في ذلك الميناء ومنها نقل الميناء إلى منطقة المعلا والتواهي ، وإقامة مخازن للفحم في جزيرة الشيخ أحمد الصغيرة ، وتقديم بعض التسهيلات كالقروض للتجار في عدن ، وانشأ إدارة للإشغال العامة للمساعدة على تنفيذ المشاريع الخدمية في عدن[٨٧٤] .

---

[٨٧٢] – حسين الملعسي : تاريخ تطور النشاط التجاري الحر لميناء عدن (١٨٥٠م – ١٩٦٧م) ، ص ١٤٣ .

[٨٧٣] – خالد باوزير : ميناء عدن ، ص ٢٠٠ .

[٨٧٤] –حسين الملعسي : تاريخ تطور النشاط التجاري الحر لميناء عدن ، ص ١٤٨ .

وقد ساعدت تلك الإجراءات ، إضافة إلى تحقيق الأمن والاستقرار في عدن والمناطق المجاورة لها بفعل معاهدات الصداقة والتجارة مع شيوخ القبائل ، على تدفق القوافل التي تحمل البن إلى ميناء عدن .

أما بالنسبة للسفن القادمة إلى اليمن فلم يكن رسوها في عدن من أجل تفادي الرسوم الجمركية المفروضة من قبل الأتراك في الموانئ الأخرى ، وهي ٥٪ للسفن البريطانية ، و ١٢٪ للسفن ذات الجنسيات الأخرى ، وبالإضافة إلى دفع إثنتي عشر ونصف كراون مقابل كل بالة من البن فحسب ، ولكن أيضاً من أجل تفادي خطر الرحلة الطويلة وربما الخطرة في البحر الأحمر"[٨٧٥] .

ولقد أنعكس إعلان عدن ميناءً حراً بشكل إيجابي على تجارة البن عبر ذلك الميناء ، فقد ساعد على جذب تجارة البن باتجاهه ، وبالتأكيد فأن زيادة تجارة البن عبر ميناء عدن قد خفض نسبة العائدات المالية لكل من مينائي المخا والحديدة إلى مستوى خطير جداً من الانخفاض[٨٧٦] .

ولقد شهدت الفترة من ١٨٤٩م إلى ١٨٥٢م ، تزايداً مستمراً في كميات البن المصدر عبر ميناء عدن ، والجدول التالي يوضح ذلك[٨٧٧] .

السنة	الكمية	القيمة بالروبية
١٨٤٩/٥٠	٦.٥٥٨	٩٦.٨٤٧
١٨٥٠/٥١	١٣.٠٣٧	١.٥٧.٨٧٤
١٨٥١/٥٢	٢٨.٥٥٠	٣.٦٥.٧٨٠

وخلال نفس الفترة تزايد عدد السفن الواصلة إلى عدن ، ولاشك بأن ذلك بسبب التحسينات الكبيرة التي أدخلتها السلطات البريطانية على ذلك الميناء . والجدول التالي

---

(٨٧٥) - Marston : Britian Imperial Rule , P. 159

(٨٧٦) - Ibid : P. 159

(٨٧٧) - Ibid : P. 160 .

يوضح عدد تلك السفن ، وجنسياتها وحمولاتها خلال السنوات ١٨٤٨م إلى ١٨٥٠م[٨٧٨]

.

	البريطانية	الأمريكية	الفرنسية	الهولندية	الروسية
السنة / ١٨٤٨م – ١٨٤٩م					
العدد	٧٩	٨	٣	–	–
الحمولة بالطن	٣٣.٦٤٠	١.٨٧٥	٤٦٨	–	–
السنة / ١٨٤٩م – ١٨٥٠م					
العدد	٧١	١١	٢	–	–
الحمولة بالطن	٣٤.٠٥١	٢.٧٩٣	٢٠٢	–	–
السنة / ١٨٥٠م – ١٨٥١م					
العدد	٦١	٩	٧	٢	١
الحمولة بالطن	٢٧.٤٤٠	٢.١٦١	٢.٠١٥	١.٢٥٨	٣٣٠

وهذه السفن بالطبع تمثل السفن التجارية الأجنبية التي كانت تنتقل بين الهند والسويس بشكل منتظم .

ولم يتمتع البريطانيون بالتفرد في مياه المحيط الهندي ، والبحر الأحمر بصورة دائمة ، فقد كانت فرنسا تحاول دائماً الحصول على بعض الامتيازات للعمل في هذه المياه ، والاستفادة من المتاجرة معها وخاصة فيما يتعلق بتجارة البن .

وقد نجح الفرنسيون في إيجاد موطئ قدم لهم في مياه البحر الأحمر ، وذلك عن طريق استيلاؤهم على ميناء أوبوك على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر في مارس ١٨٦٤م . وقد تأثر المقيم السياسي البريطاني في عدن من ذلك ، إذ أن ذلك العمل كان يحمل في طياته تهديداً صريحاً لنمو عدن وتوسعها ، وكانت عدن قد شهدت ازدهاراً ملحوظاً بسبب التجارة في البن اليمني وأيضاً بسبب التجارة الأفريقية التي تنقلها القوافل حتى زيلع وبربرة

---

(٨٧٨) – Marston : Britian Imberial Rule , P. 160.

ثم بالسفن حتى عدن ، ونظراً لكون أبوك أقرب إلى المنتجات الأفريقية من عدن ، فقد كان في استطاعتها أن تحتكر تجارة البن المصدر من هرر بوجه خاص ، وكان الإنجليز يقدرون هذا البن الأفريقي بنفس الدرجة التي يقدرون بها البن اليمني(٨٧٩) .

وقد ازداد شعور بريطانيا بخطورة فرنسا على مصالحها في مياه المحيط الهندي والبحر الأحمر عقب شق قناة السويس ، والتي تم افتتاحها في عام ١٨٦٩م ، خاصة وأن فرنسا هي التي قامت بشق تلك القناة وبالتالي لابد لها أن تسعى إلى تحقيق مصالحها في المنطقة . وقد استشعرت بريطانيا تلك الخطورة عندما حاولت فرنسا إيجاد موقع لها في اليمن ، فقد حاولت فرنسا السيطرة على منطقة الشيخ سعيد غربي عدن في عام ١٨٦٩م غير أن بريطانيا أحبطت محاولتها تلك، حتى لا يتعرض الوجود البريطاني في عدن لأي خطر(٨٨٠) . وقد غادر الفرنسيون الشيخ سعيد نهائياً في عام ١٨٧١م .

أما على الصعيد المحلى فإن علاقة بريطانيا بالقوى المحلية كانت في مجملها متوترة ، فقد حاولت القبائل المجاورة لعدن استردادها من أيدي البريطانيين عده مرات ، ولكنها فشلت ، لذلك لجأت إلى قطع المؤن عن عدن ، بما في ذلك قطع الطرق على القوافل التي تحمل البن ، وذلك بالرغم من أنه كانت توجد بين بريطانيا وزعماء تلك القبائل معاهدات صداقه وتجارة .

ولقد ازدادت العلاقة سواءً عندما قام كل من السلطان الفضلى والسلطان العبدلي والسلطان العقربي وبعض قبائل الصبيحة بالعمل على منع التجارة من الدخول إلى ميناء عدن براً وبحراً ، فقد أتفق زعماء تلك القبائل وهم السلطان محسن العبدلي ، والسلطان أحمد بن عبد الله الفضلى والسلطان حيدرة بن مهدي العقربي وعدة قبائل من الصبيحة وذلك خلال الفترة من ٢٠ إلى ٢٨ فبراير ١٨٤١م على فتح ميناء جديد لعدن في منطقة عدن الصغرى وقد اختير بندر الشيخ لذلك الغرض(٨٨١) . وعقب ذلك قامت مجموعة مسلحة بمنع القوافل التي تحمل البن والمواد الأخرى من الدخول إلى عدن واجبروا مالكيها على بيعها في بير أحمد ، ومن ثم تصديرها إلى الميناء الجديد في بندر الشيخ ، فأخذت القوافل

---

(٨٧٩) – جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٨٨٠) – فاروق اباظه : عدن والسياسة البريطانية ، ص ٤٧٤ .

(٨٨١) – سلطان القاسمي : الأحتلال البريطاني لعدن ، ص ٤٣٧ .

القادمة من المناطق الداخلية طريقها إلى بير أحمد ، وقدمت السفن من المكلا والشحر إلى ذلك الميناء محملة بالبضائع الهندية المختلفة لكي توزع في لحج والمناطق المجاورة لها ، وتعود محملة بالبن والبضائع الأخرى ، وكانت تشاهد خمسة أو ستة سفن يومياً عند بندر الشيخ(٨٨٢) .

لم تسكت بريطانيا على ذلك الأجراء ، فقد تسبب في إلحاق أذى كبير بالتجارة في عدن ، لذلك وجهت بريطانيا تهديدات شديدة اللهجة إلى زعماء تلك القبائل بقطع مرتباتهم المالية التي كانوا يتقاضوها من بريطانيا . كما هدد الكابتن هينس بأنه سوف يمنع التجارة في ميناء بندر الشيخ عن طريق وضع سفينة خارج البندر لإغلاقه .

ونتيجة لهذا التهديد توقف السلطان محسن العبدلي عن قطع الطريق على القوافل المتجهة إلى عدن ولكنه فرض ضريبة جديدة على البضائع التي تدخل عدن . أطلق عليها اسم ضريبة عدن . وقد تمركز عدد محدود من الحرس عند الشيخ عثمان لتنفيذ عملية الدفع(٨٨٣) . وقد أضيفت هذه الضريبة إلى ضريبة سابقة كانت تعرف بضريبة لحج . وقد لجأ السلطان محسن العبدلي إلى فرض ضريبة جديدة من أجل زيادة موارد دخله التي تضاءلت نتيجة للاحتلال البريطاني لعدن .

وبالرغم من المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بين السلطات البريطانية في عدن والمناطق المجاورة لها ، إلا أن الهجمات على القوافل التي تحمل البن والبضائع الأخرى ، والتي تتجه إلى عدن لم تتوقف ، ففي فبراير ١٨٥٨م قدم أحد الرعايا البريطانيين ويدعى علي أبو بكر شكوي ضد السلطان العبدلي بأنه قد استولى على شحنة من البن مملوكة له ، وأن قيمة هذه الشحنة تصل إلى نحو ألف روبية ، وكانت هذه الشحنة في طريقها من المناطق الداخلية إلى عدن . وقد احتج المقيم السياسي البريطاني في عدن على ما حدث ، ولكن السلطان أجاب على المقيم بأنه لم يكن يعلم من هو صاحب شحنة البن ، إلا أنه مسرور بعد أن علم أنها للتاجر علي أبو بكر . متذرعاً بأن ذلك التاجر كان مديناً للسلطان بمبلغ من المال " وقد اعتبر المقيم هذا التصرف من جانب السلطان نهباً لثروة بريطانيا وإهانة للسلطات

---

(٨٨٢)– سلطان القاسمي : الأحتلال البريطاني لعدن ، ص ٤٣٧ .

(٨٨٣)– نفس المرجع ، ص٤٣٨ .

البريطانية "[884] واعتبره أيضاً انتهاكاً للمعاهدات المتفق عليها بين الجانبين ، والتي تقضـي بإحالة هذه المشكلة إلى المقيم السياسي في عدن لكي يحكم فيها . ولكن السلطان تصـرف فيها من تلقاء نفسه . وهو ما اعتبره المقيم انتهاكاً صارخاً لتلك المعاهدات وبناءً عليه طلب منه إعادة تلك الشحنة من البن ، أو تقديم تعويضات عنها .

ونظراً لعدم تقديم السلطان علي بن محسن العبدلي أي تعويضات فقـد قطـع المقـيم السياسي في عدن علاقته مع السلطان ، كما قطع ما كان يدفعه له من راتب[885] .

كان رد فعل السلطان علي بن محسن العبدلي على ذلك ، بأن منع عدد من رعاياه من إرسال أي مؤن إلى عدن ، كما قام أيضاً باحتجاز عدد من القوافـل الـتي تحمـل الـبن والحبوب ، والتي تعود ملكيتها لعدد من تجار عدن ، وذلك بعد أن حصل منـها ضـرائب العبور . ثم قام بعد ذلك بالاستيلاء على قلعة وقرية الشيخ عثمان بالقوة في بداية مـارس ، ومن هذه المنطقة بدأ يتحكم في جميع الطرق المؤدية إلى عدن كما بدأ يتحكم في المياه الـتي كانت تصل إلى الحامية البريطانية هناك واللازمة لتموين السفن الراسية في الميناء .

لقد كانت نتيجة تصرفات السلطان علي بن محسن أن اندلعت الحرب بين الجـانبين ، في ١٣ مارس ١٨٥٨م . والتي انتهت بإقصاء السلطان علي عن الشيخ عثمان بعد مقتـل أربعين رجلاً من أتباعه . وفي اليوم التالي تدفقت المؤن إلى عدن بكميات كبيرة[886] .

وتعد هذه المعركة بين العبادلة والإنجليز هي آخر المعارك الكبيرة بين الجانبين ، فقـد أصبحت سلطنة لحج بعد ذلك التاريخ إحدى دعامات الوجود البريطاني في جنوب الجزيرة العربية[887] . خاصة بعد أن انتهج سلطان لحج سياسة التودد إلى السلطات البريطانية ، فقد أرسل من لدنه بعثة لإعادة الصداقة والعلاقات الودية مع الإنجليز وكان من نتيجـة هـذه

---

(٨٨٤) – جاد طه : عدن والسياسة البريطانية ، ص١٥٨ .

(٨٨٥) - **Playfair : History of Arabia Felix , P.174.**

(٨٨٦) **Ibid P.175**

:

(٨٨٧) – جاد طه : السياسة البريطانية ، ص١٦٦ .

الاتصالات إعادة شحنة البن الخاصة بعلي أبو بكر الذي كـــان الســـلطان قـــد اســـتولى عليها[٨٨٨] .

وعقب توقف النزاعات بين العبادلة والبريطانيين في لحج ، تحولت تلك النزاعـــات إلى القبائل المجاورة لعدن ، وصارت تتنازع فيما بينها محققة هدف بريطانيا في إشـــغال القـــوى المتصارعة من أجل تحقيق مصالحها وفقاً لمبدأ (فرق تسد) . والتي لم تكن نتائجه تقتصـــر على الأهداف السياسية فحسب ، ولكنها تجاوزته إلى تحقيق الأهداف الاقتصادية أيضـــاً . فقد حافظت كل الأطراف المتنازعة في أثناء صراعها مع بعضها البعض على سلامة الطـــرق الممتدة بين عدن والداخل ، إلا أن اضطراب الأمور في المنطقة أدى بطبيعة الحال إلى نقـــص كمية المؤن المنقولة من الداخل إلى عدن[٨٨٩] .

ومع نهاية الستينات من القرن التاسع عشر كان معظم البن يأتي من منطقة الحجرية في جنوب تعز . وفي ١٨٧٠م وصل إلى عدن ٦٠٠٠ جمل محملة بالبن ، وقد بلغت قيمة تلك الحمولة ٣٢٣.٠٠٠ ريال أو حوالي ١٦٠.٠٠٠ دولار . وهذه الكمية تمثل حوالي ثلث إجمالي واردات عدن من البن من المناطق الداخلية[٨٩٠] .

وقد ازدادت أهمية تجارة عدن عقب افتتاح قناة السويس ١٨٦٩م فقد أدى افتتـــاح هذه القناة إلى إحياء الطريق التجاري القديم الممتد من المحيط الهندي والبحر الأحمر إلى البحر المتوسط ، وهذا بدوره أدى إلى جذب السفن ، ذات الجنسيات المختلفة إلى ميناء عدن من أجل الحصول على البضائع الشرقية المختلفة ، بما في ذلك البن .

ولقد شهدت تجارة البن اليمني العديد من التقلبات خلال النصف الثاني مـــن القـــرن التاسع عشر ، فإذا كانت قد شهدت في بعض الفترات ازدهاراً ملحوظاً ، فإنها في فتـــرات أخرى قد تشهد تراجعاً ملحوظاً أيضاً ، هذه التقلبات في تجارة البن ترجع إلى العديد مـــن الاعتبارات ، منها الوضع السياسي المضطرب في الداخل بسبب تعدد القـــوات المتنـــاحرة

---

[٨٨٨] – نفس المرجع : ص١٦٥.

[٨٨٩] – جاد طه : السياسة البريطانية ، ص١٦٨.

[٨٩٠] – Gavin : Aden Under British Rule , . P.119

والمتنافسة مع السلطة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عودة الأتراك الى اليمن منذ عـــام ١٨٤٩م . وفرض سيطرتهم الكاملة على كافة الأجزأ الشمالية من اليمن في عام ١٨٧٢م.

ولقد عمل الأتراك منذ وصولهم إلى اليمن على الاستفادة من تجارة البن لذلك قـــاموا بإدخال العديد من التحسينات على الموانئ اليمنية ، وخاصة ميناء الحديدة ، والـــذي بـــدأ يزدهر بشكل كبير على حساب ميناء المخا ، الذي اعتراه الخراب والدمار بسبب ما تعرضه للضرب بالمدافع الأجنبية عدة مرات ؛ بالإضافة إلى إهمال الأئمة لـــه بســـبب انشـــغالهم بالصراع من أجل السلطة .

كما عمل الأتراك أيضاً على تشجيع زراعة البن في اليمن ، آملاً في الحصـــول علـــى الأموال من المزارعين ، والتجار الذين يعملون في زراعته وتجارته . كمـــا فـــرض الأتـــراك غرامات مالية كبيرة على قطع أشجار البن واستبدالها بشجرة القات إلا أنها حصلت علـــى نتيجة عكسية لأنه اعتُقد أن الدولة ستقوم بمصادرة الإنتاج[٨٩١] . وهذا أدى بطبيعة الحال إلى تدهور زراعة وتجارة البن في اليمن ، كما أدى إلى تحول تجارة البن باتجاه ميناء عـــدن ، والجدول التالي يوضح المبالغ المالية التي تم تحصيلها كنتيجة لانتقال تجارة الـــبن إلى عـــدن خلال الفترة من ١٨٤٣م إلى ١٨٦٨م[٨٩٢] .

السنة	المبلغ في ١٠٠٠	السنة	المبلغ في ١٠٠٠	السنة	المبلغ في ١٠٠٠	السنة	المبلغ في ١٠٠٠
١٨٤٣/٤	٩.٤	١٨٤٧/٨	١٢.٩	١٨٥٦/٧	١٨٥	١٨٦٥/٦	٣٨٧
١٨٤٤/٥	٦.٢	١٨٤٨/٩	٦.٤	١٨٥٨/٩	٤٢٠	١٨٦٦/٧	٢٧٩
١٨٤٥/٦	٨.٦	١٨٥٤/٥	٢١٩	١٨٥٩/٦٠	٣١١	١٨٦٧/٨	٥٢١
١٨٤٦/٧	١١.٩	١٨٥٥/٦	٢٦٨	١٨٦٠/٦١	١٨٧		

[٨٩١] – محمود عامر : اليمن من خلال لائحتى محمد خليل أفندي ، مجلة الاكليل ، ص٨٧ .

[٨٩٢] – **Gavin : Aden Under British Rule , P.388.**

ولم تقتصر العوامل التي أثرت على البن على العوامل السابقة ولكن أيضاً لعبت الظروف الطبيعية دوراً هاماً في تجارة البن ، حيث جعلت بعض الظروف الطبيعية مثل الجفاف والجراد والأمراض كميات البن المصدرة متذبذبة وغير ثابتة .

وهذا ما يوضحه الجدول التالي ، والذي يبين كميات البن المصدرة عبر ميناء عدن خلال الفترة من ١٨٥٥م إلى ١٩٥٥م[٨٩٣] .

العام	الحجم	القيمة
١٨٥٥	٥.٧٠٠	٢٥.٠٠٠
١٨٦٠	٣.٠٠٠	٥٣.٠٠٠
١٨٦٥	٨.٠٠٠	٤٠.٠٠٠
١٨٧٠	١١.٥٠٠	٥٠.٠٠٠
١٨٧٥	١٧.٠٠٠	٩٠.٠٠٠
١٨٨٠	٢١.٠٠٠	٤٥٠.٠٠٠
١٨٨٥	١٨.٠٠٠	٥٩٠.٠٠٠
١٨٩٠	٢٥.٠٠٠	٨٠٠.٠٠٠
١٨٩٥	٣٤.٠٠٠	١.١٤٠.٠٠٠
١٩٠٠	٢٤.٠٠٠	٩٠٠.٠٠٠
١٩٠٥	٢٢.٠٠٠	٧٠٠.٠٠٠
١٩١٠	٢٠.٠٠٠	٥٠٠.٠٠٠
١٩١٥	١٨.٠٠٠	٤٠٠.٠٠٠
١٩٢٠	١٣.٠٠٠	٣٥٠.٠٠٠
١٩٢٥	١٤.٠٠٠	٣٧٠.٠٠٠
١٩٣٠	١٧.٠٠٠	٤١٠.٠٠٠
١٩٣٥	١٧.٠٠٠	٤١٥.٠٠٠

[٨٩٣] – د .خالد باوزير : ميناء عدن ، ص٢٩٠ .

١٩٤٠	٢٥.٠٠٠	٧٢٠.٠٠٠
١٩٤٥	٣٥.٠٠٠	١.٢٠٠.٠٠٠
١٩٥٠	٤٧.٠٠٠	١.٣٥٠.٠٠٠
١٩٥٥	٥٢.٠٠٠	١.٦٥٠.٠٠٠

وقد ازداد الأمر سوءا مع نهاية القرن العشرين حيث وصلت كميات البن اليمني إلى أدنى مستويات لها من حيث المساحة المزروعة وكميات الإنتاج والعائد السنوي . وقد أظهرت أخر تقارير ونشرات مجلس الشورى بهذا الخصوص بان قيمة الصادرات من البن خلال العشر السنوات الأخيرة من **١٩٩٣**م إلى **٢٠٠٢** م تساوي **٢٦.٦٦٧.٧٤٣** ريال [٨٩٤] .

ثامناً :الطرق التجارية التي نقل البن عبرها :

ساهم موقع اليمن عند ملتقى طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، والمطل على المحيط الهندي و البحر الأحمر في تسيهل عمليات نقل البن من اليمن ، البلد المنتج إلى مناطق الاستهلاك في مختلف أنحاء العالم. و قد نقل البن إلى تلك المناطق عبر الطرق البرية والبحرية.

أ: الطرق البحرية :

نقل البن عبر الطرق البحرية في اتجاهين رئيسيين الاتجاه الشمالي ، والاتجاه الجنوبي.

أ : الاتجاه الشمالي : ويبدأ هذا الاتجاه من الموانئ اليمنية المطلة على البحر الأحمر شمالا باتجاه الحجاز . حيث تنطلق المراكب و السفن المحملة بالبن من موانئ اليمن المختلفة، وتمخر عباب البحر شمالا إلى مينائي جدة و ينبع ، في رحلة قد تصل إلى ما يقرب من ٤٠٠ ميلا بحريا[٨٩٥]. وكان البن ينقل إلى هناك بواسطة المراكب الصغيرة ، وقد شاهد نيبور أثناء رحلة البعثة الدنمركية من جدة إلى اللحية سفنا كثيرة صغيرة الأحجام ، محملة بالبن ، ومتجهة من موانئ اليمن إلى ميناء جدة[٨٩٦] ، انظر الخرئط رقم (١) و (٢) .

[٨٩٤]- انظر الملاحق ، الوثيقة رقم (١٠) .

[٨٩٥] – توركيل هانسن : من كوبنهاجن الى صنعاء ، ترجمة : محمد احمد الرعدي ، ص ٢٠٧ .

[٨٩٦] – د.احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٨١ .

وبعد أن تصل المراكب المحملة بالبن إلى موانئ الحجاز وتفرغ شحنتها هناك تنقل إلى مصر بحراً بواسطة سفن صغيرة من جدة وينبع لترسو في ميناءي القصير و السويس[٨٩٧] . و من هنالك تقوم القوافل بنقله عبر الطريق البري إلى القاهرة .

وكانت القوافل التجارية التي تقوم بنقل البن إلى القاهرة ، مكونة من عددٍ كبيرٍ من الجمال وكان كل جمل يحمل من ٥ إلى ٦ قناطير من البن ، ويدفع عن كل واحد منها ٩٠مديني[٨٩٨].

وقد تولى نقل البن من الموانئ إلى القاهرة قبائل معينة كانت على طريق القوافل ، وهذه القبائل كانت كل واحدة منها تسلك طريقا مختلفا ، وهي قبائل طوابين و الحويطات وعرب الطور و العايدي[٨٩٩] . وفي القاهرة يتم تجميع البن في الوكالات التجارية حيث يطرح جزءاً منه للتبادل المحلي و يجهز الباقي لإعادة تصديره . وتعد القاهرة من أهم المراكز التجارية في الدولة العثمانية ، وتتوسط عدداً من الطرق التجارية الدولية الرئيسية ،وخاصة طريق البحر الأحمر ، والذي مرت عبرة البضائع الهندية و الآسيوية الأخرى حتى السويس لتصل إلى القاهرة ، ومنها تتجه إلى مختلف الأسواق و البلاد[٩٠٠]

ومن القاهرة كان البن ينقل بطريق البر أو بواسطة القوارب النهرية إلى الموانئ المطلة على البحر المتوسط ، خاصة ميناءي الإسكندرية ودمياط. ومن هناك ينقل البن عبر الطرق البحرية إلى شمال أفريقيا و الدولة العثمانية و أوروبا ، انظر الخرائط رقم (٣).

أما الاتجاه الثاني للطرق البحرية فهو الاتجاه الجنوبي . و يبدأ هذا الخط من الموانئ اليمنية الجنوبية ، خاصة مينائي عدن و المخا والحديدة باتجاه الجنوب ، حيث ينقسم إلى اتجاهين . احدهم باتجاه مسقط و موانئ الخليج العربي سوءً العربية أو الفارسية مثل ميناء البصرة وميناء بندر عباس .

أما الخط الثاني فيتجه نحو الهند ، خاصة مينائي سورات و بومباي ، وهما أهم الموانئ التي كان يصل أليها البن اليمني . وقد أصبحت مقرات الشركات الأوروبية في المخا تابعة

---

[٨٩٧] – جيرار : وصف مصر ، ترجمة : زهير الشايب، جـ١ ، ص٢٩٧ .

[٨٩٨] – نفس المرجع : ص ٣٠٨ .

[٨٩٩] – جيرار : وصف مصر ، ترجمة : زهير الشايب، جـ١ ، ص٣٠٨ .

[٩٠٠] – نللى حنا : تجار القاهرة في العصر العثماني ، ترجمة : رءوف عباس ، ص ٦٦– ٦٧ .

للمقرات الرئيسية في تلك الموانئ . كما يتجه أيضا إلى جزر الهند الشرقية و اندونيسيا ، أي باتجاه المستعمرات الأوروبية في منطقة جنوب شرق اسياء انظر الخريطة رقم (٣) .

لقد كانت شركات الهند الشرقية تقوم بنقل البن من اليمن إلى كل من بومباي وسورات في الهند ، وبندر عباس في فارس ، ومن ثم تقوم بإعادة نقله من هناك إلى أوروبا ، ولكنها فظلت فيما بعد فتح خط ملاحي تجاري مباشر بين أوروبا و المخا دون ربط ذلك بالموانئ سالفة الذكر . وفي عام ١٦٨٢م وصلت أول سفينة بصورة مباشرة من انجلترا إلى المخا ، و استمرت السفن في المجيء إلى المخا سنويا[٩٠١]. وفي عام ١٧١٠م فتحت شركة الهند الشرقية الهولندية خطا ملاحيا مباشرا بين هولندا و المخا ، كما قامت الشركة بتخصيص بعض السفن لنقل البن عرفت (بسفن البن) ، وكانت هذه السفن تبحر مباشرة من بتافيا أو سيلان مجتازة المحيط الهندي إلى ابعد نقطة في الشمال في مدغشقر ، و من هناك إلى المخا، والعودة من نفس الطريق مباشرة إلى أوروبا[٩٠٢] ، وفيما بعد وصل الخط الملاحي المباشر إلى أمريكا كذلك . انظر الخرائط رقم (٤) و (٥) و (٦).

وتوجد العديد من الأسباب التي جعلت الأوربيين يتجهون إلى المخا مباشرة، منها حرص شركة الهند الشرقية الإنجليزية على الاستفادة من عامل الوقت، بحث يصل المحصول بسرعة إلى الأسواق ، قبل أن يفقد طراوته ومذاقه ، ثم حرصها الشديد في الاحتفاظ بالأرباح للشركة ، و الحيلولة دون تسرب تلك الأرباح إلى أيدي مستخدميها في الشرق[٩٠٣] اما شركة الهند الشرقية الهولندية فقد كان سبب نقلها للبن مباشرة إلى هولندا هو عدم رضا رؤساء الشركة السبع عشر في هولندا عن البن الواصل إلى هولندا لأن الرطوبة و الحرارة في كلٍ من المخا و سيلان يفسد البن ، و يتسبب في تعفنه بسهولة[٩٠٤] .

عموما كانت سفن شركة الهند الشرقية التي تسلك ذلك الطريق المباشر تتوقف قليلا في سيلان من اجل التزود بالماء و الغذاء و الوقود ، وكذلك من اجل إصلاح السفن قبل أن تتوجه إلى هولندا.

---

(٩٠١) – عبدالامير محمد أمين : دراسات في النشاط التجاري الأوربي في أسيا ، ص٤٠ .

(٩٠٢) – Glamann : Dutch – Asiatic Trade , P.193.

(٩٠٣) – Ibid : P.193.

(٩٠٤) – Ibid : P. 195

وقد اشترك في نقل البن إلى مناطق الاستهلاك أمم كـــثيرة ، إلى جانـــب التجــــار والبحارة اليمنيين ، وذلك بسبب عدم امتلاك اليمنيين لأسطول تجاري قوي ، فالسفن التي كانوا يمتلكونها ليست سوى مراكب صغيرة ، وقد لحظ نيبور عام **١٧٦٣** بان اليمنـــيين لم يعودوا قادرين على السيطرة على حركة النقل البحرية فهم يقومون فقط بنقل جزء من البن من موانئ اليمن المخا و الحديدة واللحية وجيزان إلى جدة [٩٠٥]، إلى جانب نقلهم لـــبعض السلع الأخرى .

وشارك في نقل البن اليمني معظم البلدان المجاورة لليمن ، مثل تجار الحجاز ومصـــر وبلاد الشام والعمانيون و الأتراك و الفرس . وقد لعب العمانيون الدور الأهم في عمليـــة نقل البن من اليمن إلى مناطق الاستهلاك الممتدة من جدة إلى موانئ الخليج العربي و الموانئ الهندية و الفارسية . كما سبق أن ذكرت في الفصل الأول .

وقد نقل البن على متن مراكب ذات أحجام و أشكال مختلفة ، و قـــد أوردت المصـــادر الأصلية اسما العديد من تلك المراكب ، منها الجلبـــة[٩٠٦] والغـــراب [٩٠٧]والـــداو[٩٠٨]و البرشة[٩٠٩]، وغيرها.

وقد ارتبطت حركة التجارة في المحيط الهندي بشكل عام ، وتجارة البن بشكلٍ خاص بحركة الرياح ارتباطا تاما . وكانت تسيطر على السواحل اليمنية نوعين من الرياح هما الريـــاح الموسمية الشمالية الشرقية ، و الرياح الموسمية الجنوبية الغربية . وكانت كل واحدة منـــهما تسيطر على اليمن ستة اشهر ." وكان على من فاته التحرك في موعـــد الريـــاح المناســـبة الانتظار إلى موعدها العام القادم ، مما جعل لهذه الرياح تأثيرا حاسما في مسار تجارة المحـــيط

---

[٩٠٥] – د. احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٨٠ .

[٩٠٦] – الجلبة : عبارة عبارة عن سفينة كبيرة تحمل البضائع و الركاب و الجمال ، وظلت زمنا طويلا تجـــوب البحر(حسن صالح شهاب – اضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص ٣٤٠)

[٩٠٧] – الغراب : اسم يطلق على سلسلة من السفن منها الكبيرة ذو الشراع الواحد ، والصغيرة التي تســـير بمجاديف (نفس المرجع : ص ٣٤٠)

[٩٠٨] – الداو: سفينة حمولتها نحو من مائة وخمسين طنا إلى مئتين من حيث الحجم ، وهي مبنية علـــى حجـــم الغراب

[٩٠٩] – البرشة : نوع من انواع المراكب التي نقل البن بواسطتها.

الهندي "[٩١٠]. والى جانب ذلك النوعين من الرياح يوجد عدة أنواع أخرى ، ولكنها اقـل تأثيرا.

وكان يبدأ موسم السفر في المحيط الهندي في أول النيروز ، أي نقطة الاعتـدال الربيعـي ، ويوافق ٢١ مارس[٩١١]. وكانت السفن تبحر من اليمن إلى الهند في مواعيد محددة ، بحيث لا تبحر قبل شهر مايو[٩١٢]. وبالرغم من أن البن ليس محصول موسمي إذ يمكـن حصـاده طوال العام تقريبا ، ولكن موسم البيع كان يتم في فترة محددة تمتد من مارس إلى أغسـطس بسبب ارتباط إبحار السفن في البحر الأحمر بالظروف المناخية ، لذلك تأتي أحمال الـبن إلى الأسواق خلال في هذه الشهور[٩١٣]

تعددت الصعوبات التي واجهت عمليات نقل البن عبر الطرق البحريـة، منـها مشـكلة القرصنة والشعاب المرجانية والرياح والعواصف الشديدة .

كانت القرصنة واحدةً من اخطر المؤثرات على التجارة بشكل عام ، وتجارة البن بشـكل خاص. وقد حدثت أعمال القرصنة بين الأوروبيين ضد بعضهم البعض من ناحية ، وبينـهم وبين التجار من الجنسيات الأخرى من ناحية ثانية. كما مارس العمانيون وبعض القبائـل العربية المطلة على الخليج العربي أعمال القرصنة ضد السفن الأوروبية التي كانت في طريقها إلى اليمن ، وذلك بحجة حماية الأراضي المقدسة من المسيحيين .

وقد مارس الأوربيون أعمال القرصنة منذ بداية قدومهم إلى المخا ، وقد سبق الحديث عـن الأعمال التي قام بها هنري ميدلتون الإنجليزي ، ووليم دي ملدة الهولندي .وقـد تـأثرت بتلك الاعمال حتى السفن التابعة لوالي اليمن العثماني ، فقد قام الهولنديون في عام ١٦٢٣م بالاستيلاء على سفينة كانت راسية في ميناء المخا. وتحمل شحنة من البن من التوابل للوالي العثماني فضل الله باشا، كانت في طريقها إلى ميناء جدة[٩١٤]

ويعد القرصان الهولندي هيربرت هيوجو ، قبطان بلاك ايجل (الصقر الأسود) واحدا من اخطر القراصنة الذين هاجموا السواحل والموانئ اليمنية. فقد قام هذا القرصان في ربيع عام

---

[٩١٠] – شوقي عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ، ص٨٨ .

[٩١١] – نفس المرجع : ص٨٨

[٩١٢] – احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص١٨٠ .

[٩١٣] – Chaudhuri . The Trading World Of Asia, P.382 .

[٩١٤] – Brouwer : Al- Mukha , P.261.

١٦٦٢م بمهاجمة ميناء المخا وإحراق المراكب الشراعية و السفن الكبيرة فيه علـــى مـــرأى ومسمع من حاكم المدينة ، كما قام بنهب المدينة[٩١٥] . وكان البحارة الإنجليز الموجـــودين في المدينة من ضحاياه ، فقد سلب منهم عدة آلاف من الجنيهات. وكانت النتيجة المباشرة أن قام انتوني سميث وكيل الشركة في المخا في عام ١٦٦٣م بتصـــفية المركـــز التجـــاري الإنجليزي بالمخا وإغلاقه[٩١٦]. وقد أثرت هذه الأعمال تأثيراً مباشرا على تجارة البن ، فقد ذكر عبدالله الوزير في كتابه طبق الحلوى أثناء سرده لأحداث عام(١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م) انه"وفي هذا العام لم يدخل إلى بندر المخا غير يســـير مـــن الـــبن بســـبب فتنـــة الفـــرنج المتقدمة"[٩١٧].

وقد زاد انتشار القراصنة في مياه المحيط الهندي في النصف الثاني من القرن السابع عشـــر ، فخلال الفترة من عام (١٦٨٠م – ١٦٩٠م) كان القراصنة الأوروبـــيين المتمركـــزون في مدغشقر يهاجموا السفن المتوجهة إلى المخا.لذلك أخذت هذه السفن تتجه إلى ميناء الحديدة واللحية لتحميل البن خوفا من مهاجمة القراصنة[٩١٨]. وقد أدى ذلك إلى زيادة أهمية ميناءي الحديدة واللحية في تجارة البن إلى جدة و مصر.

وكان القراصنة يختفوا في السواحل القريبة من خطوط الملاحة ، والجزر ، حـــتى يظفـــروا بفرائسهم من السفن ، ولعل جزيرة سقطرة من تلك الجزر، حيث كانـــت ملجـــأ لـــبعض القراصنة[٩١٩].

مارس العمانيون أعمال القرصنة في مياه البحر الأحمر و المحيط الهندي ، و كما ســـبق أن أشرت فان هدفهم كان حماية الأراضي المقدسة . وكانوا يمتلكوا أسطولا قويا يطمحون من خلاله أن يحلوا محل البرتغاليين في مياه المحيط الهندي. لذلك اتجهوا لمهاجمة السفن البرتغاليـــة والأوروبية بشكل عام. على سبيل المثال: فقد استولوا على سفينة برتغالية محملـــة بـــالبن

---

[٩١٥] – اريك ماكرو : اليمن والغرب ، ترجمة : حسين العمري، ص ٢٩

[٩١٦] – نفس المرجع : ص٢٩ .

[٩١٧]– عبدالله الوزير : طبق الحلوى ، تحقيق: محمد عبدالرحيم جازم ،ص١٨٦ .

[٩١٨] – د. عباس فاضل السعدي : البن اليمني ، ص ١٠٦ .

[٩١٩] – د.شوقي عبدالقوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، ص ١٧١ .

قرب شواطئ اليمن[٩٢٠].و قد تضررت تجارة البن أيما ضرر من أعمال القرصنة التي كـــان يقوم بها العمانيون كما سبق أن ذكرت في الفصل الأول .

ب : الطرق البرية

كان البن ينقل إلى الحجاز عبر الطريق البري الممتد من الموانئ اليمنية ، حيث كانت القوافل تنقله إلى مكة ضمن قافلة الحج . فقد كان التجار يستفيدون من موسم الحج في تصـــريف بضائعهم للحجاج الذين يأتون لأداء مناسك الحج في مكة المكرمة . لقد كانت قوافل الحج تتكون من عدد كبير من الجمال ، التي كانت تسير محاذية للسواحل المطلة علـــى البحـــر الأحمر. وكانت رحلة قافلة الحج تستغرق خمسة وأربعين يوما مع أن المسافة لا تتجاوز مائة ميل ألماني وهي مسافة يمكن أن يقطعها المسافر في ما لا يزيد عن عشرين يوما، و قد علـــل نيبور ذلك بقوله : " ولعل القافلة تتوقف في المدن التي تمر بها لممارسة التجـــارة " [٩٢١] .

وبما أن البن كان من أهم السلع التي يتاجر بها اليمنيون ، فلا يستبعد أبداً أنه كـــان يـــتم المتاجرة به على طول الطريق البري الممتد من اليمن إلى الحجـــاز. هـــذا بالإضـــافة إلى أن الحجاج يحتاجون إلى المال بصورة دائمة أثناء رحلة سفرهم للحج والعودة بعد ذلك ، لذلك لا يستبعد أن يأخذ الحجاج معهم كميات من البن من اجل بيعها والحصول على الأمـــوال اللازمة لهم .

ولم يكن نقل البن إلى الحجاز يقتصر على موسم الحج فقط ، ولكن قوافل البن كانت تحمل البن إلى هناك باستمرار . كما لم يكن نقل البن إلى الحجاز يقتصر على اليمنيين ، بك كانت هناك قوافل تجارية ينظمها تجارا من الحجاز الشام و مصر . أما المنفذ البري الثاني و الـــذي كانت تخرج منة القوافل المحملة بالبن فهو طريق صعدة الحجاز.

ولا يوجد دليل بأن البن كان ينقل بطريق البر إلى عمان " لأن طريق البر كان طريقاً غـــير مأمون ومرهق ويمر عبر مناطق كثيرة تتبع مشايخ مستقلين كثير "[٩٢٢].

---

[٩٢٠] – بن سلوت : عرب الخليج ، ترجمة : عايدة خوري ، ص١٧٤ .

[٩٢١] – د. احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٨٥

[٩٢٢] – د. احمد الصايدي : المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، ص ١٨١ .

أما أهم الصعوبات التي كانت تعترض نقل البن بطريق البر فهي قطع الطرق، التي كانت تحدث لأسباب كثيرة ، منها الاضطرابات السياسية ، كما حدث عند ظهور الحركة الوهابية ، وقيام أتباعها بالتقطع على حمولات البن، كما سبق أن ذكرت .
عموما كان الحجاج والتجار اليمنيون المتجهين إلى الحجاز يفضلون طريق البحر على طريق البر بسبب كثرة قطاع الطرق ، فقد ذكر عبد القادر الجزيري في كتابه درر الفوائد المنظمة في اخبار الحج و طريق مكة المعظمة : " أما أهل اليمن فكان أكثر من يجئ منهم إنما يجئ في البحر ، وأما من يجئ في البر فقليل ماهم ، لكثرة ما للعرب من التعرض لهم بالأذى والضرر "[923].

الخاتمة

لقد أثر ازدهار تجارة البن اليمني خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين تأثيراً ايجابياً ليس على الوضع الاقتصادي في اليمن فحسب ، ولكن أيضا على معظم المناطق والبلدان والشركات التي عملت في تجارته . فقد حققت تجارته أرباحا عالية، للعديد من المناطق الواقعة على حوض المحيط الهندي والبحر الأحمر والبحر التوسط. فإذا كان اكتشاف طريق راس الرجاء الصالح قد حرم تلك المناطق من عائدات تجارة التوابل ،فان تجارة البن قد أعادت النشاط التجاري إلى سواحلها وموانئها . و قد استطاع البن أن يحقق شهرة عالمية في وقتٍ قياسي . كما استمر في الحفاظ على موقعة المتميز بين السلع العالمية لمدة طويلة من الزمن ، بالرغم من وجود العديد من الصعوبات التي اعترضت طريقة ، وذلك بسبب جودته العالية ونكهته المتميزة .

[923] – عبد القادر الجزيري : درر الفوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ،جـ١ ،ص٤٤٨ .

ومع بداية القرن التاسع عشر بدأت أهمية البن اليمنى تتراجع لأسباب عديدة ومتداخلة ، منها ما هو محلي ، ومنها ما هو عالمي . فانتشار زراعة القات وإهمال زراعة البن، ووجود مصادر جديدة في العالم للبن الرخيص ، أضف إلى ذلك أن تتابع سنوات القحط ، وانتشار الجراد في اليمن قد اثر على قدرة اليمن الإنتاجية من البن.

عموما فان تراجع تجارة البن اليمني تولد عنه نقص كبير في موارد البلاد المالية ، مما أدى إلى حدوث الكثير من الاضطرابات السياسية التي عصفت بالبلاد ، وقطعت أوصالها .

استمر البن اليمني في التراجع على ساحة التجارة الدولية ، حتى أنه يكاد يكون في الوقت الحاضر في ذمة التاريخ ، ولكن بقيت شهرته حاضرة في ذاكرة الشعوب التي تاجرت به واستهلكته في يوم من أيام تاريخها .كما بقيت شهرته أيضا محفوظة في سجلات الشركات العالمية التي جاءت من أجله إلى اليمن وتنافست مع غيرها من الشركات والبلدان في سبيل الحصول عليه، تلك السجلات التي تحكي التاريخ المجيد لسلعة تجارية ، تحولت إلى سفيرٍ مثل اليمن أمام العالم خير تمثيل ، حتى أن اسم اليمن أصبح مقرونا به ، أي إنها كانت تعرف ببلاد البن .

إن السؤال هنا هو هل بالفعل أصبح البن اليمني ، والذي طار صيته إلى أرجاء العالم في يوم من الأيام ، في ذمة التاريخ ؟

إن الإجابة على هذا السؤال ليس بالأمر الهين ، ولكنه ليس مستحيلا أيضا . فإذا كان إنتاج اليمن من البن قد قل ، وكمياته المصدرة قد انحسرت فليس معنى ذلك انه لا يمكن استرجاع المكانة التي كانت عليه في السابق ، بل على العكس تماما ، فلدينا الأرض ، ولدينا المناخ ، ولدينا الخبرات المتراكمة ، ولكن ينقصنا الوعي و الإدراك بأهمية البن كسلعة عالمية، كما ينقصنا الوعي والإدراك بخطورة انتشار زراعة القات خاصة في الأراضي الصالحة لزراعة البن .

إن أهمية البن كسلعة تجارية تكمن في كونه مادة استهلاكية واسعة الانتشار ، وفي نفس الوقت ذات مردود مادي كبير يمكن أن يحقق دخلا جيدا للبلاد إذا ما تضافرت الجهود الرسمية والشعبية ولن يتأتى ذلك إلا بالأتي :

١- تشجيع المزارعين على زراعة البن عن طريق تزويدهم بالسلالات المحسنة من البن ، وتوفير السوق اللازمة لتصريف البن ، و تقديم أسعار مغرية لشراء محاصيلهم .

٢- دعم الدراسات والأبحاث المتعلقة بزراعة البن وتجارته ، و عمل دراسات الجدوى لقيام مشاريع زراعية وتجارية بهذا الخصوص .

٣- تشجيع القطاع الخاص الذي بدأ يعمل في تجارة البن من أجل إقامة مشـــاريع زراعيـــة خاصة بزراعة البن وتسويقه .

٤- استغلال الشهرة العالمية للبن في تسويقه عالميا ، عن طريق الإعلانـــات و الـــدعايات والمنشورات ، بما يضمن تحقيق أرباح كبيرة للتجار و المزارعين في نفس الوقت .

وفي الأخير يمكن القول بأننا أصبحنا نعيش في عالم تلاشت في الحدود ، وضـــاقت فيه المسافات ، وان الاقتصاد هو الذي يسير الدول ألآن ، وان العولمة قد وصلت إلى كل مكان في العالم ، ولم ولن يتمكن احد من إيقافها ، وأصبحت الحدود مجرد كلام لا معنى لـــه من الناحية الاقتصادية والمعلوماتية على الأقل، فقد أصبحت البضائع تغزوا بلدنا من كـــل الاتجاهات، وتحولنا إلى شعوب مستهلكة تمد يدها إلى الغير في كل شيء ، و تضع مصيرها في يد غيرها، لذلك لابد من محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه عن طريق المشاركة بـــأجود مـــا لدينا، واعتقد أن البن احد أجود المحاصيل الزراعية التي يمكن أن نشارك بها في اقتصاد العالم الجديد ، عالم العولمة.

المصادر و المرجع

اولاً

١. القران الكريم

ثانياً : الوثائق العربية والاجنبية المنشورة و غير المنشورة :

٢. ارشيف محكمة القسمة العسكرية، دار الوثائق المصرية ، القاهرة ، سجل ١٢٦، مادة ٩٧٨، ص٥٥٦-٥٥٧

٣. ارشيف محكمة القسمة العسكرية ، دار الوثاق المصرية ، القاهرة ، سجل ١٢٦ ، مادة ٩٣٠ ، ص ٦

٤. ارشيف محكمة القسمة العسكرية : دار الوثائق المصرية ، القاهرة : سجل ٩٩ ، مادة ٣٤٥ ، ص٢٠

٥. ارشيف محكمة القسمة العسكرية : دار الوثائق المصرية ، القاهرة ، سجل ٩٥ ، مادة ٢٦٧ ،ص ٣٠٥

٦. ارشيف محكمة القسمة العسكرية : دار الوثائق المصرية ، القاهرة ، سجل ٩٤ ، مادة ٥٥٧ ، ص٣٠٤ .

٧. ارشيف محكمة القسمة العسكرية :دار الوثائق المصرية القاهرة سجل ٩٤، مادة ٥١١ ، ص ٣٧٧-٣٧٨

٨. ارشيف محكمة القسمة العسكريه : دار الوثائق المصرية ،القاهرة ، سجل ٩٨ ، مادة ١٦٣ ، ص ٨٨٤

٩. ارشيف محكمة القسمة العسكرية : دار الوثائق المصرية ، سجل ٩٩ ، ماده ٨٨١ ، ص٥٥٧ .

١٠. **letter from Cample to Palmerston – date 7 july – 1838**

P.224-226 Source: F.O67/343

نقلا عن محمد ال زلفة : صراع القوى في جنوب شبه الجزيرة العربية .

١١. letter from Hanes to Camplbll :Date 28 Febrrury 1838. P.229 Source:F.O.78/373.

نقلا عن محمد ال زلفة : صراع القوى في جنوب شبه الجزيرة العربية

١٢. letter From Hanes to Hodgerd : Date 9 August , 1840, P.256 Source: F.O.78/3185.

نقلا عن محمد ال زلفة : صراع القوى في جنوب شبه الجزيرة العربية ص٢٥٦

ثالثا :– المخطوطات :

احمد بن الحسن بن عبدالله بن علوي الحداد :

١٣. سفينة الارباح ونزهة الارواح ،مكتبة الاحقاف للمخطوطات ، تريم ، حضرموت ، تحت رقم (٢٠٦٩) .

احمد بن صالح ابو الرجال :

١٤. مطلع البدور ومجمع البحور (اربعة اجزاء) ، جامعة صنعاء ، المكتبة المركزية ، بدون رقم .

احمد بن محمد بن حجر الهيثمي :

١٥. فتوى حول القهوة ، في المكتبة الغربية بالجامع الكبير ، ضمن المجموع رقم (٤٠) .

لطف الله جحاف :

١٦. تاريخ جحاف ، المكتبة الغربية بالجامع الكبير ، رقم ٢٤٩٥.

يحيى بن الحسين بن القاسم :

١٧. انباء ابناء الزمن ، المكتبة الغربية بالجامع الكبير ، رقم (٢٤٢٧)

رابعا_ المصادر و المراجع المطبوعة :

احمد بن احمد النعمي :

١٨. حوليات النعمي التهامية ، تحقيق : أ.د . حسين عبدالله العمري ، ط١، صنعاء، دار الحكمة اليمانية ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ .

احمد باشا الجزار :

١٩. نظامنامة مصر ، مخطوط ملحق بكتاب عجائب الاثار وف التراجم والأخبار لعبدالرحمن الجبرتي ، تحقيق: عبدالعزيز جمال الدين، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، جـ٣ ، ١٩٩٧م ، ملحق رقم (١١) ، من ص٧٢٠ إلى ص ٧٩٤ .

احمد شلبي عبد الغني الحنفي المصري :

٢٠. اوضح الاشارات في من تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بتاريخ العيني ، تحقيق : عبد الرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، القاهرة، مكتبة الخانجي ،١٩٧٨م .

احمد بن فضل بن على محسن العبدلي :

٢١. هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن ، ط٣، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية ،١٩٩٧م .

احمد قايد الصايدي :

٢٢. المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، بيروت ، دار الفكر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

احمد محمد بن بريك :

٢٣. اليمن و التنافس الدولي في البحر الاحمر ١٨٦٩- ١٩١٤م ، ط١، الشارقة ، دار الثقافة العربية للنشر، ٢٠٠١م.

احمد بن محمد المعلمي :

٢٤. ترويح الاوقات في المفاضلة بين القهوة والقات ، تحقيق : أ . د. سيد مصطفى سالم ، و احمد عبد الرحمن المعلمي ، القاهرة ، مطبعة الجبلاوي ، ١٩٧٥م .

ارنولدت ويلسون :

٢٥. الخليج العربي – مجمل تاريخي من اقدم العصور حتى اوائل القرن العشرين ، ترجمة : عبدالقادر يوسف ، دمشق ، دار الفكر ، (د.ت) .

اريك ماكرو:

٢٦. اليمن والغرب ، ترجمة : أ.د. حسين عبدالله العمري ، ط٢، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٧ .

الكسي فاسيلييف :

٢٧. تاريخ العربية السعودية ، ترجمة خيري الضامن و جلال الماشط ، موسكو ، ١٩٨٦م .

اندريه ريمون :

٢٨. المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج ، ط١، القاهرة ، دار الفكر للدراسات والنشر و التوزيع ، ١٩٩١ .

ب. ج. سلوت :

٢٩. عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية (١٦٠٢- ١٧٧٤م) ، ترجمة : عايدة خوري ، ط١ ، ابوظبي ، الامارات ، منشورات المجمع الثقافي ، ١٩٩٣م .

٣٠. الهولنديون على سواحل شبه الجزيرة العربية ، لاهاي ، وزارة الخارجية الهولندية . ضمن كتاب هولندا والعالم العربي .

ب. س. جيرار :

٣١. موسوعة الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر ــ وصف مصر ــ ، ترجمة : د.زهير الشايب ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، جـــ١ ، (د.ت).

توركيل هانسن :

٣٢. من كوبنهاجن إلى صنعاء ، ترجمة : محمد الرعدي ، بيروت، دار العودة ، ١٩٨٣م .

ج.ج. لوريمر :

٣٣. دليل الخليج ــ القسم التاريخي ــ ، ترجمة : مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر ، بيروت ، دار العربية ، ١٩٦٩م .

جاد طه :

٣٤. سياسة بريطانيا في جنوب شبه الجزيرة العربية ، ط٢، بيروت ، دار الفكر العربي ، (د.ت) .

جاكلين بيرين :

٣٥. اكتشاف جزيرة العرب – خمسة قرون من المغامرة والعلم ، ترجمة : قدري قلعجي ، ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٣٧٣هـــ/ ١٩٦٣م.

جان دي لاروك :

٣٦.	رحلة إلى العربية السعيدة ، ترجمة : صالح محمد علي، ابوظبي ، الامارات ، منشورات المجمع الثقافي ، ١٩٩٩م .

جمال الدين بن ابي الفتح بن يعقوب المعروف بابن المجاور :

٣٧.	صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، تحقيق : اوسكر لوففرين ، ط٢، السعودية ، منشورات المدينة المنورة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

– حسان شمسي باشا :

٣٨.	القهوة والشاي فوائدهما واضرارهما ،ط٣ ، دمشق ، دار القلم ، و بيروت ، الدار الشامية ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

حسن صالح شهاب :

٣٩.	أضواء على تاريخ اليمن البحري ، ط٢ ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٨١م.

٤٠.	عدن فرضة اليمن ، ط١ ،صنعاء ، مركز الدراسات و البحوث ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

حسن محمود الشافعي :

٤١.	العملة و تاريخها ،(د.ط) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م .

حسين بن احمد السياغي :

٤٢.	قانون صنعاء في القرن الثامن عشر الهجري، صنعاء ، مطبعة دار العلم ، (د.ت)

حسين بن احمد العرشي :

٤٣.	بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، تحقيق : الاب انستاس ماري الكرملي، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، (د.ت) .

أ.د. حسين عبد الله العمري :

٤٤.	مئة عام من تاريخ اليمن الحديث ، ط١، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م .

٤٥.	يمانيات في التاريخ والثقافة والسياسة ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

٤٦.	الأمراء العبيد ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

٤٧.	المنار و اليمن (١٣١٥-١٣٥٤هـ/ ١٨٩٨-١٩٣٥م) دراسة ونصوص ، دمشق ، دار الفكر ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

الحسين بن محمد الورثيلاني :

٤٨.	نزهة الأنظار في علم التاريخ والاخبار ، (د.ط) ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

د.خالد سالم باوزير :

٤٩. ميناء عدن ٠٠ دراسة تاريخية معاصرة ، ط١ ، الشارقة ، دار الثقافة العربية للنشر و الترجمة ، ٢٠٠١م.

د.داوود داوود المندعي :

٥٠. الزراعة في اليمن في عصر الدولة الرسولية ٦٢٦- ٨٥٨ هـ/ ١٢٢٩-١٤٥٤م ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ ، جامعة اليرموك ، اربد ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

٥١. تاريخ اليمن الاقتصادي من القرن الرابع إلى القرن السادس للهجرة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم التارخ ، جامعة اليرموك ، اربد

داوود بن عمر الانطاكي :

٥٢. تذكرة اولي الالباب والجامع للعجب العجاب ،(د.ط) ، بيروت ، دار المعارف بيروت ، جـ١ ،(د.ت).

د.سحر علي حنفي :

٥٣. العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر، (د.ط) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ .

د.سلطان بن محمد القاسمي :

٥٤. الاحتلال البريطاني لعدن ، ط١ ، دبي ، مطابع البيان التجارية ، ١٩٩١م.

د.سليمان محمد حسين حسانين :

٥٥. تجار القاهرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣م

أ.د. سيد مصطفى سالم :

٥٦. الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨- ١٦٣٥م ،ط٢ ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٤ م .

٥٧. وثائق يمنية (دراسة وثائقية تاريخية) ، ط٢ ، القاهرة ، المطبعة الفنية ١٩٨٥م .

٥٨. نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر ، ط٢ ، صنعاء ، مركز الدراسات اليمنية ، ١٩٨٩م .

د.شوقي عبدالقوي عثمان :

٥٩. تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية (٤١-٩٠٤هـ/ ٦٦١- ١٤٩٨م) ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

د.شوقي عطا الله الجمل :

٦٠. الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر(١٨٦٣- ١٨٧٩م)، (د.ط) ، القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، (د.ت) .

د. صالح رمضان محمود :

٦١. ذكريات الشوكاني – رسائل للمؤرخ اليمني محمد بن علي الشوكاني ، (د.ط)، بيروت ، دار العودة، ١٩٨٣م .

د. عبد الله عبد السلام الحداد :

٦٢. مدينة حيس اليمنية تاريخها واثارها الدينية ، بيروت ، دار الافاق العربية ، (د.ت) .

ابي محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بامخرمه :

٦٣. تاريخ ثغر عدن ، تحقيق: الاب انستاس الكرملي ، ط٢ ، بيروت دار التنوير للطباعة والنشر ١٤٠٧هـ/ ١٩٧٦م .

عبدالله بن علي الوزير :

٦٤. طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى ، تحقيق : محمد عبدالرحيم جازم صنعاء ، مركز الدراسات والبحوث ، ١٩٨٥م.

د.عبدالحميد البطريق :

٦٥. من تاريخ اليمن الحديث ، القاهرة ، معهد البحوث و الدراسات العربية ،١٩٦٩م.

عبد الامير محمد امين :

٦٦. دراسات في النشاط التجاري والسياسي الاوروبي في اسيا ١٦٠٠- ١٨٠٠م، عمان ، الجامعة الاردنية ، ١٩٨٧ .

٦٧. القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر ، بغداد ، مطبعة اسعد ، ١٩٦٦.

عبدالحي بن عماد الحنبلي :

٦٨. شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، القاهرة، مكتبة القدس للطبع والنشر و التوزيع ، المجلد الرابع ، جـ ٧-٨ ، (د.ت).

عبد الرحمن بن حسين الجبرتي :

٦٩. عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، تحقيق: د.عبدالعزيز جمال الدين، القاهرة ، مكتبة مدبولي، ١٩٩٧م .

٧٠. مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، تحقيق : د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ط١ ، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٩٨م .

عبدالرحمن بن زيد السويداء :

٧١. القهوة العربية وما قيل فيها من شعر ، الرياض ، دار السويداء للنشر و التوزيع ،١٩٩٠ م.

عبدالرحيم عبد الرحمن عبدالرحيم :

٧٢. فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني ، القاهرة ، الهيئه المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م.

٧٣. المغاربة في مصر في العصر العثماني(١٥١٧– ١٨٩٨م) ،الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات ، ١٩٨٢م.

٧٤. علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني(١٥١٧– ١٧٩٨م) ، ضمن المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ، دمشق ، جامعة دمشق ، كلية الاداب ، (د.ت) .

عبدالصمد بن اسماعيل الموزعي :

٧٥. الإحسان في دخول اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، تحقيق : عبدالله الحبشي، بيروت ، شركة التنوير للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

عبد القادر بن شيخ بن عبدالله العيدروسي :

٧٦. النور السافر عن اخبار القرن العاشر ،ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

عبدالقادر بن محمد الجزيري :

٧٧. عمدة الصفوة في حل القهوة ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، ط١، ابوطبي، المجمع الثقافي ١٩٩٦م .

٧٨. درر الفوائد المنظمة في اخبار الحج وطريق مكة المعظمة ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، طبع على نفقة جماعة من اهل الحجاز ، ١٩٧٦م.

عبدالكريم رافق :

٧٩. بحوث في التاريخ الاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث ، جامعة دمشق ، كلية الآداب ، ١٩٨٥م .

عبدالواسع الواسعي :

٨٠. تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، ط٢، صنعاء ، مكتبة اليمن الكبرى، ١٩٩٠– ١٩٩١م.

عمر بن سقاف بن محمد بن عمر السقاف :

٨١. تفريح القلوب و تفريج الكروب ، تحقيق : حسنين محمد مخلوف ، ط١، القاهرة مطبعة المدني ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

فاروق عثمان اباظه :

٨٢. عدن و السياسة البريطانية في البحر الاحمر ١٨٣٩- ١٩١٨م ، القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .

فاضل عباس السعدي :

٨٣. البن اليمني – دراسة جغرافية ، ط١ ،بيروت دار الفكر المعاصر ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

فاضل محمد عبدالله الحسين جابر :

٨٤. عمان في عهد الامام احمد بن سعيد ١٧٤٤-١٦٨٣م ، ط٢ ، مسقط ، وزارة الاعلام العمانية ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ .

فالتر هنتس:

٨٥. المكاييل و الاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ط٢ ، عمان ، منشورات الجامعة الاردنية ، (د.ت) .

ك.خ. براور، و آ. كبلانيان :

٨٦. اليمن في اوائل القرن السابع عشر ، ليدن ، شركة ا.ي بريل ، ١٩٨٨م.

٨٧. رحلة التاجر بيتر فان دن بروكة المستخدم لدى شركة الهند الشرقية الهولندية إلى بلاد الوالي في صنعاء سنة ١٦١٦م ، لاهاي ، وزارة الخارجية الهولندية . ضمن كتاب هولندا والعالم العربي .

ك . د. بوكسر :

٨٨. امبراطورية هولندا البحرية ١٦٠٠- ١٨٠٠م ، ترجمة شوقي جلال، ط١، ابوظبي ، منشورات المجمع الثقافي ، ١٩٩٤م.

ك.م. بانيكار :

٨٩. اسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ، القاهرة ، دار المعارف ، (د.ت) .

لطف الله بن احمد جحاف :

٩٠. درر نحور الحور العين بسيرة الامام المنصور واعلام دولته الميامين ، مخطوطة ، تحقيق: عارف الرعوي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة صنعاء ، كلية الاداب ، قسم التاريخ ، ٢٠٠٠م .

د.ليلى عبداللطيف احمد :

٩١. دراسات في تاريخ و مورخي مصر والشام ابان العصر العثماني ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٩م .

٩٢. اهمية بندر السويس في العصر العثماني ، ضمن ندوة البحر الاحمر ، القاهرة ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠م . تحت اشراف د. أحمد عزت عبدالكريم .

مجهول:

٩٣. حوليات يمانية، تحقيق : عبدالله الحبشي ،ط١ ، صنعاء ، دار الحكمة اليمانية للطباعة و النشر ، ١٩٩١م.

محسن بن الحسن بن القاسم ابوطالب :

٩٤. السحر المبين وفتور الحاظ العين فيم اسنح من أخبار اليمن وأهله الميامين (١٠٩٢-١١٣٠هـ/١٦٨١-١٧١٨م) ، تحقيق : ايمان على مانع، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة صنعاء، كلية الآداب ، قسم التاريخ، ٢٠٠٤م .

٩٥. طيب أهل الكسا ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، صنعاء ، مطابع المفضل للاوفست ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

د. مصطفي عقيل الخطيب :

٩٦. التنافس الدولي في الخليج العربي (١٦٢٢- ١٧٦٣م) ، بيروت ، المكتبة المصرية ، ١٩٨١م .

د . مصطفى ماهر :

٩٧. رحلة إلى مصر (كارستن نيبور ١٧٦١- ١٧٦٢م)، ط١، القاهرة ، المطبعة العالمية ، جـ١ ، ١٩٧٧م .

المطهر محمد بن احمد الجرموزي :

٩٨. تحفة الاسماع الأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الاخبار، تحقيق : عبدالحكيم الهجري ، ط١ ، صنعاء ، مؤسسة الامام زيد بن علي ، جـ ١-٢ ، ٢٠٠٢م.

٩٩. الجوهرة المضيئة ، تحقيق : امة الملك الثور ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة صنعاء ، كلية الاداب ، قسم التاريخ ، ٢٠٠٤م.

محمد بن احمد النهروالي :

١٠٠. البرق اليماني في الفتح العثماني ،ط١ ، بيروت ، شركة التنوير للطباعة والنشر . ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

محمد بن اسماعيل بن القاسم (المؤيد الصغير) :

١٠١. مذكرات المؤيد الصغير ، تحقيق : عبدالله الحبشي ، بيروت ، المؤسسة الجامعية ، (د.ت) .

محمد بن عبدالله آل زلفة :

١٠٢. تطور الاوضاع السياسية في جنوب غرب الجزيرة العربية ، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية .

محمد بن علي الشوكاني :

١٠٣. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، (د.ت).

محمد محمد زبارة :

١٠٤. نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ،بيروت ، دار العودة ، (د.ت).

١٠٥. نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الالف إلى سنة ١٣٧٥هـ ، بيروت ، دار الآداب ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

محمد بن نجم الدين بن محمد الغزي :

١٠٦. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، تحقيق سليمان جبور ، بيروت، المطبعة الامريكية ، جـ١ ،٢، ٣ ، ١٩٤٥م .

محمود علي محسن السالمي :

١٠٧. محاولة توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين الاول (١٠٤٥- ١٠٩٧ هـ/ ١٦٣٥- ١٦٨٥ م) ، دمشق ، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية ، ٢٠٠٠م .

ميشيل دوفيز :

١٠٨. أوروبا والعالم في نهاية القرن الثامن عشر، ترجمة : الياس مرقص ، بيروت ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، جـ١ ، (د.ت).

د.نعيم زكي فهمي :

١٠٩. طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق و الغرب اواخر العصور الوسطى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

د. نللي حنا :

١١٠. تجار القاهرة في العصر العثماني ، ترجمة : رءوف عباس ، ط١ ، القاهرة الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

د. نيقولاس فان دام :

١١١. هولندا والعالم العربي ، ترجمة : اسعد جابر ، لاهاي ، وزارة الخارجية الهولندية ، (د.ت) .

هارلدوف ك ي.أي. يعقوب :

١١٢. ملوك شبه الجزيرة العربية ، ترجمة : احمد المضواحي ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٨٣م.

ابي الوفاء بن عمر العرضي

١١٣. معادن الذهب في الاعيان المشرفة بهم حلب ، دراسة وتحقيق عيسى سليمان ابوسليم ، عمان منشورات مركز الوثائق والمخطوطات ، الجامعة الاردنية ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

ولسيلي مايج :

١١٤. جداول لمقارنة السنوات الهجرية بالسنيين الميلادية ، ترجمة : عبد العزيز مصطفى المراغي، (د.ط)، مطبعة الشرق ، (د.ت) .

وول ويريل دايورنت :

١١٥. قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، جـ ٣٢ ، بيروت ، دار الدين ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

يحيى بن الحسين بن القاسم :

١١٦. بهجة في تاريخ حوادث اليمن ، تحقيق : امة الغفور الامير ، جـ ١ ، ٢ ، ٣ ، رسالتي ماجستير ودكتوراه غير منشورتين ، جامعة صنعاء ، كلية الاداب ، قسم التاريخ ، ١٩٩٧م، ٢٠٠٤ م .

١١٧. غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، دار الكتاب العربي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

١١٨. المستخرجات البينات على تحليل الاشياء المستعملات من القهوة و الطباق والقات ، تحقيق : عبدالله الحبشي ،(ضمن كتاب ثلاث رسائل في القات) ، ط١، الرياض ، منشورات المدينة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

خامساً : – الدوريات :

احمد قايد الصايدي :

١١٩. رحلة بوتا إلى جبل صبر ، مجلة الأكليل ، صنعاء ، العدد الاول ، السنة الثالثة عشر ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ص ١٠٨– ١١٥ .

احسان عباس :

١٢٠. القهوة والمقاهي في دمشق في القرن العاشر الهجري – السادس عشر الميلادي ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ٧٠ ، السنة السادسة ، بيروت، ذو القعدة ١٤٠٤هـ/اغسطس ١٩٨٤م، ص ٦٦– ٧٥ .

جون بولدري :

١٢١. اهم الاحداث في تاريخ الحديدة ، ترجمة : محمد عزي صالح ، الاكليل، العددان الثالث والرابع ، السنة الاولى ، ربيع ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ص٦٣ – ٧٢ .

د. حسين الملعسي :

١٢٢. تطور النشاط التجاري الحر لميناء عدن للفترة ١٨٥٠ – ١٩٦٧،مجلة جامعة عدن للعلوم الاجتماعية و الانسانية ، المجلد الثالث ، العدد الخامس ، يناير – يونيو ،٢٠٠٠ .

د. سلطان ناجي :

١٢٣. عدن عبر التاريخ : مجلة الاكليل ،عدد خاص عن صنعاء ، العددان الثاني والثالث ، السنة الثانية ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣ م، ص ١٨٢– ٢٠٣ .

سليمان محمد حسين :

الدور الاقتصادي لأشراف مصر في العصر العثماني ، مجلة الاجتهاد، العدد السادس والثلاثون ، السنة التاسعة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ص ٨٩– ١١١ .

عبدالله الحبشي :

١٢٤. ظهور القهوة في اليمن ، صنعاء ، مجلة اليمن الجديد ، العدد الثاني عشر ، السنة الحادي عشر ، ديسمبر١٩٨٢م ، ص ٤٦- ٥٦ .

عبدالله محمد عزباوي :

١٢٥. الشوام في مصر في القرن الثامن عشر، المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان ٢٨-٢٩، القاهرة ، ١٩٨١- ١٩٨٢م ، من ص٢٦٩الى ص ٣٢٩ .

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم :

١٢٦. النشاط التجاري في البحر الاحمر في العصر العثماني ١٥١٧هـ/ ١٧٩٨م ، مجلة الدارة ، العدد الثاني، السنة السادسة ،ربيع اول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م ، ص٩٠ — ١٢٤ .

فلاح عبد الحسين ، و جعفر السيد مصطفى :

١٢٧. طريق بصرة — حلب للقوافل التجارية كما وصفها الرحالة الاوروبيون ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد الثامن والخمسون ، السنة الخامسة عشر ، شعبان ١٤٠٩هـ / ابريل ١٩٨٩م ، ص ٥٥- ٧٦ .

ك.خ. براور :

١٢٨. المخا ميناء تصدير البن الممتاز في العقود الاولى من القرن السابع عشر وفقا للمصادر الهولندية ، ترجمة : أ.د حسين عبدالله العمري ، مجلة الثوابت ، صنعاء ، العدد ٣٢ ، ابريل — يونيو ٢٠٠٣ ، ص ٤٣- ٦٨.

محمد الارناؤوط :

١٢٩. بدايات انتشار القهوة والمقاهي في بلاد الشام الجنوبية ، مجلة اليرموك ، جامعة اليرموك، العدد الخامس والثلاثون،١٩٩٢م ،ص٣٠-٣٣.

١٣٠. من اليمن إلى البوسنة التاريخ الثقافي للقهوة ، مجلة الاجتهاد ، بيروت، دار الاجتهاد العددان السابع والاربعون والثامن والاربعون ، السنة الثانية عشر ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٣١. من التاريخ الثقافي للقهوة في الحجاز ومصر وسوريا في القرن العاشر الهجري / القرن السادس عشر الميلادي ، مجلة التاريخ والمستقبل ، الأردن ، جامعة آل البيت، العدد الثاني ، يوليو ، ٢٠٠٠ ،

د.محمود علي عامر :

١٣٢. النظم الاداري العثمانية في اليمن ، مجلة الاكليل ، صنعاء ، وزارة الاعلام و الثقافة ، العدد الثاني ، السنة السابعة ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ص ٩٦- ١٢٢ .

١٣٣. اليمن من خلال لائحتي محمد خليل افندي ، مجلة الاكليل ، صنعاء وزارة الاعلام و الثقافة ، العدد الاول ، السنة السابعة ، ١٤٠٩هـ \ ١٩٨٩م، ص ٧٩- ١٠٠ .

د.نقولا زيادة :

١٣٤. الطرق التجارية في العصور الوسطى ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، بيروت، العدد الثاني والثالث والستون ، لسنة ١٩٨٣- ١٩٨٤م ،ص ١٥- ٢٥ .

هاني زامل عبدالاله مهنا :

١٣٥. تجارة البن اليمني ، دراسة في العلاقات بين الشؤون التجارية و السياسية في اليمن ، جدة ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، المجلد الحادي عشر ، لسنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م ، ص ٥٥- ١٠٤ .

هنري لابروس :

١٣٦. البرتغاليون والفرنسيون في اليمن والبحر الاحمر مطلع العصور الحديثة ، ترجمة : احمد الورد ، الاكليل، العدد الرابع والعشرون ، يناير مارس ٢٠٠٢م ، ص ١٤٧- ١٧٧ .

سادسا : - الندوات والمؤتمرات و الدراسات والابحاث :

١٣٧. ندوة البحر الاحمر ، (البحر الاحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة) ابحاث الاسبوع العلمي الثالث ١٠- ١٥ مارس ١٩٧٩م ، القاهرة ، جامعة عين شمس . تحت اشراف : أ.د .احمد عزت عبدالكريم .

١٣٨. وقائع الندوة الوطنية الاولى لمحصول البن ٢٦-٢٩ يوليو ١٩٩٣م ، (واقع ١١٩- (واقع محصول البن في اليمن بين الماضي و المستقبل) ، صنعاء ، وزارة الزراعة والري ، الهيئة العامة للبحوث والارشاد الزراعي . تحت شراف : اسماعيل عبدالله محرم ، وآخرون .

١٣٩. المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام (٩٢٢هـ- ١٢٥٨هـ) (١٥١٦م — ١٩٣٩م).

١٤٠. تقرير مقدم إلى كل من منظمة الاغذية والزراعة للامم المتحدة ، برنامج الامم المتحدة للتنمية ، حكومة الجمهورية العربية اليمنية ، المشكلات التي ظهرت اثناء زيارة البعثة لدراسة معالجة البن وتسويقه ووضع اقتراحات التحسين زراعة البن مقدمة من اعضاء البعثة التي زارت البلاد من ٦ ابريل إلى ٤ مايو ١٩٧٥م .

١٤١. دراسة الجدوى الفنية والاقتصادية لتطوير انتاج البن في الجمهورية العربية اليمنية ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتنمية الزراعية الخرطوم . يونيو (حزيران) ١٩٨٢م .

١٤٢. تطوير زراعة البن(فيما كان يعرف) بجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، الخرطوم، ١٩٧٨م .

سابعا : - المعاجم والموسوعات :

ابراهيم احمد المقحفي :

١٤٣. معجم البلدان و القبائل اليمنية ،صنعاء ، دار الكلمة للطباعة والنشر و التوزيع ، و بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢

احمد جابر عفيف واخرون :

١٤٤. الموسوعة اليمنية ،ط١ ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ،١٤١٢هــ/ ١٩٩٢م .

خير الدين الزركلي :

١٤٥. الاعلام ــ تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين و المستشرقين ،بيروت ، جــ١ ، جــ٦ ، ١٩٦٩- ١٩٧٠م .

عبد الرحمن فهمي :

١٤٦. (النقود المتداولة ايام الجبرتي ، الرباط ، جامعة محمد الخامس ،من ص٥٣٣ إلى ص ٥٩٩) بحوث القيت في ندوة اقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالاشتراك مع المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب و العلوم الاجتماعية ، من ١٦ إلى ٣٠ ابريل ١٩٧٤ م (عن المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي)، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦ م .

مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي :

١٤٧. القاموس المحيط ، بيروت دار احياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، ط١ ، جــ١ و ٢ ، ١٤١٧هــ/١٩٩٧م .

محمد احمد الحجري :

١٤٨. مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق : اسماعيل بن علي الاكوع ، ط١ ، صنعاء وزاوة الاعلام و الثقافة ، ١٤٠٤هــ / ١٩٨٤م

محمد ابن منظور:

١٤٩. لسان العرب ، (د.ط) ، بيروت ، دار المعارف ، جــ ١- ٥ ، (د.ت) .

محمد المرتضى الزبيدي :

١٥٠. تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، المجلد التاسع ، (د.ت) .

نديم المرعشلي ، و اسامة مرعشلي :

١٥١. الصحاح في اللغة و العلوم ، تجديد صحاح العلامة الجواهري تقديم الشيخ عبدالله العلايلي ، بيروت ، دار الحضارة العربية ،١٩٧٤م.

ثامناً :المراجع الاجنبية.

Boxhall , Peter:

١٥٢. **The Diary of Mocha Coffee Agent , Araban Studies , London, Vol .1 , 1974 .**

Brouwer . C . G :

١٥٣. **AL- Mukha A Profile of a Yemeni , Seaport as Sketched by Servant of the Dutch East India Company (V O C) 1614-1640 , Amsterdam , Fluyte Rarob, 1997 .**

Chauduri , K.N:

The Trading World of Asia and The English East India Company 1660- 1760 , London, Cambrige , University , 1978 . .١٥٤

The Encyclopedia Of Islam New Edition ,(Kahwa) , Leiden , E.J . Brill , 1978 . .١٥٥

Gavin ,R.J:

Aden Under British Rule 1839- 1967, London , Hurst ,C. and Company ,1975. .١٥٦

G.S.P.Freeman Grenville :

The Muslim and Christian Caledars , Second edition , London , 1977. .١٥٧

Glamann, Kristof :

Dutch- Asiatic Trade 1620- 1740 , Central Labrary , University of Baghdad ,1958. .١٥٨

Gopal, Surendra :

Coffee Trade of Western India in the Seventeenth Century , Édité par : Michel Tuchscherer ,Institut français d'archéologie orientale ,Cahier des annals Islamologiques, 20-2001, P.297 - 317 . .١٥٩

Hann, Nelly :

Coffee and coffee Merchants in Cairo 1580- 1630, P.191-101 . .١٦٠

Édité par :

Michel Tuchscherer , Institut français d'archéologie orientale , Cahier des annals Islamologiques, 20-2001. .١٦١

Hattox, Ralph S:

Coffee and Coffeehouses , University of Washington Press , Seattle and London . .١٦٢

Ingrams, Dorrn and Ingrams, Leila :

Records of Yemen 1798- 1832 , Archive Edition ,Vol.1-2, Printed and Bound In England by Antony Rowe Ltd , Chippenha , 1993. .١٦٣

Khan, Iftikhr Ahmed :

Coffee Trade of the Red Sea First Half of 18th Century , Édité par Michel Tuchscherer , Institut français d'archéologie orientale ,Cahier des annals Islamologiques 20-2001, P.219 – 225 . .١٦٤

Marston , Thoms E :

Britaian's Imperial Role In The Red Sea Area 1800- 1878 , The Shoe Press , Inc . Hamden , Connectincut , U.S.A . .١٦٥

Playfair, R.L :

١٦٦. A History of Arabia Felix or Yemen , Bombay , Education Society press , 1859 . U.S.A North Carolina , 1978.

Waterfield , Gordon :

١٦٧. Sultans of Aden , Printed in Great Britain For John Murry , Albemarle Street , London and Beccle , 1968 .

الملاحق

أولا : الخرائط

خريطة رقم (١) : الطرق التجارية في منطقة البحر الأحمر في حوالي عام ١٥١٠ م .

خريطة رقم (٢) : الطرق التجارية في منطقة البحر الأحمر في حوالي عام ١٦٠٠م[٩٢٤] .

الخريطة رقم (٣) : الطرق التجارية الشمالية التي نقل البن عبرها إلى موانئ البحر الأحمر والبحر المتوسط ، ومن ثم إلى أوروبا

الخريطة رقم (٤) : الطرق التجارية التي نقل البن عبرها شمالا وجنوبا إلى المستعمرات الأوروبية في جنوب شرق اسياء ، ومن ثم نقلت إلى أوروبا ، وفي مرحلة لاحقة إلى أمريكا.

الخريطة رقم (٥) : اتجاه تحركات السفن التجارية الناقلة للبن من والى اليمن .

الخريطة رقم (٦) : الطرق التجارية التي نقل البن عبرها خلال المراحل المختلفة لتجارته ، منذ بداية القرن السابع عشر حتى القرن العشرين[٩٢٥] .

الخريطة رقم (٧) : خريطة لسوق صنعاء القديمة ومن ضمن السوق سوق القشر وسمسرة القشر، أو ما كان يعرف بجمرك القشر .[٩٢٦]

ثانيا : الوثائق :

١- الوثيقة (١) : وثيقة ممنوحة من الأئمة آل القاسم لأحدى الأسرة من آل جبر في منطقة بنوقشيب وبني الروية في آنس من أعمال ذمار ، وهذه الوثيقة كانت تعرف بالراية وتمنح لبعض الأسر المقربة من الأئمة لإعفاء تلك الأسر من الطيافة لأموالهم أو لعدم إجبارهم على دفع الزكاة أو الغرامات المالية المطلوبة من

---

[٩٢٤] ـ الخريطتين الاولى والثانية نقلا عن ندوة عقدت في المركز الفرنسي بصنعاء حول تجارة البن اليمني ، برعاية الدكتور: ميشيل توشرر.

[٩٢٥] ـ الخرائط الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة من إدارة زراعة البن بوزارة الزراعة ، نقلا المشروع اليمني الفرنسي لتطوير زراعة البن في اليمن .

[٩٢٦] ـ قدمت هذه الخريطة ضمن فعاليات مؤتمر الحضارة الذي عقد في صنعاء خلال الفترة الواقعة بين ٣٠اغسطس و ١ سبتمبر ٢٠٠٤ .

بقية الناس ، حيث كانوا يسلمون الوجبات المالية المفروضة على أمـــوالهم بالأمانة [٩٢٧].

٢- الوثيقة (٢) : تدور حول نفس موضوع الوثيقة الأولى وهي إعفاء بعض الأسر مـــن طيافـــة أموالهم على أن يدفعوا زكاتها بالأمانة [٩٢٨] .

٣- الوثيقة (٣) : نص تفويض القائد العثماني خليل باشا لمندوبه يوسف اغا في استلام المائة الف الاولى المعجلة من مندوب الامام المهدي القاضي محمد الحرازي ، وكذلك صك الاستلام

٤- الوثيقتين ٤ و٥ : عبارة عن رسالتين من التجار الموجودين في المخا يشكون مـــن الشـــريف حسين ومن الاضرار التي لحقت بهم من جـــرءا الاضـــطرابات في تهامـــة ويستنجدون بالدولة العثمانية.

٥- الوثائق ٦ و٧ و٨ : عبارة عن رسائل إلى محمد بن عون واشرف بك في الحجـــاز حـــول الاوضاع في تهامة والحرب بين امام صنعاء و الشريف حسين واثر ذلك على الاوضاع التجارية في تهامة و الموانئ .

٦- الوثيقة ٩: عبارة عن قائمة باسماء التجار الذين زودوا شركة الهند الشرقية بـــالبن في عـــام ١٧٣٥م كما وردت في مصدرها [٩٢٩]

٧- اخر احصائية حول المساحة والانتاج والقيمة لمحصول البن للفترة ٩٣-٢٠٠٢ م ، وكذلك قيمة الصادرات خلال العشر سنوات الاخيرة [٩٣٠] .

الفهرس

[٩٢٧] - تم تصوير هذة الوثيقة من الزميل امين الجبر ، وهي تخص عائلته

[٩٢٨] - نقلا عن أ .د. سيد مصطفى سالم من كتابه وثائق يمنية (دراسة وثائقية تاريخية) ، ط٢ ، القاهرة ، المطبعة الفنية ١٩٨٥م .

[٩٢٩] - Chauduri , K.N: The Trading World of Asia and The English East India Company 1660- 1760 , Cambrige , University , London, 1978 .

[٩٣٠] - قدمت هذه الاحصائية للدراسة امام مجلس الشورى ، خلال العام ٢٠٠٢ .